المملكـــة العـــربية السعـــودية
وزارة الـــتـــعـــلـــيـــم
جـــامـــعـــة أم القـــــرى
كلية الدعـــوة وأصـــول الدين
قـســـم الكتـــاب والسنـــة
فــرع التفســير وعلــوم القــرآن



تفسير الفقهاء وتكذيب السُّفهاء

لأَبِي الْفَتح عَبْدِ الصَّمد بنِ مَحْمُود الغَزْنوي

تحقيق ودراسة من الآية (٥٨) من سورة يوسف إلى نهاية سورة النحل

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

دراسة وتحقيق الطالبة:

سمية بنت ياسين بن جعفر السقاف

(٤٣٥٨٠٠٢٧)

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:

أمـين محـمـد عطـيـة بـاشـا

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

المجلد الأول

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

[٥٨] قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾

معناهُ: وجاءَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- إلى يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- وهمْ عشرةٌ، جاءوا منْ عندِ أبيهِم في السنينَ القِحاطِ[١]؛ لطلبِ الطعامِ، كما كانَ يجيءُ غيرُهمْ، [فدخلُوا][٢] عليهِ فكلَّموهُ بالعِبْرانيةِ[٣]، وعليهِ ثيابُ حريرٍ وطَوْقُ ذهبٍ[٤]، وهوَ جالسٌ على[٥] سريرِ مُلْكِهِ، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- أنهُمْ إخوتُهُ، وكانُوا لا يعرفونَ أنهُ أخوهُم، وكانَ يُكلِّمُهم بالتَّرجُمانِ[٦]، وإنما لمْ يعرفُوا[٧] لطولِ العهدِ؛ لأنهُم كانُوا رأَوهُ صغيرًا[٨]، ولمْ يكونُوا يظنُّونَ أنَّهُ يصيرُ مَلِكًا وقدْ باعُوهُ عبدًا[٩]، فَأَمَارَهُمْ[١] وأحسنَ إليهِم، وفاوَضَهُم في الحديثِ حتى يُحدِّثُوهُ[٢]

---

(١) (قحاط) جمع (قَحْط)، وتعني: قِلة خيرها، والأصل فيه احتباس المطر. ينظر: لسان العرب: (ق ح ط).

(٢) في الأصل: (**فدخلوه**)، والمثبت من ز، ط.

(٣) العبرانية والعبرية كلاهما بمعنى واحد، وهي لغة اليهود. ينظر: لسان العرب: (ع ب ر).

(٤) قوله: «وعليه ثياب حرير وطوق ذهب»، ينظر: تفسير الثعلبي: ٦٢/١٥. التفسير البسيط: ١٦٠/١٢(عزاه للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس). التفسير الوسيط: ٦٢٠/٢(عزاه للكلبي).

(٥) /١٧٥/ط٣/.

(٦) في ز: (يكلمهم **باترجمان**)، سقطت اللام، وهو خطأ. والترجمان: مترجم الكلامِ من لغة إلى أخرى. ينظر: لسان العرب: (ت ر ج م).

(٧) في ز: (**لم يعرفوا الطول**)، في ط: (**لم يعرفوه**). وقول المصنف: «وإنما لم يعرفوا لطول العهد»، ينظر: الكشاف: ٥٢١. تفسير البيضاوي: ١٦٨/٣.

(٨) من قوله: «وجاء إخوة يوسف...»، إلى قوله: «لأنهم كانوا رأوه صغيرًا». ينظر: بحر العلوم: ١٦٧/٢.

(٩) قد يتبادر إلى الذهن: كيف باعه إخوتُه، وظاهرُ النص القرآني أنهم ألقَوه في غيابةِ الجبِّ، كما هو معلوم، والذي قصده المصنف بقوله: «وقد باعوه عبدًا» -والله أعلم- محمول على أنَّ من معاني قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ [يوسف: ١٩]، راجعٌ إلى إخوة يوسف -عليه السلام-، حيث إنه روي أنهم جاءوا بعد ثلاثة أيام للبئر ووجدوه مع أهل السيارة - مارَّةِ الطريق من المسافرين-، وقالوا لهم: إنه عبدٌ آبقٌ منهم، -وهددوا يوسف بالقتل إن أنكر أنه عبد- وقالوا للقوم: اشترُوه منَّا، وطلبوا من يوسف أن يكتم نسبه، وعلى ذلك فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، أنَّ إخوة يوسف هم الذين باعوه، ومَن فسر بهذا القول استدل بقول ابن عباس الذي أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤٩/١٣)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٢١١/٨)، وعزاه إلى ابن جرير عن ابن عباس، ونصه أنه قال: «إخوة يوسف أسرُّوا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم، وكتم يوسف شأنه، مخافة أن يقتله إخوانه، واختار البيع، فذكره إخوتُه لواردِ القوم، فنادى

=

بحديثِ أبيهم وأخيهم، وقالُوا[٣]: إنَّ أبانَا[٤] شيخٌ كبيرٌ[٥]، وكنَّا اثنَيْ عشرَ رجلًا، فهلكَ واحدٌ [منَّا في][٦] الغنمِ، ووجدْنا قميصَهُ عليه دمٌ، فأتينا به أبانا، وله أخٌ هو آثرُ[٧]منَّا إلى أبينا[٧] لم يبعثْه معنا.

فقالَ لهُم يوسفُ -عليه السَّلامُ-: كيفَ تزعمُونَ أنَّ واحدًا منكُم هلَكَ، ووجدتُم قميصَه؟! والذي يهلِكُ؛ يهلِكُ معهُ قميصُه![٨] ثمَّ قالَ لهُم: ﴿ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾، كما قالَ سبحانَهُ:

=

أصحابه، قال: يا بشرى، هذا غلام يباع، فباعه إخوته». وذكر السمرقندي أنَّ قول عامة المفسرين: أنَّ إخوة يوسف هم الذين باعوه.

ورجح الطبري أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ واردُ القوم الذي أدلى دلوه هو وأصحابه، واختاره كذلك الغزنوي -والله أعلم-.

ينظر: تفسير الطبري: ٤٩/١٣. بحر العلوم: ١٥٥/٢. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة شعبان): (٤١٧-٤١٦).

(١) أي: جلب لهم الطعام. ينظر: لسان العرب: (م ي ر).

(٢) في ط: (حتى **حدَّثوه**).

(٣) في ط: (وقالوا **له**).

(٤) في ط: (إنَّ **لنا أبًا**).

(٥) في الأصل، ز: (شيخًا كبيرًا)، وهو خطأ، وحقها الرَّفع؛ فـ(شيخٌ) خبر إنَّ مرفوع و(كبيرٌ) صفة، والصفة تتبعُ الموصوف.

(٦) في الأصل، ز: (واحد **من الغنم**)، والمثبت من ط؛ وهو الصواب.

(٧ - ٧) في ط: (إلى أبينا منَّا)، تقديم وتأخير.

(٨) من قوله: «وكنَّا اثني عشر رجلًا...»، إلى قوله: «يهلك معه قميصه». ينظر: بحر العلوم: ١٦٧/٢.

[٥٩-٦١] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي[١] الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

معناهُ[٢]: ولما أعطاهُم المِيرَةَ[٣] وكالَ لهُم كيلَهُم، قالَ لهُم: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾؛ فسألَهم أنْ يأتُوه به؛ لينظرَ أنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلام- -معَ حكمتِه- لماذا آثَرَهُ عليهم بالمحبَّةِ[٤] ؟! وكانَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- يخافُ أنَّهُ[٥]، إنْ أظهرَ لهُم أنَّهُ يوسفُ؛ أنْ يكتُموا ذلكَ [عن][٦] أبيهِم، ويحتالُوا أن لَّا يجمعُوا بينَه وبينَ أخِيهِ؛ فلمْ يُظهِرْ لهُم أنَّهُ أخوهُم، وجعلَ محصولَه[٧]على التدريجِ[٨].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي[٩] الْكَيْلَ﴾، معناهُ: ألا ترونَ أنِّي أُعطِي النَّاسَ حقوقَهُم /٢/و٦٩/ على التَّمامِ، وأنا خيرُ [المضِيفِينَ][١٠].

---

(١) كتبت في الأصل، ز، ط: (أوفِ) بالكسر من غير ياء، فالرسمُ فيها مخالف لما اتفقت عليه المصاحفُ العثمانية من رسمها بالياء، وإن كانت ساقطةً في درج القراءةِ لالتقاء الساكنين.
ينظر: المقنع: ٣٦٩. مختصر التبيين: ٣/٧٢٠.

(٢) في هامش الأصل: ﴿بِجَهَازِهِمْ جَهَّزَهُم﴾ كال لكل واحد ما نصيبه، والجهاز: ما أصلح حال الإنسان. لعلَّ الناسخ قصد التَّوضيح، ولم أثبتها في المتن؛ لأنَّ منهج المؤلف أن يذكر الآية ثم يُعقبها مباشرة بـ: (معناه)، وهنا لا معنى لهذه الجملة.

(٣) في الأصل: كتب تحت لفظة (الميرة) بخط صغير: (الطعام)، ولعلَّه أراد بذلك بيان المعنى. وفعلُه ما ذكر في: (١٢٩)، من هذه الرِّسالة.

(٤) في ط: (بالمحبة **عليهم**).

(٥) سقطت من ط.

(٦) ف الأصل، ز، ط: (يكتموا **من**)، وهو خطأ، لأنَّ الفعل (كتم)، يتعدَّى بنفسه وبـ(عن). ينظر: لسان العرب: (ك ت م).

(٧) في ط: (أخوهم، **وجعل تحصيل مقصوده**).

(٨) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/٣٩٠.

(٩) كتبت في الأصل، ز، ط: (أوفِ) بالكسر من غير ياء، وقد سبقت الإشارة لذلك. ينظر:هامش: (١)، من الصفحةِ ذاتها.

(١٠) في الأصل، ز، ط: (خير **المنصفين**)، وهو تصحيف، والمثبت من المرجع.

=

ويقالُ: خيرُ المُنزِلِينَ للأمورِ منازِلَها.

وقولُه تعالَى: ﴿فَإِن لَّم تَأْتُونِي بِهِۦ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِّ﴾: [فيما][(١)] تستقبلون، ولا تقربونِ مرَّةً أُخرَى[(٢)].

ومَنْ قرأَ: (وَلاَ تَقْرَبُونَ) بفتحِ النَّونِ[(٣)]، ولفظُه لفظُ الخبرِ، ومعناهُ: النَّهيُ[(٤)].

وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾؛ أي: سنطلبُه من أبيهِ، وإنَّا لضامِنُونَ أنَّا سنجيءُ بهِ[(٥)].

=

ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٢٢٤-٢٢٥) (أخرجه عن مجاهد). تفسير الثعلبي: ١٥/٦٥. التفسير البسيط: ١٢/١٦٢(وقوله: «خير المضيفين»، عزاه لمجاهد) التفسير الوسيط: ٢/٦٢٠.

(١) في الأصل، ز: (﴿تَقْرَبُونِّ﴾ **فما**)، والمثبت من ط، وكذا هو في تفسير السمرقندي: ٢/١٦٧.

(٢) هو توجيهٌ وتفسير لقراءةِ كسر النونِ التي قرأ بها جميعُ القرَّاء بلا خلاف، والخلافُ بين القراء العشرة كان في إثبات الياء بعد النون المكسورة -وتُعدُّ من ياءاتِ الزوائد- وحذفِها، وقد أثبتها من القرَّاءِ في حالِ الوصلِ والوقفِ: يعقوبُ، وحذَفها الباقون.

ينظر: الوجيز: ٢١٧. المستنير في القراءاتِ العشر: ٢/٢٢٤. النشر في القراءات العشر (ت محمد محفوظ): ٣٢٤.

أما توجيه القراءة فقد ذكره السمرقندي في كتابه. ينظر: بحر العلوم: ٢/١٦٧.

(٣) لعلَّ المؤلِّف-رحمه الله- وَهِمَ في أنها قراءة، في قوله: «ومن قرأ: (ولا تقربونَ) بفتحِ النونِ..» ففتح النونِ يجوز في اللغة، ولم أهتدِ لمن ذكر أنها قراءة فيما وقفت عليه من مصادر، سواء أكانت من مصادر القراءاتِ المتواترةِ، أو الشاذةِ، أو كتبِ التفسير، أو كتب التوجيه، أو كتب معاني القرآن وإعرابه، أو معجمِ القراءاتِ القرآنيةِ، فعند رجوعي للمصادر الآنفة، لم ينص أحد على أنها قراءة، وإنما مَن ذكرها استحسنها لغةً وجوَّزوها، وقد ذكرها الفراء فقال: «...ولو جعلتها رفعًا فنصبت النون كان صوابًا على معنى قوله: ولستم تقربونَ بعد هذه، كقوله: ﴿فَبِم تُبَشِّرُونَ﴾...»، وذكرها الزجاج كذلك فقال: «ويجوز (ولا تقربونَ) بفتحِ النونِ؛ لأنها نون جماعة، كما قال: ﴿فَبِم تُبَشِّرُونَ﴾...».

ينظر: معاني القرآن "للفراء": ٢/٤٨. معاني القرآن "للزجاج" (ت مامودو محمد): ٣٧٢. شواذ القراءات: ٢٤٩.

(٤) ذكر هذا المعنى الزجاجُ، إلا أنه ورد في كتابه أنه لفظ خبرٍ معناه: الأمر، وذكره الكرماني كذلك في شواذ القراءات نقلًا عن الزجاجِ بنفس اللَّفظ، إلا أنَّ السمرقندي عزاه إلى الزجاج وقال: «هو لفظ خبر ومعناه: النهي»، وهو موافق لما ذكره المؤلف -رحمه الله-.

ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٢. بحر العلوم (بنصه): ٢/١٦٧. شواذ القراءات: ٢٤٩.

(٥) ينظر: بحر العلوم: (٢/١٦٧-١٦٨). التفسير البسيط: ١٢/١٦٢(عزاه للكلبي). التفسير الوسيط: ٢/٦٢٠.

وخافَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- أن لا يكونَ عندَ أبيهِمْ منَ الْوَرِقِ[١] ما يرجعُونَ بهِ إليهِ مرَّةً أخرَى؛ فأمرَ أنْ تُجعَلَ دراهمُهم في أوعيتِهم[٢] على غيرِ علمٍ [منهُم][٣]، وذلكَ قولُه تعالَى:

(١) الدَّراهم. ينظر: لسان العرب: (و ر ق).

(٢) الوعاء هو: ما يُجعلُ فيه المتاعُ والزاد. ينظر: لسان العربِ: (و ع ى).

*من قوله: «وخافَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- أن لا...»، إلى قوله: «فأمرَ أنْ تُجعلَ دراهمُهم في أوعيتِهم»، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٨/٢. تفسير الطبري: ٢٢٨/١٣. تفسير الثعلبي: ٦٨/١٥. التفسير الوسيط: ٦٢٠/٢ (عزاه الثعلبي والواحدي للكلبي).

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾

معناه: وقالَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- لِخُدَّامِهِ من مماليكِهِ: اجعلُوا بضاعتَهم [التي][١] جاءُوا بها في رحالِهِم؛ لكي يعرفُوا هذه الكرامةَ منِّي[٢].

ويُقالُ: كي يعرفُوا أنَّها دراهِمي؛ فيرجِعُوا ليرُدُّوها عليَّ[٣].

---

(١) في الأصل، ز: (بضاعتهم **الذي**)، والمثبت من ط، وهو الصواب؛ لأنَّ (بضاعتهم) مؤنثة بعلامة لفظية؛ وهي تاء التأنيث.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٢٨. بحر العلوم: ٢/١٦٨. التفسير البسيط: ١٢/١٦٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٤٨. تفسير الطبري: (١٣/٢٢٨-٢٢٩).

[٦٣-٦٤] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾

معناهُ: فلمَّا رجَعُوا إلى أبيهم بكَنْعانَ[١]، وقصُّوا عليهِ[٢] قصتَهم، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ فيما يُستقبَلُ، إن لمْ تُرسِلْ معنا بنيامينَ[٣].

ويقالُ: مُنِعَ منَّا كيلُ أخينَا بنيامينَ؛ وذلكَ أنَّهُم كانُوا لا يُعطونَ كلَّ واحدٍ أكثرَ منْ حِمْلِ بعيرٍ[٤]، [٦]فكانُوا طلبُوا منهُ أنْ[٥] يُعطِيَ لأخيهِم حِمْلَ بعيرٍ[٦] فلمْ يُعطِ[٧]، وذلكَ[٨] قولُه تعالَى: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ [٩]أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ أي: أرسلْ معنَا[٩] بنيامينَ نكْتَلْ لنا ولهُ[١٠].

ومن قرأَ: (يَكۡتَلۡ) بالياءِ[١١]، فمعناهُ: يكتلْ أخونَا، أي: يأخذْ لنفْسهِ حِملًا[١٢].

---

(١) كَنْعان: بفتحِ أوَّله ثم سكون، وعين مهملة، وآخره النون، وهي موضع من أرض الشام، وتشمل اليوم فلسطينَ ولبنانَ والأجزاءَ الغربية من الأردن وسورية، وتغير اسم (كنعان) إلى (سورية)، عقب سيطرةِ الإمبراطورية الرومانيه.
ينظر: معجم البلدان: ٤/٤٨٤. مراصد الاطلاع: ٣/١١٨٢. الموسوعة الحرة: (كنعان).

(٢) في ز: (وقصوا **عليهم**)، وهو خطأ.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٢. بحر العلوم: ٢/١٦٨. التفسير البسيط: ١٢/١٦٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٢٩. البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٢٥١.

(٥) في الأصل، ز: (منه **أنه**) والهاء زائدة لا معنى لها.

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٥٩٣.

(٨) سقطت من ط.

(٩ - ٩) سقطت من ز.

(١٠) هو توجيه لقراءةِ مَن قرأ بالنونِ، وقرأ بها: ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وعاصمٌ، وابنُ عامر.
ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٠. التيسير في القراءاتِ السَّبع: ٣٢٢. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٤٩.
ومن المصادر التي ذكرت توجيه القراءة:
ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٢/٤٩. تفسير الطبري: ١٣/٢٣١. إعراب القراءات السَّبع وعللها: ١/٣١٣.

(١١) حَمْزةُ، وَالكِسَائيُّ.
ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٠. التيسير في القراءاتِ السَّبع: ٣٢٢. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٤٩.

(١٢) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٢/٤٩. تفسير الطبري: ١٣/٢٣١. إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣١٣.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ حتى نردَّهُ [إليكَ][١].

قالَ لهُم يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ-: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾ على بنيامينَ ﴿إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ﴾ يوسفَ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ فضيَّعتموهُ، أو غيَّبتموهُ عنِّي، ولئنْ أرسلْتُ بنيامينَ معكُم فعلَى اللهِ تعالى أتوكَّلُ، فإنَّ حِفظَ اللهِ تعالَى خيرٌ مِنْ حِفْظِكُم[٢].

ومن قرأَ: (خَيْرٌ حَـٰفِظاً)[٣]، فالمعنى: خيرٌ حافظًا منكُم[٤].

وكلاهُما[٥] نَصبٌ[٦] على التَّمييزِ[٧].

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ظاهرُ المُرادِ.

---

(١) في الأصل، ز: (نرده **عليك**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

ينظر: بحر العلوم: ٢/١٦٨. تفسير الخازن: ٢/٥١٥.

(٢) يعني بذلك قراءةَ ﴿حِفْظاً﴾، وقرأ بها من القرَّاء: ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وعاصم في رواية أبي بكر.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٠. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٣. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٤٩.

وقوله: «فإن حفظ الله خير من حفظكم» هو توجيه منه لقراءة ﴿حِفْظاً﴾.

ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣٢. الحجة للقرَّاء السبعة: ٤/٤٣٩. التفسير الوسيط: ٢/ ٦٢١.

(٣) حَمْزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٠. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٢. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٤٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣٢. الحجة للقرَّاء السَّبعة: ٤/٤٤٠. التفسير الوسيط: ٢/٦٢١.

(٥) أي: كلا القراءتين.

(٦) /ز/و٣٣٩/.

(٧) ينظر: معاني القراءات: ٢/٤٨. الحجة للقرَّاء السَّبعة: (٤/٤٤٠-٤٣٩).

[٦٥-٦٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ[1] لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ[2] مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

معناهُ: ولمَّا فتحُوا أوعيتَهم وجدُوا دراهمَهم رُدَّتْ إليهِم[3].

﴿قَالُواْ﴾ لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي: ما نظلمُ ولا نَكْذِبُ فيما أخبرناكَ بِه، أنَّ مَلِكَ مصرَ أكْرَمَنَا وألطَفَنَا[4]، وهذا إذا كانَ قولُه تعالى: ﴿مَا نَبْغِي﴾ من البَغْيِ[5].

فأمَّا إذا كان من البُغَاءِ -وهوَ الطلبُ- فمعناهُ: [معنى][6] الاستفهامِ دونَ الجَحْدِ، وموضعُ (مَا) نَصْبٌ، تقديرهُ: أيَّ شيءٍ نريدُ[7]؟!

---

(١) /٣ط/و١٧٦/.

(٢) في الأصل، ز: (تؤتوني) بالياء، والرَّسمُ فيها مخالف لرسمِ ما اتفقت عليه المصاحفُ العثمانية من رسمها بغيرِ الياءِ، أي: بحذف الياء.

ينظر: المقنع: ٣٠٣. مختصر التبيين: ٧٢٣/٣. الوسيلة في كشف العقيلة: ٣٣١.

والخلافُ بين القرَّاء في إثباتِ الياءِ وصلًا ووقفًا، فأثبت الياءَ وصلًا ووقفًا -لفظًا-: ابنُ كثير، وأثبَتَها في حالِ الوصلِ: أبو عمرو، وحذَفها في الحالين: نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ عامر.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٤. التيسير في القراءاتِ السَّبع: ٣٢٥. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٥٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ١٦٨/٢. تفسير الثعلبي: ٧١/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٥٩٦/٥.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ١٦٨/٢.

(٥) يقصد أنَّ هذا المعنى للآية إذا كانت (ما) نافية، وقد ذكرها الفراءُ والزجاج، ولكنهم جعلوا معنى (ما نبغي)، إذا كانت (ما) نافية بمعنى: ما نريد، بخلاف المصنف الذي ذكر أنَّ معنى (ما نبغي)، بمعنى: الظلم والكذب، وما ذكره الأخيرُ هو بنحو ما ذكره السمرقنديُّ؛ حيث قال: «ما نبغي: يعني ما نكذب».

ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٩/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٤. بحر العلوم: ١٦٨/٢.

(٦) في الأصل، ز: (فمعناه **بغير**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ ما في النسختين خطأ، حيث إنها لا تجعل (ما) نافية ولا استفهامية، والمصنف يريد الاستفهامية، بدليل قوله: «وموضع (ما) نصب...»، ولا تكون في موضع نصب إلا إذا كانت استفهامية، وليست بشرطية؛ لأن الأسلوب ليس أسلوبًا شرطيًّا.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٩/٢. تفسير الطبري: ٢٣٣/١٣ (أخرجه عن قتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٤.

وفي روايةِ عائشةَ[١] -رضيَ اللهُ عنها-، عنِ النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: أنَّه قرأَ: (مَا تَبْغِـ) بالتاءِ[٢]، ومعناهُ: ما تَطلُبُ[٣]؟

وقولُه تعالى: ﴿هَـٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾ ابتداءُ كلامٍ[٤].

معناهُ: إنَّ دراهمَنا -وهي ثمنُ الطَّعامِ الذي اشتريناهُ (٥من مصرَ٥)- رُدَّتْ إلينَا.

قولُه تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نمتارُ لأَهْلِينَا[٦].

يُقالُ: مارَ فلانٌ أهلَهُ[٧]، إذا حَمَلَ إليهِم قُوتَهُم من غيرِ بلدِهِ[٨].

ومَنْ قرأَ: (نُميرُ) بضمِّ النُّونِ[٩]، أي: نجعلُهم أصحابَ مِيرةٍ[١٠].

وقولُه تعالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ أي: نحفَظُهُ مِنْ أنْ يَضِيعَ[١١].

(١) عائشةُ بنتُ أبي بَكرٍ الصِّديق. أمُّ المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، لم يتزوج النبيُّ ﷺ بكرًا غيرَها. توفيت سنة سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين. روت عن النبي ﷺ كثيرًا. وروى عنها: عمرُ بن الخطاب وابنُه عبد الله بن عُمر، وكثيرٌ من الصحابة، ومن التابعين ما لا يحصى.

ينظر: معرفة الصحابة: (٦/ ٣٢٠٨،٣٢١١). الاستيعاب: (٤/١٨٨١،١٨٨٥). أسد الغابة: (٧/١٨٦،١٨٩).

(٢) نسبها ابن خالويه للنبي ﷺ ولابنِ مسعود، ووافقه الكرماني في ابن مسعودٍ، وزاد أبا حَيْوة، وذكرها العكبري من غير نسبة. ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٦٩. شواذ القراءات: ٢٤٩. إعراب القراءات الشواذ: ١/٧١١.

(٣) لم أقف عليه مسندًا، وذكره ابن عطية في ((تفسيره)) (٥/١١٥)، عن المهدوي عن عائشة بمعناه مختصرًا، وأبو حيان في ((تفسيره)) (٣/٣٢١)، والألوسي في ((تفسيره)) (٧/١٤)، جميعُهم عن عائشة -رضي الله عنها- بمعناه مختصرًا.

(٤) البرهان للحوفي (ت محمد عناني): ٢٥٤.

(٥ – ٥) في ط: (اشتريناه **بمصر**).

(٦) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢/ ١٦٨.

(٧) في ط: (فلان **لأهله**).

(٨) ينظر: تفسير غريب القرآن (بنصه): ٣١٩.

(٩) نسبها ابنُ عطية في تفسيره لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وذكر أنها من قراءة أبي عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وذكرها العكبري من غير نسبة، ونسبها القرطبي لأبي عبد الرحمن السلمي، ووافقه أبو حيان.

ينظر: المحرر الوجيز: ٥/١١٥. إعراب القراءات الشواذ: ١/٧١١. تفسير القرطبي: ١١/٣٩٧. البحر المحيط: ٥/٣٢١.

(١٠) ينظر: تفسير القرطبي: ١١/٣٩٧.

(١١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٢. بحر العلوم: ١٦٨.

﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ أي: حِمْلَ بعيرٍ(١)، إذا كانَ هو [معَنَا](٢).

وسُمِّيَ الحِملُ كيلًا؛ لأنه يُكالُ(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ أي: هو هيِّنٌ سريعٌ، لا حَبْسَ(٤) فيهِ إنْ أرسلتَهُ معَنَا(٥).

قالَ لهُم يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ-: لنْ أُرسِلَ بنيامينَ معكُم ﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ(٦)﴾، أي: تُعْطُونِ(٧) عهدًا وثيقًا(٨) منَ اللهِ تعالَى لتَرُدُّنَّهُ عليَّ، إلَّا أن ينزِلَ [بكُم](٩) أمرٌ منَ(١٠) السَّماءِ والأرضِ لا تَقدِرونَ على دفعِ ذلكَ(١١).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ أي: لـمَّا حلَفُوا على ذلكَ(١٢).

قالَ لهُم يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ-: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ أي: شهيدٌ(١٣) حفيظٌ(١٤).

---

(١) ينظر: مجاز القرآن: ٣١٤/١. تفسير غريب القرآن: ٢١٩. تفسير الطبري: (٢٣٣/١٣-٢٣٤) (أخرجه عن ابن جريج، وقتادة).

(٢) في الأصل، ز: (هو **في معنى**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٥/٣. تفسير البغوي: ٢٥٦/٤.

(٤) الحبس: الإمساك، وهو: ضد التخلية. ينظر: لسان العرب: (ح ب س).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٣/٢. تأويلات أهل السنة: ٥٩١/٢. بحر العلوم (بنصه): ١٦٩/٢.

(٦) ط: (تؤتوني)، وقد سبقت الإشارة لمثل ذلك. ينظر: (١٣٧) من هذه الرِّسالة.

(٧) في ط: (أي: **تعطوني**).

(٨) في ز: (عهدًا **وميثاقًا**).

(٩) في الأصل، ز: (ينزل **لكم**)، والمثبت من ط، وكذا هو في بحر العلوم: ١٦٩/٢.

(١٠) في ط: (أمرٌ **بين**).

(١١) ينظر: تفسير الطبري: (٢٣٤/١٣-٢٣٦). بحر العلوم: ١٦٩/٢(وقوله: «إلا أن ينزل بكم أمرٌ من السماء والأرض» عزاه السمرقندي للكلبي).

(١٢) ينظر: تفسير الماوردي: ٥٨/٣. التفسير الوسيط: ٦٢١/٢. تفسير البغوي: ٢٥٧/٤.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٦/١٣. التفسير البسيط: ١٧٢/١٢. التفسير الوسيط: ٦٢١/٢.

(١٤) ينظر: تفسير السمعاني: ٤٧/٣. تفسير البغوي: ٢٥٨/٤.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ[١] -رضيَ اللهُ عنهُما-: «وخافَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- على بَنِيهِ مِنَ[٢] العينِ؛ لجَمالِهم[٣] وقوَّتِهم، وهُم كُلُّهُم بنُو أبٍ واحدٍ»[٤].

فقالَ[٥] لهُم كمَا قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:

---

(١) عبدُ الله بنُ عَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِب، أبو العباس القُرَشي الهاشمي. الصحابي الجليل، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ. حَبْرُ الأمة وفقيهُها، تَرْجُمان القرآن. ولد عام الشِّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين. وتوفي سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين. روى عن عمرَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وروى عنه: عبدُ الله بن عمر، ومولاه عكرمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ينظر: معرفة الصحابة: (١٦٩٩-١٧٠٠). الاستيعاب: (٣/٩٣٣-٩٣٤). أسد الغابة: (٣/٢٩٤-٢٩١).

(٢) سقطت من ط.

(٣) في ز: (**لجاهم**)، سقطت الميم واللام، وهو تحريف.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس بلفظه. وأخرجه الطبريُّ بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٢٣٧)، وابن أبي حاتم بإسنادين مختلفين (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٢٤٦)، كلاهما عن قتادة بنحوه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٢٣٨)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٢٤٥)، كلاهما عن السدي بنحوه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٢٣٨)، عن ابن إسحاق بنحوه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٢٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ت ابن عبيد) (٢٤٤)، كلاهما عن ابن عباس ببعضه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٢٣٧-٢٣٨)، عن الضحاك ببعضه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٢٣٨)، عن محمد بن كعب ببعضه. وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٤)، عن مجاهد ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٢٨٧)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن قتادة بنحوه. وفي رواية (٨/٢٨٦)، عزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس ببعضه. وفي رواية (٨/٢٨٧)، عزاه إلى ابن جرير عن الضحاك ببعضه. وفي رواية (٨/٢٨٦)، عزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر عن محمد بن كعب ببعضه. وفي رواية (٨/٢٨٧)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد ببعضه. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/١٦٩)، بلفظه من غير نسبة.

(٥) /٣ط/ظ١٧٦/.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ /٢/ظ٦٩/ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾

قالَ الحسنُ[١] -رضيَ اللهُ عنهُ-: «خافَ [٢]عليهِم أولًا[٢] العينَ، ثمَّ رجَعَ إلى عِلْمِهِ، فقالَ -عليهِ السَّلامُ-: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾»[٣].

ومعنَى الآيةِ: قالَ لهُم: لا تدخلُوا مصرَ مِن سِكَّةٍ [واحدةٍ][٤]، ودَرْبٍ واحدٍ، وادخلُوا من طُرقٍ متفرِّقةٍ[٥]، وما أَدفعُ عنكُم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [٦]أي: مِن قضاءِ اللهِ شيئًا[٦]، إن[٧] كانَ قدْ قضَى عليكُم[٨].

﴿[إِنِ][٩]ٱلْحُكْمُ﴾ أي: ما القضاءُ إلَّا للهِ، إليهِ فوَّضتُ أمرِي وأمرَكُم، مع التمسُّكِ بطاعتهِ، والرِّضَا بقضائهِ[١٠].

﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي[١١]: فليَثِقِ الواثِقونَ[١].

---

(١) لعله يقصد: الحسنُ بنُ يَسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جابر بنِ عبد الله، وقيل: غير ذلك. تابعيٌّ ثقة، وكان يُرسلُ كثيرًا ويُدلس. فقيه فاضلٌ مشهور. ولد لسنتينِ بقِيتا من خلافة عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتوفي سنة عشر ومئة. روى عن أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وروى عنه: أبان بن صالح، وحكيم الأثرم.

ينظر: التاريخ الكبير: ٢/٢٨٩. تهذيب الكمال: (٦/٩٥-١٠١، ١٢٧). تقريب التهذيب: ١٦٠.

(٢ - ٢) في ط: (خاف **أولًا عليهم**)، تقديمٌ وتأخير.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل، ز: (سكة **واحد**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأن النعت يتبع المنعوت.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣٦. بحر العلوم: ٢/١٦٩.

(٦ - ٦) سقطت من ط. *وفي الأصل،ز: (الله **شيء**)، وهو خطأ، والصواب ما أثبت؛ لأنه مفعول به.

(٧) في ز: (شيء **إذا**).

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣٨. بحر العلوم: ٢/١٦٩. تفسير السمعاني: (٣/٤٧-٤٨).

(٩) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٢٣٨-٢٣٩). بحر العلوم: ٢/١٦٩. تفسير السمعاني: ٣/٤٨.

(١١) في ط: (أي: **به**).

وقدِ اختلفَ أهلُ العلمِ -رحمَهم[٢] اللهُ- في أمرِ العينِ[٣]:

فقالَ بعضُهم: هو[٤] حقٌّ[٥].

واستدلُّوا بما رُوي عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- أنَّهُ كانَ يَرقِي[٦] منَ العينِ، [٧]ويُعيذُ منُه[٧] الحسنَ[٨] والحسينَ[٩] -رضيَ اللهُ عنهُما- ويقولُ: ((أُعيذُكُما باللهِ من كُلِّ [١٠]عينٍ لامَّةٍ[١٠]))[١١].

وبما رُويَ عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- أنَّهُ قالَ: ((العينُ حقٌّ))[١٢].

ثمَّ اختلفَ هؤلاءِ:

=

(١) ينظر: تفسير مقاتل (بنصه): ٣٤٣/٢.

(٢) في ز: (العلم **رحمه**)، سقطت الميم.

(٣) اختلف أهلُ العلم بين إثباتها كما هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ للأحاديث النبوية الواردة، وبين المنكرِ لها كالجُبَّائي من شيوخ المعتزلة وأتباعه -كما سيأتي بيانه-.

(٤) في ط: (بعضهم **هي**).

(٥) وهو مذهب أهل السنة والجماعة؛ للأدلة الثابتة عن النبي ﷺ، وقد ذكر بعضَها الغزنويُّ.

(٦) في ط: (كان **رقى**).

(٧ - ٧) في ط: (من العين **وعوَّذ به**).

(٨) الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبِ بنِ عبدِ المُطَّلِب، أبو محمد القرشي الهاشمي. سيِّدُ شباب أهل الجنة، سِبطُ رسول الله ﷺ وريحانته، وابنُ سيدة النساء، شبيهُ رسول الله ﷺ، حجَّ عشرين حجة ماشيًا. وُلِد سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: بعد أُحُد بسنة، وقيل غير ذلك. وتوفي سنة سنة ثمانٍ وأربعين، وقيل: ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك. روى عنه أبو هريرة، وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

ينظر: معرفة الصحابة: ٦٥٤/٢. الاستيعاب: (٣٨٣/١-٣٨٤). أسد الغابة: (١٣/٢-١٤، ١٨-٢٠).

(٩) الحُسينُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبِ بنِ عبدِ المُطَّلب، أبو عبد الله القرشي الهاشمي. سيِّدُ شباب أهل الجنة، سِبطُ رسول الله ﷺ وريحانتُه، وابنُ سيدة النساء، شبيه رسول الله ﷺ، حجَّ خمسًا وعشرين حجة ماشيًا. ولد سنة أربع من الهجرة، وقيل سنة ثلاث. قُتل سنة إحدى وستين.

ينظر: معرفة الصحابة: (٦٦١/٢-٦٦٢). الاستيعاب: (٣٩٢/٢-٣٩٣). أسد الغابة: (٢٤/٢-٢٥، ٢٧).

(١٠ - ١٠) التي تصيب بسوء. ينظر: لسان العرب: (ل م م).

(١١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء/ح٣٣٧١)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بزيادة في أوله.

(١٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب السلام/باب الطب والمرض والرقى/ح٢١٨٧)، عن أبي هريرة بلفظه.

فقالَ بعضُهم: إنَّهُ يَمتَدُّ من عينِ النَّاظِرِ أجزاءٌ تتصلُ بما يَسْتَحسِنُهُ (١فيؤثِّرُ في المُسْتَحسَنِ١)، فيؤثِّرُ فيهِ كتأثيرِ اللَّسْعِ(٢) من النَّارِ والسُّمِّ(٣). ذكرهُ الجاحظُ(٤).

وهذا بعيدٌ؛ لأنَّهُ لوْ(٥) كانَ يَنفصِلُ من عينهِ جزءٌ، فيؤثِّرُ في المُسْتَحْسَنِ؛ لكانَ يُؤثِّرُ في مَا(٦) لا يَسْتَحْسِنُهُ(٧).

وقالَ بعضُهم -رحمَه[م](٨) اللهُ-: أجرَى اللهُ تعالَى العادةَ أنَّ الإنسانَ إذا رأى شيئًا يُعجِبُهُ(٩)، غيَّرَ اللهُ تعالَى ذلكَ الشيءَ؛ ليَعلمَ أنَّ مَا(١٠) يُعْجَبُ بهِ لا يبقَى على حدٍّ واحدٍ،

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) في ز: (كتأثير **السَّبع**).

(٣) في ط: (السُّم. **هكذا**).

(٤) ينظر: الحيوان: (٢/١٣٣-١٣٤). *الجاحظ هو: عمرُو بنُ بَحْر بنِ محبوب، أبو عثمان البصري، صاحب التصانيف، أحد شيوخ المعتزلة، ليس بثقة، ولا مأمون. ولد في أول سنة خمسين ومائة. وتوفي سنة خمسٍ وخمسين ومئتين، وقيل: سنة ست وخمسين ومئتين. روى عن حجاج بن محمد الأعور، وأبي يوسف يعقوب القاضي. وروى عنه أبو بكر بن داود، وأبو سعيد الحسن بن علي العدوي. من مصنفاته: كتاب: (الحيوان)، (البيان والتبيين)، (كتاب البخلاء).

ينظر: تاريخ بغداد: (١٤/١٢٤،١٣٢). تاريخ دمشق: (٤٥/٤٣١،٤٣٣،٤٣٨،٤٤٣). معجم الأدباء: (٥/٢١١٠، ٢١١٨).

(٥) سقطت من ز.

(٦) في ط: (لكان **يؤثر هما**).

(٧) ينظر: تفسير الألوسي: (١٣/١٦-١٧)، بنحوه.

(٨) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٩) في ط: (شيئًا **أعجبه**).

(١٠) في الأصل، ز، ط: (ليعلم **أنما**) موصولة، فجعلتها مفصولة بحسب الرسم الإملائي المعتمد؛ لأن (ما) المتصلة كافة للحروف الناسخة عن العمل، والمنفصلة هي الاسم الموصول بمعنى (الذي).

ويكونُ في تغييرِ ذلكَ مصلحةٌ للعبادِ[١]، كما رُويَ في الخبرِ أنَّ الصدقةَ تَدفَعُ القضاءَ المُبرَمَ منَ السَّماءِ[٢].

وأنكرَ بعضُ أهلِ العلمِ الإصابَةَ[٣] بالعينِ[٤]؛ لأنَّهُ لا شُبهةَ في أنَّ الأمراضَ[٥] والأسقامَ لا تكونُ إلَّا مِنْ فِعلِ[٦] اللهِ تعالى؛ لأنَّ الإنسانَ لا يقدرُ على ذلكَ[٧].

قالُوا[٨]: ومعنَى هذهِ الآيةِ: أنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- إنَّما نَهاهُم عنِ الاجتماعِ على دخولِ مصرَ مِن بابٍ واحدٍ؛ لأنَّهُ خافَ عليهمُ الحسدَ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا رأى ما يُعْجِبُهُ -وهُو قاصرٌ عنْ تلكَ الدَّرجةِ- حَسَدَه، والحَسَدُ يَحْمِلُ على إنزالِ [المكروهِ بالمحسودِ][٩].

قالُوا: وقولُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-: ((العينُ حقٌّ))[١٠] محمولٌ على هذا المعنَى.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٥٢٣. تفسير النيسابوري: ١٠٦/٤. تفسير الألوسي: ١٨/١٢. (عزاه الأخيران إلى أبي هاشمٍ، وأبي القاسم البلخي -ولعلهما قصدا بأبي هاشم: عبد السلام الجُبَّائي ابن محمد بن عبد الوهاب شيخ المعتزلة -الذي سيأتي بيان ترجمته والمصادر نفسها ترجمت لابنه أبي هاشم).

(٢) أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٤٥/١٦)، عن جابر بزيادة في أوله.

(٣) في ط: (**الإصافة**)، أو (**الإضافة**)، وهو تحريف.

(٤) أنكر الإصابةَ بالعين الجُبَّائيُّ -وهو من شيوخ المعتزلة- وأتباعُه، وأثبَتَها غيرُهم من المعتزلة، مثل ما أثبتها أهل السنة. ينظر: تفسير النسفي: ١٢٣/٢. تفسير النيسابوري: ١٠٦/٤. تفسير الألوسي: ١٦/١٢.

والجُبَّائي هو: محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ سلَام، أبو علي، مولى عثمان بنِ عفان، المعروف بالجبائي. شيخ المعتزلة، وإمام في علم الكلام والفلسفة. ولد سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين. ومات سنة ثلاث وثلاثمئة. أخذ عن أبي يوسف يعقوبَ بنِ عبدِ الله الشَّحام البصري. وأخذ عنه أبو الحسن الأشعري. من مصنفاته: ((كتاب التفسير)) و((الجامع)) و((الرد على أهل السنة)). ينظر: الأنساب للسمعاني: (١٨٦/٣-١٨٧). وفيات الأعيان: (٢٦٧/٤، ٢٦٩). تاريخ الإسلام: ٧٠/٧.

(٥) /ز/ظ٣٣٩/.

(٦) سقطت من ز.

(٧) ينظر: الكشاف: ٥٢٣.

(٨) /٣ط/و١٧٧/.

(٩) في الأصل، ز: (إنزال **المحسود**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق. وفي الأصل، ز، ط: (المحسودِ **له**)، وهي زيادة لا يستقيمُ معها السِّياق.

(١٠) سبق تخريجه. ينظر: (١٤٢)، من هذه الرسالة.

ويقالُ: إنَّمَا نَهاهُم يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- لأنَّهُ خافَ أنْ يُتَّهمُوا إذا رآهم [١] مجتمِعِينَ في جَلَدِهِمْ[٢] وهَيئَتِهِمْ وقُوَّتِهِمْ[٣]، ففرَّقَهُم في الطُّرُقِ كي لا يَخشَى مَلِكُ مصرَ منهُم؛ على ذَهابِ مملكتِه[٤].

وفي قولِه تعالى: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ بيانُ أنَّهُ لا يَنفَعُ حذرٌ مِن قَدَرٍ[٥].

(١) في ط: (إذا **رأوهم**).

(٢) أي: شدتهم وقوتهم. ينظر: لسان العرب: (ج ل د).

(٣) سقطت من ط.

(٤) ينظر: تفسير النيسابوري: ١٠٦/٤ (عزاه إلى الجُبَّائي وغيره ممن أنكر العين).

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ٧٦/١٥. التفسير البسيط: (١٧٣/١٢، ١٧٥). الوجيز: ٥٥٣/١.

[٦٨] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾

معناهُ: ولمَّا دخَلُوا مِصْرَ مِنْ أبوابٍ متفرّقةٍ -كمَا أمرَهم بِهِ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- ما كانَ يَدفَعُ (١ذلكَ عنهُم١) شيئًا مِنْ قضاءِ اللهِ تعالَى بالحسدِ وإصابةِ العينِ(٢).

﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهيَ دخولُهم مصرَ من أبوابٍ متفرّقةٍ(٣).

قولُه تعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا [عَلَّمْنَٰهُ](٤)﴾ أي: أنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- لَذُو علمٍ بأمرِ الدِّينِ؛ لِتَعليمِنَا(٥) إيَّاهُ(٦) أن لَّا يُصيبَ أحدًا شيءٌ إلا بقضاءِ اللهِ تعالَى(٧).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ.

(١ - ١) في ط: (عنهم ذلك)، تقديمٌ وتأخير.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٥. بحر العلوم: ١٦٩/٢. التفسير البسيط: (١٧٣/١٢-١٧٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/١٣. التفسير البسيط: ١٧٤/١٢. التفسير الوسيط: ٦٢٢/٢.

(٤) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٥) في ز: (**التعلميا**)، وهو تحريف.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٠/٢. تفسير الطبري: ٢٤٠/١٣ (أخرجه عن قتادة، وسفيان). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٦.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ١٦٩/٢.

[٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٦٩﴾

معناهُ: ولـمَّا دخلَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- على يوسفَ، ضمَّ أخاهُ بنيامينَ إلى نفسِهِ[١]، أي: فَرَقَهُ[٢] من بينِهِم؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ رآهُ في المرَّةِ الأولَى[٣].

ويُقالُ: أَذِنَ لهُ بالدخولِ عليهِ، وحبَسَ إخوتَه بالبابِ، فلمَّا دخلَ هو عليهِ قالَ لهُ[٤]: ما اسمُكَ؟ قالَ: بنيامينَ، قال ما اسمُ أمِّكَ؟ قالَ: راحيلُ بنتُ لَاوِي، قالَ: فهل لَّكَ ولدٌ؟ قالَ: نعمْ، قالَ: كمْ هُم؟ قالَ: عشرةٌ[٥]، فجعلَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- يُكلِّمُهُ، ويَشَمُّ ريحَه، وكانَ لا يستطيعُ الكلامَ معهُ، فخَنَقَتْهُ العَبْرَةُ، فلمَّا رأى ذلكَ [يوسفُ][٦] -عليهِ السَّلامُ- وثبَ إليهِ فَاعتنقَهُ، وقالَ لهُ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾، وبكَى كلُّ واحدٍ منهُما إلى صاحبِهِ، ثمَّ [أعلَمَهُ][٧] يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- أنَّهُ سيَحتالُ في احتباسِهِ عندَه، ثمَّ [٨]بعدَ ذلكَ أَذِنَ[٨] لإخوتِهِ بالدُّخولِ عليهِ، فدخَلُوا عليهِ[٩].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٤. تفسير الطبري: (١٣/ ٢٤١،٢٤٢) (أخرجه عن قتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٦.

(٢) في ط: (أي: **قربه**).

(٣) في هامش الأصل: (آوى إليه: ضم إليه، وأوى إليه: انضم إليه)، ولعلَّ الناسخ قصد بها ذكر الفرق بين (آوى) بالمدِّ، و(أوى) من غير المد، وقد أشار إلى نحو ذلك ابنُ قتيبة في غريب القرآن، والسجستاني كذلك في غريب القرآن، وهو موافق لما أشار إليه الناسخ.

ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢١٩. غريب القرآن للسجستاني (بنصه): ٨٠.

(٤) سقطت من ط.

(٥) /٣ط/ظ١٧٧/.

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٧) في الأصل، ز: (ثمَّ **علَّمه**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ المقصود الإخبار والإنباء، وليس التعليم.

(٨ - ٨) في ط: (أذن بعد ذلك)، تقديم وتأخير.

(٩) الرواية التي ذكرها المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يظهر أنَّ فيها اضطراب -والله أعلم- وموضع ذلك قوله: «فجعلَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- يُكلِّمُهُ، ويشَمُّ ريحَه، وكانَ لا يستطيعُ الكلامَ معه فخنقته العَبْرَةُ...»، فكيف يقول: «كانَ يُكَلِّمُهُ...»، ثم قال: «وكان لا يستطيعُ الكلامَ»؟ ومَن الذي خنقته العَبرة منهم؟ وما السبب؟ فكأن الرواية مضطربة، وقد ذكر الثعلبي والواحدي والبغوي الرواية في تفاسيرهم، بمعنًى أتمَّ وأطولَ مما ذكره المصنف، حيث إنهم ذكروا بعد سؤاله عن عدد أبنائه أنه

=

فذكرَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ(١):«أنَّ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- طيَّبَ (٣مكانَ(٢) أخيهِ، وقالَ لهُ: إنِّي لكَ٣) مكانَ أخيكَ»(٤).

وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ [فمعناهُ](٥): لا تَحزَنْ(٦) بمَا كانُوا يَعمَلونَ بكَ وبِي(٧).

رُويَ(٨) أنَّهُم كانُوا يُعَيِّرُونَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- وأخاهُ بشيءٍ كانتْ أُمُّهُمَا فَعَلَتْه؛ فلذلكَ قالَ لهُ: لا تَبتئِسْ(٩).

=

قال له: «...قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال بنيامين: ومن يجد أخًا مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل. قال: فبكى يوسف، وقام إليه وعانقه، وقال له: إني أنا أخوك...».

ينظر: تفسير الثعلبي: (١٥/٧٩-٨١). التفسير الوسيط: ٦٢٢/٢. تفسير البغوي: ٢٥٩/٤.

(١) وهب بن منبِّه بن كامل بن سِيج، أبو عبد الله الصنعاني، وقيل: الذِّماري. تابعي ثقة، كان له قولٌ في القدر ورجَع عنه. ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، وتوفي سنة عشر ومئة، وقيل: أربع عشرة ومئة، وقيل غير ذلك. روى عن عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وروى عنه: عمرُو بن دينار، والمغيرةُ بن حكيم.

ينظر: التاريخ الكبير: ١٦٤/٨. تاريخ دمشق: (٦٣/٣٦٦-٣٦٧، ٣٦٩). تهذيب الكمال: (٣١/١٤٢-١٤٠، ١٤٧، ١٦٠-١٦١)

(٢) في ط: (طيب **قلب**).

(٣ - ٣) سقطت من ز، وفي ط: سقطت (لك).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٢٤٣)، عن وهب بن منبه بمعناه مختصرًا. وكذا أخرجه (١٣/٢٤٢-٢٤٣)، عن وهب بن منبه مطولًا.

(٥) في الأصل، ز: (﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ **معناه**)، وهو خطأ؛ والمثبت من ط؛ لأنه في جواب (أما).

(٦) في الأصل: (**و**لا تحزن). ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٠/٢. تفسير الطبري: ٢٤٣/١٣ (أخرجه عن قتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٦.

(٧) ينظر: تفسير الثعلبي: (١٥/٨٠-٨١).

(٨) سقطت من ط.

(٩) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/١٧٨)، والرازي في «تفسيره» (١٨/١٨٢)، كلاهما عن الكلبي عن ابن عباس مطولا. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٠٨)، -في أحد الأقوال في الآية-، عن أبي صالح عن ابن عباس مطولا.* وسيأتي بيانُ المقصود بالتعيير عند تفسير المصنف لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ إِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ...﴾ [يوسف: ٧٧].

والابتئاسُ في اللغةِ: جَلْبُ البؤسِ إلى النَّفسِ بالحزنِ[١].

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٠/٢. معاني القرآن للزجاج (ت: مامودو محمد): ٣٧٦. معاني القرآن للنحاس: ٤٤٤/٣.

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا[١] جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ /٢/و٧٠/ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

معناهُ: فلمَّا كالَ لهُم كَيْلَهم، فأعطاهُم ما جاؤوا في طلبِهِ، وأمرَ[٢] بعضَ أصحابهِ المختصّينَ بهِ أن يجعلَ الصَّاعَ[٣] في رَحْلِ أخيهِ بنيامينَ[٤].

وسُمِّيَ الصَّاعُ سِقايةً[٥]؛ لأنَّهُ كانَ قبلَ ذلكَ ممَّا يُسقى بهِ المَلِكُ[٦] الخمرَ، وكانَ مِنْ ذهبٍ[٧].

ويُقالُ: كانَ[٨] من فضةٍ مُمَوَّهًا بذهبٍ[٩].

وكانَ الشربُ في مثلِ ذلكَ الإناءِ جائزًا في شريعتِهم[١٠]، فلمَّا كانَ [أيامُ القَحْطِ][١] أمرَ

(١) في ط: (ولما)، وهي تحريف.

(٢) في ط: (طلبه **أمر**)، من غير الواو، الكوفيون يجيزون دخولَ الواو في جواب (لما)، وفي (حتى إذا). ينظر: معاني القرآن للفراء: (٢٣٨/١-٢٣٩).

(٣) إناءٌ كان الملكُ يشرب منه. ينظر: لسان العرب: (ص و ع). *ولعلَّ المؤلف قصد باستخدم لفظة (الصاع) هنا أن الصُّواع لغة في الصَّاع، وقد ذكرها في الآية التي بعدها. ينظر: (١٥٣)، من هذه الرسالة.

(٤) من قوله: «أمر بعض أصحابه...»، إلى قوله: «رحل أخيه بنيامين» ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٠/٤.

(٥) ينظر: تفسير الحسن البصري: ٤٠/٢. معاني القرآن للأخفش: ٣٩٩/١. التفسير الوسيط: ٦٢٣/٢ (عزاه للحسن).

(٦) ينظر: معاني القرآن لقطرب (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). تفسير الطبري: (٢٤٥/١٣-٢٤٦) (أخرجه عن الحسن، ومجاهد، وابن عباس، والضحاك). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٥٢(أخرجه عن قتادة).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٥٣ (أخرجه كلاهما عن عبد الرحمن بن زيد). *لم أقف على مَن حدد أنَّ الصاع كان يُسقى به الملك (الخمر)، وذكرت الموارد -التي وقفت عليها- أنه إناء شرب، يشرب فيه الملك، دون تحديدٍ لنوعِ المشروب.

(٨) سقطت من ز.

(٩) ينظر: معاني القرآن لقطرب (بنصه) (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها).

(١٠) ينظر: بحر العلوم: ١٧٠/٢.*أما في شريعتنا فقد حرم ذلك علينا؛ لما أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأطعمة/باب الأكل في إناء مفضَّض/ح٥٤٢٦)، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى: أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ، فَلَمَّا وَضَعَ القَدَحَ فِي يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أَفْعَلْ هَذَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ». وما أخرجه كذلك في (كتاب الأشربة/باب آنية الفضة/ح٥٦٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب اللباس والزينة/باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال

=

المَلِكُ أنْ يُكالَ بهِ الطعامُ للنَّاسِ.

فلمَّا رحلتْ(٢) إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- نادَى منادٍ مِنَ الموكَّلينَ بالصَّاعِ، وقدْ [فقدُوه](٣) ولم يَدْرُوا مَنْ أخذَهُ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾، وكانَ هذا النِّداءُ على ظنٍّ منْ هؤلاءِ الموكَّلينَ بالصَّاعِ أنَّهم كذلكَ، وأنَّ(٤) فيهِم مَنْ سرقَ، ولمْ يكنْ هذا النِّداءُ من(٥) يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- ولا يَعلَمُه؛ لأنَّ الأنبياءَ -صلواتُ اللهِ عليهِم- لا يَأمرُونَ بالكذبِ.

(٦ولا يكونُ٦) قولُ هذا القائلِ كذبًا أيضًا إذا كانَ مرجِعُه إلى غالبِ ظنِّهِ وما هُو عندَه؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ هنالكَ غيرُهم(٧).

ومن قالَ: إنَّ هذا(٨) النداءَ بأمرِ يوسفَ -عليهِ [السَّلامُ](٩)-، فيحتملُ أنَّ معناهُ: إنَّكمُ لسارقونَ يوسفَ عن أبيهِ -عليهِ السَّلامُ- حينَ غيَّبْتُموهُ(١٠).

=

والنساء/ح٢٠٦٥)، كلاهما عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»، ومسلم في «صحيحه» (كتاب اللباس والزينة/باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء/ح٢٠٦٧)، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: اسْتَسْقَى حُذَيْفَةُ، فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ فِي إِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا» وغيرها من الأدلة.

(١) في الأصل، ز: (كان **يوم**)، ولا يستقيم به السياق، والمثبت من ط.

(٢) يجوز في اللغةِ تأنيثُ فعلِ الجماعة وتذكيرُه، فيقال: قام الرِّجال، وقامت الرجال، وقام النساء، وقامت النساء. ينظر: اللُّمع في العربية: ٣٤. شرح المفصل: ٣/٣٧٦.

(٣) في الأصل، ز: (وقد **قصدوه**)، والمثبت من ط؛ وهو الأليق بالسياق.

(٤) في ط: (كذلك، **أو أنَّ**).

(٥) في ط: (النداء **بأمر**).

(٦ - ٦) في ط: (بالكذبِ **ولم يكن**).

(٧) من قوله: «ناد منادٍ من الموكلين بالصاع...»، إلى قوله: «إلى غالب ظنه وما هو عنده» ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/٣٩٠.

(٨) /٣ط/و١٧٨/.

(٩) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(١٠) في ط: (غيبتموه **عنه**).

ويُقالُ: إنَّ المنادِي أرادَ بهذا القولِ في نفسهِ أنْ يتكلَّمَ(١) على وجهِ الاستفهامِ(٢).

وفِي الْمَعَارِيضِ(٣) مَنْدُوحَةٌ(٤) عَنِ الْكَذِبِ(٥).

وعنِ ابنِ عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما- أنَّهُ قالَ: «ما يسوءني(٦) مَعَارِيضُ الكلامِ بحُمْرِ(٧) النَّعَمِ»(٨).

وأمَّا العِيرُ: فهو(٩) اسمٌ لقافلةِ الحَمِيرِ(١٠) دونَ قافلةِ الإبِلِ، ثمَّ كَثُرَ استعمالُهُ في كُلِّ قافلةٍ(١١).

---

(١) في ط: (يتكلم **به**).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٥٩٤/٢. تفسير الرازي: ١٨٣/١٨. تفسير الخازن: ٥٤٣/٢.

(٣) التعريض: توريةُ الكلامِ وعدم التصريح به. ينظر: لسان العرب: (ع رض).

(٤) السعةُ والفسحة. ينظر: لسان العرب: (ن د ح).

(٥) وقوله: «وفي المعاريض مندوحة عن الكذب»، هو حديث أخرجه: ابنُ السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠١-٢٠٠)، عن عمرانَ بنِ حصين بلفظه. وابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧/١٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٦٣٦/٢)، والبخاري بإسنادين في «الأدب المفرد» (٤٠٣-٣٩١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٧٠/٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦/١٨-١٠٧)، والأصبهاني في «أمثال الحديث» ١٦٣/١)، والقضاعيُّ في «مسنده» (١١٩/٢-١٢٠)، والبيهقي في «الآداب» (١٢٠-١٢١)، وفي «السنن الكبرى» (٣٣٦/١٠)، بإسنادين أحدهما مرفوع والآخر موقوف، وكذا في «شعب الإيمان» (٢٠٣/٤-٢٠٤)، جميعُهم عن عمران بن حصين بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٩٢/٧)، وعزاه إلى ابن عدي عن عمران بن حصين بنحوه.

(٦) في ط: (ما **يسرني**)، والصواب ما في الأصل؛ لأن الباء متأخرة، وفي المرجع (ما يسرني بمعاريض الكلام حمر النعم) بتقديم الباء، وكلاهما بمعنى.

(٧) حمراء اللون، وهي أصبرُ الإبلِ على الهواجرِ. ينظر: لسان العرب: (ح م ر).

(٨) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣٩٣/٤)، عن ابن عباس بلفظه.

(٩) في ط: (العيرُ: **فهي**).

(١٠) /ز/و٣٤٠/. *سقطت من ط.

(١١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٨/١٣ (أخرجه عن مجاهد). تفسير الثعلبي: ٨٤/١٥. التفسير البسيط: ١٨٠/١٢.

[٧١-٧٢] قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢﴾

معناهُ: قالتْ[١] إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- وأقبَلُوا على المنادِي وأصحابِه: ماذا تطلبونَ[٢] حتى تنسُبُونَا[٣] إلى السَّرِقَةِ؟

قالُوا: نطلبُ صُواعَ المَلِكِ[٤].

والصُّواعُ والصَّاعُ: واحدٌ[٥].

وتقرأُ: (صوعَ)[٦] بغيرِ ألفٍ[٧]، وكذلكَ (صوغَ) بالغينِ المعجمةِ[٨].

---

(١) سبقتِ الإشارة لحكم جوازِ تأنيث فعل الجماعةِ وتذكيره. ينظر: (١٥١)، من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٧٠.

(٣) في ز: (**تنسونا**)، وهو تحريف.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤٨. بحر العلوم: ٢/١٧٠. التفسير الوسيط: ٢/٦٢٣.

(٥) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ١/٣٣٥. المذكر المؤنث: ١/٤٨٢. غريب القرآن للسجستاني: ٣٠٤.

(٦) في ط: (صوع **الملكِ**).

(٧) قرئت بفتحِ الصَّادِ وضمِّها بغير ألف: أما فتح الصاد من غير ألف؛ فقد نسبها الطبري إلى أبي رجاء، ووافقه ابن خالويه وابنُ جني، ونسب الأخيرُ القراءةَ بضم الصادِ بغير ألف لعبد الله بنِ عَوْن بن أبي أَرْطَبان، وذكر السمرقندي فتحَ الصاد من غير نسبة، ونسب الكرماني لأبي رجاء قراءةَ ضم الصاد من غير ألف.

ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤٩. مختصر في شواذ القرآن: ٦٩. بحر العلوم: ٢/١٧٠. المحتسب لابن جني: ١/٣٤٦. شواذ القراءات: ٢٤٩.

(٨) في ط: (بالغينِ **معجمة**). وتقرأ: (صوَغ) بفتحِ الصادِ وضمها وكسرها، وذكر الطبري أنَّ القراءة بفتح الصاد وبالغين المعجمة هي قراءةُ يحيى بنِ يَعْمَر، وذكرها الزجاج من غير نسبة، ونسبها ابن خالويه ليحيى بن يعمر، ونسبها السمرقندي ليحيى بن عمرو -وهو تصحيف، والصواب (يعمر)-، ووافق ابن جني الطبري وابن خالويه، ونسب الأخيرُ القراءة بضم الصَّاد وبالغين المعجمةِ: لعبد الله بن عونٍ، ولأبي حيوة، وبضمِّ الصادِ وبالغينِ المعجمةِ مع الألفِ (صُواغ) لسعيد بن جبير، وبكسر الصاد وبالغين المعجمةِ مع الألف (صِواغ) لابنِ قُطيب.

ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤٩. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٧. مختصر في شواذ القرآن: ٦٩. بحر العلوم: ٢/١٧٠. المحتسب لابن جنّي: ١/٣٤٦.

والصُّواعُ: اسمٌ على فُعالٍ؛ كالحُوارِ[1] [2]الحُوارُ: ولدُ النَّاقةِ[2]، والشُّواظُ: [3]نارٌ لا دُخَانَ لها[3].

وقولُه تعالَى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ قولُ أكبرِ الفِتْيانِ الذينَ كانُوا مُوكَّلينَ بالصَّاعِ، ضَمِنَ بهذَا القولِ لِمَنْ جاءَ بالصَّاعِ ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعامِ، وكانَ يقولُ: إنَّ المَلِكَ قدِ اتَّهَمَني، وأخافُ عقوبتَهُ وسقوطَ منزلَتي إن لَّمْ أجِدِ الصَّاعَ[4].

وليسَ معنَى قولُه تعالَى: ﴿وَأَنَا بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ كفالةٌ عنْ إنسانٍ على ما ظنَّهُ بعضُ النَّاسِ، ولكنَّ المُرادَ ضَمانُ الأُجرةِ لِمنْ جاءَ بالصَّاعِ، وكانَ حِمْلُ البعيرِ مقدارًا معلومًا[5]، كالوَسْقِ[6] ونحوِ ذلكَ.

وهذهِ الآيةُ: أصلٌ في جوازِ قولِ القائلِ: مَنْ حَمَلَ هذا المتاعَ إلى مَوْضعٍ كذَا فلَهُ دِرْهمٌ؛ أنَّ ذلكَ إجارةٌ جائزةٌ.

---

(١) يبدو أنَّ هنا سقطًا، فقد فسر (الشواظ)، ولم يرد ذكره من قبل كـ(الحوار)، ولعلَّ أصل الكلام يكون: (والصُّواعُ: اسمٌ على فُعالٍ، كالحُوارِ **والشواظ و**...).

(٢ - ٢) سقطت من ز، ط. وقوله: «الحوار: ولد الناقة»، ينظر: إصلاح المنطق: ١٦٦. جمهرة اللغة: (ح و ر). المذكر والمؤنث: ١/١٦٤.

(٣ - ٣) سقطت من ز، ط. وقوله: «والشواظُ: نار لا دخان لها»، ينظر: مسائل نافع بن الأزرق: ٣٥. تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٢٠٠. مجاز القرآن: ٢/٢٤٤.

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٢/١٧٠-١٧١). تفسير الثعلبي: ١٥/٨٨.

(٥) في ط: (معلومًا **عندهم**).

(٦) كيل معلوم، قيل هو: حمل بعير، وهو ستون صاعًا بصاع النبي ﷺ، ومقداره عند الحنفية مئة وخمسة وتسعون كيلوجرامًا، وعند الجمهور مئة واثنان وعشرون وأربعة من عشرة كيلوجرامات. ينظر: لسان العرب: (و س ق). المكاييل والموازيين الشرعية: ٤١.

وذكرَ محمدٌ[١] -رحمهُ اللهُ- في [السِّيَرِ][٢] الكبيرِ: أنَّ أميرَ الجيشِ إذا قالَ: مَنْ ساقَ هذهِ الدَّوابَّ إلى مَوْضِعِ كذَا فلَهُ كذَا؛ جازَ ذلكَ، ومَنْ فعلَهُ استحقَّ الأُجرةَ[٣].

(١) محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فَرْقَد، أبو عبد الله الشَّيْباني، الكوفي. صاحب أبي حنيفة، وإمام أهل الرأي، نظر فيه فغلب عليه، وكان من الأذكياء الفصحاء. ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائة. توفي سنة تسع وثمانين ومئة. سمع العلم من أبي حنيفة، وسفيانَ الثَّوري. وروى عنه: محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعي، وأبو سليمان الجوزجاني.

ينظر: تاريخ بغداد: (٢/٥٦١-٥٦٢). الأنساب للسمعاني: (٨/٢٠٠-٢٠١، ٢٠٣). تاريخ الإسلام: (٤/٩٥٥-٩٥٤، ٩٥٧).

(٢) في الأصل، ز: (في **السنن**)، والمثبت من ط، وكذا هو الاسم المثبت على الكتاب، وذكره الجصاص أيضًا بـ(السير الكبير).

(٣) من قوله: «وليس معنى قوله تعالى: ﴿زَعِيمٌ بِهِۦ وَأَنَا﴾...»، إلى قوله: «ومن فعله استحق الأجرة» ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/٣٩٠ (وعزاه إلى الحسن)، ولم أقف على الكتاب الذي أشار إليه المؤلف، ووجدتُ شرحه، ولم أقف في الشرح على ما ذكره المصنف.

[٧٣-٧٥] قوله عز وجل: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ[(١)] ۝٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ۝٧٤ قَالُواْ جَزَآؤُهُۥ [(٢)]مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ[(٢)] كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧٥﴾

معناهُ: إنَّ إخوةَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- حلفُوا وقالُوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٣)].

﴿وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ ما يَطلُبونَه[(٤)]. وإنَّما حلَفُوا على [علمِهم][(٥)]؛ لأنَّهُم ردُّوا إليهِم الدَّراهِمَ التِّي وجدُوهَا في رِحالِهِم حينَ لمْ يكونُوا يعرفونَ أنَّ المَلِكَ جعَلَها في رِحالِهم أو غيرِه، ولم يعرفُوا السببَ[(٦)] الَّذِي لأجلِه جُعلتْ في رِحالِهم[(٧)].

وقالُوا: إنَّا إذا ردَدْنَا إليكَ[(٨)] ما كانَ في متاعِنَا مِنْ حقِّكُم، فكيفَ نطمَعُ فيمَا لمْ يكُن لنَا؟!

ويُقالُ[(٩)]: كانُوا يُعْرَفُونَ بمصرَ بالصَّلاحِ والسَّدادِ، وكانُوا لا يَنزِلونَ على قومٍ ظُلمًا، ولا يَرْعَوْنَ في زرعِ أحدٍ، وجعلُوا على أفواهِ إبِلِهم وحميرِهِمُ الأَكِمَّةَ[(١٠)]؛ لِئَلَّا تَعْبثَ في زرعٍ[(١١)].

فقالَ لهُم فتيانُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ-: فمَا جزاءُ مَن سرَقَ إن كنتمْ كاذبِينَ؟!

---

(١) /٣ط/ظ١٧٨/.

(٢ - ٢) كررت في ز.

(٣) في ط: (﴿ ٱلْأَرْضِ﴾ **في أرضِ مصرَ بالسرقةِ في النَّاسِ**).

(٤) في الأصل، ز: (﴿وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ **ما يطلبوه**) وهو خطأ؛ لأنَّ الفعل من الأفعال الخمسة يرفع بثبوت النون، ولم يسبق بناصب أو بجازم لتحذف نونه، وكذا هو في ط.

(٥) في الأصل، ز: (على **عملهم**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السِّياق.

(٦) في ز: (**النسب**)، وهو تصحيف.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: (٣٤٤/٢-٣٤٥). تفسير الطبري: (٢٥٥/١٣-٢٥٧). بحر العلوم: ١٧١/٢. التفسير الوسيط: ٦٢٤/٢.

(٨) سقطت من ط.

(٩) في ز: (لنا، **ويقالوا**)، ولا يستقيم بها السياق.

(١٠) واحدها: كِمام، وهو: ما يوضع على فم البعير لئلا يعض. ينظر: لسان العرب: (ك م م).

(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥١/٢. تفسير الطبري: ٢٥٧/١٣. ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٧. معاني القرآن للنحاس: ٤٤٧/٣.

قالُوا: جزاءُ السَّارقِ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ أُخِذَ عَبْدًا بسَرِقَتِه؛ فاسْتِرْقَاقُهُ جزاؤُه.

﴿كَذَٰلِكَ[1] نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: هكذَا نَجزِي السارِقِينَ في أرضِنَا، -وهي سُنَّةُ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ-، حكَمُوا على أنفُسِهم بما كانَ يَطلُبُ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- مِن احتباسِ مَن يُوجَدُ الصَّاعُ في رَحْلِه[2].

---

(١) في الأصل، ز: (وكذلك)، وهو تحريف.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٥/٢. تفسير الطبري: (٢٥٧/١٣-٢٥٨) (أخرجه عن ابن إسحاق ومعمر والسدي). بحر العلوم: ١٧١/٢. تفسير ابن أبي زَمَنين: ٣٣٤/٢.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾

معناهُ: فبدأَ فتَى يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- بتفتيشِ أوعِيَتِهِم قبلَ وعاءِ أخيهِ، (١ولمَّا فتَّشَ وعاءَ أخيهِ١)[وجدَ الصَّاعَ][٢] فيهِ[٣].

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عنْهُمَا-: «فقالَ فتَى يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- لأخيهِ: فرَّجَ اللهُ عنكَ كمَا فرَّجْتَ عنِّي»[٤].

/٢/ظ٧٠/ فلمَّا رأَى ذلكَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- تحيَّرُوا[٥] ونكَّسُوا رُؤوسَهُم، وأقبَلُوا على بنيامينَ، فقالُوا: يا ابنَ المشؤومةِ[٦]، وأخُو[٧] المشؤومِ! ما الَّذِي حمَلَكَ على أنْ تَسْرِقَ صُواعَ المَلِكِ، فتَفضَحَنا وتفضحَ نفسَكَ، وتُزرِي[٨] بأبيكَ الصِّدِّيقِ؟!

وجعلَ هُو يَحلِفُ باللهِ تعالَى: ما سرَقتُه، ولا عِلمَ لي مَنْ[٩] وضَعَه في متاعِي.

فأبَوْا أنْ يقبَلُوا منهُ، وكانَ هُو[١٠] يدعُو رافعًا يديهِ إلى السَّماءِ، فقالُوا: تدعُو[١١] اللهَ تعالَى لأيِّ شيءٍ، تَضَعُه في يدكَ وهُو يَرَى السَّرِقةَ فيها! وكانَ يقولُ: لَمْ أسرقْهُ.

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) في الأصل، ز: (أخيه **وبد صاع أخيه**)، وهو خطأ، والمثبت من ط.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٥/٢. تفسير الطبري: ٢٥٩/١٣. بحر العلوم: ١٧١/٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تحيَّر: لم يهتد في أمره. ينظر: لسان العرب: (ح ي ر).

(٦) في ط: (المشؤمة **ما الذي**)، وهي زيادة لا يستقيم بها السياق.

(٧) في ط: (المشؤمة **وأخا**). */٣ظ/١٧٩و/.

(٨) تدخل عليه عيبًا. ينظر: لسان العرب: (ز ر ي).

(٩) في ط: (لي **بمن**).

(١٠) سقطت من ز.

(١١) في الأصل، ز، ط: (فقالوا: **تدع**)، والصواب ما أثبت؛ لأنه لا موجب لحذف الواو.

(١فقالُوا: مَنْ وضَعَه في متاعِكَ؟

فقالَ: مَنِ الَّذِي وضعَ بضاعتَكُم في رِحالِكُم في المرَّةِ الأولَى١)؟

فقالُوا (٢فيمَا بينَهُم: لعلَّ هذا٢) المَلِكَ يُرِيدُ بنَا أمرًا، فكانُوا في هذهِ الخصومةِ؛ إذْ أخذَ فتَى يوسفَ برقبةِ(٣) بنيامينَ وذهبَ بهِ إليهِ(٤).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فمعناهُ(٥): صنَعْنَا ليوسفَ، حتَّى أخذَ أخَاهُ(٦).

وفي هذَا دليلٌ على أنَّ يُوسفَ -عليهِ السَّلامُ- كانَ مأذونًا لهُ مِنْ جهةِ اللهِ تعالَى في التَّوصُّلِ إلى المُباحِ بهذا النَّوعِ مِنَ الحِيلةِ.

وفائدتُه: ما كانَ فيهِ مِنْ تعريضِ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- للبَلْوَى لفَقْدِ(٧) بنيامينَ؛ ليَصبِرَ فيتضاعفَ لهُ الثوابُ على فقدِهِما.

وليسَ هذَا بأكثرَ مما فعلَه صاحبُ مُوسَى -عليهِ السَّلامُ- مِنْ قتلِ(٨) الغلامِ الَّذِي كانَ أبوَاهُ مؤمِنَينِ، مع أنَّ الَّذِي فعلَه يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- كانَ بعدَ إعلامٍ منهُ لأخيهِ بأنَّهُ سيَحتالُ في احتباسِه عندَه.

ولا شُبهةَ في جوازِ الحِيلةِ في التوصُّلِ إلى المُباحاتِ، كمَا قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِۦ وَلاَ تَحْنَثْ﴾ [ص:٤٣]، وقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ عليمٍ(٩) حكايةً عن إِبْرَاهِيمَ -

---

(١ - ١) سقطت من ز.

(٢ - ٢) سقطت من ز.

(٣) في ز: (يوسف **برقبته**).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٢٧٧-٢٧٩) (أخرجه عن السدي مطولًا). تفسير الثعلبي: ١٥/٩٧. التفسير البسيط: ١٢/١٩٣ (عزاه للكلبي ولغيره من المفسرين). تفسير السمعاني: (٣/٥١-٥٢). زاد المسير: ٧١٠.

(٥) في ط: (فمعناه: **كذلك**).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٥. تفسير الطبري: ١٣/٢٦٢ (وأخرجه الطبري عن ابن جريج، والسدي والضحاك). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٦٥ (أخرجه عن الضحاك). بحر العلوم: ٢/١٧١.

(٧) /ز/ظ٣٤٠/. في ط: (للبلوى **بفقده**).

(٨) في ط: (من **قتله**).

(٩) سقطت من ط.

عليهِ السَّلامُ- حينَ تخلَّفَ لكَسْرِ الأصنامِ: ﴿إِنِّي[(١)] سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩]، **بمعنَى**: سأسقَمُ، كأنه[(٢)] كانَ لا يشُكُّ في الموتِ.

وعنْ رَسُولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- ((أنَّهُ كانَ إذا أرادَ سفرًا ورَّى[(٣)] بغيرِهِ))[(٤)].

وقالَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- لعاملِ خَيْبرَ[(٥)]: ((هَلَّا بِعْتَ بِضَاعَتَكَ بِسِلْعَةٍ أَوْ بِدَرَاهِمَ، ثُمَّ [ابتَعْها بهذا][٦]))[(٧)].

---

(١) في ز: (إلى)، وهو تحريف.

(٢) في ط: (سأسقم **لأنه**).

(٣) في ز: (سفرًا **ونزي**)، وهو تصحيف. وورَّى: أي ستر، وكنى عنه، وأوهم أنه يريد غيره. ينظر: لسان العرب: (و ر ي).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» بإسنادين مختلفين في (كتاب الجهاد/باب من أراد غزوة فورَّى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس/ح٢٩٤٧)، عن كعب بن مالك بزيادة في أوله. وكذا (كتاب الجهاد/باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس/ح٢٩٤٨)، عن كعب بن مالك بزيادة في آخره. وأخرجه كذلك في (كتاب المغازي/ باب حديث كعب بن مالك وقول الله -عز وجل-: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]/ح٤٤١٨)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب التوبة/باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه/ح٢٧٦٩)، كلاهما عن كعب بن مالك مطولًا.

(٥) هو: أخو بني عَدِيٍّ الأنصاري. ذكر اسمَه البخاريُّ ومسلم عند إيرادهما للروايات في «صحيحيهما»؛ فالبخاري أخرجه في (كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة/باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود/ح٧٣٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساقاة/باب بيع الطعام مثلا بمثل/ح١٥٩٣). *خَيْبَر: بلدةٌ معروفة، تبعدُ عن المدينة مئة وخمسة وستين كيلومترًا شمالًا على طريق الشام. ينظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: ١٠٩.

(٦ - ٦) في الأصل، ز: (**ثم أتبعت بها**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأنَّ الحديث في الربا.

(٧) لم أقف عليه باللفظ الذي ذكره الغزنوي، وهذا النص نقله الغزنوي من الجصاص -كما سيأتي في التوثيق-، والرواية التي استدل بها الجصاص هي: «حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْبَرَ، فَأَتَاهُ بِتَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟))، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِنَّمَا نَأْخُذُ الصَّاعَ بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثَةِ، قَالَ: ((فَلَا تَفْعَلْ، بِعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ اشْتَرِ بِالدَّرَاهِمِ تَمْرًا))، كَذَا رَوَى ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ». ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٢/٤. والرواية التي استدلَّ بها الجصاص -ولعلَّها هي ما قصده المؤلف- قد أخرجها البخاري بعدة أسانيد في «صحيحه»؛ منها ما جاء في: (كتاب البيوع/باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه/ح٢٢٠١)، (كتاب الوكالة/باب الوكالة في الصرف والميزان/ح٢٣٠٢)، (كتاب المغازي/باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر/ح٤٢٤٤)، (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود/ح٧٣٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب المساقاة/باب بيع الطعام مثلا بمثل/ح١٥٩٣)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة

=

وفي هذَا الَّذِي ذَكَرْنَا جوابٌ عنْ قولِ مَنْ يقولُ: كيفَ جازَ[١] مِنْ يُوسفَ -عليهِ السَّلامُ- استخراجُ الصَّاعِ مِنْ رَحْلِ أخيهِ على وجهٍ يَقتضِي إلحاقَ الحُزنِ بأبيهِ وإخوتهِ؟ لأنَّهُ كانَ في ذلكَ ضُروبٌ مِنَ الصَّلاحِ، ولُطْفٌ في إعلامِ أبيهِ بسلامةِ أخيهِ، معَ احتمالِ أنْ يكونَ غيرُهُ جعَلَهُ في رَحْلِهِ[٢].

وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ في قضاءِ المَلِكِ، وأنْ يَحبِسَهُ عندَ نفسِهِ[٣]، ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَآءَ اللَّهُ﴾ أنْ يأمُرَه بذلكَ على مخالفةِ دِينِ المَلِكِ.

ويُقالُ: معنَى قولُه: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾ أيْ: جزاؤُهُ عندنَا هُو جزاؤُهُ عندَكُم، ثم زادَهُ [٤]اللهُ تعالَى[٤] بيانًا؛ لقولِهِ تعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ[٥] نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ﴾.

وكانَ في حُكْمِهِم وفي[٦] حُكمِ مصرَ: أنَّ[٧] السَّارقَ إذا أُخِذَ اسْتَعْبَدَهُ المسروقُ منهُ[٨].

فعلَى هذَا: معنَى ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾: ما كانَ يَتهيَّأُ لهُ أنْ يأخُذَ أخَاهُ، إلَّا أنْ يشاءَ اللهُ تعالَى أنْ يَكِيدَ لَهُ بمثلِ ما فعَلَهُ، فيكونُ ذلكَ حُجةً لهُ عندَ المَلِكِ والنَّاسِ.

=

بنحوه.*وهذا هو مذهب الجمهورِ في جوازِ التوصلِ إلى الأغراضِ بالحيلِ إذا لم تخالف شريعةً ولا هدمت أصلًا، إلا أن ابن العربي ذكر أنَّ مذهب أبي حنيفة التجويز في التوصل إلى الأغراض بالحيل، وإن خالفت الأصول، وخرمت التحليل. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٦٩/٣.

(١) /٣ط/ظ١٧٩/.

(٢) من قوله: «وفي هذَا دليلٌ على أنَّ يُوسفَ -عليهِ السَّلامُ- كانَ مأذونًا...»، إلى قوله: «مع احتمال أن يكون غيره جعله في رحله» ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٢/٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (٢٦٤/١٣-٢٦٥) (أخرجه عن قتادة، ومحمد بن كعب القرظي). تأويلات أهل السنة: ٥٩٥/٢. بحر العلوم: ١٧١/٢.

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) في الأصل، ز: (وكذلك)، وهو تحريف.

(٦) سقطت من ز، ط.

(٧) سقطت من ط.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: (٢٥٧/١٣-٢٥٨) (أخرجه عن ابن إسحاق، ومعمر، والسدي). بحر العلوم: ١٧١/٢. تفسير الثعلبي: ٩٠/١٥.

وعلى القولِ الأوَّلِ:

وكانَ مِنْ قضاءِ المَلِكِ في السَّارقِ أن يُضْرَبَ ويُغرَّمَ(١).

ويُقالُ: أنْ يُقْطَعَ ويُغرَّمَ.

وحَكَم يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- في أرضِ مصرَ بقضاءِ آلِ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- بكنعانَ، وكان لا يُمكِنُهُ حبسُ أخيهِ إلَّا بهذا النَّوعِ من الحِيلةِ؛ لأنَّهُ كانَ يكونُ ظلمًا عندَهُم(٢).

[وقولُه تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ معناهُ: نرفعُ درجاتِ مَن نشاءُ في العلمِ، كمَا رفَعْنَا درجةَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ-](٣).

وقولُه تعالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، معناهُ: وفوقَ كُلِّ عالِمٍ [عالِمٌ](٤) حتَّى ينتهِيَ العلمُ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ-(٥)، فليسَ في العلمِ فَوْقَهُ أحدٌ.

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٣٤٦/١ (أخرجه عن الكلبي وقتادة). تفسير الطبري: ٢٦٥/١٣(أخرجه عن معمر). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٧٩. تفسير الثعلبي: ٩٤/١٥. *الغرم: ما يلزم أداؤه. ينظر: لسان العرب: (غ ر م).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/١٣. بحر العلوم: ١٧١/٢. تفسير الثعلبي: ٩٥/١٥.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/١٣ (أخرجه عن ابن جريج). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٦٨ (أخرجه عن زيد بن أسلم). إعراب القرآن للنحاس: ٣٣٩/٢ (عزاه لزيد بن أسلم).

(٤) في الأصل، ز: (عالم **عليم**)، والمثبت من ط، وكذا هو في «تفسير الطبري»: ٢٧٠/١٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: (٢٦٧/١٣-٢٧٠) (أخرجه عن ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٠ (عزاه لأهل التفسير). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): (٢٦٨-٢٧٠) (أخرجه عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة).

[٧٧] قوله عزَّ وجل: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾

معناهُ: قالَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ-: [(١إنْ يَسرِقْ بنيامينُ سِقايةَ المَلِكِ، فقدْ سرَقَ أخٌ لأبيهِ وأُمِّهِ مِن قبلُ، -يَعنُونَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ-١)] وذلكَ أنَّ رَاحِيلَ أمَّ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-كانتْ بَعَثَتْهُ حينَ أرادتْ أنْ يَرتحِلَ مِنْ حَرَّانَ[٢] معَ يَعْقُوبَ -عليهِ[٣] السَّلامُ- إلى فِلَسْطِينَ والْأُرْدُنِّ، فأَمَرَتْهُ وهوَ صغيرٌ[٤] أنْ يذهبَ ويأخُذَ جُونَةً -(٥والجُونةُ: سَلَّة صغيرةٌ مُغشَّاة بجلدٍ-٥) فيهَا أوثانٌ لأبيهَا مِنْ ذهبٍ فيأتيَها بها؛ (٦لكي يُسلم أبوها إذا فقَدَها٦).

فانطلقَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- إلى بيتِ جَدِّهِ[٧] مِنْ أُمِّهِ، فأخذَ تلكَ الأوثانَ، فجاءَ بها إلى أُمِّهِ، فهذهِ سَرِقَتُهُ الَّتي يَعنُونَ[٨].

ويُقالُ: إنَّ عَمَّةَ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- كانتْ تُحِبُّهُ وهو صغيرٌ، وكانَ [يَعْقُوبُ][٩] -عليهِ السَّلامُ- لا يَترُكُهُ عندهَا، فاحتالتْ وجاءتْ بِمِنْطَقَةِ[١٠] أبيهَا إِسْحَاقَ -عليهِ السَّلامُ-، فشَدَّتْها على وسَطِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- تحتَ القميصِ، ثُمَّ قالتْ: قدْ سَرَقَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- مِنْطَقَةَ أبي، فأنَا آخُذُهُ بذلكَ.

(١ - ١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

*ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٦/٢. تفسير الطبري: ٢٧٢/١٣ (أخرجه عن مجاهد). معاني القرآن للزجاج: ٣٨٠.

(٢) حَرَّان؛ بفتحِ الحاء وتشديد الراء: بلدة معروفة في ديار مُضَر، قديمة عتيقة، تقع حاليًّا جنوب شرق تركيا عند منبع نهر البليخ، أحد روافد نهر الفرات.

ينظر: الأماكن: ٣٣١/١. الروض المعطار: ١٩١. الموسوعة الحرة: (حرَّان).

(٣) /٣ط/و١٨٠/.

(٤) في ز: (**معيَّر**)، وهو تحريف.

(٥ - ٥) سقطت من ز، ط. ينظر: العين: (ج و ن).

(٦ - ٦) في الأصل، ز، ط: (لكي **إذا فقدها أبوها أسلم**)، وهو خطأ، والصواب ما أثبته في المتن؛ لأنَّ أداة (كي) حرف ناصب يدخل على الفعل المضارع، فلا بد أن يكون ما بعدها فعلًا مضارعًا.

(٧) سقطت من ز.

(٨) ينظر: تفسير الثعلبي: ٩٨/١٥ (عزاه إلى الكلبي).

(٩) في الأصل، ز: (وكان **يوسف**)، وهو خطأ، والمثبت من ط.

(١٠) المِنطَقُ والمِنطَقة: كل ما شُدَّ به الوسط. ينظر: لسان العرب: (ن ط ق).

فهيَ الَّتِي أرادَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- بإضافتِهم السَّرِقَةَ إليهِ[١].

وقولُه تعالَى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ معناهُ: أَضمَرَ هذهِ الكلمةَ /٢/و٧١/ الَّتِي[٢] تكلَّمُوا بِهَا فِي نفسهِ [٣]مِنَ الأخذِ مِنْ بيتِ المالِ[٣]، ولَمْ يُظْهِرْ [لَهُم][٤] جوابًا، بلْ قالَ فِي نفسهِ: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ أيْ: صنيعًا من يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- ﴿وَاللَّهُ[٥] أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ بِهِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-[٦].

ويُقالُ: إنَّهُم أرادُوا بالسَّرِقَةِ ما كانَ يَفْعَلُه يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- مِنَ الأخذِ مِنْ بيتِ المالِ، والتصدُّقِ بهِ[٧] في صِغَرِهِ[٨]. واللهُ أعلمُ.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٧٤. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٢٧٤-٢٧٣) (أخرجه كلاهما عن مجاهد). الهداية إلى بلوغ النهاية: (٥/ ٣٦٠٩-٣٦٠٨) (عزاه لمجاهد).

(٢) سقطت من ز.

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) في الأصل، ز: (يظهر **له**)، ولا يستقيم بها السياق، والمثبت من ط.

(٥) في ط: (والله **تعالى**)، وهو تحريف.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٦. بحر العلوم: ٢/١٧٢. تفسير الثعلبي: ١٥/١٠٣.

(٧) في ط: (به **على الفقراء**).

(٨) لم أقف على من قال: إنَّ المراد بالسرقة: السرقة من بيت المال، والذي ورد: أنه خبأ بعض الطعام، وهي السرقة التي عنَوها، وكذا ما أشار إليه سابقًا من سرقته لصنم جده. ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٧٣ (أخرجه عن إدريس بن يزيد الأودي). تفسير الثعلبي: (١٥/١٠٠) (أخرجه عن إدريس بن يزيد، ومجاهد، وعزاه إلى سفيان بن عيينة، وكعب ووهب). التفسير البسيط: ١٢/١٩٣ (عزاه إلى عطاء عن ابن عباس، وذكر أن وهبًا قال بنحو ذلك). ذكر ابن الجوزي -بعد ذكره للسرقة التي عناها إخوةُ يوسف- قولًا لابن الأنباري قائلًا: «وليس في هذه الأفعال كلِّها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعيَّره إخوته بذلك عند الغضب»، وذكر عن الحسن أنه قال: «كذبوا عليه فيما نسبوه إليه»، وقال البغوي معلِّقًا -بعد أن ذكر اختلافَهم في السرقة، وبعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾- :«لم يكن من يوسف عليه السلام سرقةٌ حقيقية، وخيانتكم حقيقة»، ينظر: زاد المسير: ٧١١. تفسير البغوي: ٤/٢٦٤.

[٧٨-٧٩] قوله عزَّ وجل: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَّجَدْنَا[١] مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩﴾

رُوِيَ أنَّ يَهُوذَا كانَ أشدَّ بني يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- غضبًا، وكانَ إذا غَضِبَ صاحَ فلا تَسمَعُ صوتَهُ حاملٌ إلَّا وضَعتْ، وكانَ[٢] تقومُ كُلُّ شعرةٍ مِنْ جسدهِ، وتَنتفِخُ أوداجُهُ[٣]، فلا يَسكُنُ غَضَبُهُ حتَّى يمسَّهُ واحدٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ -عليهِ السَّلامُ- فيَسكُنُ عندَ ذلكَ[٤].

فلمَّا أَنْ حبَسَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- بنيامينَ غَضِبَ يَهُوذَا، وقالَ لبعضِ إخوتهِ[٥]: اكفُوني أمرَ هذهِ الأسواقِ[٦] حتّى أكفِيَكُم أَمْرَ المَلِكِ، وإنْ شئتُم كفَيتُكم أمرَ الأسواقِ، واكفُوني أنتُم أمرَ[٧] المَلِكِ.

فقالُوا: بل اكْفِنَا أنتَ أمْرَ الملكِ، ونَكفِيكَ أمرَ[٨] الأسواقِ.

[فقالَ][٩]: تباعَدُوا عنّي[١٠].

فأمرَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- ابنًا [١١]صغيرًا لهُ[١١]، فقالَ لهُ: اذهَبْ فمَسَّ ذلكَ الرَّجلَ، فدنَا منهُ فمَسَّهُ، فذهبَ غضبُهُ.

---

(١) /ز/و٣٤١/.

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) سقطت من ط. *الودج: ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح. ينظر: لسان العرب: (و د ج).

(٤) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١٧٢/٢)، والرازي في «تفسيره» (١٩١/١٨-١٩٢)، كلاهما عن ابن عباس بنحوه.

(٥) في ط: (إخوته: **أذهب فأنظركم سوقًا بمصر، فذهب، فقال: عشرة أسواق، فقال لإخوته**).

(٦) موضع البِياعات. ينظر: لسان العرب: (س و ق).

(٧) /٣ط/ظ١٨٠/.

(٨) سقطت من ط.

(٩) في الأصل، ز: (الأسواق. **فقالوا**)، ولا يستقيم بها السياق، والمثبت من ط.

(١٠) سقطت من ز.

(١١ - ١١) في ط: (له صغيرًا)، تقديم وتأخير.

فقالَ يَهُوذَا لإخوتِهِ: هلْ مَسَّنِي أحدٌ مِنْ آلِ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ-؟

فقالُوا: لا، فهمَّ أَنْ يصيحَ ثانيًا، فقامَ إليهِ يُوسُفُ، فركضَهُ برجلهِ لِيُرِيَهُ أنَّهُ شديدٌ، ودفَعَهُ، ثمَّ أخذَ بتَلابِيبِهِ، فجذَبَهُ، فوقعَ، ثُمَّ قالَ: إنكُم لترَونَ يا معْشرَ العِبرانيِّينَ أنَّ أحدًا ليسَ مثلَكُم في الشِّدةِ، فذَلَّ يهوذَا عندَ ذلكَ(١).

﴿وَقَالُواْ(٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾، قالَ(٣) أكثرُ المفسِّرينَ -رحمَهم اللهُ-: إنَّهُم أرادُوا بهذَا أنَّ لهُ أبًا شيخًا كبيرَ السنِّ(٤)، فذكرُوا هذا على جهةِ الاسترحامِ(٥).

وقالَ بعضُهم -رحمَه[م](٦) اللهُ-: فإنَّ له أبًا شيخًا كبيرَ القدْرِ؛ أَي لا يُحْبَسُ ابنُ مِثْلِهِ(٧).

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ عبدًا(٨).

ويُقالُ: رهنًا(٩).

---

(١) من قوله: «فلمَّا أَنْ حبسَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ-...» إلى قوله: «فذلَّ يهوذا عند ذلك»، ينظر: تفسير السمعاني: (٣/٥٤-٥٣) (عزاه للسدي وغيره). تفسير البغوي: ٤/٢٦٤. تفسير الخازن: ٢/٥٤٦.

ولعلَّ المؤلف أو النُّساخ -والله أعلم- أسقطوا بعد قولهم: «بل اكْفِنَا أنتَ أمْرَ المَلِكِ ونَكفيكَ أمرَ الأسواق» قولَ أخيهم ليوسف: «لتردنَّ علينا أخانا، أو لأصيحنَّ صيحةً لا تبقى بمصرَ امرأةٌ حامل إلا ألقت ولدَها، وقامت كلُّ شعرة في جسده فخرجت من ثيابه» -كما هو في المصادر- ثم بعدها يأتي ما ذكره المصنف: «فأمرَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- ابنًا صغيرًا لهُ...إلخ».

(٢) في الأصل، ز، ط: (وكذلك)، وهو تحريف.

(٣) سقطت من ط.

(٤) ينظر: التفسير البسيط: ١٢/١٩٨. التفسير الوسيط: ٢/٦٢٥. زاد المسير: ٧١١.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٢/٥٩٦. تفسير الماوردي: ٣/٦٦.

(٦) في الأصل، ز: (رحمه)، سقطت الميم، والمثبت من ط.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/٦٦. التفسير البسيط: ١٢/١٩٩ (عزاه إلى ابن عباس والحسن). التفسير الوسيط: ٢/٦٢٥.

(٩) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٧٢. أحكام القرآن للجصاص: ٤/٣٩١ (عزاه للحسن). *الرهن: ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ عنه، ولعلَّ المعنى المراد: جعل عنده رهنًا. ينظر: لسان العرب: (ر هـ ن).

وفي هذا دليلٌ علَى[١] أنَّهُ كانَ يجوزُ للإنسانِ أنْ يُرِقَّ نفسَهُ لغيرِه، ويجوزُ أنَّ مثلَ هذا الحُكمِ كانَ ثابتًا، إلى أَنْ نُسِخَ على لسانِ نبيِّنَا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- ألا ترَى أنَّهُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- باعَ في أوَّلِ الإسلامِ[٢] سُرَق في دَينٍ عليهِ[٣]؟

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أيْ: نراكَ مِنَ المُحسنينَ إلى كُلِّ مَن يأتيكَ، وقدْ أوفَيْتَ لنَا الكيلَ، وردَدتَّ علينَا بضاعتَنا، وقضيتَ حاجتَنا، فإنْ رددتَّ معَنا أخانَا كانَ ذلكَ أعظَمَ مِنَّةً علينَا مِنْ جميعِ ما سبَقَ[٤].

قالَ لهُم يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، وهذا نَصْبٌ على المصدرِ، أيْ: أعوذُ باللهِ[٥]

(١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (الإسلامِ **من**).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩١/٤.

*في هامش الأصل: (سُرَقُ بْنُ أسد الجُهَني من الصَّحابة)، (ضبط المُحدِّثون اسمه بتشديدِ الرَّاء، وضبطه العسكريُّ بتخفيفِ الرَّاء، وأنكر على المحدثين ضبطَهم، كما جاء في أسدِ الغابة: (٤١٦/٢). ولعلَّ النَّاسخ أراد بيان المعنى المراد؛ فالصحابي سُرَق هو مَن أمر النبي ﷺ بعرضه في السوق؛ ليستوفيَ الأعرابيُّ حقَّه -كما سيأتي في ترجمته-. *سُرَقُ بنُ أسد الجُهَني، وقيل: إنَّ اسمه كان الحباب، ثم سماه النبي بسُرَق -وسبب تسميته سيأتي بيانُه في خبر بيعه-، ويُقال: الدِّيلي، ويقال: الأنصاري. له صُحبة. شهد فتح مصر، واختطَّ بها. روى عن النبي ﷺ. وروى عنه عبدُ الرَّحمنِ بنُ البَيْلَماني، وروى له ابن ماجه حديثًا واحدًا.

وخبرُ بيعهِ ورد في ترجمتهِ: رُويَ عنه أنَّه قال: «إنَّ رسول الله ﷺ سمَّاه سُرَق؛ لأنه ابتاع بعيرينِ من رجلٍ من أهلِ البادية -راحلتين- قدم بهما صاحبُهما المدينة، فأخذهما، ثم هرب وتغيَّب عنه، وأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «الْتَمِسُوهُ»، فَلمَّا أتوه به قال: ((أَنْتَ سُرَقٌ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ))؟ قلت: قَضَيْتُ بثمنِهما حَاجَتِي، قال: ((فاقْضِهِ))، قُلْتُ ليس عِندي، قال: ((يَا أَعْرَابِيُّ، اذْهَبْ بِهِ حتَّى تَسْتَوْفِيَ حَقَّكَ)). قال: فَجَعَل النَّاس يَسُومونَهُ بِهِ لِيَفْتَدوه منه، فأعتقه. وكان يقول: سَمَّاني رسولُ الله ﷺ سُرَق، فلا أُحِبُّ أن أُدْعَى بغيرِه.

ينظر: أسد الغابة: (٤١٥/٢-٤١٦). تهذيب الكمال: (٢١٥/١٠-٢١٦). الإصابة: (٢٤١/٤-٢٤٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨١. بحر العلوم: ١٧٢/٢. التفسير البسيط: ١٩٩/١٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٥٢/٢. المقتضب: (٢١٨/٣-٢١٧). تفسير الطبري: (٢٨٠/١٣-٢٧٩). معاني القرآن للزجاج (ت: مامودو محمد): ٣٨١.

معاذًا أنْ آخُذَ بالسَّرِقَةِ ﴿إِلاَّ مَنْ وَّجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥ﴾؛ إنَّا -إذا فعلْنَا ذلكَ- كُنَّا ظالمينَ بحبسِ مَن لَّمْ نجدْ متاعَنَا عندَهُ[١].

يجوزُ أنَّهُ أرادَ بهذَا القولِ: إنَّا إذًا لظالمونَ عبدَكُم في حكمِكُم[٢].

وعلى هذا[٣] القول[٤] كانَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- مأمورًا بحبسِ أخيهِ عندَ نفسهِ مِنْ جهةِ اللهِ تعالى، كانَ مَنهيًّا عنِ [٦]الصَّفحِ[٥] والعفوِ[٦] وأخذِ البدلِ.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٠/١٣ (أخرجه عن ابن إسحاق). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨١. إعراب القرآن للنحاس: ٣٤٠/٢.

(٢) ينظر: تفسير الماوردي: ٦٦/٣ (ومرادُه: سنكون ظالمين إذا حكمنا عليكم بغير حكمِ أبيكم أنَّ مَن سرق استُرِقَّ).

(٣) سقطت من ط.

(٤) في الأصل، ز، ط: (القول **الذي**)، ويبدو أنها مقحمة سهوًا.

(٥) في ز: (عن **الصلح**).

(٦ – ٦) في ط: (العفو والصفح)، تقديم وتأخير.

[٨٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ[١] كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ[٢] أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

معناهُ: فلمَّا يَئسُوا مِنْ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- أنْ يرُدَّ أخاهُم عليهِم انفَرَدُوا مُتناجِينَ فيمَا بينهُم يَتشاوَرونَ كيفَ يرجعونَ إلى أبيهِم؟ وماذا يقولونَ لهُ؟[٣]

والنَّجِيُّ: مصدرٌ يُعبَّرُ بهِ عنِ الواحدِ والجمعِ[٤]، وقدْ يُجمَعُ النجيُّ أنجيةً[٥]، كما قالَ الشاعرُ[٦]:

إِنِّي إِذَا مَـــا الْقَـــوْمُ صَـــارُوا أَنْجِيَـــهْ ... وَاخْتَلَفَـــتْ أعْنَـــاقُهُمْ كَالْأَرْشِـــيَهْ[٧]

.... هُنَـــاكَ أَوْصِـــينِي ولَا تُوصِـــي بِيَـــهْ[٨]

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فأكثرُ المفسرينَ -رحِمَهُم اللهُ- على[٩] أنَّ المرادَ بهِ

---

(١) في الأصل: (وقال)، وهو تحريف.

(٢) /٣ط/و١٨١/، وهي مكررة في نسخة ط.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٢. تأويلات أهل السنة: ٥٩٦/٢. معاني القرآن للنحاس: ٤٥٠/٣.

(٤) في ط: (الواحد **والجميع**).

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ٣١٥/١. تفسير غريب القرآن: ٢٢٠. تفسير الطبري: ٢٨١/١٣.

(٦) وقفت عليه في «ديوان الحماسة»، لأبي تمام غيرَ منسوب، ونسبه المحقق لسُحَيْمِ بنِ وَثِيلٍ اليربوعيّ، وكذا هو في لسان العربِ منسوب لِسُحَيم. ينظر: لسان العرب: (ن ج ا).

*وهو: سُحَيْمُ بْنُ وَثِيل بن عمرو، الرِّياحِي اليربوعي الحنظلي التميمي. مخضرم، شريفٌ في قومه، شاعرٌ خنذيذ. توفي نحو ستين من الهجرة.

يظر: طبقات فحول الشعراء: ٥٧٦/٢. الإصابة: ٥٨٠/٤. الأعلام: ٧٩/٣.

(٧) في الديوان: (وَاضْطَرَبَ الْقومُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَة)، وقد أشار النَّاسخُ في هامشِ الأصلِ إلى هذا العجُز، ونصُّ ما كتب في هامشِ الأصل: (في غير المعاني، وهو: اضطرب القوم اضطراب الأرشية). *والأرشية: جمع الرِّشاء، وهو: الحبل. ينظر: لسان العرب: (ر ش ا).

(٨) ديوان الحماسةِ: ١١٨. وقبل الشطر الأخير: (وشُدَّ فَوْقَ بعضِهِمْ بالأَرْوِيَةِ).

(٩) سقطت من ط.

كبيرُهم(١) في السنّ، وهو: رُوبيلُ(٢).

ويُقالُ هو: شَمعونُ، كانَ أكبرَهُم في العقلِ لا في السنِّ(٣).

قالَ لهُم: (٤ألا تعلمونَ٤) ﴿أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً (٥مِّنَ ٱللَّهِ٥)﴾ [أي: عهدًا مِنَ اللهِ تعالى](٦) لتَرُدُّنَّهُ عليهِ(٧).

وقولُه تعالَى: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ معناهُ: وتعلمُون(٨) تفريطَكُم في يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- مِن قبلِ هذَا(٩).

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: مِنْ أرضِ مِصْرَ(١٠).

---

(١) في ط: (المراد به: **أكبرهم في العقل لا**).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٢١. تفسير الطبري: (١٣/٢٨٣-٢٨٤). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): (٢٨١-٢٨٠). (أخرجه كلاهما عن قتادة، وابن إسحاق).

وهو ما اختاره الإمام الطبري ورجحه على القول بأنه شمعون، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحةِ قولُ مَن قال: عنى بقوله: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ روبيل؛ لإجماعِ جميعهم على أنَّه أكبرهم سنًّا، ولا تفهمُ العرب في المخاطبةِ -إذا قيل لهم: فلانٌ كبير القومِ مطلقًا بغير وصلٍ- إلا أحدَ معنيين؛ إما في الرِّياسة عليهم والسؤدد، وإما في السنِّ، فأما في العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه، فقالوا: هو كبيرهم في العقل...». ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٨٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٨٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): (٢٧٩-٢٨٠) (أخرجه كلاهما عن مجاهد). بحر العلوم: ٢/١٧٢ (عزاه إلى مجاهد).

(٤ - ٤) في ط: (قال لهم: **ألم تعلموا**).

(٥ - ٥) سقطت من ط.

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه وضوح المعنى، وبنحوه مثبتٌ في المرجع.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٨٥. بحر العلوم: ٢/١٧٢.

(٨) في الأصل، ز، ط: (معناه: وتعلموا)، وهو خطأ؛ حيث لا مسوغ لحذف النون.

(٩) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٢٨٥-٢٨٦). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٢.

(١٠) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٤٧. تفسير الطبري: ١٣/٢٨٦. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٣.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ[١]﴾ في البَرَاحِ[٢]، أو يأذنَ لِي[٣] في الحربِ معَهُ[٤].

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ في موتٍ[٥]، أو وصولِ أخِي إليَّ فأرُدَّهُ إلى أبِي[٦].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لا يحكمُ إلَّا بالحقِّ والحكمةِ.

ثمَّ قالَ لإخوتِهِ كمَا قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:

---

(١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (في **الرواح**).

*ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٨١ (أخرجه كلاهما عن ابن إسحاق). تفسير الثعلبي: ١١٠/١٥.

(٣) في ط: (لي **أبي**).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٨٢-٢٨٣ (أخرجه كلاهما عن أبي صالح). تفسير الثعلبي: ١١٠/١٥(عزاه إلى أبي صالح).

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣٦/٢.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ١٧٢/٢. تفسير السمعاني: ٥٦/٣. تفسير البغوي: ٢٦٦/٤.

[٨١-٨٢] ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ /٢/ظ٧١/ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ۝٨١ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ۝٨٢﴾

معناهُ: قالَ لهُم: ﴿ٱرْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ صُواعَ الْمَلِكِ(١).

ومن قرأَ: (سُرِّقَ) بضمِّ السِّينِ وخفضِ الرَّاءِ وبالتشديدِ(٢)؛ فمعناهُ: أُخِذَ بالسَّرِقَةِ(٣).

وفي قولِه تعالَى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ إخبارٌ عن ظاهرِ وجودِ الصَّاعِ في رَحْلِ بنيامينَ؛ أنَّهُ هو الآخِذُ لَهُ، كمَا في قولِه تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾ [الممتحنة:١٠].

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ﴾ ففيهِ معنيانِ:

أحدُهما(٤): ما كُنَّا(٥) نشعرُ أنَّ ابنَكَ سيسْرِقُ فيُسْتَرَقَّ.

والآخَرُ(٦): إنَّا لا ندرِي باطنَ الأمرِ في السَّرِقَةِ(٧) أو كُذِبَ عليهِ.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: (٢/١٧٢-١٧٣). تفسير الثعلبي: ١٥/١١٠. التفسير الوسيط: ٢/٦٢٦.

(٢) ذكرها الفرَّاء من غير نسبة، ولم يستحسنها، ونسبها الطبري، والنحاس، والسمرقندي؛ لعبدِ اللهِ بنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأجازها الزجاج من غير نسبة، وزاد النحاس أنها قراءةٌ للكسائي، ونسبها الكرماني لأبي بكر النهشلي، وابن أبي عبلة، وأبي البرهسم.

ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٢/٥٣. تفسير الطبري: (١٣/٢٨٨-٢٨٧). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٣. معاني القرآن للنَّحاس: ٣/٤٥٢. بحر العلوم: ٢/١٧٣. شواذ القراءات: ٢٥٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢/٢٨٨. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٣. معاني القرآن للنحاس: ٣/٤٥٢. بحر العلوم: ٢/١٧٣.

(٤) /ز/ ظ٣٤١/.

(٥) /ط٣/ظ١٨١/.

(٦) في الأصل، ز: (فيسترق. **والأخرى**)، وهو خطأ؛ لأنه عطفها على (معنيان)، وعلى (أحدهما)، وهما مذكران، وكذا هو في ط وفي المرجع.

(٧) في ط: (السرقة **أنه سرق**). *ومن قوله: «وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾...»، إلى قوله: «إنا لا ندري باطن الأمر في السرقة»، ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/٣٩١-٣٩٢).

وقولُه تعالَى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ معناهُ: سَلْ مَنْ شِئْتَ مِنْ أهلِ القريةِ التي كُنَّا فيها؛ وهيَ مِصرُ[١]، فإنَّ هذا أمرٌ شائعٌ فيهِم؛ يُخبِرُك بهِ مَن سألْتَهُ.

وسَمَّى المِصْرَ قريةً؛ لأنَّ العربَ تُسمِّي الأمصارَ والمدائنَ قُرًى[٢].

ويُقالُ: أرادُوا بالقريةِ[٣] قريةً من قُرَى مصرَ[٤]، وهيَ: القريةُ التي ارتحلُوا مِنْ مصرَ إليهَا[٥]، فإنَّ نداءَ المُنادِي بالسَّرقةِ لمْ يكُن إلَّا بعدَ ارتحالِهم مِنْ مِصْرَ.

وقولُه تعالَى: ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ معناهُ: واسْأَلْ أهلَ القافلةِ التي رجَعْنَا معهُم، -وكانَ قدْ صحِبَهُم قومٌ مِنْ كنعانَ-[٦].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [٧]أيْ: لصادقونَ[٧] فيمَا نقولُ لكَ[٨].

قالَ لهُم يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- كمَا قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٧/٢. تفسير الطبري: (٢٩٠/١٣-٢٩١) (أخرجه عن قتادة، وابن عباس). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٨٦ (أخرجه عن قتادة).

(٢) ينظر: العين: (ق ر و).

(٣) في ز: (أرادوا **بالقرى**).

(٤) ينظر: بحر العلوم: ١٧٣/٢ (عزاه إلى الكلبي).

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ١١٣/١٥. تفسير البغوي: ٢٦٧/٤. (عزاه كلاهما إلى ابن عباس).

(٦) ينظر: بحر العلوم: ١٧٣/٢. تفسير الثعلبي: ١١٣/١٥. تفسير البغوي: ٢٦٧/٤.

(٧ - ٧) سقطت من ز، وفي ط: (أي: **صادقون**).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٨/٢. بحر العلوم: ١٧٣/٢.

[٨٣-٨٤] ﴿قَالَ[١] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

معناهُ: قالَ لهُم: إنَّ ابنِي لا يسْرِقُ، وإنَّما سوَّلتْ[٢] لكُم أنفسُكُم أمرًا إنْ قُلْتمْ[٣] سرقَ[٤]، فأمرِي صبرٌ جميلٌ لا جزعَ فيهِ[٥].

والتسويلُ في الحقيقةِ: أنْ تسأَلَ النَّفْسُ مِنَ الإنسانِ أمرًا، فيقعُ مُتمنَّاهُ على ما سألتْهُ[٦] النفسُ[٧].

وقولُه تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ أيْ: بيُوسُفَ وبنيامينَ وروبيلَ[٨] أو شمعونَ[٩].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بعبادهِ[١٠].

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِ أمرِ خلْقِهِ[١١].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (وإنما **سهلت**).

(٣) في ط: (قلتم **فيه**).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي: ٦٩/٣. التفسير البسيط: ٢١١/١٢.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٨/٢. تفسير الطبري: ٢٩٢/١٣. بحر العلوم: ١٧٣/٢.

(٦) في ط: (على ما **سأله**).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة: (س و ل).

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٨٨ (أخرجه كلاهما عن قتادة وابن إسحاق).

(٩) لعلَّ المؤلف قصد بذكره لشمعون أنَّ بعض أهل العلم قال: إنه هو (كبيرهم) المقصود في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يوسف: ٨٠]. ينظر: (١٧٠)، من هذه الرسالة.

(١٠) سقطت من ط. *ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٨/٢.

(١١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/١٣. تفسير الثعلبي: ١١٤/١٥. البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٢٩٠.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعْرَضَ عنهُم؛ لشدَّةِ الحزنِ(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ يَـٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ كلمةُ نداءٍ، والأسفُ والحزنُ واحدٌ(٢).

يُقالُ: يا أسفَى على يُوسُفَ، ويُرادُ بهِ: أَقبِلْ أيُّهَا الأسفُ؛ فقدْ حانَ وقتُكَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ معناهُ: وابيضَّتْ عيناهُ لشدةِ البكاءِ مِنَ الحزْنِ، وإلَّا فالحزنُ لا يُبيِّضُ العينَ(٣)، والحُزنُ والدَّمْعُ ممَّا(٤) لا يُمكنُ الاحترازُ عنهما، كمَا قالَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-: ((القلبُ يَحزَنُ، والعينُ تَدمَعُ، ولا نقولُ ما(٥) يُسخِطُ الرَّبَّ، وإنَّا عليكَ يا إبراهيمُ(٦) لَمَحْزُونونَ))(٧)، قالَه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- حينَ قُبِضَ ولدُهُ إبراهيمُ.

وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فمعناهُ: مُمسِكُ الحزنِ(٨)، يترددُ حزنُهُ في جوفِهِ(٩).

ويُقالُ: معناهُ كظيمٌ يتغيَّظُ على أولادِهِ.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٤٨/٢. تفسير الطبري: ٢٩٣/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٢٨٩ (أخرجه عن ابن إسحاق).

(٢) ينظر: معاني القرآن لقطرب (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها).

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ٢١٤/١٢ (عزاه إلى ابن عباس).

(٤) /٣ط/و١٨٢/.

(٥) في ز: (لا نقول **مما**)، وهو خطأ.

(٦) في ط: (عليك **يا رب**)، وهو خطأ.

(٧) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الجنائز/باب قول النبي ﷺ: إنا بك يا إبراهيم لمحزنون/ح ١٣٠٣)، ومسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفضائل/باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه في ذلك/ح ٢٣١٥)، كلاهما عن أنس بن مالك مطولًا.

(٨) في ط: (ممسك **للحزن**).

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/١٣ (أخرجه عن قتادة). تأويلات أهل السنة: ٥٩٩/٢. بحر العلوم: ١٧٣/٢.

[٨٥-٨٦] قوله عز وجل: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾

معناهُ: قالُوا: واللهِ لا تَفتَؤُا، أيْ: لا تزالُ تَذكُرُ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-[١] حتَّى تكونَ دَنِفًا[٢] أو تموتُ.

وإنَّما أضمرَ (لا) في قوله: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾؛ لأنَّ العربَ تقولُ: واللهِ[٣] ندخلُ هذه الدَّارَ، وتريدُ بذلكَ نفيَ الدُّخولِ، وإذا أرادَتِ الإثباتُ قالتْ: واللهِ[٤] لنَدخُلنَّ هذهِ الدَّارَ[٥].

ولِهذا قيلَ: إذَا حلَفَ الرَّجلُ فقالَ: واللهِ أدخُلُ هذهِ الدَّارَ، فدخلَها؛ حنِثَ؛ لأنَّ تقديرَ[٦] يمينه: واللهِ لا أدخلُ.

وقولُه تعالَى: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾؛ يقالُ: فَتِئَ يَفْتَؤُ، وَفَتَأَ يَفْتَؤ، بفتحِ العينِ وكسرِهَا[٧]، أيْ: زالَ يَزالُ[٨].

يُقالُ: ما فتِئْتُ أفعَلُ كذا، وما فتأتُ[٩] أيْ: ما زِلتُ[١٠].

---

(١) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). معاني القرآن للفراء: ٥٤/٢. تفسير الطبري: ٢٩٩/١٣ (عزاه إلى مجاهد وابن عباس وقتادة).

(٢) الدَّنِفُ والدَّنَفُ بمعنى واحد، وهو: المرض. ينظر: لسان العرب: (د ن ف).

(٣) في ط: (والله **لا**)، وهو خطأ.

(٤) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٥) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). معاني القرآن للفراء: ٥٤/٢. تفسير الطبري: ٣٠٠/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٧.

(٦) في الأصل، ز: (تقدير **هذه**)، وهي زائدةٌ لا معنى لها.

(٧) في حاشية الأصل: (بفتح العين والفعل).

(٨) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٥٣/٣. تهذيب اللغة: (ت ف (واء)). الصحاح: (ف ت أ).

(٩) في ط: (وما **أفتأت**).

(١٠) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). إعراب القرآن للنحاس: ٣٤٢/٢ (عزاه إلى الكسائي).

والحَرَضُ: الذائبُ البالِي[١]، وأصلُ ذلك: مِن الفسادِ في الجسمِ أو في الأخلاقِ[٢].

يُقالُ: أحرَضْتُ فلانًا على فلانٍ؛ إذا أفسدتَهُ عليهِ[٣].

وعنِ الحَسَنِ[٤] -رضيَ اللهُ عنه-: (حَتَّىٰ تَكُونَ حُرُضاً) بضمَّتينِ[٥]، أرادَ: كالأُشْنانِ[٦] المدقوقِ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿قَالَ[٧] إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى [ٱللَّهِ][٨]﴾ فمعناهُ: قالَ لهُم يَعْقوبُ -عليهِ السَّلامُ-: إنَّما أرفَعُ غمِّيَ وحُزنِيَ إلى اللهِ تعالَى[٩].

والْبَثُّ: هو تفريقُ الحزنِ الذي لا يَكادُ يَصبِرُ عليهِ[١٠] صاحبُهُ حتى يَبُثَّهُ[١١].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أيْ: أعلَمُ أنَّ رُؤْيا يُوسفَ[١٢] -عليهِ السَّلامُ- صادقةٌ، وأنَّا سنَسجُدُ[١٣] لهُ[١٤].

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك: ٤٧٦/١. تفسير الطبري: ٣٠٣/١٣ (أخرجه عن الضحاك، والسدي).

(٢) في ط: (أو في **الإخلاص**). *ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٤/٢. تفسير الطبري: ٣٠١/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٧. معاني القرآن للنحاس: ٤٥٤/٣.

(٤) البصري.

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٦٩. شواذ القراءات: ٢٥١. الكشاف: ٥٢٨.

(٦) ينظر: العين: (ح ر ض). *والأُشْنانُ: ما تُغسل به الأيدي. ينظر: لسان العرب: (أ ش ن).

(٧) في ز: (قا)، سقطت اللام، وهو تحريف.

(٨) سقطت من الأصل، والمثبت من ز، ط.

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٥/١٣. بحر العلوم: ١٧٤/٢. التفسير البسيط: ٢٢١/١٢.

(١٠) في ط: (يصبر **عنه**).

(١١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٢٢. بحر العلوم: ١٧٤/٢. تفسير الثعلبي: ١٢٨/١٥.

(١٢) في الأصل: (**صادقة** -عليه السَّلام- صادقة)، والموضع الأول تكرار لا معنى له.

(١٣) في ط: (وإنا **لنسجد**).

(١٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٠٧/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٠٨ (أخرجه كلاهما عن ابن عباس). تفسير الثعلبي: ١٢٩/١٥ (عزاه إلى ابن عباس كذلك).

ويُقالُ: أعلَمُ أنَّ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- حيٌّ لم يَمُتْ[١]؛ لأنَّهُ رُويَ أنَّ مَلَكَ الموتِ دخلَ على يعقوبَ -عليهِما السَّلامُ- فقالَ لهُ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ-: هل قبَضْتَ رُوحَ ابني يوسفَ[٢]؟ قالَ: لا، وستراهُ عاجلًا[٣].

فعندَ ذلكَ قالَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- لأولادهِ كما قالَ اللهُ -عزَّ وجلَّ-:

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٥٩٩/٢ (عزاه إلى ابن عباس). بحر العلوم: ١٧٤/٢. تفسير الثعلبي: ١٢٩/١٥.

(٢) في ط: (يوسف **في** /٣ط/ظ١٨٢/ **الأرواح**).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في «الزهد» (٦٧)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٣)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤٢٣/١)، جميعهم عن يحيى بنِ سليم بلاغًا مطولًا. وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٠٩)، عن النضر بن عربي بلاغًا مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٣٠/٨)، وعزاه إلى أبي الشيخ عن قتادة بنحوه. وفي رواية أخرى (٣١٣/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن نضر بن عربي بلاغًا مطولا. وفي رواية أخرى (٣٣٠/٨-٣٣١)، عزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد «الزهد»، وأبي الشيخ عن عمر بن يونس اليمامي بلاغًا مطولًا.

[٨٧] ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ /٢/و٧٢/ فَتَحَسَّسُواْ[١] مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

معناهُ: قالَ لهُم: اذهبُوا إلى مصرَ، فاستخبرُوا، واطلبُوا يوسفَ وأخاهُ، وانظرُوا إلى مَلِكِ مصرَ؛ ما اسمُهُ؟ وعلى أيّ دينٍ هُوَ؟ فإنَّهُ يقعُ لِي أنَّ الَّذِي حبَسَ بنيامينَ هو يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- نفسُهُ[٢]؛ فإنَّهُ طلَبَ بنيامينَ منكُم، واستخرجَ الصَّاعَ مِنْ رَحْلِهِ.

والتحسُّسُ في اللغةِ: هو طلبُ الشيءِ [بالحواسّ][٣].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ فمعناهُ: مِن رحمةِ اللهِ[٤] وفضلِهِ.

وَرَوْحُ اللهِ تعالَى: هو الفَرَجُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالَى[٥].

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ﴾ [٦]أيْ: لا ييأسُ[٦] مِنَ الفَرَجِ مِنَ اللهِ تعالَى[٧] في دارِ التَّكليفِ[٨] إلا القومُ الكافرونَ باللهِ تعالَى.

---

(١) في هامش الأصل: (الحواس عشر، خمس باطنة، وخمس ظاهرة، ويجمعها بيتان:

خيالٌ ثم وهمٌ ثم فكرٌ وذكرٌ ثم حفظٌ فهْي خَمسُ
وسمعٌ ثم إبصارٌ وشَمٌّ وذَوقٌ ثم خامسُهنَّ لمسُ

والله أعلم.)

(٢) /ز/و٣٤٢/.

(٣) في الأصل ز: (الشيء **في الحواس**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأنَّ حرف الجر المناسب (الباء)، ومن معانيه الاستعانة، وحرف (في) معناه الظرفية، ولا يناسب السياق، وكذا هو في المرجع.

ينظر: تفسير الماوردي: ٧٢/٣. التفسير البسيط: ٢٢٣/١٢. تفسير السمعاني: ٦٠/٣. المحرر الوجيز (بنصه): ١٣٨/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٣١٤/١٣-٣١٥) (أخرجه عن قتادة والضحاك). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٠٩-٣١٠ (أخرجه عن قتادة). تأويلات أهل السنة: ٦٠٠/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٥/١٣ (أخرجه عن ابن زيد). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣١٠ (أخرجه عن ابن إسحاق). تفسير الثعلبي: ١٣٠/١٥.

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣١٠ (أخرجه عن ابن إسحاق). تفسير الماوردي: ٧٢/٣ (عزاه كذلك إلى محمد بن إسحاق). تفسير السمعاني: ٦٠/٣.

(٨) في ز: (دار **التكلُّف**)، وهو خطأ.

وفي بعض الرواياتِ «أنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- كتَبَ معهُم كتابًا إلى عزيزِ مِصْرَ:(١ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ١)، مِن يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، إلى عزيزِ مصرَ، أمَّا بعدُ:

فإنَّا أهلُ بيتٍ مُوكَّلٌ بنَا البلاءُ؛ فابتُليَ جدِّي إبراهيمُ خليلُ الرَّحمنِ بأنْ طُرِحَ في النَّارِ، فجعَلَها اللهُ تعالى عليهِ بردًا وسلامًا، وابتُليَ عمِّي إسماعيلُ بالذَّبحِ(٢)، ففداهُ اللهُ تعالى بكبشٍ عظيمٍ، وابتُليَ أبِي بالعمَى، وابتُليتُ أنَا بغَيبةِ ابنِي يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- فذهبَ بصرِي، وزعَمْتَ أنَّ ابنِي سَرَقَ، وما ولدتُّ سارقًا، فخَلِّ سبيلَ(٣) ابنِي(٤)، وإلَّا فإنَّ اللهَ تعالَى يفعلُ ما يشاءُ»(٥).

قالَ: فلمَّا دفَعَ هذا(٦) الكتابَ إلى أولادِهِ قالَ لهُم: إذا دخَلْتُم عليهِ فقولُوا لَهُ(٧): يا أيُّها العزيزُ مسَّنَا وأهلَنَا الضُّرُّ، فذلكَ قولُه تعالَى:

(١ - ١) سقطت من ط. *المصادر التي أخرجت الرواية أخرجتها من دون البسملة كما في نسخة (ط)؛ إلا رواية ذكرها السيوطي -وأشرت إليها عند التخريج-، وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» (١٨٨/٦)، أنَّ سليمان عليه السلام هو أولُ مَن كتب البسملة.

(٢) ذكرت المصادر -التي أخرجت الرواية- أنَّ الذبيح (إسحاق)، والمصنف ذكر أنَّ الذبيح (إسماعيل)، والمسألة فيها خلافٌ مشهور، والراجح أنَّ الذبيح هو: إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ينظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٣١/٤. القول الصحيح في تعيين الذبيح: ١٢.

(٣) سقطت من ز.

(٤) في هامش الأصل: في وسيط الواحدي: «فإن رددته إليَّ، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسفُ الكتابَ لم يتمالك البكاء، وعِيل صبرُه».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٢٩٠)، عن أبي رَوق بنحوه. والواحدي في «الوسيط» (٦٢٦/٢)، عن عبد الله بن يونس بن أبي فروة بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٠٢/٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن أبي روق بنحوه. وفي رواية أخرى (٣٢٣/٨-٣٢٤)، عزاه إلى الحكيم الترمذي وأبي الشيخ عن وهب بن منبه ببعضه (وذكر في هذه الرواية البسملة).

(٦) سقطت من ط.

(٧) سقطت من ط.

[٨٨-٩٠] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم[١] بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ[٢] مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

معناهُ: فلمَّا دخلُوا على يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- في المرَّةِ الثالثةِ قالُوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾[٣] أيْ: أصابنَا وأصابَ أهْلَنَا ومواشِيَنَا الشِّدَّةُ مِنَ السنينَ القِحاطِ[٤].

﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ أيْ: قليلةٍ [٥]كاسدةٍ.

والمُزجاةُ: هي الشيءُ اليسيرُ الَّذِي[٦] يُدافَعُ بِهِ.

يُقالُ: فلانٌ يُزجِي العيشَ، أيْ: يدفَعُ بالقليلِ، ويكتفِي بِهِ[٧].

رُويَ أنَّهُم جاءُوا[٨] بمتاعِ العربِ؛ مثلِ: الْأَقِطِ، والجُبنِ، والسَّمْنِ، والصُّوفِ[٩].

---

(١) سقطت من ز.

(٢) /٣ط/و١٨٣/.

(٣) في ز: ﴿ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ﴾.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٦/١٣. تأويلات أهل السنة: ٣٣٣/٢. بحر العلوم: ١٧٤/٢.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد: ٤٠٠. معاني القرآن لقطرب (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). تفسير الطبري: ٣٢٠/١٣ (أخرجه عن إبراهيم، والحسن).

(٦) في الأصل، ز: (الذي **لا**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٧) من قوله: «والمزجاة هي الشيء اليسير» إلى قوله: «يدفع بالقليلِ ويكتفي به»، ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٤/لغة سورة يوسف وغريبها). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٨٨. غريب القرآن للسجستاني: ٤٢٦.

(٨) في ط: (أنهم **جاؤه**).

(٩) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٤٠٦/٥)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٣١٩/١٣، ٣٢١)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣١٣)، جميعُهم عن عبد الله بن الحارث بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣١٩/٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن عبد الله بن الحارث بمعناه مختصرًا.

(١وقدْ جاءُوا١) بدراهِمَ رَدِيَّةٍ، لا تُنفَقُ في الطعامِ، وتُنفَقُ فيمَا بينَ النَّاسِ عندَ التجوُّزِ بِهَا والإغماضِ فيها(٢).

وقولُه تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ كما كنت تُوفي(٣) في السنينَ الماضيةِ، ولا تنظرْ إلى قِلَّةِ بضاعتِنَا في هذهِ السنةِ.

وقولُه: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ أيْ: تفضَّلْ علينَا بنُقصانِ السِّعرِ. هكذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبيرٍ(٤) -رضيَ اللهُ عنهُ-.

ويُقالُ: معناهُ: تفضَّلْ علينَا بمَا بينَ الثَّمنَينِ(٥).

وقالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنةُ(٦) -رحِمَهُ اللهُ-: « سألوهُ الصَّدَقةَ وهُمْ أنبياءُ -عليهمُ السَّلامُ-

---

(١ - ١) في ط: (والصوف. **وقيل: جاؤه**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٣١٦-٣١٨) (أخرجه عن ابن عباس). معاني القرآن للنحاس: ٣/٤٥٥. تفسير الثعلبي: ١٥/١٣٤ (عزاه كلاهما إلى ابن عباس كذلك).

(٣) في ط: (﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ **معناهُ: وفِّرْ لنَا الكيلَ كمَا كنتَ توفرُ**).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٣٢٤)، عن سعيد بن جبير بمعناه. وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣١٨)، عن الحسن بزيادة في آخره. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٢٠)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير مطولًا. *سعيدُ بنُ جُبَيرِ بنِ هشام، أبو محمد الكوفي الأسدي الوالي، وقيل: أبو عبد الله. الفقيه المقرئ المفسر. قتل في سنة خمس وتسعين. روى عن أنس بن مالك، وقرأ على عبد الله بن عباس. وقرأ عليه: أبو عمرو بن العلاء، والمِنْهال بن عمرو.

يظر: تهذيب الكمال: (١٠/٣٥٨ -٣٥٩، ٣٧٦). معرفة القراء: (١/١٧٢-١٧٣، ١٧٨). غاية النهاية: ١/٢٧٧.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٥٥. بحر العلوم: ٢/١٧٤. تفسير الثعلبي: ١٥/١٣٦. (والمقصود بما بين الثمنين: بين الثمنِ الجيِّدِ والثمنِ الرديء).

(٦) سفيانُ بنُ عُيينة بن أبي عِمرانَ ميمونٍ الهِلالي، أبو محمد الكوفي، مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم. ثقةٌ حافظٌ فقيه، إمامٌ حجة. حسن الحديث، يُعدُّ من حُكماء أصحابِ الحديث. وُلد سنة سبعٍ ومئة، وتوفي سنة ثمانٍ وسبعين ومئة. روى عن أبان بنِ تَغلِب، وسُفيانَ الثَّوري. وروى عنه أحمدُ بن حنبل، وسعيدُ بنُ منصور.

ينظر: التاريخ الكبير: ٤/٩٤. تهذيب الكمال: (١١/١٧٧-١٨٧، ١٧٩، ١٨٣-١٨٤، ١٨٨-١٨٩). تقريب التهذيب: ٢٤٥.

وكانتْ حلالًا لهُم، وإنَّما حُرِّمتْ على النبيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-»[١].

وكرِهَ مُجَاهِدٌ[٢] -رحمَهُ اللهُ- أنْ يقولَ الرَّجلُ في دُعائهِ: «اللهمَّ تصدَّقْ علينَا»، فإنَّ الصَّدقةَ إنَّما هيَ ممَّنْ يبتغِي الثَّوابَ[٣].

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ أيْ: يَجزِيهم على صدقاتِهم بأفضلَ منهَا.

---

(١) ذكره الجصاص في ((أحكام القرآن)) (٣/٢٣٠)، عن سفيان بن عيينة بلفظه. وأخرجه الطبري في ((تفسيره)) (١٣/٣٢٥)، عن سفيان بن عيينة مطولًا. وأورده ابن كثير في ((تفسيره)) (٤/٣٤٩)، والسيوطي في ((الدر المثور)) (٨/٣٢٠)، وعزاه كلاهما إلى ابن جرير عن سفيان بن عيينة مختصرًا.

(٢) مجاهد بن جَبْر، أبو الحجاج المكي القرشي المخزومي، مولى عبد الله بن السائب، ويقال: مولى قيس بن السائب، وقيل غير ذلك. المقرئ المفسر الإمام. تابعي ثقة. وُلِد سنة إحدى عشرين. وتوفي سنة ثلاث ومئة، وقيل: سنة اثنتين ومئة، وقيل غير ذلك. روى عن ابن عبَّاس، وابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وروى عنه الحَكَمُ بنُ عُتَيْبة، ومنصورُ بنُ المُعتمِر.

ينظر: التاريخ الكبير: (٧/٤١١-٤١٢). تهذيب الكمال: (٢٧/٢٢٨- ٢٣٢، ٢٣٤). طبقات المفسرين للداودي: (٢/٣٠٥-٣٠٨). تقريب التهذيب: ٥٢٠.

(٣) أخرجه سعيدُ بن منصور في ((سننه)) (٥/٤٠٩)، والطبري في ((تفسيره)) (١٣/٣٢٦)، كلاهما عن مجاهد بنحوه. وأورده ابن كثير في ((تفسيره)) (٤/٤٠٧)، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد بنحوه. والسيوطي في ((الدر المنثور)) (٨/-٣٢١ ٣٢٠)، وعزاه إلى أبي عبيد وابن المنذر عن مجاهد بنحوه. وذكره الجصاص في ((أحكام القرآن)) (٤/٣٩٤)، عن مجاهد بنحوه.

*للدكتور بكر أبو زيد تعليقٌ على هذه المسألة؛ إذ قال: «قال الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالى - في تقرير له: «بَعْضٌ يقول: الصدقةُ لا تُسمى صدقةً إلا ممن يريد عائدة، ولعل الأقوى الجواز، والمسألة فيها خلاف، والأمرُ في هذا سهلٌ، وفي النصوص كلماتٌ تُرادفُ الصدقةَ: اللهم أحسِن إلينا بكذا، اللهم أفضِل علينا بكذا». وهذا عندي فيه تفصيل على نوعين:

١. الدعاء، كاللفظ المذكور، فهذا يُترك؛ لأنَّه غير مأثور، وللخلاف فيه.

٢. الإخبار، كما في الحديث: ((صدقة تصدق الله بها عليكم)) ، فهذا لا ينبغي الخلافُ في جوازه؛ للنص به.

وقد خَطَّأَ النووي -رحمه الله تعالى- مَن قال بكراهة ذلك؛ فقال: «حكى أبو جعفر النحاس في كتابه: شرح أسماء الله تعالى، عن بعض العلماء؛ أنه كرِه أن يُقال: تصدَّق الله عليك، قال: لأن المتصدقَ يرجو الثواب».

قلت: هذا الحكم خطأ صريح وجهل قبيح، والاستدلال أشد فسادًا، وقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في قصر الصلاة: ((صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته))، وفي مصنف ابن أبي شيبة بسنده عن عمر بن عبد العزيز: يكره أن يقول: اللهم تصدق عليَّ، ولكن ليقل: اللهم امنُن علي اهـ.

وحديث مسلم المذكور ليس فيه دعاء، فليحرر. والله أعلم». ينظر: معجم المناهي اللفظية: ٦٠٦.

وقولُه تعالَى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ رُويَ أنَّهُم لمَّا [رفعُوا](١) الكتابَ إليهِ فقرأهُ -عليهِ السَّلامُ(٢)- أُرعِدَ، حتَّى سقطَ الكتابُ من يدِهِ، ثُمَّ انتَحَبَ انتحابةً كادَ أنْ يتقطَّعَ منهَا صُلْبُهُ، فقالَ لهُم عندَ ذلكَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(٣)؟

قالَ السُّدِّيُّ(٤) -رحِمَهُ اللهُ-: «لمَّا رأَى يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- عليهِم أثرَ الشِّدةِ، وسَمِعَ منهُم قولَهم: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾؛ رقَّ عليهِم، فدمَعَتْ عيناهُ، فأفشَى لهُم ما كانَ يكْتُمُهُ عنهُم مِن كونِهِ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- فقالَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ(٥)﴾»(٦).

وقصَّ عليهِم جميعَ ما عامَلُوهُ بِهِ؛ مِن إلقائِهِم إيَّاهُ(٧) في الجُبِّ بعدَ أنْ كانُوا قدِ(٨) اجتمعُوا على قتْلِهِ مِن قبلُ، ثُمَّ بيعِهِم [لَه](٩) كمَا يُباعُ الأرِقَّاءُ(١٠)، وكتَبَ العُهدةَ على رجلينِ منهُم في بيعِهِ بخطِّ يهُوذَا(١١).

---

(١) في الأصل، ز: (لما **دفعوا**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ الكتاب يرفع ولا يدفع. ينظر: لسان العرب: (ر ف ع).

(٢) في الأصل، ز: (السلام **حتى** أرعد)، فـ(حتى)، زائدة لا يستقيم بها السياق، وكذا هو في ط.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣١/١٢)، عن ابن عباس بمعناه. والبغوي في «تفسيره» (٢٧٣/٤)، من غير نسبة، بمعناه مختصرًا.

(٤) إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي كريمةَ، أبو محمد القرشي الكوفي السُّدِّي، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة. المفسِّر الأعور، المعروف بالسُّدي الكَبير، صاحب التفسير. صدوق يَهِم، من أتباع التابعين. مات سنة سبع وعشرين ومئة، وقيل: تسع وعشرين ومئة. روى عن أنس بن مالك، وأبي صالح باذام. وروى عنه أسباطُ بنُ نصر الهَمْداني، وسفيانُ الثَّوري.
ينظر: التاريخ الكبير: ٣٦١/١. تهذيب الكمال: (١٣٤/٣-١٣٢، ١٣٨). تقريب التهذيب: ١٠٨.

(٥) سقطت من ط.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٢٧/١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ت ابن عبيد) (٣٢١)، كلاهما عن ابن إسحاق بنحوه. والطبري في «تفسيره» (٣٢٧/١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ت ابن عبيد) (٣٢٠)، كلاهما عن السدي بمعناه.

(٧) سقطت من ز.

(٨) /٣ط/ظ١٨٣/.

(٩) في الأصل (بيعهم **به**)، والمثبت من ز، ط؛ لأنه الأليق بالسياق.

(١٠) سبق التعليق على أمرِ بيعه. ينظر: (١٢٩)، من هذه الرسالة.

(١١) من قوله: «ثم بيعهم له...»، إلى قوله: «بخطِّ يهوذا». ينظر: بحر العلوم: (١٧٤/٢-١٧٥).

وقولِهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، وفعلِهم بأخيهِ حتَّى صارَ ذليلًا فيما بينَهُم، لا يُمكِنُهُ أن يُكلِّمَهُم إلَّا كما يُكلِّمُ الذَّليلُ العزيزَ.

وأرادَ بقولِهِ –عليهِ السَّلامُ– ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ جاهليةَ الصِّبا[١].

ويُقالُ: أرادَ بذلِكَ: إذْ أنتُم شُبَّانٌ أحداثٌ لا تعرفونَ أمورَ الدِّينِ[٢].

فلمَّا قصَّ عليهِم ذلكَ قالُوا لَهُ: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾، وإنَّما قالُوا على لفظِ الاستفهامِ[٣]؛ لأنَّهُم كانُوا بَعِيدِي العهدِ بهِ[٤].

وتُقرأُ: (إِنَّكَ) بكسرِ الألفِ بهمزةٍ واحدةٍ[٥]، على التحقيقِ والإثباتِ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ ظاهرُ المُرادِ.

في[٧] قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾[٨] بصبرِنَا على الشِّدةِ ما لمْ يُنعِمْ على غيرِنا[٩].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٤/٤. تفسير الثعلبي: ١٤٠/١٥ (عزاه إلى ابن عباس). التفسير البسيط: ٢٣٢/١٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: (٣٤٣/٢–٣٤٤). بحر العلوم: ١٧٥/٢. تفسير الثعلبي: ١٤٠/١٥. التفسير البسيط: ٢٣٢/١٢ (عزا الأخيرانِ قولَه: «شُبَّان»، إلى الحسن).

(٣) وهي القراءةُ التي قرأ بها: نافعٌ، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥١. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٣. الكافي في القراءات السَّبع: ٤٠٧/٢.

(٤) لعلَّ المصنف –عند توجيهه لهذه القراءة– وجَّهها على ما ذكره في أول تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ...﴾ [يوسف: ٥٨]، فذكر أنهم لم يعرفوه لطولِ العهد؛ فلعلَّه لذلك وجَّه قراءة الاستفهامِ بهذا التوجيه، كما أن المصادر التي وقفتُ عليها، لم تذكُرْ التوجيهَ الذي ذكره المصنف. ينظر: (١٢٩)، من هذه الرسالة.

(٥) ابْنُ كثيرٍ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥١. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٢٨٣– ٢٨٤.

(٦) ينظر: معاني القراءات: ٥٠/٢. بحر العلوم: ١٧٥/٢.

(٧) في ط: (المراد. **وقوله**).

(٨) في ز: ﴿عَلَيْنَا **إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ**﴾. وفي ط: (﴿عَلَيْنَا﴾، **أي أنعم علينا**).

(٩) ينظر: بحر العلوم: ١٧٥/٢.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ المعاصِيَ، ﴿وَيَصْبِرْ﴾[١] على الشدائدِ؛ فإنَّ اللهَ /٢/ظ٧٢/ لا يُبطِلُ ثوابَ المحسنينَ[٢].

والضَّياعُ: هو ذهابُ الشَّيءِ مِن غيرِ عِوَضٍ.

---

(١) /ز/ظ٣٤٢/.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٢٨/١٣. بحر العلوم: ١٧٥/٢. البرهان في علوم القرآن للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣٠٨.

[٩١-٩٣] قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا (١وَإِن كُنَّا١) لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣﴾

معناهُ: قالَ إخوةُ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- ليوسفَ: واللهِ لقدْ فضَّلكَ اللهُ علينَا، بما أنعمَ بِهِ عليكَ، وقدْ كنَّا عاصِينَ للهِ تعالى فيمَا فعلْنا[٢].

وهذَا يدلُّ على أنَّهُم كانُوا قدْ نَدِمُوا على ما فعلُوا، ولمْ يُصِرُّوا عليهِ[٣].

وقولُه تعالى[٤]: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ[٥]﴾ [لا][٦] تعييرٌ وتوبيخٌ[٧].

(٨يُقالُ: لهُ عليهِ أَثَرَةٌ، أيْ: فضلٌ٨).

أيْ[٩]: لا أذكرُ لكُم ذنبَكُم بعدَ هذا اليومِ[١٠].

﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾ ما كانَ منكُم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ بعبادِهِ.

[ثُمَّ][١١] قالَ لهُم: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾

(١ - ١) كررت في ط.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ١٧٥/٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٤/٤.

(٤) في ط: قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾.

(٥) سقطت من ط.

(٦) أثبتت لما يقتضيه السياق.

(٧) سقطت من ز، ط. *ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٠/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٢٦ (أخرجه كلاهما عن سفيان). بحر العلوم: ١٧٥/٢.

(٨ - ٨) سقطت من ز، ط.

(٩) في ط: (أي: **قال لهم يوسف -عليه السلام- لا تعيير عليكم اليوم، أي**).

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣١/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٢٥ (أخرجه كلاهما عن السدي). تفسير الثعلبي: ١٤٥/١٥. التفسير البسيط: ٢٣٨/١٢ (عزاه إلى الكلبي).

(١١) في الأصل، ز: (بعباده. **معناه**)، ولا يستقيم بها السياق، والمثبت من ط.

(١أيْ: يرجِعْ بصيرًا١)، كمَا كانَ مِن قبلُ(٢).

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ رُويَ أنَّهُم(٣) كانُوا نحوًا مِن سبعِينَ إنسانًا(٤).

وفي الآيةِ: بيانُ معجزةِ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- لأنَّهُ لمْ يكُنْ يعرفُ أنَّ القميصَ إذا أُلقِيَ على وجهِ أبِيه يعودُ بصيرًا إلَّا مِنْ جهةِ الوحيِ.

(١ - ١) سقطت من ط. *ينظر: معاني القرآن للفراء (بنصه): ٢/٥٥.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٧٦.

(٣) /٣ط/و١٨٤/.

(٤) ذكره الواحديُّ في «الوسيط» (٢/٦٣٢)، و«البسيط» (١٢/٢٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧١٨)، والرازي في «تفسيره» (١٨/٢١١)، جميعهم عن الكلبي بلفظه.

[٩٤-٩٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾

رُوِيَ أَنَّهُ لـمَّا خرجَتِ القافلةُ مِنَ العَرِيشِ(١) -وهيَ قريةٌ ما(٢) بينَ مصرَ وكنعانَ، وكانَ بينهُم وبينَ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- ثمانيةُ أيَّامٍ(٣)- قالَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- لولدِ ولدِهِ، وكانَ أولادُهُ كُلُّهم بمصرَ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾.

رُوِيَ أنَّ الرِّيحَ حملَتْ رائحةَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- إلى أبيهِ -عليهِ السَّلامُ-(٤)؛ وذلكَ جائزٌ في زمنِ الأنبياءِ -عليهمُ السَّلامُ- لأنَّهُ يجوزُ انتقاضُ العادةِ في وقتِهِم(٥).

وفي بعضِ الرِّواياتِ: أنَّ ذلكَ القميصَ كانَ(٦) مِنَ الجنةِ، وكانَ اللهُ تعالى ألبَسَهُ إبراهيمَ -عليهِ السَّلامُ- حينَ أُلقِيَ في النَّارِ، فصارتْ عليهِ بردًا وسلامًا، ثُمَّ كساهُ إبراهيمُ إسحاقَ -عليهِ السَّلامُ- فكساهُ إسحاقُ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- (٧وكانَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ-٧) أدرَجَ ذلكَ

---

(١) العَرِيش: بفتحِ أوله وكسر ثانيه، كانت أولَ عملِ مصر من ناحية الشام، تقعُ على ساحلِ (الروم) البحر الأبيضِ المتوسط، شمال شرق سيناء، وهي عاصمة محافظة شمال سيناء.

ينظر: معجم البلدان: ١١٣/٤. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: ١٩١. الموسوعة الحرة: (العريش).

(٢) سقطت من ط.

(٣) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في ((تفسيره)) (٣٣٣/١٣-٣٣٦)، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٣٣٣)، والثعلبي في ((تفسيره)) (١٥٠/١٥)، جميعهم عن ابن عباس بنحوه. وعبد الرزاق في ((تفسيره)) (٣٢٩/١)، عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٣٢٦/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وأحمد في ((الزهد))، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه؛ عن ابن عباس مطولًا.

ومن قوله «لـمَّا خرَجَتِ القافلةُ مِنَ العريشِ...»، إلى قوله: «ما بينَ مصرَ وكنعانَ»، ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٣٥ (أخرجه عن السدي). تفسير الثعلبي: ١٤٨/١٥. التفسير البسيط: ٢٤٢/١٢ (وعزاه إلى أكثر المفسرين). ولم تذكر المصادرُ هذا الجزءَ من الرواية التي ذكرها المصنف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في ((تفسيره)) (٣٢٩/١)، والطبري بعدة أسانيد في ((تفسيره)) (٣٣٣/١٣-٣٣٥)، كلاهما عن ابن عباس ببعضه. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٣٢٦/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وأحمد في ((الزهد))، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه؛ عن ابن عباس ببعضه.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٢/١٨.

(٦) سقطت من ز.

(٧ - ٧) سقطت من ز.

القميصَ في قَصَبةٍ[١]، وعلَّقَهُ، وخلَعَهُ[٢] على يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- لـمَّا كانَ يخافُ عليهِ مِنَ العينِ، فأمرهُ جبريلُ -عليهِ السلامُ- أنْ: أَرسِلْ إليهِ قميصَكَ هذا؛ فإنَّ فيهِ ريحَ الجنَّةِ، وريحُ الجنَّةِ لا يقعُ على مُبتلًى ولا سقيمٍ إلَّا عُوفِيَ، فلذلكَ أصابَ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- ريحُهُ مِن مُدَّةِ ثمانيةِ أيَّامٍ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ معناهُ: لولا أنْ تُسَفِّهُونِ[٤] في الرأيِ؛ لقُلْتُ: إنَّهُ حيٌّ (٥لمْ يَمُتْ٥).

قالَ الخليلُ[٦]: «الْفَنَدُ: إنكارُ العقلِ مِن هَرَمٍ، يُقالُ: شيخٌ مُفْنِدٌ، ولا يقالُ: عجوزٌ مُفْنِدَةٌ؛ لأنَّها لمْ تكُنْ في شَبِيبَتِهَا ذاتَ رأيٍ فَتُفْنِدَ»[٧].

---

(١) القصبة: كل عَظْم ذي مخ، وقيل: كل عظم مستدير أجوف، وكل ما اتخذ من فضة أو غيرها، ينظر: لسان العرب: (ق ص ب).

(٢) سقطت من ط. *خلَعه عليه: أي: أعطاه إياه. ينظر: جمهرة اللغة: (خ ل ع).

(٣) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (١٤٧/١٥-١٤٨)، عن مجاهد بنحوه. وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٣٠)، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ببعضه. والواحدي في «البسيط» (٢٤٠/١٢-٢٤١)، وفي «االوسيط» (٦٣١/٢)، عن أنس بن مالك ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٢٤/٨-٣٢٥)، وعزاه إلى أبي الشيخ عن ابن عباس ببعضه. وفي رواية أخرى (٣٢٥/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ببعضه.

*ذكر ابن عطية في «تفسيره» (١٤٧/٥)، هذه الروايةَ ببعضٍ ما ذكره المصنفُ، وأعقبها بقوله: «وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو بمنزلةِ قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه مِن بُعد، ولو كان من قُمُص الجنة لما كان في ذلك غرابة، ولَوَجَده كلُّ أحد». وأرى -والله أعلم- أنَّه لا يتأتي عقلًا أن يدرج القميص في قصبةٍ ويعلق في عنق، ويحتفظ يوسف عليه السلام بالقميص، مع مرَّ به من أحداث، من إلقائه في الجب، وسجنه، وغير ذلك.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ٣١٨/١. تفسير عبد الرزاق: ٣٢٩/١ (أخرجه عن ابن عباس). تفسير الطبري: (٣٣٦/١٣-٣٣٨) (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة).

(٥ - ٥) سقطت من ط.

(٦) الخليلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرو، أبو عبد الرَّحمن الفَراهِيدي الأَزْدي البصري. النَّحوي اللُّغوي، أولُ مَن استخرج العَروض، وحصر أشعارَ العرب بها. وُلد سنة مئة. وتوفي سنة سبعين ومئة، وقيل: خمس وسبعين ومئة. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثَّقَفي. وأخذ عنه سيبويه، والليث بن نصر. ومن مصنفاته: كتاب «العين» في اللغة، وكتاب «العروض»، وكتاب «الشواهد».

ينظر: أخبار النحويين البصريين: (٢٥، ٣٠-٣١). طبقات النحويين واللُّغويين: (٤٧، ٥١). تاريخ العلماء النحويين: (١٢٣-١٢٤، ١٣١-١٣٢). إنباه الرُّواة: (٣٧٦/١- ٣٧٧، ٣٨١). (٣٤٦/٢، ٣٧٥) (٤٢/٣).

(٧) العين: (ف ن د).

وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ[(١)]﴾ أيْ: قالَ لهُ ولدُ ولدِهِ[(٢)]: واللهِ إنَّكَ لفِي ذَهابِكَ عنِ الصَّوابِ دائمًا[(٣)]، وإنَّما قالُوا لهُ ذلكَ؛ لأنَّهُ كانَ عندَهُم أنَّ يوسفَ -عليهِ[(٤)] السَّلامُ- قد ماتَ، وقدْ أتَى عليهِ السِّنُونَ[(٥)].

قالَ سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: «هذهِ كلمةٌ كبيرةٌ قالُوها لنبيٍّ مِنَ الأنبياءِ -صلواتُ اللهِ عليهِم-، ولمْ يكُن لَّهُم أنْ يقولُوها، إلَّا أنَّهُم قالُوها على جهةِ الاسترحامِ عليهِ -خفَّفَ اللهُ تعالَى عنهُم-»[(٦)].

---

(١) في ط: (﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ﴾).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٣٨ (أخرجه عن السدي). بحر العلوم: ١٧٦/٢. تفسير الثعلبي: ١٥٥/١٥.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ٤٥٠/١١.

(٤) /٣ط/ظ١٨٤/.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٠٤/٢. التفسير الوسيط: ٦٣٣/٢ (عزاه إلى الحسن). تفسير السمعاني: ٦٤/٣. تفسير البغوي: ٢٧٦/٤.

(٦) لم أقف عليه عن سفيان بن عيينة، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٤٢/١٣)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٣٧)، كلاهما عن قتادة بمعناه.

[٩٦-٩٨] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

معناهُ: فلمَّا أنْ[(١)] جاءَ البشيرُ -وهُوَ يَهُوذَا- بالقميصِ؛ ألقاهُ على وجهِهِ فعادَ بصيرًا كمَا كانَ، وذلكَ أنَّ يَهُوذَا[(٢)] قالَ لِيُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-: أنَا ذهَبتُ بالقميصِ -وهُوَ مُلَطَّخٌ بالدمِ- إليهِ، وأنَا اليومَ أذهَبُ بالقميصِ إليهِ، فأنَا أُخبِرُهُ بأنَّكَ[(٣)] حيٌّ، وأُفرِحُهُ كمَا أحزَنتُهُ، فكانَ هُوَ البشيرَ[(٤)].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ معناهُ: قالَ: إِنِّي كنتُ أعلمُ أنَّ يُوسفَ -عليهِ السَّلامُ- حيٌّ، وكنتُم لا تعلمونَ[(٥)].

ويُقالُ[(٦)]: إِنِّي[(٧)] أعلَمُ مِنِ ابتلاءِ اللهِ تعالَى للأنبياءِ -صلواتُ اللهِ عليهِم- بالشدائدِ؛ ليصبرُوا عليها، فيُثيبَهم بما يكشفُ تلكَ الشدائدِ عنهُم ما لا تعلمونَ[(٨)].

وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ معناهُ: قالَ[(٩)] لهُ[(١٠)] بنُوهُ: يا أبانَا ادْعُ اللهَ تعالى أنْ يَغفِرَ لنَا ذنوبَنَا[(١١)].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (يهوذا **كان**).

(٣) في ط: (**بأنه**)، وهو تصحيف.

(٤) من قوله: «وذلك أن يهوذا قال...»، إلى قوله: «فكان هو البشير»، ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٢٩. (أخرجه كلاهما عن السدي). بحر العلوم: ١٧٦/٢.

(٥) في ط: (لا تعلمون **ذلك**). *ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٦/١٣. تأويلات أهل السنة: ٦٠٤/٢. بحر العلوم: ١٧٦/٢.

(٦) في ط: (ويقال: **معناه**).

(٧) في ط: (إني **كنت**).

(٨) ينظر: تفسير الماوردي: ٧٩/٣ (في أحد أقواله في تفسير الآية).

(٩) /ز/و٣٤٣/.

(١٠) سقطت من ط.

(١١) ينظر: البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣١٦.

=

[﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِـِٔينَ﴾](١) معناه: إنَّا كنَّا مُسِيئِينَ بكَ عاصِينَ للهِ تعالَى.

وإنَّمَا سألُوهُ الاستغفارَ بعدَ حصولِ التوبةِ منهُم؛ لأجلِ المظلمةِ المُعلَّقةِ بعفْوِ المظلومِ، ولكنْ سألَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- ربَّهُ أن لَّا يؤاخِذَهُم بما عمِلُوهُ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ رُوِيَ أنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- قالَ لهُم: سوفَ أدعُو لكُم ربِّي ليلةَ الجُمعةِ آخِرَ السَّحَرِ(٣).

=

قد يتبادر إلى الأذهانِ كيف فسَّر المصنف أنَّ القائل في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ ولد ولدِهِ، وفسَّر أن مَن طلب الاستغفارَ هم بنوه، مع أنَّ تسلسلَ القصة ظاهر أنهم طلبوا الاستغفارَ عند رؤية يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للقميصِ، ولم يكن اجتمع بيوسف، وكان بنوه في مصر؟! فأجاب القرطبي عن ذلك -وإن لم يكن أشار للإشكال بمثل ما أشرتُ إليه- بقوله: «قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، في الكلام حذف. والتقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا: يا أبانا، فهذا يدل على أنَّ الذي قال له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ بنو بنيه أو غيرهم من قرابته وأهله، لا ولده؛ فإنهم كانوا غُيَّبًا...». ينظر: تفسير القرطبي: ٤٥٢/١١. ومصادرُ التفسير بعضُها ذكرت احتمالاتٍ في القائلِ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أنهم بنوه، أو بنو بنيه، أو قرابته، وللاستزادة في تنوع الأقوال ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٢/١٣. بحر العلوم: ١٧٦/٢. تفسير الثعلبي: ١٥٥/١٥. تفسير القرطبي: ٤٥٠/١١.

(١) سقطت من الأصل، ز، ط؛ وأثبتها لما يقتضيه السياق.

(٢) في ط: (بما **عاملوه به**). ومن قوله: «وإنَّما سألوه الاستغفار....»، إلى قوله: «أن لا يؤاخذهم بما عملوه»، ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٤/٤.

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن»، (٥٥/٢)، عن ابن عباس بلفظه. وإن كان أهلُ التفسير اختلفوا في وقت الاستغفار على قولين: منهم مَن قال إنه سوَّف الاستغفار لهم يوم الجمعة، ومنهم مَن قال: آخر السحر، فمِن الروايات التي ذكرت أنه أخرهم إلى وقت السحر ما أخرجه الطبري بعدة أسانيد مختلفة في «تفسيره» (٣٤٧/١٣)، عن ابن مسعود مختصرًا. وكذا أخرجه في «تفسيره» (٣٤٧/١٣)، عن إبراهيم التيمي مختصرًا. وكذا في «تفسيره» (٣٤٨/١٣)، عن ابن جريج مختصرًا. والضبي في «الدُّعاء» (٢١٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٤١٠/٥)، والطبري في «تفسيره» (٣٤٧/١٣)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤/٩)، جميعهم عن محارب بن دثار عن عمِّه مطولًا. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٨)، وعزاه إلى أبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني؛ عن عبد الله بن مسعود مختصرًا. وفي رواية أخرى (٣٣٢/٨)، عزاه إلى ابن المنذر، وابن مردويه؛ عن ابن عباس مختصرًا. وفي رواية أخرى (٣٣٢/٨)، عزاه إلى أبي الشيخ، وابن مردويه؛ عن ابن عباس بزيادة في أوله. ومن الروايات التي ذكرت أنه سوَّف الاستغفار إلى يوم الجمعة: ما أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٤٨/١٣)، بإسنادين مختلفين عن ابن عباس بنحوه. والترمذي في «سننه» (٤٥٥/٥-٤٥٦- أبواب الدعوات/باب في دعاء الحفظ)،

=

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الغفورُ[١] لذنوبِ عبادِهِ، الرَّحيمُ بهمْ[٢].

ويُقالُ: إنَّهُم /٢/و٧٣/ لمْ يَلتمِسُوا منهُ أنْ يَستغفِرَ لهُمُ[٣] في الحالِ، وإنَّما التمسُوا منهُ أنْ يَستغفِرَ لهُم على الدَّوامِ، وأنْ يجعلَهُم في وردِهِ في[٤] الدُّعاءِ[٥].

=

عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٣٢/٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ؛ عن ابن عباس بنحوه.

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/١٣.

(٣) /٣ط/و١٨٥/.

(٤) في ط: (ورده **من**).

(٥) من قوله: «وإنَّما التمسُوا منهُ أنْ يستغفرَ لهُم...»، إلى قوله: «في وردِهِ في الدُّعاءِ»، ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٥/٤.

[٩٩-١٠١] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾

رُويَ أنَّ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- كانَ خرجَ مِن مِصْرَ بحَشَمِهِ[١]؛ لاستقبالِ أبيهِ وإخوتِهِ، فاتفقَ لهُم[٢] النزولُ في بعضِ الطُّرُقِ، كمَا يفعلُهُ المُتلقِّي، فدخلَ أبُوهُ وإخوتُه عليه[٣]، ولعلَّ [دخولَهم عليهِ كانَ][٤] في خَيْمةٍ أوْ نحوِها.

وقيلَ: كانَ هُوَ بالعرشِ[٥] مع حاشيتِه، إذ دخَلُوا عليهِ يومَ عاشوراءَ، فذلكَ قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي: ضمَّهُما إلى نفْسِهِ[٦].

قالَ الحَسَنُ -رضيَ اللهُ عنهُ-: «كانوا[٧] أَبَوَيْهِ على الحقيقةِ، وكانتْ أمُّهُ في الأحياءِ»[٨]،

---

(١) الحشم: الخدم. ينظر: لسان العرب (ح ش م).

(٢) في ط: (فاتفق **له**).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٣٥٠)، عن السدي بمعناه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/-٣٥١ ٣٥٠)، عن فرقد السبخي، بمعناه مطولًا.

(٤) في الأصل، ز: (ولعلَّ **كان دخولهم عليه**)، والمثبت من ط، وهو الصواب -والله أعلم-؛ لأنَّ (لعلَّ) من الحروف الناسخة التي تدخل على الجملة الاسمية فقط.

(٥) العرش: سريرُ الملِك. ينظر: لسان العرب: (ع ر ش).

(٦) قوله: «أي: ضمهما إلى نفسه»، ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٠. تأويلات أهل السنة: ٦٠٤/٢.

(٧) في ط: (**كانا** أبويه).

(٨) لم أقف عليه مسندًا عن الحسن، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٣٥٢)، عن ابن إسحاق مختصرًا. وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٤٥)، عن قتادة مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٣٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ؛ عن قتادة مختصرًا. وذكر في «تفسير الحسن البصري» (٤٨/٢)، عنه بمعناه مختصرًا، وكذا ذكره ابن أبي =

وهذا مُقتضَى ظاهرِ الآيةِ(١).

وقالَ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرِينَ -رحِمَهُمُ اللهُ-: أرادَ بأبوَيْهِ أبَاهُ وخالتَهُ؛ لأنَّ أُمَّهُ كانَتْ قدْ ماتَتْ قبلَ ذلكَ(٢).

رُوِيَ أنَّهُ كانَ مَوتُهَا نِفَاسَها مِنْ بنيامينَ(٣)؛ (٤ولأنَّ بنيامينَ٤) بلغةِ العبرانيةِ ابنُ(٥) الوجعِ(٦).

والعربُ تُسمِّي العمَّ أبًا، والخالةَ أمًّا(٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ(٨)﴾، والاستثناءُ في هذا الموضعِ على ما عليهِ عادةُ أهلِ الدِّينِ.

وقولُه تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أيْ: مِنَ العدوِّ والقحطِ والأَسْواءِ(٩) كُلِّها(١٠).

=

زمنين في «تفسيره» (٢/٣٤٠)، والماوردي في «تفسيره» (٣/٨٢)، وعزاه كلاهما إلى الحسن بمعناه مختصرًا. والماوردي في «تفسيره» (٣/٨٢)، عن ابن إسحاق بمعناه مختصرًا.

(١) وهو ما ذهب إليه الطبري كذلك في «تفسيره»، ورجحه، حيث قال: «...ذلك هو الأغلبُ في استعمال الناس، والمتعارف بينهم في (أبوين)، إلا أن يصح ما يُقال من أنَّ أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك، بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها، فيُسلَّم حينئذٍ لها». ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٥٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٥١. تفسير الطبري: ١٣/١٠٠. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٤٥-٣٤٦ (أخرجه الأخيران كلاهما عن السدي، وزاد الطبري رواية عن زيد بن أسلم، وزاد ابن أبي حاتم رواية أخرجها عن وهب بن منبه). بحر العلوم: ٢/١٧٧ (وعزاه إلى مقاتل، ووهب بن منبه، وسفيان الثوري). تفسير الثعلبي: ١٥/١٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٤٦-٣٤٧)، عن وهب بن منبه بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٣٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ؛ عن وهبٍ بزيادة في أوله.

(٤ - ٤) سقطت من ز.

(٥) في ز: (العبرانية **أي**).

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٧٧. تفسير الثعلبي: ١٥/١٦٦. تفسير الرازي: ١٨/٢١٤.

(٧) سقطت من ز. ينظر: تفسير الثعلبي: ٤/١٤٩. تفسير البغوي: ١/١٥٤. تفسير الرازي: ١٨/٢١٤.

(٨) سقطت من ط.

(٩) جمع سُوء، وهي من جموع القلة. والمعنى: الآفات والداء. ينظر: لسان العرب: (س و أ).

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٥٢. البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣٢٤. تفسير الماوردي: ٣/٨١ (عزاه إلى السدي). تفسير الرازي: ١٨/٢١٥.

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ[(١)] -رضيَ اللهُ عنه-: «دخلُوا مِصْرَ وهُم نحوٌ مِنْ سبعينَ إنسانًا، وخَرَجُوا مَعَ مُوسَى -عليهِ السَّلامُ- وهُم سِتُّمئةِ ألفٍ[(٢)] وسبعونَ ألفًا»[(٣)].

وقيلَ في معنى الآيةِ: إنَّهُم دخلُوا على يُوسُفَ بمصرَ[(٤)].

﴿ءَاوَىٰٓ[(٥)] إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أيْ: أعطاهُم المَأوى في منزلِهِ.

[﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾][(٦)] وأرادَ بذلِكَ الاستقرارَ والإقامةَ، أيْ: يُقيمُون[(٧)] فِيهَا آمنينَ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ معناهُ: رفعَهُما معهُ على سريرِه[(٨)].

وقولُه تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أيْ: سجدَ لهُ أبواهُ وإخوتُهُ الأحدَ عَشَرَ [سجودَ][(٩)] [تحيَّةٍ][(١٠)] وتشريفٍ[(١١)]، وكانَ في ذلكَ الزمانِ يَسجُدُ الوضيعُ للشَّريفِ، والصغيرُ للكبيرِ،

---

(١) عبدُ الله بنُ مسعودِ بنِ غافل، أبو عبد الرَّحمن الهُذَلي، حليف بني زهرة. الصَّحابي الجليل. ذو الهجرتين، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة اثنتين وثلاثين. حدَّث عنه أبو بكر، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

ينظر: معرفة الصحابة: (١٧٦٥/٤-١٧٦٧). الاستيعاب: (٩٨٧/٣). أسد الغابة: (٣٨١/٣).

(٢) /٣ط/ظ١٨٥/.

(٣) أخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٣٦٣/١٣)، عن ابن مسعود ببعضه. والطبري في «تفسيره» (٣٦٣/١٣-٣٦٢)، عن عبد الله بن شداد ببعضه. وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٤٥-٣٤٦)، عن الربيع بن أنس ببعضه.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٥١/١٣. بحر العلوم: ١٧٧/٢.

(٥) في الأصل، ز: (فأوى)، وفي ط: (وأوى)، وهو تحريف.

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٧) في الأصل، ز: (أي: **يقيموا**)، وهو خطأ؛ لأنه لا موجب لحذف النونِ من الفعلِ، فالفعل لم يُسبق بناصبٍ ولا بجازم، وكذا هو في ط.

(٨) ينظر: مجاز القرآن: ٣١٩/١. تفسير الطبري: (٣٥٢/١٣-٣٥٤) (أخرجه عن السدي، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وابن عباس، وسفيان). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٠.

(٩) في الأصل، ز: (عشر **سجوده**)، والهاء زائدة لا معنى لها، والمثبت من ط.

(١٠) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(١١) ينظر: العقل وفهم القرآن: ٤٨٢. تفسير الطبري: (٣٥٥/١٣-٣٥٦) (أخرجه عن ابن عباس، وابن إسحاق، وقتادة، وابن جريج، والضحاك، وابن زيد). تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٥١ (أخرجه عن عبد الرحمن بن زيد).

وقد تَّقدَّمَ نسخُ هذا السُّجودِ في سورةِ البقرةِ[١].

وعَنْ[٢] عُمَرَ -رضيَ اللهُ عنهُ-: «أنَّهُ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ الْقُرَى، فَخَرَجَ إليهِ دِهْقانٌ[٣] فسجدَ لَهُ، فقالَ: مَا هذَا؟ فقالَ: هذَا شيءٌ نَصْنَعُهُ للأُمَراءِ والخُلفاءِ، فقالَ: اسجُدْ لربِّكَ الَّذِي خَلَقَكَ»[٤].

ويُقالُ: معنَى هذهِ الآيةِ: أنَّهُم سجدُوا شكرًا للهِ تعالَى على ما أنعمَ عليهِم مِن اجتماعِهِم[٥] بيُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- على أسرِّ الأحوالِ.

فأرادُوا بهذَا السُّجودِ أيضًا تعظيمَهُم ليُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-، كمَا يُقالُ: فلانٌ صلَّى للقِبلةِ، ويُرادُ بهِ الصلاةُ للهِ تعالَى تعظيمًا للقبلةِ[٦].

ويجوزُ أنْ يكونَ معنَى السُّجودِ: المَيَلانُ والانحناءُ، كمَا يُقالُ: سَجَدَتِ النَّخلةُ إذا مالَتْ[٧].

وقولُه تعالَى: ﴿يَـٰأَبَتِ﴾ رُويَ أنَّهُم لمَّا سجَدُوا ليُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- اقشعرَّ جِلدُهُ[٨]، ﴿وَقَالَ يَـٰأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰيَ [٩]مِن قَبْلُ[٩]﴾ أيْ: هذَا السُّجودُ تصديقُ رؤيايَ الَّتِي

---

(١) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ﴾ ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفاء (ت منى الزايدي): ٢٥٨-٢٥٧.

(٢) في ز: (سورة البقرة **أي عن**).

(٣) الدِّهقان (بكسر الدال وضمها): التاجر، فارسي، معرب. ينظر: لسان العرب: (د ه ق).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٣٣/٥)، عن عمر بن محمد بن حاطب ببعضه. والحاكم في «مستدركه» (٨٨/٣)، عن أبي وائل مطولًا. وأورده ابنُ كثير في «مسند الفاروق» (٣٨١/٢)، وعزاه إلى الحاكم أبي عبد الله في «مستدركه» عن أبي وائل مطولًا.

(٥) في ط: (اجتماعهم **مع**).

(٦) من قوله: «ويُقالُ: معنَى هذهِ الآيةِ: أنَّهُم سجَدُوا شكرًا للهِ تعالَى»، إلى قوله: « كمَا يُقالُ: فلانٌ صلَّى للقبلةِ» ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٥/٤.

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤١٦. تفسير الطبري: ٢٤٢/١٤. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): ٢٥٨.

(٨) لم أقف على مَن قال بمثل ما ذكره المصنف، ولعله نقله من كتابٍ مفقود.

(٩ - ٩) سقطت من ط.

رأيتُها مِنْ قبلُ؛ مِنْ سُجودِ الشَّمسِ والقمرِ والكواكبِ الأحدَ عَشَرَ حينَ رأيتُهُم لِي ساجِدينَ(١).

وقولُه تعالى: ﴿قَد جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يُقالُ](٢): إنَّهُم [كانُوا](٣) مأمورِينَ بالسجودِ لهُ مِنْ جهةِ اللهِ تعالَى، كمَا [أُمِرَتِ](٤) الملائكةُ بالسجودِ لآدمَ -عليهِ السَّلامُ-.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَدْ(٥) أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ثناءٌ منهُ على اللهِ عزَّ وجلَّ بإنعامِهِ(٦)؛ إذ خلَّصَهُ مِنَ السِّجنِ، ونجَّاهُ مِنَ(٧) العُبوديَّةِ، وجاءَ بأبِيهِ وإخوتِهِ مِنَ الباديةِ إليهِ(٨).

وقولُه: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أيْ: مِنْ بعدِ أنْ حرَّشَ الشيطانُ بيننَا بالحسدِ(٩).

وفِي إضافتِه إلى الشيطانِ دليلٌ أنَّهُ كانَ خَفَّ على قلبهِ جميعُ ما فعَلَهُ إخوتُه لمكانِهِ(١٠).

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ في تدبيرِ عبادِهِ، وبلُطْفِهِ جمعَ بيننَا على أحسنِ الأحوالِ.

﴿إِنَّهُۥ(١١) هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالحِ العبادِ(١٢)، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِهِم(١٣).

واختلفُوا في المُدةِ الَّتِي كانتْ بينَ رؤيَا يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- وبينَ تصديقِهَا:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٣٥٦-٣٥٧). تفسير الثعلبي: ١٥/١٦٩. البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣٢٤.

(٢) في الأصل، ز: (بيان)، وهو تحريف، والمثبت من ط.

(٣) في الأصل، ز، ط: (إنَّهم **كان**)، وهو خطأ.

(٤) في الأصل، ز: (كما **أمروا**)، وهو خطأ، والمثبت من ط.

(٥) في ز: (قد)، سقطت الواو.

(٦) في ط: (بإنعامه **عليه**).

(٧) /ز /ظ٣٤٣/.

(٨) /٣ط/و١٨٦/.

(٩) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/٨٤. التفسير الوسيط: ٢/٦٣٦ (عزاه كلاهما إلى ابن عباس). تفسير السمعاني: ٣/٦٨.

(١٠) في ط: (إخوته **بمكانه**).

(١١) في ط: (وإنه)، وهو تحريف.

(١٢) سقطت من ط.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٦٤. البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣٢٦.

قالَ سلمانُ[١] -رضيَ اللهُ عنهُ-: «أربعونَ [سنةً][٢]»[٣].

وقالَ الحسنُ[٤] -رضيَ اللهُ عنهُ-: «ثمانونَ سنةً»[٥].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَباسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما-: «اثنانِ وعشرونَ سنةً»[٦].

---

(١) سلمانُ ابنُ الإسلام، أبو عبد الله، فارسي الأصل، وقيل: أصبهاني. الصحابي الجليل، مولى رسول الله ﷺ، شهِد الخندقَ وهي أولُ مشاهده، ولم يتخلفْ عن مشهد بعدها، وهو مَن أشار على ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب. توفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل غير ذلك. روى عنه ابن عباس وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ينظر: معرفة الصحابة لابن منده: ٧٢٦. الاستيعاب: (٦٣٤/٢-٦٣٥، ٦٣٨). أسد الغابة: (٥١٠/٢، ٥١٣-٥١٤).

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هي في المصادر التي أخرجت الرواية.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٩٦/١٧)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٠٨)، والطبري في «تفسيره» بأسانيدَ مختلفةٍ (٣٥٧/١٣-٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٥١-٣٥٢)، والحاكم في «مستدركه» (٤٣٨/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٤/٤)، جميعُهم عن سلمانَ الفارسي بزيادة في أوله. وابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٩٥/١٧)، والطبري بعدة أسانيد مختلفة في «تفسيره» (٣٥٧/١٣-٣٥٩)، كلاهما عن عبد الله بن شداد بزيادة في أوله. والطبري في «تفسيره» (٣٥٨/١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٥/٤)، كلاهما عن عبد الله بن شداد في أثناء الحديث. والطبري في «تفسيره» (٣٥٨/١٣)، عن عبد الله بن شداد مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٤٠/٨)، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب «العقوبات»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سلمان الفارسي بزيادة في أوله. وفي رواية (٣٤١/٨-٣٤٠)، عزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وأبي الشيخ، والبيهقي، عن عبد الله بن شداد في أثناء الحديث.

(٤) البصري.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في موضعين من «مصنفه» (٥٣٦/١٧)، (٩٧/١٩)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (٢٩/١-٢٨)، والطبري بأسانيد مختلفة في «تفسيره» (٣٥٩/١٣-٣٦٠)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) في «تفسيره» (٣٥٣)، جميعهم عن الحسن مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٤١/٨)، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد «الزهد» عن الحسن بزيادة في أوله. وفي رواية أخرى (٣٤١/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه عن الحسن مطولًا.

(٦) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقنديُّ في «تفسيره» (١٧٧/٢)، عن ابن عباس بلفظه.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ (١وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ١)﴾، فمعناهُ قالَ: يا ربِّ أعطيتَني مُلْكَ مِصْرَ(٢) أربعينَ فَرْسَخًا في أربعينَ فرسخًا(٣).

يحتملُ أنَّ(٤) دخولَ (مَنْ) هاهُنَا للتَّبعيضِ، ويحتملُ أنَّهُ للجنسِ(٥)، كمَا في قولِهِ تعالَى: /٢/ظ٧٣/ ﴿فَاجْتَنِبُوا۟(٦) ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٢٨](٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أيْ: تعبيرِ الرُّؤيَا(٨)، وعواقبِ الأمورِ، وتأويلِ كُتبِ الدِّينِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (١٠نَصْبٌ على النداءِ(٩)؛ على معنَى: يا خالقَ السَّماواتِ والأرضِ١٠) ومُنشِئَها(١١) لا على مثالٍ سبقَ.

[﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾](١٢): أنتَ تحفَظُني في الدُّنيا والآخرةِ، وتُغيثُني وتنصُرُني.

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٦٤. بحر العلوم: ٢/١٧٨.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٥٦. الكشاف: ٥٢١. تفسير النسفي: ٢/١١٩. *والفرسخ: مسافة معلومة في الأرض، وهو ما يعادل اليوم خمسة كيلومترات وأربعين جزءًا من الألف (٥,٠٤٠). ينظر: لسان العرب: (ف ر س خ). المقادير الشرعية والأحكام الفقهية: ٢٦٢.

(٤) في ز: (أن **يكون**).

(٥) في ط: (أنه **لتجنيس**).

(٦) في ط: (واجتنبوا)، وهو تحريف.

(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩١. التفسير البسيط: ١٢/٢٥٤ (عزاه إلى الزجاج وأبي بكر ابن الأنباري).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٥٢. تفسير الطبري: ١٣/٣٦٤. بحر العلوم: ٢/١٧٨.

(٩) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩١-٣٩٢.

(١٠ - ١٠) سقطت من ز، ط.

(١١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٦٤.

(١٢) سقطت من النسخ الثلاث، وأثبتت لما يقتضيه السياق.

واللهُ تعالَى يُوصفُ بأنَّهُ وليُّ المؤمنينَ؛ على معنَى: أنَّهُ يتولَّى حفظَهُم وصيانتَهُم، والمؤمنونَ يُوصفونَ بأنَّهم أولياءُ اللهِ (١؛ على معنَى: يتولَّونَ محبتَهُ وطاعَتَهُ.

وقولُه١) تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً﴾ معناهُ: الْطُفْ بي(٢) لطفًا أَثبُتُ بهِ على الإيمانِ إلى أنْ يأتيَنِي(٣) الموتُ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما-: «لم يَتمَنَّ نبيٌّ قطُّ الموتَ إلَّا يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-»(٤). وقدْ أجابَهُ اللهُ تعالى، فقالَ: إنَّهُ لمْ يأنِ لكَ، وسأُلحِقُكَ بآبائِكَ الصالحينَ، فقالَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ-: ربِّ أرنِيهِم، فأراهُ إيَّاهُم في روضةٍ خضراءَ، وجمعَ اللهُ تعالَى عِظامهُم

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (الطف **لي**)، وفعل اللطف يتعدى بالحرفين. ينظر: لسان العرب: (ل ط ف).

(٣) في ط: (إلى أن **يلحقني**).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٦٥/١٣)، وابن أبي حاتم (ت ابن عبيد) بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٣٥٧)، كلاهما عن ابن عباس بمعناه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٣٦٥/١٣-٣٦٦)، عن ابن عباس مطولًا. وكذا أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٦٦/١٣)، عن قتادة مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور»، (٣٤٥/٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية أخرى (٣٤٤/٨)، عزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ من طريق ابن جريج عن ابن عباس مطولًا. وفي رواية (٣٤٥/٨-٣٤٦)، عزاه إلى أحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم عن قتادة مطولًا.

*ذكر ابن عطية تأويلًا آخر عن المهدوي، ورجحه على أن يكون يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تمنى الموت؛ فقال: «ذكر المهدوي تأويلًا آخر -وهو الأقوى عندي- أن ليس في الآية تمني موت، وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده، ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره؛ أي تَوَفَّنِي -إذا حان أجلي- على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين، وإنما تمنى الموافاة على الإسلام، لا الموت». واختاره كذلك القرطبي فقال: «وقيل: إن يوسف لم يتمنَّ الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفني مسلمًا، وهذا قول الجمهور». ينظر: المحرر الوجيز: ١٥٦/٥. تفسير القرطبي: ٤٦٢/١١. وذكر ابنُ كثيرٍ في البداية والنهاية أنه قد يكون من المحتمل أن يكون يوسفُ سأل الوفاةَ على الإسلام منجزًا في صحة منه وسلامةٍ؛ لأن ذلك كان سائغًا في ملتهم وشرعتهم، -واستدل بقول ابن عباس الذي ذكره المصنف- فأما في شريعتنا فقد نُهينا عن الدعاء بالموت إلا عند الفتنة، واستدل بجزء من حديثٍ أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٤٣٨/٥-مسند بني هاشم/مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ)، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((أتاني ربي -عز وجل- في أحسن صورة...، إلى أن قال: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ...)). الشاهد: ((وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ)). ينظر: البدية والنهاية: ٥٠٢/١.

ببيتِ المقدسِ (١ وماتَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- بأرضِ مِصْرَ ١)، وأَلحَقَ أوَّلَهُم بآخِرِهِم؛ فإنَّ يعقوبَ -عليهِ السَّلامُ- ماتَ بِمِصْرَ(٢) ووصَّى عندَ(٣) موتِهِ أنْ يحمِلُوهُ إلى البيتِ المقدَّسِ، وكانَ مدفونًا بِمِصْرَ حتَّى بعثَ اللهُ تعالَى مُوسَى -عليهِ السَّلامُ- فتولَّى إخراجَ عظامِهِ مِنْ مِصْرَ، وحمَلَهُ ودفَنَهُ عندَ قرابتِهِ ببيتِ المَقدِسِ(٤).

ويُقالُ: لمَّا ماتَ العزيزُ، وبقِيتْ زَلِيخَا أرملةً لا زوجَ لهَا؛ رغِبَ الملِكُ ومَن دُونهُ في تزويجِهَا، فأَبَتْ مِن(٥) جميعِهِم.

وقالتْ: أنَا مِن يُوسُفَ على رجاءٍ، وأمرِي كلَّ يومٍ إلى نقصٍ بمعصيَتِي(٦) لإلهِ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ-، وصارَ ليوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- العزُّ والشَّرَفُ والمرتبةُ العظيمةُ بطاعتِهِ لربِّه -عزَّ وجلَّ-؛ فكيفَ لا أقومُ إلى هذا الصَّنمِ المشؤومِ فأجعلُهُ جُذاذًا، وأَلحَقُ بيوسفَ -عليهِ السَّلامُ-، أُسلِمُ(٧) على يديهِ، لعلَّ إلَهَهُ يرحَمُني ويقضي حاجتِي؛ إنَّهُ إلهٌ عظيمٌ.

فقامتْ فكسرتْ(٨) صنمَها، وجاءتْ إلى طريقِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- فوقَفتْ لهُ في يومِ رُكُوبِهِ في مرتبتِهِ، وقامَ النَّاسُ ينظرونَ إليهِ كمَا ينظرونَ إلى هِلالِ شوَّالٍ، فأقبلَ مع الأعلامِ، والرَّاياتُ مكتوبٌ عليهَا: ﴿هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيَ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (بمصر **ونقله يوسف -عليه السَّلام- إلى البيت المقدس، ومات يوسف -عليه السَّلام- بأرض مصر**).

(٣) /٣ط/ظ١٨٦/.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ١٧٨/٢. تفسير الماوردي: ٨٦/٣. تفسير السمعاني: ٦٩/٣. *وهذه من الروايات الواردة عن أهل الكتاب، وقوله: «قد أجابه الله»، تحتاج إلى إثبات؛ لأن قول الله لا يُعلم إلا بالوحي، وكذا قوله: «جمع الله عظامهم في بيت المقدس» هذا من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله؛ وكذا إخراج موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لعظام يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا يعلمُ بحقيقة صحة ذلك إلا اللهُ، فالقول به يحتاج إلى دليل، ولا يوجد دليل صحيح على ما ذكر -والله تعالى أجل وأعلم-.

(٥) في ط: (فأبت **على**)، وفعل (أبى) يتعدل بـ(من)، ويتعدى بـ(على). ينظر: لسان العرب: (أ ب ى).

(٦) في ط: (نقص **وذلك لمعصيتي**).

(٧) في ط: (السلام **وأسلم**).

(٨) في ط: (فقامت **وكسرت**).

فلمَّا صارَ يُوسُفَ بحِذاءِ زَلِيخَا نادتْ: سبحانَ مَن يُعِزُّ العبيدَ ويجعلُهم مُلوكًا بطاعتِهم[(١)] له[(٢)]، ويُذِلُّ المَوالِيَ ويجعلُهُم عبيدًا بمعصيتِهِم[(٣)] لهُ[(٤)]، فلمْ يَسمَعْ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- صوتَهَا، فنادَتْهُ ثانيًا وثالثًا حتَّى سمِعَ كلامَهَا بقُربِ منزلِهِ في المرَّةِ الثَّالثةِ، فقالَ: عليَّ بصاحبِ هذا الكلامِ، فأُدخِلَتْ عليهِ[(٥)].

فقالَ لهَا: مَن أنتِ؟ قالتْ: أمَا تَعرِفُني؟! قالَ: اللهمَّ لَا.

قالتْ: قد أنكرتَني؟

قالَ: أشدَّ الإنكارِ.

قالتْ: يا يوسفُ أنَا مَنْ تبنَّتك[(٦)]، الَّتِي راودَتْكَ عن نفسِكَ، فاستعصمْتَ بإلهِ السَّماءِ، فرفَعَكَ ووضَعَنِي؛ وأعزَّكَ وأذلَّنِي؛ وقوَّاكَ وأضعَفَنِي؛ وأغناكَ وأفقَرنِي، فعلِمتُ أنِّي في باطلٍ وغُرورٍ، فكسَرتُ صنمِي، وجئتُك طائعةً مؤمنةً أقولُ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ؛ لِترحمَنِي، فوقَعتْ رحمتُهَا في قلبهِ، فقالَ: سَلِي حاجتَكِ.

قالتْ لهُ: أتفعلُ[(٧)]؟

قالَ: نعمْ.

قالتْ: لِي ثلاثُ حوائجَ، ثُمَّ قالتْ: يا يوسفُ: قدْ ذهَبَ بَصرِي، فادْعُ اللهَ تعالى أنْ يرُدَّ عليَّ بصرِي لأنظرَ إلى جمالِ وجهِكَ، فدعَا اللهَ سبحانَهُ فردَّ[(٨)] عليهَا بصرَهَا، فأقبلَتْ تنظرُ إلى

---

(١) في ط: (ملوكًا **بطاعته**).

(٢) سقطت من ط.

(٣) في ط: (عبيدًا **بمعصيته**).

(٤) سقطت من ط.

(٥) في ط: (فأدخلت **إليه**).

(٦) هكذا في الأصل، ز: (**منتكا**)، ولعل الصواب هو ما أثبته في المتن، وهو أقرب ما يكون لما هو مكتوب في النسختين. وفي ط: (من **بيتك**)، ولعلَّ المقصود: (أهل بيتك)، فحُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. والمقصود: أهل القرية، وأهل العير.

(٧) /ز/ و٣٤٤/.

(٨) /٣ط/و١٨٧/.

يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- ثمَّ قالتْ: وادْعُ[١] اللهَ تعالَى أنْ يرُدَّ عليَّ بصرِي وجمالِي وحُسنِي وشعرِي، فدعَا اللهَ تعالى فردَّ عليهَا ذلك.

فلمَّا نظرَ يوسفُ -عليهِ السَّلامُ- إليهَا[٢] نكسَ رأسَهُ، وجعلَ ينكُتُ الأرضَ بإصبَعِهِ، ثمَّ قالَ: أمَا تسألِين[٣] الثالثةَ يا رأسَ الفتنةِ؟

قالتْ: تتزوجُ بي حلالًا؟

قالَ لهَا: قُومِي يا رأسَ الخطيَّةِ، هذهِ حاجةٌ ليسَ في نفسِي قضاؤُها.

قالتْ لهُ[٤]: أمَّا أنَا فلَا أقنَطُ مِن رَّحمةِ اللهِ.

فنزلَ جبريلُ -عليهِ السَّلامُ- (٥على يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ-٥) وقالَ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى يأمرُكَ أنْ تتزوَّجَ بِهَا.

فجَعَلتْ تحمَدُ اللهَ وتشكُرُهُ، وتزوَّجَها يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- فلمَّا دخَلَ بِها وجَدَها عذراءَ، فقالَ لهَا يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ-: أليسَ هذا خيرًا[٦] ممَّا كنتِ تُريدينَ؟

قالتْ: بلَى، ولا تلُمْنِي أيَّها المَلِكُ؛ فإنَّ زوجِي كانَ عِنِّينًا لا يأتِي النِّساءَ، ثُمَّ إنَّها ولَدتْ لهُ ابنَينِ، فأقامَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- عندَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- ثمانيَ عَشْرَةَ سنةً، وماتَ قبلَ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- بسنتينِ[٧].

---

(١) في ط: (قالت: **وتدعوا**).

(٢) سقطت من ط.

(٣) في الأصل، ز، ط: (أما **تسألي**)، وهو خطأ، والصواب ما أثبت؛ لأنه لا موجب لحذف النون.

(٤) سقطت من ط.

(٥ – ٥) سقطت من ط.

(٦) في الأصل، ز: (هذا خيرٌ)، وهو خطأ؛ لأنها خبر ليس، وكذا هو في ط.

(٧) لم أقف على الرواية الإسرائيلية، بالإسهاب الذي ذكره المصنف، وذكرتها المصادرُ مختصرة على اختلافٍ بينها. ينظر: بحر العلوم: ١٦٧/٢. تفسير الماوردي: ٥٢/٣. تفسير الكشاف: ٥٢١. تفسير ابن عطية: (١٠٨/٥-١٠٩). تفسير القرطبي: (٣٨٢/١١-٣٨٣) (ذكر روايتين إحداهما عن ابن زيد فيها بعض ما ذكره المصنف، وأخرى عن وهب بن منبه مطولةً فيها كذلك بعض ما ذكره المصنف). تفسير الألوسي: (٤/١٣-٥). وقال ابن عطية في «تفسيره» (١٠٩/٥)، تعقيبًا على الرواية: «وروي في نحو هذا من القصص ما لا يُوقف على صحته، ويطول الكلام بسَوقه». وقال الألوسي كذلك معقبًا في «تفسيره» (٥/١٣): «...وشاع عند القُصَّاص أنها عادت شابة بكرًا إكرامًا له -عليه السَّلام- بعد ما كانت ثيبًا غير شابة، وهذا مما لا أصل له، وخبر تزوجها أيضًا مما لا يُعوَّل عليه عند المحدثين...».

فإنْ قيلَ: إذا كانتْ [رؤيا][١] الأنبياءِ -صلواتُ اللهِ عليهم- صادقةً، فكيفَ يجوزُ أنْ لا يثِقَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- بلقاءِ يوسفَ -عليهِ السَّلامُ- وقدْ عبَّر لهُ الرُّؤيَا الَّتِي رآهَا؟

قيلَ: إنَّ يوسفَ-عليهِ السَّلامُ- رآهَا وهُوَ صبيٌّ، فذكرَ يعقوبُ -عليهِ السَّلامُ- تأويلَهَا على سبيلِ الرَّجاءِ وغالبِ الظنِّ، وقدْ يكونُ حُزنُ الحبيبِ على مفارقةِ حبيبهِ أشدَّ، مع ثقتِهِمَا على الالتقاءِ في الثاني[٢].

/٢/و٧٤/ فإنْ قيلَ: كيفَ جازَ ليُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- أن يكتُمَ خبرَهُ على أبيهِ هذهِ المُدَّةَ الطويلةَ، مع قُربِ المسافةِ؟ وهلْ في العُقوقِ شيءٌ أعظمُ مِنْ ذلكَ؟!

قيلَ: عذرُهُ في ذلكَ واضِحٌ؛ لأنَّهُ وقعَ بِمصْرَ وهُوَ صبيٌّ، وكانَ عبدًا لا يستطيعُ الخروجَ مِنَ الدَّارِ إلَّا بإطلاقِ العزيزِ لهُ ذلكَ، ثُمَّ وقعَ في الحبسِ مدةً كثيرةً، فلمَّا خرجَ احتالَ في الوصولِ إلى خبرِ أبيهِ؛ لأنَّ أباهُ كانَ يسكنُ الباديةَ، ولا يَستقِرُّونَ في بُقعةٍ واحدةٍ، بلْ كانُوا يَتبَعونَ الماءَ والعُشْبَ، ويَنتقِلونَ مِن ماءٍ إلى ماءٍ، وكانَ يعلمُ أنَّ إخوتَهُ لا يُوصِلونَ إليهِ[٣] كتابًا[٤]، فاجتهدَ في تحصيلِهِم كُلِّهِم[٥] عندَهُ على أحسنِ الوجوهِ.

---

(١) في الأصل، ز: (كانت **رؤية**)، والمثبت من ط؛ لأن المعروف في اللغة أن (الرؤية) في اليقظة و(الرؤيا) في النوم. ينظر: لسان العرب: (ر أ ي).

(٢) من قوله: « فإنْ قيلَ: إذا كانتْ رؤيةُ الأنبياءِ -صلواتُ اللهِ عليهم- صادقةً...» إلى قوله: «مفارقةِ حبيبهِ أشدُّ مع ثقتهِمَا على الالتقاءِ في الثاني». ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٥/٤.

(٣) /٣/ط/١٨٧ظ/.

(٤) في ط: (كتابًا **له**).

(٥) في ط: (تحصيلهم **جميعًا**).

[١٠٢] قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

معناهُ: ذلكَ الَّذِي ذكرتُ لكَ يا مُحَمَّدُ؛ مِنْ قصةِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- وإخوتِهِ؛ مِن أخبارِ ما غابَ علمُهُ عنكَ، نُوحِيهِ إليكَ على ألسنةِ الملائكةِ، وما كُنتَ عندَهُم إذْ عَزَمُوا أمرَهُم على إلقاءِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- في الجُبِّ، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بهِ[١]، وكانَ مكْرُهُم إلقاءَهُم إيَّاهُ في البئرِ[٢].

وإجماعُ الأمرِ: العزمُ عليهِ بعدَ [تفرُّقِ الرأيِ][٣]، وقدْ كانُوا مِن قبلُ مفترِقينَ[٤] في الرأيِ، ثُمَّ أجمَعُوا مِن بعدُ، كمَا تقدَّمَ ذكرُهُ في أوَّلِ هذه السُّورةِ[٥].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٣٦٩-٣٧٠). بحر العلوم: ٢/١٧٨. تفسير الثعلبي: ١٥/١٧٦.

(٣) في الأصل، ز: (بعد **تفريق بالرأي**)، والمثبت من ط؛ لأنه الأنسب للسياق.

(٤) في ط: (قبل **متعوقين**)، وهو خطأ.

(٥) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت: زهرة المازني): ٤٠٩.

[١٠٣-١٠٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

معناهُ: وما أكثرُ النَّاسِ بمؤمنينَ بالقرآنِ والرَّسولِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- ولَوْ حرَصتَ يا مُحَمَّدُ على دعائِهِم إلى الإيمانِ[١] وجهَدتَ كُلَّ الجهدِ.

وقولُه تعالَى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: وما تسألُهُم يا مُحَمَّدُ على دُعائِهِم إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- مِن جُعْلٍ[٢]؛ فيصُدَّهُم ذلكَ عنِ[٣] الإيمانِ.

وقولُه تعالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أيْ: ما القرآنُ إلَّا موعظةٌ للعالمينَ[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٠/١٣. بحر العلوم: ١٧٩/٢. تفسير الثعلبي: ١٧٦/١٥. تفسير السمعاني: ٧٠/٣.

(٢) في ط: (جعل **في مالهم**). *الجُعْل: الأجر. ينظر: لسان العرب: (ج ع ل).

ينظر: تفسير الطبري: ٣٧١/١٣. تفسير الثعلبي: ١٧٦/١٥. تفسير السمعاني: ٧٠/٣.

(٣) في ط: (ذلك **من**).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧١/١٣. تفسير الثعلبي: ١٧٧/١٥. تفسير السمعاني: ٧٠/٣.

[١٠٥-١٠٦] قوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن[١] مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ[٢] ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝﴾

معناهُ: وكَمْ[٣] آيةٍ دالَّةٍ على وَحدانيةِ اللهِ تعالَى ممَّا في السَّماواتِ مِنَ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ وغيرِ ذلكَ، وممَّا في الأرضِ مِنَ الأشجارِ والنَّباتِ وجميعِ الحيوانِ، وغيرِ ذلكَ؛ مِن الأشياءِ الظاهرةِ للحواسِّ المُدرَكةِ بالعيانِ، يرونَها ويُشاهِدونَها، ثُمَّ لا يستدِلُّونَ بذلكَ على أنَّ لهَا[٤] مدبِّرًا حكيمًا عالِمًا قادرًا لا يُشْبِهُهُ شيءٌ مِنَ المخلوقاتِ[٥].

ويُقالُ: أرادَ بآياتِ الأرضِ آثارَ عَادٍ وثمودَ وقومِ لُوطٍ وغيرِهم، كانَ[٦] أهلُ مَكَّةَ يمرُّونَ عليهَا في أسفارِهِم، ولا تتحرَّكُ أفئدتُهُم، ولا يتعظُونَ[٧].

وقرأَ السُّديُّ: (وَٱلْأَرْضَ) بالنَّصبِ[٨].

وتُقرأُ: (وَٱلْأَرْضُ) بالرَّفعِ[٩] على الابتداءِ[١٠].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ[١١] إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ[١١]﴾

---

(١) في الأصل، ز: كتبها النساخ: (وكأيٍّ)، بالتنوين، والمعتمد في الآيات الرسم العثماني.

(٢) في ز: (معرضين)، وهو تحريف.

(٣) في ط: (وكم **من**).

(٤) /٣ط/و١٨٨/.

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٥/٤.

(٦) /ز/ظ٣٤٤/.

(٧) في ط: (يتعظون **بهم**). *ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٠٨/٢. التفسير البسيط: ٢٥٩/١٢ (عزاه إلى ابن عباس والكلبي).

(٨) ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٧١. المحتسب لابن جني: ٣٤٩/١. شواذ القراءات: ٢٥٢.

(٩) نسبها ابن خالويه لعبد الله بن عَبَّاس، وعكرمة، ووافقه ابن جني في عكرمة، وزاد عمرَو بن فائد، ووافق الكرماني ابن جني، وزاد ابنَ عمير.

ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٧١. المحتسب لابن جني: ٣٤٩/١. شواذ القراءات: ٢٥٢.

(١٠) ينظر: المحتسب لابن جني: ٣٤٩/١. إعراب القراءات الشواذ: ٧١٨/١.

(١١ - ١١) سقطت من ط.

معناهُ: مَا يُصَدِّقُ أكثرُهُم بلسانهِ[١] باللهِ إلَّا وهُم مشركونَ بهِ غيرَه؛ لأنَّهُم يؤمنونَ مِن وجهٍ، كمَا قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ويُشركونَ مِن وجهٍ، وهُوَ: عبادتُهُم للأصنامِ[٢].

ويُقالُ[٣]: أرادَ بذلكَ تلبيتَهُم للحجِّ، فإنَّهُم كانُوا يقولونَ [٤]في التلبيةِ[٤]: لبيكَ اللهمَّ لبيكَ، لبيكَ[٥] لا شريكَ [لكَ][٦] إلَّا شريكٌ هُوَ لكَ، تَملِكُهُ ومَا مَلَكَ[٧].

وقالَ الحسنُ -رضيَ اللهُ عنهُ-: «المرادُ بهذهِ الآيةِ أهلُ الكتابِ؛ معَهُم إيمانٌ من وجهٍ وشِركٌ مِن وجهٍ»[٨].

وفِي بعضِ الرِّواياتِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَباسٍ -رضيِ اللهُ عنْهُما- أنَّهُ قالَ: «هُمُ المُشَبِّهةُ[٩]؛ آمنُوا باللهِ تعالى فِي الجملةِ، ثُمَّ أشركُوا بِهِ فِي التَّفصيلِ»[١٠].

وفِي الآيةِ بيانُ أنَّهُ يجوزُ أنْ يجتمِعَ فِي الشَّخصِ الواحدِ الإيمانُ والكفرُ مِنْ وجهينِ مختلفينِ، فإنَّ مع اليهوديِّ إيمانًا بِمُوسَى -عليهِ السَّلامُ- وكفرًا بِمُحَمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- كمَا قالَ

(١) في ط: (أكثرهم **بلسانهم**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٣٧٢-٣٧٥) (أخرجه عن ابن عباس -وهو الذي فسر الآية بالآية المذكورة، ولكنه أشار إلى أنَّ المقصود بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ النصارى، ثم ذكر الآية- وعكرمة، ومجاهد، وقتادة). بحر العلوم: ٢/١٧٩ (عزاه إلى ابن عباس). التفسير البسيط: ١٢/٢٦٠ (وعزاه إلى ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، والشعبي).

(٣) في هامش الأصل: (في التلبية).

(٤ - ٤) سقطت من ز.

(٥) سقطت من ط.

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٧) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٧. تفسير الطبري: ١٣/٣٧٦. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٦٩ (أخرجه كلاهما عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وزاد الطبري الضحاك). تفسير الثعلبي: ١٥/١٨١ (عزاه إلى ابن عباس).

(٨)لم أقف عليه مسندًا. وذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/٣٩٥)، والزمخشري في «تفسيره» (٥٣٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/٤٦٧)، كلاهما عن الحسن بنحوه.

(٩) هم صنفان: صنفٌ شبَّهوا ذاتَ الباري بذاتِ غيره، وصنفٌ آخرُ شبَّهوا صفاته بصفاتِ غيرِه، وكلا الصنفينِ مفترقان على أنواع شتى. -للاستزادة-: ينظر: الفَرْق بين الفِرَق: ١٩٨.

(١٠) لم أقف عليه مسندًا. ذكره القرطبي في «تفسيره» (١١/٤٦٧)، عن ابن عباس بنحوه. والزمخشري في «تفسيره» (٥٣٢)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا.

-جلَّ ذِكْرُهُ- حكايةً عنهُم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٤٩] (٢فذكر إيمانًا مِن وَجْهٍ و(١كفرًا ببعضٍ١)، وكذلكَ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾٢) [البقرة:٨٤]، فخاطَبَهُم بالإيمانِ مِن وجهٍ وبالكفرِ مِن وجهٍ آخَرَ، ولا يجوزُ أنْ يجتمعَ للشَّخصِ الواحدِ صفةُ مؤمنٍ وكافرٍ؛ لأنَّ صفةَ مؤمنٍ على الإطلاقِ صفةُ مدحٍ تقتضِي استحقاقَ الثَّوابِ، وصفةَ كافرٍ على الإطلاقِ صفةُ ذمٍّ تقتضِي استحقاقَ العقابِ، ويَتنافَى استحقاقُ الصفتينِ معًا على الإطلاقِ في[3] حالةٍ واحدةٍ[4]، فإذَا أقرَّ[5] اليهوديُّ بأنَّ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- (٧مِنْ عندِ اللهِ تعالَى حقٌّ، وأقرَّ بأنَّ مُحَمَّدًا[6] -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ٧)- رسولُ اللهِ إلى جميعِ[8] الخلقِ، وقالَ: دخلتُ في دينِ مُحَمَّدٍ، فقدْ أتَى بما يقتضِي الإيمانَ على الإطلاقِ، وكانَ مؤمنًا.

فإذَا قالَ: مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ، ولمْ يزدْ على هذهِ المقالةِ /٢/ظ٧٤/؛ نُظِر!

فإن لَمْ يكُنْ في دينِ[9] اليهوديّ قَبلَ هذهِ المقالةِ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- رسولٌ[10] إلى العربِ؛ صارَ مؤمنًا بهذَا القولِ؛ لأنَّهُ ليسَ في لفظِهِ إلَّا ما يدلُّ على الإسلامِ.

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢ - ٢) سقطت من ز.

(٣) في ط: (الإطلاق **على**).

(٤) من قوله: «وقالَ الحسنُ -رضيَ اللهُ عنهُ-: «المرادُ بهذهِ الآيةِ أهلُ الكتابِ معَهُم...»، إلى قوله: «ويتنافَى استحقاقُ الصفتينِ معًا على الإطلاقِ في حالة واحدة». ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/٣٩٥-٣٩٦). وأشار المصنف إلى أنَّ هذا قولُ محمد بن الحسن في «السير الكبير»، ولم أقف عليه في كتاب «شرح السير الكبير».

(٥) في الأصل، ز: (أقرَّ **به**)، ويبدو أنها مقحمة؛ لأنه ذكر بعد ذلك: (بأن ما جاء به...)، وكذا هو في ط.

(٦) في الأصل، ز، ط: (بأنَّ **محمد**)، وهو خطأ، فحقُّ الاسم النَّصبِ؛ لأنه اسم إنَّ.

(٧ - ٧) سقطت من ط.

(٨) /ط٣/ظ١٨٨/.

(٩) في ط: (دين **هذا**).

(١٠) سقطت من ط.

فإنْ كانَ في دينِ[١] اليهوديِّ قَبلَ هذهِ المقالةِ: أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- رسولٌ[٢] إلى العربِ؛ لمْ يكُنْ قولُه: مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ [٣]دليلًا على الإسلامِ؛ لأنَّا إذا استَفْسَرْنَاهُ قالَ: هُوَ رسولُ اللهِ[٣] إليكُم.

هكذَا ذكرَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ -رضيَ اللهُ عنهُ- هذا التفصيلَ في السِّيَرِ الكبيرِ.

وقالَ[٤]: إنَّما يُؤخَذُ في هذا بالدليلِ؛ فإن لَّم يكُن ذلكَ الإسلامَ بعينِهِ؛ فإنْ ماتَ بعدَ أنْ يقولَ شيئًا مما يدلُّ على الإسلامِ صُلِّيَ عليهِ واسْتُغفِرَ لهُ، واللهُ أعلمُ[٥].

---

(١) في ط: (دين **هذا**).

(٢) سقطت من ط.

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) أي: محمد بن الحسن.

(٥) من قوله: «فإذَا أقرَّ اليهوديُّ بأنَّ ما جاءَ بهِ مُحَمَّدٌ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-»، إلى قوله: «دليلًا على الإسلامِ؛ لأنَّا إذا استفسرْنَاهُ قالَ: هُوَ رسولُ اللهِ إليكُم». ينظر: شرح السير الكبير (بمعناه): ١٠٦-١٠٩.

[١٠٧] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾

معناهُ: أوَأَمِنَ الكفارُ أنْ يَغشاهُم العذابُ مِنَ اللهِ -عزَّ وجلَّ-، أوْ تأتيَهُم القيامةُ فجأةً ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بنزولِ العذابِ[١].

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٥٣/٢. تفسير الطبري: ٣٧٧/١٣. التفسير الوسيط: ٦٣٧/٢.

[١٠٨] قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

معناهُ: قلْ يا مُحَمَّدُ: هذهِ دينِي[١]، وإنَّما قالَ: (هذِهِ) لأنَّ السبيلَ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ[٢].

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ معناهُ: أدعُو إلى اللهِ على معرفةٍ منِّي باللهِ تعالَى[٣].

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ معناهُ: أنَا ومَنِ اتَّبعَنِي ندعُو إلى اللهِ[٤] -عزَّ وجلَّ-[٥].

ويجوزُ أنْ يكونَ قولُه تعالى: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كلامًا تامًّا، ويكونُ قولُه: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ابتداءُ كلامٍ بعدَهُ، كأنَّهُ قالَ -عزَّ وجلَّ-: قُلْ: أنَا على بصيرةٍ، ومَنِ اتبعنِي على دينِي[٦] على بصيرةٍ[٧].

وقولُه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ كلمةُ تنزيهٍ للهِ تعالَى[٨].

وقولُه[٩] تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أيْ: لستُ معهُم على دينِهِم[١٠].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٥٣/٢. تفسير الطبري: ٣٧٨/١٣. بحر العلوم: ١٧٩/٢.

(٢) ينظر: لغات القرآن: ٥٩. إصلاح المنطق: ٣٦١. تفسير الطبري: (٢٧٦/٩)، (١٧٧/١٤).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٥٣/٢. تفسير الطبري: ٣٧٨/١٣.

(٤) في ط: (إلى الله **على بصيرة تعالى**)، و(**تعالى**)، زائدة لا معنى لها.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٥٣/٢. تفسير الطبري: ٣٧٨/١٣. تفسير الثعلبي: (١٨٦/١٥-١٨٧).

(٦) في ط: (قل: أنا على بصيرة ومن اتبعني على ديني، **أنا ومن اتبعني على ديني**)، مكررة.

(٧) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: (٧٢٨/٢-٧٢٩).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٥٣/٢. تفسير الطبري: ٣٧٨/١٣. بحر العلوم: ١٧٩/٢.

(٩) /٣ط/و١٨٩/.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/١٣. بحر العلوم: ١٧٩/٢.

[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ[١] الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

معناهُ: وما أرسَلْنَا مِنْ قبلِكَ يا مُحَمَّدُ الرُّسُلَ إلَّا رجالًا منسُوبِينَ إلى أهلِ القُرَى، مِثْلَكَ، يُوحَى[٢] إليهِم[٣]، كما يُوحَى إليكَ.

قالَ الحَسَنُ[٤] -رضيَ اللهُ عنه-: «لم يُرسِلِ اللهُ تعالَى إلى النَّاسِ امرأةً، ولَا أرسلَ إليهِم رسُولًا مِنْ أهلِ الباديةِ»[٥]؛ وذلكَ أنَّ أهْلَ الأمصارِ يكونُونَ أثبَتَ عقولًا[٦] وأشدَّ أحلامًا[٧] منهُم[٨].

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ معناهُ: أفلمْ [يَسِرْ][٩] أهلُ مَكَّةَ في الأرضِ، فيرَوا آثارَ دِيارِ[١٠] ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الكُفَّارِ، فيخافُوا أنْ يَنزِلَ بِهم مِنْ عذابِ اللهِ تعالى

---

(١) في الأصل: (والدار)، وهو تحريف.

(٢) /ز/و٣٤٥/.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/١٣. تفسير الثعلبي: ١٨٨/١٥.

(٤) البصري.

(٥) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣٩٦/٤)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣٤٢/٢)، وابن فُورك في «تفسيره» (ت سهيمة بخاري) (٥٩)، والماوردي في «تفسيره» (٨٨/٣)، والواحدي في «تفسيره البسيط» (٢٦٤/١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٢٨٥/٤)، وابن عطية في «تفسيره» (١٦١/٥)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٢٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٤٧٠/١١)، وأبو حيان في «تفسيره» (٣٤٦/٥)، جميعهم عن الحسن البصري ببعضه.

(٦) في ط: (عقولًا **من أهل البادية**).

(٧) في ز: (وأشد **إحلالًا**).

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/١٣. تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٧٦ (أخرجه كلاهما عن قتادة). أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٦/٤. تفسير الثعلبي: ١٨٨/١٥.

(٩) في الأصل: (أفلم **يسير**)، وفي ز: (أفلم **يسيروا**)، وكلاهما خطأ، والمثبت من ط؛ لأنه فعل مضارع مسبوق بلم الجازمة.

(١٠) في ز: (**أدبار**)، وهو تحريف.

مِثلُ[١] ما نزلَ بأولئكَ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[٣] يعنِي: الجنةَ[٤].

﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ الكفرَ، والشِّركَ[٥]، والفَواحِشَ.

وأضافَ الدَّارَ للآخرة على سبيلِ إضافةِ الشيءِ إلى نفسهِ، كمَا يقالُ: بارحةُ الأُولى، وبارِحُهُ[٦]، وعامُ الأوَّلِ، ويومُ الجُمُعةِ[٧].

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ معناهُ: أفليسَ لهُم ذِهْنٌ إنسانيةٌ[٨] أنَّ الآخرةَ الباقيةَ خيرٌ مِنَ الدُّنَيا الفانيةِ[٩].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/١٣. التفسير البسيط: ٢٦٤/١٢. التفسير الوسيط: ٦٣٨/٢.

(٣) في ط: ﴿ٱلۡأٓخِرَه خَيۡرٞ﴾.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (ت ابن عبيد): ٣٧٧ (أخرجه عن عكرمة). بحر العلوم: ١٧٩/٢. التفسير الوسيط: ٦٣٨/٢.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ١٧٩/٢. زاد المسير: ٧٢٢.

(٦) سقطت من ط.

(٧) حسب المذهب الكوفي. ينظر: معاني القرآن للفراء: (٥٥/٢-٥٦). تفسير الطبري: (٣٨٢/١٣-٣٨١). الإنصاف: ٣٥٢. بخلاف المذهب البصري الذي رأى أنَّ إضافة الشيء إلى نفسه محال. ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٤٧/٢. إسفار الفصيح: ٢١٥/١. الإنصاف: ٣٥٣.

(٨) في ط: (ذهن **الإنسانية**). *ينظر: بحر العلوم: ١٣١/١. تفسير الثعلبي: ٤٠٢/٣. التفسير البسيط: ٨٤/٣.

(٩) ينظر: بحر العلوم: ١٧٩/٢.

[١١٠] قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

قيلَ: إنَّ (حَتَّىٰ) هَاهُنَا[١] غايةٌ[٢]، لفعلٍ مُضمَرٍ قبلَهُ، والسِّينُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾ زائدةٌ؛ لتكثيرِ الحروفِ[٣].

المعنَى: تُرِكُوا في غَوايتِهِم، حتَّى إذا أيأس الرُّسُلُ عنْ إجابةِ الأممِ، وأيقَنُوا أنَّ القومَ قد كذَّبُوهُم تكذيبًا لا يرجعونَ عنهُ ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ بإهلاكِ قومِهم[٤]، هذا معنَى مَن قرأَ بالتشديدِ في قولِه تعالى: ﴿قَدۡ كُذِّبُواْ﴾[٥].

وأمَّا مَنْ قرأَ: (كُذِبُواْ) مخففةً[٦] فمعناهُ: حتَّى إذا أيأسَ[٧] الرُّسلُ عن إيمانِ المرسلينَ إليهِم، [وظنَّ المُرْسَلُ إليهِمْ][٨] أنَّ الرُّسلَ قد كَذَبُوهُم فيما أوْعَدُوهُم[٩].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: البرهان للحوفي (ت إبراهيم عناني): ٣٣٩. *قال أبو حيان: «ليس في اللفظِ ما يكون له غاية...». ينظر: البحر المحيط: ٥/٣٤٧.

(٣) الحروف الزائدة عند الكوفيين يسمونها بـ(الصلة). ينظر: المصطلح الكوفي: ٣٨-٣٩. *ينظر: الكشاف: (٥١٤، ٥٢٦).

(٤) وجه المصنف قراءة التشديد على معنى العلم واليقين.

*ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٣٩٦-٣٩٨) (أخرجه عن قتادة). إعراب القراءات السبع: ١/٣١٧. الحجة في القراءات السَّبع: ١٩٩.

(٥) قرأ بالتشديدِ: نافع، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ.

ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥١. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٠.

(٦) سقطت من ز. وقرأ بالتَّخفيف: عاصمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٣. التبصرة في القراءاتِ السَّبع: ٥٥٠.

(٧) في ط: (إذا **استيأس**).

(٨) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق؛ لوجود (أن)، و(أن) لا تأتي في صدارة الكلام.

(٩) في ط: (أوعدوهم **من العذاب**). *ينظر: تفسير سعيد بن منصور: (٥/٤١٢-٤١٣) (أخرجه عن ابن عباس وسعيد بن جبير). تفسير الطبري: (١٣/٣٨٣-٣٨٩) (أخرجه عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٤. ووجه التخفيف وتوجيهه هو ما اختاره الطبري؛ فقال: «وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة؛ لأن ذلك عقيب قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ...﴾. فكان ذلك دليلًا على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أُهلكوا...». ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٩٢.

ويُقالُ[١]: ظنُّوا أنَّ الرُّسُلَ قدِ [أُخلِفُوا][٢] فيما أَوعَدُوهُم بهِ مِنَ العذابِ.

وذهبَ بعضُهم -رحِمَهُمُ اللهُ- إلى أنَّ معنَى هذهِ القراءةِ[٣]: وظنَّ الرُّسُل أنَّهم قدْ [أُخْلِفُوا][٤] فيما وُعِدُوا[٥].

وهذا بعيدٌ من صفةِ الرُّسُلِ، ومعاذَ اللهِ أنْ تظُنَّ الرُّسلُ هذا بربِّها[٦].

وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿فَنُجِيَ مَن نَّشَآءُ﴾

مَنْ[٧] قرأَ: بنونٍ واحدةٍ بإسكانِ الياءِ[٨]، كانَ المعْنَى: فنُجِّيَ مَنْ نشاءُ؛ إلَّا أنَّهُ أدغمَتْ إحدَى النُّونينِ في الأُخْرَى[٩].

---

(١) /٣ط/ظ١٨٩/.

(٢) في الأصل، ز، ط: (قد **اختلفوا**)، ولعلَّ الصواب ما أثبته؛ لأن الاختلاف لا معنى له هنا.

(٣) أي: قراءةُ التَّخفيف.

(٤) في الأصل، ز، ط: (قد **اختلفوا**)، وهو خطأ؛ لأنَّ نقيض إنجاز الوعد إخلافه، وكذا هو في المرجع.

(٥) هو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير.

ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤١٠-٤١٢. تفسير الطبري: (١٣/٣٩٣-٣٩٤) (أخرجه عن ابن عباس وسعيد بن جبير). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٤.

(٦) قوله: «وهذا بعيدٌ من صفة الرُّسل»، هو قول الزجاج في «معاني القرآن»، فقد استبعد أن يكون هذا المعنى المراد بالآية. وقوله: «مَعَاذَ الله أن تظنَّ هذا الرسلُ بربها»، هو قول عائشة -رضي الله عنها-، لأنها أنكرت أن يكون هذا معنى الآية على قراءة التخفيفِ، وكذا لم يختَرْه الطبري، بل رجَّح القولَ الأول وهو: «حتَّى إذا أيأسَ الرُّسلُ عن إيمانِ المرسلينَ إليهِم وظنَّ المُرْسَلُ إليهمْ أنَّ الرُّسلَ قد كَذَبُوهُم فيما أوْعَدُوهُم»، وقال الطبري بعد ذكره لقول ابن عباس وسعيد بن جبير: «وهذا تأويلٌ، وقولُ غيرِهِ من أهل التأويل أولى عندي بالصواب...».

ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٣٩٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) بنصه: ٣٩٥. وقول عائشة -رضي الله عنها- أخرجه البخاري بإسنادين مختلفين في «صحيحه» (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿۞لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]/ح٣٣٨٩)، (كتاب تفسير القرآن/باب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]/ح٤٦٩٥)، عن عائشة -رضي الله عنها- مطولًا).

(٧) في الأصل (ومن)، ويبدو أن الواو مقحمة، والمثبت من: ز، ط، من غير الواو.

(٨) ذكرها الزجاج و السمرقندي من غيرِ نسبة، ونسبها الكرماني للجحدري، وابن سعدان عن المسيبي، وأُبي.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٥. بحر العلوم: ٢/١٨٠. شواذ القراءات: ٢٥٣.

(٩) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٥. بحر العلوم: ٢/١٨٠.

ومَن قرأَ: بنونٍ واحدةٍ بفتحِ الياءِ[١]، فعلَى فِعْلِ مَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ[٢].

وتُقرأُ: بنونينِ[٣] ﴿فَنُنْجِي﴾ على الاستقبالِ[٤].

والمرادُ بمَنْ يشاءُ: الرسلُ ومَنْ آمنَ مِنهُم بِهم.

وقولُه: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معناهُ: ولا يُردُّ عذابُنَا عنِ القومِ الكافرينَ[٥].

(١) ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ.

ينظر: السبعة في القراءات:٣٥٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٤. التبصرة في القراءات: ٥٥٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٦. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣١٧/١. الحجة في القراءات السَّبع: ١٩٩.

(٣) ابنُ كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزةُ، والكِسائيُّ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٤. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٥. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣١٧/١. الحجة في القراءات السبع: ١٩٩.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤٠١/١٣. بحر العلوم: ١٨٠/٢. تفسير السمعاني: (٧٣/٣-٧٤).

[١١١] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾

معناهُ: لقدْ كانَ في قصصِ مَنْ تقدَّمَ مِنَ الأنبياءِ -صلواتُ اللهِ /٢/و٧٥/ عليهِم- عبرةٌ[١] لِمَنْ أرادَ أنْ يَعتبِرَ فيصبرَ في[٢] البلايَا والمِحَنِ، كمَا صبَرَ يَعْقُوبُ وَيُوسُفُ -عليهِمَا السَّلامُ- حتَّى ختمَ اللهُ تعالى لهُمَا بالمُلْكِ[٣] والعلومِ والسُّلطانِ والفَرَجِ مِنَ الأحزانِ، ولا يحسُدُ أحدًا كمَا حسَدَ إخوةُ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ[٤]- فلمْ يُغْنِ[٥] عنهُم كيدُهُم شيئًا.

وفيمَا لقِيَ يُوسُفُ -عليهِ السَّلامُ- مِنْ إخوتِهِ الَّذينَ [٦]كانُوا هُم[٦] أَولَى النَّاسِ بالشفقةِ عليهِ والذَّبِّ عنهُ، تسليةً للنَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- فيمَا لقِيَ مِنْ أهلِ مَكَّةَ.

وفِي دعاءِ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- أهلَ السِّجنِ إلى عبادةِ اللهِ تعالى وتوحيدِهِ، وهُوَ فِي السجنِ؛ تحريضٌ للنَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- ولجماعةِ المسلمينَ -رحِمَهُمُ اللهُ- على أنْ يفعلُوا مثلَ مَا فعلَهُ.

وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ﴾ فمعناهُ: ما كانَ القرآنُ حديثًا يُختَلَقُ، ولكِنْ كانَ تصديقًا للكتُبِ [الَّتِي][٧] بينَ يديهِ؛ مِنَ التَّوراةِ والإنجيلِ، وغيرِهِمَا[٨].

---

(١) في ط: (**عبرة** لذوي العقولِ مِنَ النَّاسِ، ويُقالُ: إنَّ قصةَ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- وإخوتِهِ عبرةٌ).

(٢) في ز: (فيصبر **على**).

(٣) من قوله: «ويُقالُ: إنَّ قصةَ يُوسُفَ -عليهِ السَّلامُ- وإخوتِهِ عبرةٌ...»، إلى قوله: «حتَّى ختمَ اللهُ تعالى لهُمَا بالمُلْكِ». ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٠١. تفسير الماوردي: ٣/٩٠.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٠.

(٥) في الأصل، ز: (فلم **يغني**) بالياء، وهو خطأ؛ لأن حقَّ الفعل حذف الياء لسبقه بـ(لم) الجازمة، وكذا هو في ط.

(٦ - ٦) في ط: (هم كانوا)، تقديم وتأخير.

(٧) في الأصل، ز: (للكتب **الذي**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ جمع غير العاقل يُعامَل معاملة المفرد المؤنث.

(٨) /٣ط/و١٩٠/. *ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٤٠٣-٤٠٤) (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢/١٨٠. التفسير الوسيط: ٢/٦٣٩.

ومَنْ قرأَ: (تَصْدِيقُ) بالرفعِ[١] فعلَى إضمارِ: هُوَ[٢]، ونظيرُ هذا في النَّصبِ والرَّفعِ قولُه تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، تُقرأُ: (رَّسُولَ) [٣]بالرفعِ والنَّصبِ[٣]، كذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عطفٌ عليهِ؛ بنصبِ الميمِ ورفعِها[٤] كمَا في هذهِ الآيةِ.

وأمَّا قولهُ تعالَى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فمعناهُ: وتبيانُ كُلِّ شيءٍ يحتاجُ الناسُ إليهِ في دينِهم، ودلالةٌ ونجاةٌ مِنَ العذابِ[٥].

﴿لِّقَوْمٍ﴾ يُصَدِّقُونَ بمُحَمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- والقرآنِ[٦].

وعنْ أُبيِّ بنِ كَعْبٍ[٧] -رضيَ اللهُ عنهُ- عن رَّسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- أنَّهُ قالَ: ((عَلِّمُوا أرِقَّاءَكُم سُورَةَ يُوسُفَ -عَليهِ السَّلامُ- فأيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَهَا[٨] وعلَّمَهَا أهْلَهُ أَوْ ما ملكتْ يمينُهُ؛ هوَّنَ اللهُ تعالَى عَليهِ سَكَراتِ الموتِ، وأعطاهُ مِنَ القوَّةِ أن لَّا يَحسُدَ مُسْلِمًا))[٩].

---

(١) نسب ابنُ خالويه قراءةَ الرَّفعِ لعيسى بن عُمر، وكذلك نسبها ابنُ جني، وزاد الكرماني أنها قراءةُ عِمرانُ بن عثمان؛ أبي البرهسم.

ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٧٠. المحتسب لابن جني: ١/٣٥٠. شواذ القراءات: ٢٥٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٦. إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٤٨. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٦٥٨ (ذكرها الأخيرانِ تجويزًا، ولم يذكراها على أنها قراءة).

(٣ - ٣) في ط: (بالنصب والرفع)، تقديم وتأخير. *ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: (٢/٥٧-٥٦). المحتسب لابن جنّي: ١/٣٥٠.

(٤) في ط: (الميم **ورفعهما**)، وهو تصحيف.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٠٤. تأويلات أهل السنة: ٢/٦١١. تفسير الثعلبي: ١٥/١٩٦.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٤٠٤. بحر العلوم: ٢/١٨٠. التفسير البسيط: ١٢/٢٧٦.

(٧) أُبَيُّ بنُ كعبِ بنِ قيس، أبو المُنذر الأنصاري الخزرجي، وقيل: أبو الطُّفيل. الصحابي الجليل. القارئ، سيد المسلمين علمًا وقرآنًا وفقهًا، شهد بدرًا والعقبة، وهو أحدُ كَتَبَة الوحي. توفي سنة اثنتين وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، وقيل غير ذلك. روى عن عُبادة بن الصَّامت، وابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ينظر: معرفة الصحابة: ١/٢١٤. الاستيعاب: (١/٦٦-٦٥، ٦٨-٧٠). أسد الغابة: (١/١٦٨-١٦٩، ١٧١).

(٨) /ز/ظ٣٤٥/، وفي ط: (قرأها **أو**).

(٩) أخرجه الثعلبي في ((تفسيره)) (١٤/٤٧٩-٤٨٠)، والواحدي في ((الوسيط)) (٢/٥٩٩)، كلاهما عن أبي بن كعب بنحوه. وأورده ابن كثير في ((تفسيره)) (٤/٣٦٥)، وعزاه إلى الثعلبي وغيره عن أبي بن كعب بنحوه.

سُورَة الرَّعْدِ

مكِّيَّةٌ عندَ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما[(١)]- غيرَ آيتينِ؛ قولُهُ تعالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم[(٢)] بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ[(٢)]﴾ [الرعد:٣٢]، وقولُهُ تعالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد:٤٤] إلى[(٣)] آخرِ السُّورةِ[(٤)].

قالَ مُقَاتِلٌ[(٥)]: «هِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا [الآيَةَ][(٦)] الَّتِي فِي آخرِ السُّورةِ»[(٧)].

كأنَّهُ ذهبَ إلى أنَّ قولَهُ تعالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: ٣٢]، إخبارٌ مِنَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- عنْ هذَا الأمرِ قبلَ وقُوعِهِ.

---

(١) في الأصل: (عنهما **أنه**)، زائدة لا معنى لها.

(٢ - ٢) سقطت من ط.

(٣) في ط: (**في** آخر).

(٤) أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٨/٢)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٥٩/٨)، وعزاه إلى النحاس في «ناسخه ومنسوخه» عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» (٧٢٤)، عن ابن عباس من رواية أبي صالح عنه بنحوه.

ورجح النحاس أنَّ السورة مكية، وعلَّل بأنَّ ذلك هو المتعارَف. ينظر: الناسخ والمنسوخ: ٤٧٩/٢.

(٥) مُقاتِلُ بنُ سليمان بن بشير الأزدي، أبو الحسن البَلْخي الخُراساني. صاحب التفسير، متهم متروك الحديث. من المشبِّهة. توفي سنة خمسين ومئة. روى عن الضَّحاك بن مُزاحِم، وسعيد المَقْبُري. وروى عنه شبابة بنُ سَوَّار، وحمزةُ بن زياد الطوسي.

ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٣٥٤/٨-٣٥٥). تاريخ بغداد: (٢٠٧/١٥، ٢١١-٢١٢، ٢١٩). تهذيب الكمال: (٤٣٤/٢٨-٤٣٥، ٤٤٢-٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٠).

(٦) في الأصل، ز: (إلا **آية**)، والمثبت من ط؛ لأن (الآية) منعوتة بالاسم الموصول، والنعتُ يتبعُ منعوتَه في التعريف والتنكير.

(٧) لم أقف عليه مسندًا عن مقاتل، ولا باللفظ الذي ذكره الغزنوي، وذكر الماورديُّ في «تفسيره» (٩١/٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٥/١٢)، وأبو حيان في «تفسيره» (٣٥٣/٥)، عن مقاتل والكلبي؛ أنها مدنية.

وقالَ قَتَادَةُ(١)-رحِمَهُ اللهُ-: «هِيَ كُلُّهَا مَدَنِيَّةٌ»(٢).

وأمَّا عددُ آيِ هذهِ السُّورةِ فهيَ(٣) ثلاثٌ وأربعونَ آيةً عندَ الكوفيينَ، وأربعٌ عندَ الحجازيينَ، وخمسٌ عندَ البصْريينَ، وسبْعٌ عندَ الشَّاميينَ(٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١﴾

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما-: «معنَى ﴿الٓمٓرۚ﴾: أنَا اللهُ أعْلَمُ وأَرَى» (٥).

وقولُه تعالَى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ أيْ: هذهِ آياتُ الكتابِ(٦).

---

(١) قَتادةُ بنُ دِعامةَ بنِ قتادة، وقيل: ابن دِعامة بن عُكابة، أبو الخَطَّاب السَّدُوسي البصري. التابعي الثقة الثبت. الأعمى الأكمه المُفسِّر. وُلِد سنة ستين، وقيل: إحدى وستين. ومات سنة سبع عشرة ومئة، وقيل: ثماني عشرة ومئة. روى عن أنس بن مالك، وأبي الطُّفَيل الليثي. وروى عنه شعبةُ بن الحَجَّاج، وسعيدُ بنُ أبي عَرُوبة.

ينظر: التاريخ الكبير: (١٨٥/٧-١٨٦). تهذيب الكمال: (٤٩٨/٢٣-٥٠٠، ٥٠٣-٥٠٥، ٥٠٩،٥١٦، ٥١٦-٥٧١). تقريب التهذيب: ٤٥٣.

(٢) لم أقفْ على مَن أخرج عن قتادةَ أنه قال: «هِيَ كُلُّهَا مَدَنِيَّةٌ»، ولكن أخرج النحاسُ في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٨/٢)، عن قتادة أن السورةَ مدنيةٌ إلا قولَه تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾. وكذا أورده السيوطيُّ في «الدر المنثور» (٣٥٩/٨)، وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة؛ أن السورة مدنية إلا قولَه تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾. وذكر أبو حيان في «تفسيره» (٣٥٣/٥)، أن مَن حكى القولَ بمدنية السورة كلها: القاضي منذرُ بنُ سعد البَلُّوطي، ومكيُّ بن أبي طالب.

(٣) في ط: (السورة **فهو**).

(٤) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن: ١٦٩. حُسْنُ المدد في فنِّ العَدَد: ٧٨. القول الوجيز: ٢١٢.

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١٨١/٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠١/١٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢٩١/٤)، وابن عطية في «تفسيره» (١٦٨/٥)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٢٤)، والخازن في «تفسيره» (٣/٣)، جميعُهم عن ابن عباس بلفظه. وأخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٤٠٥/١٣-٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢١٥/٧)، كلاهما عن ابن عباس بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٦٠/٨)، وعزاه إلى ابن جرير وأبي الشيخ عن ابن عباس بنحوه.

(٦) في ط: (آيات **القرآن**). *ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦١٣/٢. بحر العلوم: ١٨٢/٢. تفسير الثعلبي: ٢٠٢/١٥ (عزاه كلاهما إلى ابن عباس).

وقولُه تعالَى: ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن[١] رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ هُوَ القرآنُ أيضًا[٢].

قالُوا: وإنَّما عادَ[٣] ذكرُ القرآنِ؛ لأنَّهُ[٤] سبحانَهُ وَصَفَ القرآنَ بصفتينِ:

أحدُهُما: أنَّهُ كتابٌ، والأُخْرَى: أنَّهُ منزلٌ.

وهذَا كمَا قالَ الشَّاعرُ[٥]:

إلى الْمَلِكِ القَرْمِ[٦] وابْنِ الْهُمَامِ ... ولَيْثِ الْكتِيبَةِ[٧] فِي الْمُزْدَحَمْ[٨]

وهذَا كُلُّهُ صفةٌ لواحدٍ[٩].

ويُقالُ: ﴿الْمَر﴾ اسمُ السورةِ[١٠].

وقولُه تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أيْ: هذَا المُنزَلُ عليكَ هُو [١١]آياتُ الكتابِ[١١] الَّتِي وعَدكَ[١٢] أنْ يُنزِلَها عليكَ، وقدْ أنزلَ بعضَهَا، والَّذِي أُنزِلَ إليكَ مِنْ هذا الكتابِ هُو الحقُّ لا باطلَ فيهِ، وإنْ كانَ كفارُ قُريشٍ[١٣] لا يُصَدِّقُونَ بهِ معَ صِحَّتِهِ ووضُوحِهِ.

---

(١) /٣ط/ظ١٩٠/.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/١٣ (أخرجه عن مجاهد وقتادة). تأويلات أهل السنة: ٦١٣/٢. بحر العلوم: ١٨٢/٢.

(٣) في ط: (وإنما **أعاد**).

(٤) في ز: (لا)، خطأ، سقطت النون والهاء.

(٥) لم أهتدِ إلى قائله، وكذا هو في المصادر من غير نسبة.

ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ١٠٥/١. تفسير الطبري: ٨٩/٣. إعراب ثلاثين سورة: ٢٢٥.

(٦) القَرْم في الرِّجال: السيد المعظم. ينظر: لسان العرب: (ق ر م).

(٧) القطعة العظيمة من الجيش. ينظر: لسان العرب: (ك ت ب).

(٨) المزدحم: مكان الزِّحام، وهو أن يزحم القومُ بعضُهم بعضًا من الكثرة. ينظر: لسان العرب: (ز ح م).

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/١٣. التفسير البسيط: ٢٨٠/١٢.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٦/١ (أخرجه عن أُبي).

(١١ - ١١) في ط: (هو **تلك الآيات**).

(١٢) في ط: (وعدك **الله تعالى**).

(١٣) وهم من ولدِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيمةَ بنِ مُدْرِكة. والنسبة إليهم: (قُرَشِي).

ينظر: جمهرة أنساب العرب: ١١. فضالة المبتدي: ١٠٣.

ويجوزُ (١أنْ يكونَ١) قولُه تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الحروفِ الَّتِي في أوَّلِ(٢) السورةِ؛ لأنَّ الكتابَ منها تألَّفَ.

وقالَ قتادةُ -رحمَهُ اللهُ تعالى-: «المرادُ بقولِه تعالَى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾(٣) الآياتُ التي أُنزِلتْ إليكَ(٤) قبلَ القرآنِ(٥)»(٦).

ثمَّ إنَّ اللهَ سبحانَهُ دلَّ خلْقَهُ بصُنعِهِ على توحيدِهِ، فقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ:

(١ - ١) سقطت من ز.

(٢) في ط: (أول **هذه**).

(٣) في ط: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

(٤) سقطت من ط.

(٥) في ط: (قبل القرآن **من التوراة والإنجيل وسائر الكتب، والمراد**: ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: **(القرآن)**، وكتبت ﴿وَالَّذِي﴾ بالباء، وهو تحريف.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٤٠٦)، عن قتادة بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٦٠)، وعزاه إلى ابن جرير وأبي الشيخ عن قتادة بنحوه.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلّٞ يَجْرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

معناهُ: إنَّ اللهَ تعالى هُوَ الَّذِي رفعَ السَّماواتِ، وأقامَها واقفةً على غيرِ عَمَدٍ، تروهَا أنتُم كذلكَ بلا عمدٍ، هكَذا قالَ أكثرُ المفسرينَ -رحمَهُمُ اللهُ-[١].

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما- في روايةٍ: «بِعَمَدٍ لا تَرَونَها»[٢]، كأنَّهُ قالَ: بغيرِ عمدٍ مرئيةٍ.

والأولُ أقربُ إلى الصِّحةِ[٣]؛ لأنَّهُ لوْ كانَ للسَّماءِ عِمادٌ يُقِلُّهَا لكُنَّا نَرى ذلكَ العِمادَ[٤]؛ لأنَّ مثلَ السَّماواتِ في ثِقَلِهَا وارتفَاعِهَا وعِظَمِها لا يُقِلُّها عِمادٌ، إلَّا ويكونُ ذلكَ العِمادُ جسمًا عظيمًا، ولوْ كانَ للسَّماواتِ عِمادٌ يُقِلُّهَا لكانَ ذلكَ العِمادُ على جسمٍ آخَرَ يُقِلُّ ذلكَ

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٣٣١/١ (أخرجه عن عن الحسن وقتادة). تفسير الطبري: (١٣/٤١٠-٤١١) (أخرجه عن إيَاس بنِ معاوية، وقتادة). بحر العلوم: ١٨٢/٢ (عزاه إلى الحسن وقتادة). تفسير الثعلبي: ٢٠٤/١٥.

(٢) وهو القول الثاني في تفسير الآية. أخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٤٠٩/١٣)، عن مجاهد بلفظه. وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١/١)، والطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٤١٠/١٣)، كلاهما عن ابن عباس بنحوه. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٤٠٩-٤١٠)، عن ابن عباس بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٦١/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وأبي الشيخ؛ عن ابن عباس بنحوه. وفي رواية (٣٦٠/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن ابن عباس بزيادة في أوله. وفي رواية (٨/٣٦٠-٣٦١)، عزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر؛ عن ابن عباس بزيادة في أوله.

(٣) يقصد قوله: «إنَّ اللهَ تعالى هُوَ الَّذِي رفعَ السَّماواتِ، وأقامَها واقفةً على غيرِ عمدٍ تروهَا...»، وهو ما اختاره كذلك الإمامُ الطبري، ورجحه في «تفسيره» فقال: «وأَولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يُقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ﴾، فهي مرفوعة بغير عَمَدٍ نراها، كما قال ربُّنا جلَّ ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقولٍ سواه». ينظر: تفسير الطبري: ٤١١/١٣.

(٤) إن كان المصنفُ رجح قولَ أكثر المفسرين في الآية وقال: إنه: «الأقربُ إلى الصحة»؛ إلا أن تعليله خطأ؛ لأن قدرة الله لا يحُدُّها عقلٌ؛ فقوله: «لأنَّهُ لوْ كانَ للسَّماءِ عِمادٌ يُقِلُّهَا لكُنَّا نَرى ذلكَ العِمادَ»، ليس عليه دليل، فالله خلق أمورًا في الكون مثلَ الرُّوح والهواء، ولا نراها، فلا يُعجِزه أن يخلق للسماء أعمدةً ولا نراها.

العِمادَ(١)، وكانَ يَحتاجُ ذلكَ الجسمُ /٢/ظ٧٥/ إلى عِمادٍ آخَرَ، فكانَ يَتسلسلُ إلى ما لا يَتناهَى(٢).

ومِنَ المعلومِ أنَّ السَّماواتِ والأَرَضينَ متناهيةٌ غيرُ محتمِلةٍ الزيادةَ والنقصانَ(٣)، فإذا كانَ [بناؤُها](٤) إلى جسمٍ لا يكونُ على شيءٍ [آخرَ؛ جازَ](٥) أنْ تكونَ السَّماواتُ لا على عمادٍ.

قيلَ: إنَّ المرادَ بالعَمَدِ التي ذكرهَا عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما- قدرةُ اللهِ تعالى التَّي بها(٦) يمُسِكُ السَّماواتِ والأرضَ، فعلَى هذا يَرجِعُ كِلَا التفسيرَينِ إلى معنًى واحدٍ(٧).

---

(١) /٣ط/و١٩١/.

(٢) هذا منهج مخالف لمنهجِ أهل السنة والجماعة، وهو مبني على الدليل العقلي الذي قال به أهلُ الكلام، وقد قال شيخُ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ناقدًا أهلَ الدليل العقلي «...فأهلُ العقليات من أهل النفي والإثبات كلٌّ منهم يدَّعي أن العقل دلَّ على قوله المناقِضِ لقول الآخر، وأما السمعُ فدلالتُه متفَقٌ عليها بين العقلاء».

ينظر: درء تعارض العقل والنقل: ١٩٣/١.

(٣) قوله: «غير محتملة الزيادة والنقصان»، هو قولٌ على الله تعالى بلا علم، فالله -سبحانه وتعالى- قدرتُه لا تُحدُّ، وهو يخلق ما يشاء متى شاء، فلا يصح قولُه «غير محتملة»؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي اختص الله به. وقوله يُشبه قولَ أبي حامد الغزَّالي الذي قال: «ليس في الإمكان أبدعُ مما كان»، وقد أنكر عليه أهلُ السنة ذلك، وقد بين شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة إرادة الله تعالى في رده عليه، فقال: «وقد أنكر عليه طائفةٌ هذا الكلامَ، وتفصيله أن الممكنَ يُراد به المقدور، ولا ريب أن الله سبحانه يقدر على غير هذا العالم وعلى إبداع غيره إلى ما لا يتناهى كثرةً، ويقدر على غير ما فعله...». ينظر: جامع الرسائل لابن تيمية: (١٤١/١-١٤٢).

(٤) في الأصل، ز، ط: (كان **ابناؤها**)، الألف زائدة لا معنى لها.

(٥) في الأصل، ز: (شيء **أفجاز**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٦) سقطت من ط.

(٧) يقصد بقوله: «كلا التفسيرين إلى معنى واحد»، أي: أنَّ مَن قال: إنَّ الله تعالى خلق السماوات بغير عمد، مثله مثل قول ابنِ عَبَّاسٍ: «بعمدٍ ولكن لا نراها»، وعَلَّلَ ذلك بأنْ أوَّلَ قولَ ابن عباس بالعمدِ بأنها هي قدرة الله. وقال هذا القولَ الزجاجُ في معاني القرآن عند تفسير هذا الموضعِ، وكذا ذكره في تفسيره في سورة لقمان عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الآية: ١٠]، وكذا قاله أبو الليث السمرقنديُّ في تفسيره.

ينظر: معاني القرآن وإعرابه (ت مامودو محمد): ٣٩٩. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت نعيمة حجازي): ٤٧٥-٤٧٦. بحر العلوم (بنصه): ١٨٢/٢.

والعَمَدُ: جمعُ عِمادٍ، كمَا يُقالُ إهابٌ وأَهَبَ، وأَديمٌ وأَدَمَ(١)، وكانَ القياسُ أنْ يكونَ على ضمتينِ؛ لأنَّ ما كانَ على فِعالٍ، أوْ فَعولٍ، أو فَعيلٍ، إذا جُمِعَ: فُعُل بضمتين(٢).

وقدْ قُرِئَ قولُه تعالى: ﴿فِي عُمُدٍ(٣) مُّمَدَّدَةِۭ ﴾ [الهمزة:٩] بقراءتينِ(٤).

وفي الآيةِ دلالةٌ(٥) على أنَّ اللهَ تعالى ليسَ بجسمٍ ولا مُحْدَثٍ؛ لأنَّ الجسمَ لا يُمكنُهُ (٦أنْ يُمسِكَ٦) جسمًا في الجوِّ صغُرَ أمْ كبُرَ إلَّا بعِمادٍ يُقِلُّهُ، وفيهِ دلالةٌ على أنَّ اللهَ تعالَى قادرٌ على خلقِ الأجسامِ؛ لأنَّ الخلائقَ كمَا عَجَزُوا عن إمساكِ الجسمِ الثَّقيلِ في الجوِّ(٧)، فكذلكَ عَجَزُوا عنِ اتخاذِ الأجسامِ، واللهُ تعالى قادرٌ على إمساكِ السَّماواتِ في الهواءِ من غيرِ عمادٍ، فيجبُ أنْ يكوَن قادرًا على اتخاذِ الأجسامِ أيضًا(٨).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩١/٣. معاني القرآن للزجاج (ت أيمن منصور): ٣٨٧.

(٢) في ط: (جمع **على ضمتين**). *ينظر: العين: (أ ف ق)، (ع م د). مجاز القرآن: ٣٢٠/١. المقتضب: ٢١٨/٢.

(٣) كتبها في الأصل بقراءةِ أبي بكر عن عاصمٍ وحمزةَ والكسائيِّ، على غير عادته، وأثبتُّها كما هي.

(٤) وقرأ: أبو بكر عن عاصم، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿عُمُدٍ﴾ بضمِّ العينِ والميم، وقرأ: ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصم: ﴿عَمَدٍ﴾ بفتحِ العينِ والميم.

ينظر: السَّبعة لابن مجاهد: ٦٩٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٥٣٥. التبصرة في القراءات السَّبع: ٧٣٢.

(٥) في ز: (الآية **دلة**)، سقطت لام الألف، وهو خطأ.

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) سقطت من ز.

(٨) نفي التجسيم والحدوث عن الله تعالى هو من أقوال الفرق الكلامية التي تبني استدلالها على العقل، وهو منهج مخالف لأهل السنة والجماعة، فلفظ التجسيم لم يرد في الكتاب والسنة، ولا هو من كلام السلف، والواجب ألا ننفي عن الله تعالى إلا ما نفاه عن نفسه، ولا نثبت له إلا ما أثبته لنفسه، أما ما لم يرد به نفي ولا إثبات مما يحتمل حقًّا وباطلاً، فالواجب السكوت عنه، فلا ينفي ولا يثبت لفظه، وأما معناه فيُسأل عنه، فإن أريد به حق قبل، وإن أريد به باطل رد، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القاعدة في اللفظ الذي لم يرد به دليل شرعي فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» (٦٥-٦٦): «ليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى». كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن لفظ (التجسيم) لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، والكلام في الجسم والجوهر ونفيهما أو إثباتهما فبدعة ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا تكلم أحد من السلف والأئمة بذلك لا نفيًا ولا إثباتًا. ينظر: درء التعارض: (٨١/٥)، (١٦٤/٤). وقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنَّ اللهَ تعالى ليسَ بجسمٍ ولا مُحْدَثٍ»، الهدف

=

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ[(١)] ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد تَّقدَّمَ أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يكونَ معنَى الاستواءِ الجلوسُ واعتدالُ الجسمِ؛ لأنَّ ذلكَ مِن أماراتِ الحدثِ[(٢)]، فلا يجوزُ على اللهِ تعالى، وإذا لمْ يَجُزْ ذلكَ عُلِمَ أنَّ المرادَ بِهِ الاستيلاءُ والعلوُّ والقهرُ[(٣)] والتدبيرُ[(٤)].

=

منه: نفي صفة الاستواء؛ لان إثباتها يستلزم الجسمية كما هو مذهبه. وصفة الاستواء ثابتة في الكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٨٨/٢): «أصل الاستواء على العرش: ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل»، وقال في موضع آخر (٢٥/٣) من «الفتاوى»: «فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات. فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه». ورد ابن القيم على نفي الإستواء فقال: هذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجها، فذكر منها: أن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف، وأن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية الفساد، ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبي حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك. ينظر: مختصر الصواعق: (٨٨٨/٣،٨٩٢).

(١) /ز/و٣٤٦/.

(٢) في الأصل، ز، ط: (أمارة **الحدث**)، ولعل الأصوب أن تكون (أمارة **الحدوث**)؛ لأن من أدلة المتكلمين نفي الحدوث، ومن أدلتهم العقلية: ما كان محلًّا للحوادثِ فهو حادث.

(٣) في ط: (والعلو **بالقهر**).

(٤) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): (٢٤٥-٢٤٦). وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (محمود الشنقيطي): (٢٤٦-٢٤٢). وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ١٢٧-١٢٦.

=

وأمَّا تخصيصُ العرشِ: فقدْ سبَقَ أنَّ العرشَ أعظمُ ما خلَقَ(١) اللهُ تعالى(٢)؛ [فلذلِكَ خصَّهُ اللهُ تعالى](٣) بالاقتدارِ والاستيلاءِ عليهِ(٤).

=

* قول المصنف في تأويل الاستواء مبني على منهجِ المتكلمين في العقيدة، الذين يؤولون الصفات الخبرية وفقًا للمنهجِ العقلي، ويفرون من إثباتها بحجة التجسيم ومشابهةِ المخلوق. أما منهج أهل السنةِ والجماعة فهو إثبات الصفاتِ الخبريةِ كما جاءت في الكتابِ والسنة بلا كيف. وذكر الذهبيُّ منهجَ أهل السنة والجماعة في الاستواء فقال: «كان قولُهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله، فهم لا يمثلون صفاتِ الله بصفات خلقه، ولا ذاتَه بذوات خلقه، وكذلك لا ينفون عن الله ما وصَف به نفسَه، ووصفه به رسولُه صلى الله عليه وسلم، بل كان مذهبُهم في سائر الصفات -بما في ذلك الاستواء- أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نفيًا وإثباتًا». وقال ابن القيم: «وأما ادعاؤهم المجازَ في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى؛ فلا معنى له؛ لأنه غيرُ ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله تعالى لا يغالبُه ولا يعلوه أحدٌ، وهو الواحد الصمد. ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنعْ من ذلك ما يجبُ له التسليم». ينظر: العرش: ١/١٦٧. اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢٠٧.

(١) في ط: (ما **خلقه**).

(٢) سبق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ١٢٧-١٢٦.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤) أما قوله: «العرش أعظم ما خلق الله»، فهذا صحيح، وهو مما أجمع عليه أهل السنة؛ كما قال عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، الشاهد: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وقد وصف سبحانه العرشَ بكونه عظيمًا في خلقه وسَعته، وقد قال ابنُ كثير: «هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السماوات والأرضين، وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمُه محيط بكل شيء، وقدرُه نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل». وأما قول الغزنوي: «فلذلِكَ خصَّهُ اللهُ تعالى بالاقتدارِ والاستيلاءِ عليهِ»، فهو قول باطل؛ فالعرش بالنسبة إلى الله تعالى هو أقرب المخلوقات إليه سبحانه، وذلك لأنه سبحانه قد أخبر أنه مستوٍ على عرشه في أكثرَ في موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال أهل السنة: ففي إثبات الاستواء على العرش دليلٌ على قربه إليه؛ لأنه سبحانه مستوٍ على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرشُ على ما سواه. وقد ذكر ابن القيم هذه الشبهةَ وردَّ عليها، فالشبهة التي أوردها: «...فإن قيل: وإنما خصَّ العرش بالذكر لأنه أجلُّ المخلوقات وأرفعُها وأوسعها، فتخصيصُه بالذكر تنبيه على ما دونه»، فكان ردُّه عليها بقوله: «لو كان هذا صحيحًا لم يكن ذكرُ الخاص منافيًا لذكر العام، ألا ترى أن ربوبيته لما كانت

=

وأمَّا حرفُ (ثُمَّ) فيجوزُ أنْ يكونَ دخولُها في لفظِ الاستواءِ على معنىَ: أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُذكرَ الاستيلاءُ على العرشِ، إلَّا بعدَ[١] أنْ يوُجَدَ نفسُ العرشِ[٢].

ويجوزُ أنْ يكونَ (ثُمَّ) مقرونًا بالاستواءِ في اللَّفظِ، وهُو في المعنَى مقرونٌ بتسخيرِ الشَّمسِ والقمرِ [أوْ تدبيرِ الأمرِ، فيكونُ تقديرُ الآيةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ[٣] عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ثُمَّ سخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ][٤] وهُو مُستَوٍ على العرشِ[٥]؛ لأنَّ استيلاءَ اللهِ تعالى

=

عامة للأشياء لم يكن تخصيصُ العرش بذكره منها كقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، مانعًا من تعميم إضافتها كقوله: ﴿رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلو كان الاستواءُ بمعنى الملك والقهر لكان لم يمنعْ إضافته إلى العرش إضافتُه إلى كل ما سواه، وهذا في غاية الظهور».

ينظر: العرش للذهبي: (٣١٩/١-٣٢٠). تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٤. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ٩٢٠/٣. وينظر أيضًا: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣٧٦/١٧.

(١) سقطت من ز.

(٢) المؤولة الذين قالوا: إن الاستواء هو الاستيلاء اضطُروا إلى القولِ بأن العرش خُلق بعد السماواتِ والأرضِ؛ ليستقيم تأويلهم، وقولهم هذا باطلٌ؛ لما ثبت في السنةِ من قوله ﷺ: ((كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ))، والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق/بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]/ح٣١٩١)، عن عمران بن حصينٍ مطولًا. وقال ابن القيم في من قال بخلق العرش بعد السماوات والأرض: «مَن ادعى الإجماعَ أن العرش مخلوقٌ بعد خلق السماوات والأرض، فيكون المعنى أنه خلق السماوات والأرض ثم استوى على العرش، وهذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلًا، وهو مناقض لما دلَّ عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهرَ مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي: خلقها في هذه الحال، فدلَّ على سبق العرش والماء للسماوات والأرض». ينظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ٨٩٦/٣.

(٣) /٣ط/ظ١٩١/.

(٤) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٥) أعرب ابنُ الباقولي حرفَ (ثم) بغير ما أعربه الغزنوي الذي جعل (ثم) مقرونةً بالتسخير، فقال الباقولي: «في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، معناه: ثم كان قد استوى على العرش قبل أن يخلق السماوات والأرض... وقالوا فيها جوابًا آخر، على جعل (ثم) للتقديم، تقديره: هو الذي خلق السماوات والأرض، أي أخبركم بخلقهما، ثم استوى، ثم أخبركم بالاستواء»، وقول المصنف: إنها مقرونة بالتسخير؛ الغاية منه أن يصل إلى إثبات أنَّ خلق السماوات والأرض متقدمٌ على الاستواء، وهو قول غير صحيح، بيَّن بطلانَه ابنُ القيم حيث قال: «فإن قيل: فقد يأتي "ثم" لترتيب الخبر لا لترتيب المخبَر، فيجوز أن يكون ما بعدها سابقًا على ما قبلها في الوجود وإن تأخر

=

[على الأشياءِ][(١)] قدرتُهُ عليهَا، وقدرةُ اللهَ تعالى لا تكونُ مُحدَثةً[(٢)].

فعُلِمَ أنَّ (ثمَّ) مقرونةٌ بالتَّسخيرِ، ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ[(٣)]﴾ [محمد:٣٢]، فذكرَ حتَّى نعلمَ، وأرادَ: حتَّى يُجاهِدَ المجاهدونَ[(٤)] منكُم ونحنُ عالمونَ بذلِكَ[(٥)].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، فمعناهُ: أجراهُما لمَنافِعِ بني آدمَ[(٦)].

ومعنَى التسخيرِ: أنْ يكونَ الشيءُ مقهورًا مُدبَّرًا لا يَملِكُ لنفسِهِ ما يُخلِّصُهُ مِنَ القهرِ[(٧)].

=

عنه في الإخبار. قيل: هذا لا يثبت أولًا، ولا يصح به نقل، ولم يأتِ في كلام فصيح، ولو قُدر ورودُه فهو نادر لا يكون قياسًا مطردًا تُترك الحقيقة لأجله».

ينظر: إعراب القرآن للباقولي: ١٠١/١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ٨٩٣/٣.

(١) في الأصل، ز: (تعالى **عليها**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٢) قول الغزنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن استيلاءَ الله على الأشياء قدرتُه عليها»، غيرُ صحيح؛ لأن صفة الاستواء غير صفة القدرة، والله سبحانه وتعالى ذكر عن كتابه أنه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فلو أراد أن يخبرنا أنه قادر على العرش لما قال: استوى، فالاستواء في لغة العرب غير القدرةِ، وقد جاءت صفةُ القدرة في غير ما موضعٍ في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠،...]، وهذا يدل على أنه قادر على جميع مخلوقاتِهِ ومنها العرش، فتخصيصه بالاستواء عليه يدل على أن للاستواء معنًى آخرَ غير القدرة، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية نقلًا عن أبي الحسن الأشعري: «وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء. والأرض؛ فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء ـ وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ـ لكان مستويًا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها، لم يجُزْ أن يكون الاستواءُ على العرش بمعنى: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختصُّ العرش دون الأشياء كلها. وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل». ينظر: الفتوى الحموية الكبرى: ٥٠٦-٥٠٧.

(٣) سقطت من ط.

(٤) في ط: (يجاهد **المجاهدين**)، وهو خطأ، لأن (المجاهدون) حقها الرفع.

(٥) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت محمود الشنقيطي): (٢٤٥-٢٤٦).

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٤١١/١٣. بحر العلوم: ١٨٢/٢. تفسير الثعلبي: ٢٠٦/١٥.

(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٩. معاني القرآن للنحاس: ٤٦٨/٣.

وقولُه تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجريانِ مجاريَهِمَا الَّتِي سُخِّرا [فيها][١] لا يُجاوِزانِها[٢]، يَطلُعُ كُلُّ واحدٍ منهُما في[٣] منزلٍ، ويَغرُبُ في منزلٍ، حتَّى ينتهِيَ إلى أقصَى منازلِهِ، ثم يَرْجِعُ [٤]فهذَا هُو الأجلُ المسمَّى[٤].

ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بالأجلِ وقتُ انقضاءِ الدُّنْيا، وإذا انقضتْ [كُوِّرَتِ][٥] الشَّمسُ، وانكدرتِ[٦] النَّجومُ؛ كمَا وصَفَها اللهُ تعالى في يومِ القيامةِ[٧].

وقولُه تعالىَ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أيْ: يقضِي القضاءَ، ويَبعَثُ الملائكةَ بالوحيِ والتنزيلِ[٨] [١٠]والأقضيةِ[٩] والرِّزقِ[١٠] والمصيبةِ؛ كُلٌّ بالحكمةِ.

وقولُه تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ معناهُ: يأتِي بآيةٍ في إثرِ آيةٍ؛ ليكونَ أمكنَ للاعتبارِ والتَّفكرِ[١١].

---

(١) في ط: (سخرا **فيهما**)، خطأ؛ لأن الضمير يعود على المجاري، وهي جمع.

(٢) في ز: (لا **يجاوزونها**)، وهو خطأ، لأن الضمير يعود على الشمس والقمر، وهما اثنان.

(٣) في ط: (منهما **من**).

(٤ - ٤) في ز: (يرجع **فهذا هو إلى أجل مسمى**). ومن قوله: «وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾» إلى قوله: «إلى أقصى منازله». ينظر: بحر العلوم: ١٨٢/٢.

(٥) في الأصل، ز: (انقضت **كُدرت**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأنَّ الشمس تُكوَّر يوم القيامة لا تنكدر، كما دلَّ على ذلك القرآن الكريم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وكذا هو في المرجع.

ينظر: تفسير الطبري: ٤١٢/١٣. تفسير الثعلبي: ٢٠٦/١٥. تفسير البغوي: ٢٩٣/٤.

(٦) تناثرت. ينظر: لسان العرب: (ك د ر).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: (٤١١/١٣-٤١٢).

(٨) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ١٨٢/٢.

(٩) في ط: (والقضية)، وهو تحريف.

(١٠ - ١٠) في ط: (والرزق والأقضية)، تقديم وتأخير.

(١١) في ط: (للاعتبار **والفكر**).

وقولُه تعالى: ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ معناهُ: لِتَستيقِنُوا بالبعثِ، وما وعَدَكم اللهُ تعالى بعدَهُ[١] مِنَ الثَّوابِ والعقابِ[٢].

ثُمَّ دلَّهُم جلَّ ذكرُهُ بآياتِ الأرضِ[٣]، فقالَ عزَّ مِن قائلٍ:

---

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤١٣/١٢. تفسير الثعلبي: ٢٠٦/١٥. تفسير البغوي: ٢٩٣/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣٩٩.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

لـمَّا ذكَرَ السَّقفَ ذكرَ ما تحتَهُ.

المعنَى: وهُو الَّذِي بسَطَ الأرضَ طُولًا وعرضًا[١]؛ لتتمكَّنَ [٢]الحيواناتُ عليها[٢]، وإنَّ[٣] الحيوانَ لا يُمكِنُه أنْ يثبُتَ إلَّا على مكانٍ يُمكنُهُ التصرفُ عليهِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ﴾ أيْ: خلقَ في الأرضِ جبالًا ثوابتَ[٤] أوتادًا لها، ولو أرادَ أنْ يُمسِكَها مِنْ غيرِ الرَّواسِي لفعلَ، إلَّا أنَّهُ أمسكَها بالرواسِي؛ لأنَّ ذلكَ أقربُ إلى إفهامِ النَّاسِ، ولأنَّ اختلافَ الأرضِ أدَلُّ على اللهِ تعالَى.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنْهَـٰرًا﴾ أيْ: أجرَى فيهَا أنهارًا[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ معناهُ: وخلقَ مِنْ جميعِ الثَّمراتِ مِنْ كُلِّ شيءٍ لونَينِ[٦]، جعلَ فيهَا الحُلْوَ والحامضَ، والأسودَ والأبيضَ، والزَّوجَ الواحدَ الَّذِي لَهُ قرينٌ[٧]، وذكرَ الاثنينِ للتَّأكيدِ.

وقولُه تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ معناهُ: يأتِي بالليلِ ليَذهبَ بضياءِ النهارِ، فيسكُنُ الناسُ باللَّيلِ، ويأتي بضياءِ النَّهارِ ليمحوَ ظلامَ اللَّيلِ، فيتصرَّفُ [النَّاسُ][٨] فيهِ في معايِشِهم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٨/٢. مجاز القرآن: ٣٢١/١. تفسير الطبري: ٤١٣/١٣.

(٢ - ٢) في ز: (عليها الحيوانات)، تقديم وتأخير.

(٣) في ط: (عليها، **فإنَّ**).

(٤) /٣ط/و١٩٢/. *ينظر: مجاز القرآن: ٣٢١/١. تفسير الطبري: ٤١٣/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٠.

(٥) سقطت من ط.

(٦) في ط: (لونين **اثنين**).

(٧) قول المصنف: «الزوج الواحد الذي له قرين» هذا المعنى من الناحية اللغوية. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: (ز و ج). لسان العرب: (ز و ج).

(٨) سقطت من الاصل، ز، والمثبت من ط، لما يقتضيه السياق.

وقولُه تعالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢]معناهُ: أنَّ ما ذُكِرَ مِنْ هذهِ الأشياءِ لَدلالاتٌ[١] ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] في صنعِ اللهِ تعالَى، فيَستدلُّونَ بذلكَ على توحيدِهِ[٣]. ثُمَّ زادَهُم في البرهانِ، فقالَ[٤] -عزَّ و /٢/و٧٦/ جلَّ-:

---

(١) في الأصل، ز، ط: (لدلالاتِ **قوم**)، زائدة لا معنى لها.

(٢ - ٢) سقطت من ط.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٦٦. تفسير الطبري: ١٣/٤١٥. بحر العلوم: ٢/١٨٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٠٠.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

معناهُ: وفِي الأرضِ أبعاضٌ متجاوراتٌ؛ منها الجبلُ الصُّلبُ الَّذِي لا يَنبُتُ عليهِ النَّباتُ، ومِنهَا الأرضُ الخرِبةُ[١] الَّتِي لا يمكنُ إنباتُ النَّباتِ فيها[٢] إلَّا بالمشقةِ، ومنهَا الأرضُ السَّبِخةُ الَّتِي لا يَنبُتُ عليها شيءٌ، ومنهَا الأرضُ الطَّيِّبةُ الَّتِي تُنبِتُ، وهذهِ الأراضِي[٣] في ذلكَ متجاوِراتٌ ملتزِقةٌ[٤].

وقولُه تعالَى: ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ معناهُ: وبساتينُ[٥] مِنْ كَرْمٍ[٦] وزرعٍ.

ويجوزُ في القراءةِ: (وَجَنَّاتٍ)[٧] على معنَى: وجعلَ فيها جناتٍ[٨].

ومَنْ قرأَ: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) بالضمِّ[٩]، فهُو[١٠] عطفٌ على قولِه تعالى: ﴿قِطَعٌ﴾؛

---

(١) في ط: (الأرض **الحرَّة**).

(٢) في ط: (النبات **عليها**).

(٣) /ز/ظ٣٤٦/.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤١٦. بحر العلوم: ٢/١٨٣. تفسير الثعلبي: ١٥/٢٠٨.

(٥) في الأصل، ز: (وبساتين **معناه**)، وهي زائدة لا معنى لها.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٦٧. بحر العلوم: ٢/١٨٣.

(٧) أي: تقرأ بالخفض في موضع نصب. جوزها الزجاج نصبًا، وكذا النَّحاس، ونسبها ابن خالويه للحسن، وكذا الهذلي في «الكامل» وزاد ابن عبيد، ووافقهم الكرماني في الحسنِ وزاد الأعمش.

ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٠. إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٥٠. مختصر في شواذ القرآن: ٧١. الكامل في القراءات: ٥٧٧. شواذ القراءات: ٢٥٤.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٠. إعراب القرآن للنَّحاس(بنصه): ٢/٣٥٠.

(٩) ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصم.

ينظر: السبعة لابن مُجاهِد: ٣٥٦. التيسير في القراءاتِ السَّبع: ٣٢٩. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(١٠) في ط: (بالضم **فيها**).

لأنَّ الزرعَ لا يكونُ[(١)] في الجناتِ[(٢)].

وقراءةُ العامَّةِ: ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ﴾ بالكسرِ[(٣)] على المجاورةِ[(٤)].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَنَخِيلٍ[(٥)] صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ﴾ فمعناهُ: ونخيلٌ مجتمعٌ أصُولُها في أصلٍ واحدٍ، ونخيلٌ [متفرِّقٌ][(٦)] أصولُها واحدةٌ[(٧)].

والصِّنوانُ: جَمْعُ الصِّنْوِ، ومعنَى الصِّنْوانِ: يكونُ الأصلُ واحدًا[(٨)] يخرجُ منهُ[(٩)] النَّخلتانِ والثَّلاثُ والأرْبعُ[(١٠)]، كمَا وردَ في الحديثِ: ((عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ))[(١١)].

وأمَّا صُنْوانُ بضمِّ الصَّادِ: فهُو لغةٌ[(١٢)]، ومعنَى اللُّغتينِ واحدٌ[(١٣)].

---

(١) في ز: (لا **كون**)، سقطت الياء.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٠/٢ (نُسب التوجيه لأبي عمرو بن العلاء). إعراب القراءات السَّبع وعللها: ٣٢٠/١. بحر العلوم: ١٨٣/٢.

(٣) أبو بكر عن عاصم، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكِسائي.
ينظر: السَّبعة لابن مُجاهد: ٣٥٦. التيسير في القراءاتِ السَّبع: ٣٢٩. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(٤) ينظر: القراءات السَّبع وعللها: ٣٢٠/١. بحر العلوم: ١٨٣/٢.

(٥) سقطت من ز.

(٦) في الأصل، ز: (ونخيل **مفترق**)، والمثبت من ط؛ لأنه الأقرب لنسق الكلام، فهو نسقٌ مع مجتمع أصولها، و(مجتمع) اسم فاعل.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: (٤٢١/١٣-٤٢٥) (أخرجه عن البراء بن عازب، وابن عباس، وسعيد بن جُبَير، والضحاك، وقتادة، وابن زيد). بحر العلوم: ١٨٣/٢ (عزاه إلى الضحاك). تفسير الثعلبي: ٢٠٩/١٥.

(٨) /٣ط/ظ١٩٢/.

(٩) سقطت من ز.

(١٠) ينظر: العين: (ص ن و). مجاز القرآن: ٣٢٢/١. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠١.

(١١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الزكاة/باب في تقديم الزكاة ومنعها/ح٩٨٣)، عن أبي هريرة مطولًا.

(١٢) لغة بني تميم وقيس، وكسر الصاد لغة أهل الحجاز. ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج ١٥/لغة سورة الرعد وغريبها). إعراب القرآن للنحاس: (٣٥٠/٢-٣٥١) (عزاها إلى الفراء، ولم أقف عليها عند الفراء). المحتسب لابن جني: ٣٥١/١. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٦٧١/٥.

(١٣) أي: لغة الضم والكسر. *(وصنوان) فيها قراءة متواترة وأخرى شاذة، فالمتواترة: اتفق القراء السبعة على كسر الصاد، واختلفوا في خفض النون ورفعها في الموضع الأول، حيث قرأها ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأها الباقون بالخفض. واتفقوا على خفضِ النونِ في الموضع الثاني.

=

وقولُه تعالَى: ﴿تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾؛ مَنْ قرأَ: بالتَّاءِ[(١)] فعلَى لفظِ الجماعةِ؛ أنَّ هذهِ الأشياءَ كُلَّها تُسقَى بماءٍ واحدٍ[(٢)] إمَّا المطرُ، وإمَّا النهرُ، ثُمَّ يكونُ بعضُ أُكُلِهَا أفضلَ مِنْ بعضٍ في الطَّعمِ، حتَّى يكونَ بعضُها حُلوًا وبعضُها حامضًا، وبعضُها مُر[(٣)]، والماءُ والترابُ واحدٌ، وألوانُ الثِّمارِ وطعمُها مختلفةٌ؛ فذلكَ مِنْ أدَلِّ الدليلِ على [وجودِ][(٤)] اللهِ تعالى -عزَّ وجلَّ- وعلى وَحدانيتِهِ، ولأنَّهُ لو كانَ حدوثُ هذهِ الأشياءِ -المختلفةِ في[(٥)] اللَّونِ والطعمِ والرَّوائحِ- مِنْ إيجابِ الطَّبيعةِ؛ لاستحالَ اختلافُها وتضادُّها مع اتِّفاقِ المُوجِبِ لها، فثبتَ أنَّ المُحْدِثَ لها قادرٌ حكيمٌ مختارٌ، قدْ أحدَثَها على اختلافِهَا على علمٍ منهُ بِها؛ وهُو اللهُ تعالى[(٦)].

وقالَ مُجَاهِدٌ -رحِمَهُ اللهُ-: «هَذَا مِثَالُ[(٧)] بَنِي آدَمَ؛ أَصْلُهُمْ تُرَابٌ وَاحِدٌ، ثُمَّ مِنْهُمْ طَاهِرٌ[(٨)] ومِنْهُمْ خَبيثٌ؛ وكَامِلُ الْخِلْقَةِ، وَنَاقِصُ الخِلْقَةِ[(٩)]؛ وَحَسَنُ الْخُلُقِ، وسَيِّئُ الْخُلُقِ»[(١٠)].

=

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٦. التبصرة في القراءات السبع: ٥٥٢.

أما القراءة الشاذة: فقرأ بضمِّ الصاد: السلمي وحفص عن عاصم، نقله عن القوَّاس.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٦. مختصر في شواذ القرآن: ٧١.

(١) ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وحمزةُ، والكِسائيُّ.

ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٦-٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٦. التَّبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٤٢٨/١٣-٤٢٧). ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٢٢/١. الحجة للقراء السبعة: ١٠/٥.

(٣) سقطت من ز. وتوجيه رفع (وبعضها **مر**) أن الجملة مستأنفة.

(٤) في الأصل، ز: (على **وجه**)، وهو خطأ، وسقطت من ط، ولعلَّ الصواب ما أثبته في المتنِ -والله أعلم-.

(٥) سقطت من ط.

(٦) من قوله: «لأنه لو كان حدوث هذه الأشياء...» إلى قوله: «على علم منه بها وهو الله تعالى»، ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٩٧/٤.

(٧) في ط: (هذا **مثل**).

(٨) في ط: (منهم **صالح**).

(٩) في ز: (وناقص **الخلق**).

(١٠) أخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٤٢٨/١٣-٤٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٢١/٧)، كلاهما عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٦٧/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ؛ عن مجاهد مطولًا.

وَمَنْ قَرَأَ: (يُسْقَىٰ) [بالياءِ][١] فلأنَّ التأنيثَ غيرُ حقيقِي[٢]، كأنَّهُ قالَ: يُسْقَى المذكورُ[٣].

وأمَّا قولُه –عزَّ وجلَّ–: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ مَنْ قرأَ[٤]: ﴿نُفَضِّلُ﴾ بالنونِ[٥] فعلَى التَّبجيلِ على ما عليهِ عادةُ العربِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [ق:٤٣][٦].

وَمَنْ قرأَ: (يُفَضِّلُ) بالياءِ[٧] فلأنَّهُ سبَقَ ذكرُ[٨] اللهِ تعالى[٩].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فمعناهُ: فيمَا ذكرتُ لكَ مِنَ الأراضِي والجناتِ[١٠] والثِّمارِ المختلِفةِ العلاماتِ؛ دالَّاتٌ على توحيدِ اللهِ تعالى، ﴿[١١]لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ ذلكَ مِنَ اللهِ تعالى[١١].

---

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه وضوح المعنى. *وقرأ بالياء: ابنُ عامر، وعاصمٌ.
ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٩. التَّبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٠١/٢. تفسير الطبري: ٤٢٧/١٣ (ونسب هذا التعليل لبعض نحويي البصرة).

(٣) ينظر: إعراب القراءات السَّبع وعللها: ٣٢٢/١. الحجة في القراءات السبع: ٢٠٠. الحجة للقرَّاء السبعة: ١٠/٥.

(٤) في ز: (قر)، سقطت الألف.

(٥) ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وعاصمٌ.
ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٦–٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٩. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠١.

(٧) حمزة والكسائي.
ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٩. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٢.

(٨) في ط: (ذكر **اسم**).

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠١.

(١٠) في ز: (الأراضي **والجنان**).

(١١ – ١١) سقطت من ط. *ينظر: تفسير مقاتل: ٣٦٧/٢. بحر العلوم: ١٨٣/٢.

[٥-٦] قوله عز وجل: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا[١] كُنَّا تُرَٰبًا إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾

معناهُ: وإنْ تعجَبْ -يا مُحَمَّدُ- مِنْ تكذيبِ أهلِ مَكَّةَ وإشْرَاكِهِمْ باللهِ -عزَّ وجلَّ-[٢] معَ ما تقدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الدَّلائلِ الدَّالَّةِ على تَوحيدِ اللهِ تعالى؛ فقولهُم: أعجَبُ عندَ عقلاءِ النَّاسِ العارفِينَ بربِّهِم[٣] حيثُ قالُوا: ﴿أَءِذَا[٤] كُنَّا تُرَٰبًا﴾ أي[٥]: صِرنَا ترابًا، أنُبْعَثُ وتُرَدُّ فينَا الرُّوحُ بعدَ الموتِ والبِلَى؟!

وقدْ يُوضَعُ عَجَبٌ فِي مَوضِعِ أَعْجَب [٦]كمَا يُقالُ: هُو خيرٌ منهُ وشرٌّ منهُ، وإنَّما سُمِّيَ قولُهم ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ أَعْجَبَ[٦]؛ لأنَّ البعثَ أسهلُ في القدرةِ فيمَا بَيَّنَ اللهُ تعالى لهُم، إذِ البعثُ إعادةٌ إلى ما كانَ، والإعادةُ أسهَلُ في طِباعِ الآدميينَ مِنَ الإنشاءِ[٧].

ويجوزُ أنْ يكونَ معنَى: ﴿فَعَجَبٌ [٨] قَوْلُهُمْ﴾ مَوضِعُ التَّعجُّبِ[٨].

---

(١) كتبت في ط: ﴿قَوْلُهُمْ **إذا**﴾ بهمزة واحدةٍ، على قراءة ابن عامر -كما سيأتي بيانه-.

(٢) /٣ط/و١٩٣/. *ينظر: تفسير مقاتل: ٣٦٧/٢. تفسير الطبري: ٤٣٢/١٣. بحر العلوم: ١٨٤/٢ (عزاه إلى الكلبي).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٥١/٢.

(٤) في ط: ﴿إذا﴾، بهمزة واحدة على قراءة ابن عامر -كما سبقت الإشارة إليه، وكما سيأتي بيانه-.

(٥) في ط: (أي: **إذا**).

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٢.

(٨ - ٨) في ط: (﴿فَعَجَبٌ﴾ **ففي قولهم موضع التعجب**).

وقدْ قُرِئَ قولُه تعالى: (أَأِذَا كُنَّا تُرَاباً) بتحقيقِ الهمزتينِ فيهما(١)، وتليينِ الهمزةِ الثَّانيةِ، وبالمَدِّ مع الهمزةِ(٢)، ومعناهَا كُلِّها: الاستفهامُ(٣).

وتُقرأُ: (إِذَا كُنَّا تُرَاباً) بهمزةٍ واحدةٍ(٤)؛ لأنَّهُم لمْ يشُكُّوا في الموتِ، وإنَّما شكُّوا في البعثِ بعدَ الموتِ(٥).

وتُقرأُ: (أَإِذَا) بالاستفهامِ، و(إِنَّا) على وجهِ الخبرِ معطوفًا عليهِ(٦)، كمَا في قولِهِ تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ولَمْ يقلْ(٧): أفهُمُ الخالدونَ(٨).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ﴾ فهُوَ إعلامٌ مِنَ اللهِ تعالى أنَّ المُستفْهِمَ -بعدَ هذا البيانِ والبرهانِ- على جهةِ الإنكارِ: كافرٌ(٩).

(١) أي: في (أَأِذَا) و (إِنَّا)، وهي قراءة: عاصم وحمزة، والكِسائي.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٠-٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٥.

(٢) ابن كثير وأبو عمرو، غير أنَّ الأخير يمدُّ الهمزة، ووافق نافعٌ أبا عمرو في رواية قالون، واختلف عنه في المدِّ في رواية ورش حيث جعل الاستفهام بهمزة وياء بعدها من غير مدّ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٠. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٥.* والمراد بقوله: (بالتليين) أي: تسهيلها بين الهمزة وبين الألف إن كانت الهمزة الثانية مفتوحة، أو بين الهمزة والياء إن كانت الهمزة الثانية مكسورة -كما هو في الآية-، وبين الهمزة والواو إن كانت الواو مضمومة.

ينظر: معجم مصطلحات علم القراءات: ١٣٥-١٣٦.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. الحجة في القراءات السَّبع: ١٦١. الحجة للقراء السبعة: ٥/١٠.

(٤) ابنُ عامر.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٥.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٤.

(٦) نافع والكِسائي.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٠. التَّبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٤.

(٧) سقطت من ز.

(٨) ينظر: عراب القراءات السَّبع وعللها: ١/٣٢٣.

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٢.

وقولُه تعالى: ﴿[وَأُوْلَٰٓئِكَ][(١)] ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ [أيْ][(٢)]: تُغَلُّ[(٣)] أيمانُهم إلى أعناقِهِم بالسَّلاسلِ في النَّارِ[(٤)]، ويكونُ يسارُهُم وراءَ ظهورِهِم، وهُم مُصَفَّدونَ[(٥)] مِنْ قُرونِهِم[(٦)] إلى أقْدامِهِم.

ويُقالُ: معناهُ: إنَّ نفسَ كُفْرِهِم وأعمالِهِم[(٧)] الَّتِي عَمِلُوها فِي الدُّنيا أغلالٌ في أعناقِهِم؛ فإنَّ كُفْرَهُم قادَهُم إلى الذُّلِّ حتَّى عبَدُوا الأوثانَ.

يقالُ للرَّجُلِ: هذا [غُلٌّ في][(٨)] عنقِكَ؛ أيْ: لازمٌ لكَ تُجازَى عليهِ[(٩)].

---

(١) سقطت الواو من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو النص القرآني.

(٢) في الأصل، ز: (**أن**)، وهو خطأ؛ والمثبت من ط، لما يقتضيه السياق.

(٣) الأغلال جمع غُلٍّ؛ وهي جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم. ينظر: لسان العرب: (غ ل ل).

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٤.

(٥) الصفد: الشد. وقيل: الوثاق. وقيل: حبلٌ يوثق به أو غُلٌّ. ينظر: لسان العرب: (ص ف د).

(٦) أي: رؤوسهم. ينظر: لسان العرب: (ق ر ن).

(٧) /ز/ و٣٤٧/.

(٨) في الأصل، ز: (الأمر **على عنقك**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٩) من قوله: «ويُقال: معناه: إن نفس» إلى قوله: «لازم لك تجازى عليه»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت ما مودو محمد): ٤٠٢-٤٠٣.

[٧] قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ[١] بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ /٢/ظ٧٦/ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾.

معناهُ: ويستعجلونَكَ بالعذابِ الَّذِي توعَّدَهُم بِهِ على وجهِ التَّكذيبِ والاستهزاءِ[٢]، قبلَ الثَّوابِ الَّذي تَعِدُهُم بِهِ على الإيمانِ.

ويُقالُ: قبلَ الإحسانِ بالإنظارِ[٣]، فإنَّ إنظارَ مَن وجبَ عليهِ العقابُ ليتوبَ عنِ الكفرِ إحسانٌ إليهِ، كإنظارِ مَنْ وَجَبَ[٤] عليهِ الدَّينُ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ﴾ أيْ: خَلَتْ[٦] مِنْ قبلِهِم العُقوباتُ مِنَ اللهِ تعالى فِي الأُممِ الماضيةِ[٧].

والمَثُلةُ في اللُّغةِ: العقوبةُ، كمَا يُقالُ: صَدُقة وصَدُقات[٨].

ويقالُ المَثُلاتُ: الأشباهُ والأمثالُ [مما يُعْتَبَرُ بِهِ][٩].

---

(١) في ز: (**ويستعجا** يستعجلونك)، وهي زائدة لا يستقيم معها السياق.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٤. تفسير الثعلبي: ١٥/٢١٥. التفسير البسيط: ١٢/٢٩٥.

(٣) الإنظار: التأخيرُ والإمهال. ينظر: لسان العرب: (ن ظ ر).

(٤) /٣ط/ظ١٩٣/.

(٥) ينظر: التفسير البسيط: ١٢/٢٩٥.

(٦) في ط: (أي: **مضت**).

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٦٨. تفسير الطبري: (١٣/٤٣٥-٤٣٦) (أخرجه عن قتادة، وابن زيد). تأويلات أهل السنة: ٢/٦١٧.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٥٩. تفسير الطبري: ١٣/٤٣٥. الصحاح: (م ث ل). *(المَثُلة) فيها لُغات: بفتحِ الميم وضم الثاء (المَثُلَةُ) وهي لغة أهل الحجاز وفيها ما في (الصَّدُقَةِ)؛ يقولون: (صَدُقَتها)، وبضم الميم وإسكان الثاء (المُثْلَةُ) وهي لغة تميم فيقولون: (صُدْقَتها)، وإذا جمعوا قالوا: (الصُّدُقَاتُ) فثقلوا، فـ(الْمُثْلَةُ) لتميمٍ، والجمع: المُثُلاتُ.

ينظر: كتاب فيه لغات القرآن: ٥٤. معاني القرآن للفراء: ٢/٥٩. تفسير الثعلبي: ١٠/٤٣.

(٩) في الأصل، ز: (والأمثال **بما تعرفه**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٢٥. غريب القرآن للسجستاني (بنصه): ٤٠٣.

وقرأَ بعضُهُم -رحمهُ[مُ][1] اللهُ-: (ٱلْمُثُلَتُ) بضمّ الثَّاءِ والميمِ[2] على جمعِ المُثْلَةِ[3].

وتُقرأُ: (ٱلْمُثْلَتُ) بضمِّ الميمِ وإسكانِ [الثاءِ][4]، كمَا (٥قالُ: سُبْل٥)، وعَضْدٌ وفَخْذ، ونحوُ ذلكَ[6].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ أيْ: لذُو تجاوُزٍ عنِ[7] النَّاسِ على ظُلمِهِم لأنفسِهِم.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ معناهُ: لشديدُ العقابِ لِمَن استحقَّهُ.

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من ز، ط.

(٢) نسبها النحاس للأعمش، ونسبها ابنُ خالويه لِعيسى بن عُمَر، ونسبها الهُذليُّ في الكاملِ للحَسنِ، وابنِ أبي عبلة، وحُمَيد، وأبي حَاتِمٍ عن أبي بكر، وعبد الوارث عن أبي عمرو، وزاد الكرماني: عاصمًا، وابنَ قطيب.
ينظر: معاني القرآن للنَّحاس: ٤٧٢/٣. مختصر في شواذ القرآن: ٧١. الكامل في القراءات: ٥٧٨. شواذ القراءات: ٢٤٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٣. معاني القرآن للنحاس: ٤٧٢/٣.

(٤) في الأصل، ز: (وإسكان **للثاء**)، والمثبت من ط، وكذا هي في معاني القرآن للنحاس: ٤٧٢/٢.
نسبها النحاس للأعمش، ونسبها ابن خالويه وابن جنّي ليحيى بن وثَّاب، وقال الهذلي إنها اختيار الزَّعفراني.
ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٧٢/٢. مختصر في شواذ القرآن: ٧٢. المحتسب لابن جني: ٣٥٣/١. الكامل في القراءات: ٥٧٨.

(٥ - ٥) في ط: (كما **يقال**: **رُسْل**).

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٤.

(٧) في ط: (تجاوز **على**).

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٨﴾

معناهُ: ويقولُ الَّذينَ كفرُوا [بمحمَّدٍ][(١)] -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- والقرآنِ: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لنبوَّتِهِ[(٢)]؟!

يعنونَ الآياتِ الَّتي كانُوا يقترحونَها عليهِ؛ نحوَ ما ذَكرهُ اللهُ تعالَى مِنْ قولِهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، إلى آخرِ ما ذكرُوه[(٣)].

يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أيْ: أنتَ -يا مُحَمَّدُ- مُعْلِمٌ بموضِعِ المخافةِ، وليسَ إنزالُ الآياتِ إليكَ، إنَّما هُو إلى اللهِ تعالى[(٤)].

ولوْ وجَبَ إجابةُ المتعنِّتِ[(٥)] إلى ما يَتعنَّتُ [(٦)]فيهِ بعدَ إقامةِ[(٦)] الحُجَّةِ عليهِ؛ لكانَ إذا اقترحَ واحدٌ منهُم شيئًا، واقترحَ الآخرُ شيئًا؛ لوجَبَ إجابةُ كُلِّهِم [إلى][(٧)] ما اقترحُوا، وهذا ممَّا لا يجوزُ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فمَنْ جعلَ هذهِ (الواوَ) للجَمْعِ فوصَلَهَا بما قبْلَها، كانَ تقديرُ الكلامِ: إنَّما أنتَ منذرٌ وهادٍ[(١)] كُلَّ قومٍ.

---

(١) في الأصل، ز، ط: (كفروا **لمحمد**)، ولعلَّ الصواب ما أثبته في المتن؛ فالسياق لا يتناسب إن قيل: (كفروا **لمحمد** والقرآن)، كما أنَّ (كفر)، يتعدى بالباء ولا يتعدى باللام. ينظر: لسان العرب: (ك ف ر).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤٣٧/١٣. بحر العلوم: ١٨٤/٢. تفسير الثعلبي: ٢١٧/١٥.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦١٨/٢. *وتكملة ما ذكروه، حكاه القرآن على لسانهم فقال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩١-٩٣]. وغير ذلك مما كانوا يقترحونه، وحكاه لنا القرآن منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، وغير ذلك مما قصه علينا القرآن الكريم من مقترحاتهم.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٦٨/٢. التفسير البسيط: ٢٩٨/١٢ (عزاه إلى أهل المعاني). التفسير الوسيط: ٦/٣.

(٥) المتشدد. ينظر: لسان العرب: (ع ن ت).

(٦ - ٦) في ط: (ما يتعنت **به بعد قيام**).

(٧) في الأصل، ز: (كلهم **لدلي**)، وهو خطأ، والمثبت من ط.

ومَن قطَعَ هذهِ (الواوَ) فجعلَها للاستئنافِ، كانَ المعنَى: ولكُلِّ قومٍ هادٍ[٢] نَبِيٌّ[٣] مِثْلُكَ يهديهِم، واللهُ[٤] تعالَى الهادِي.

=

(١) في ط: (منذر **وهادي**).

(٢) في ط: (قوم **هادي**).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٢/٢. مشكل إعراب القرآن: ٣٩٧/١. التبيان في إعراب القرآن: ٧٥٢/٢.

(٤) في ط: (**أو** الله).

[٩-١٠] قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ[١] ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝﴾

معناهُ: اللهُ تعالى [يَعلمُ][٢] ما تحملُ كُلُّ أُنثَى مِنْ علَقةٍ أو مُضغةٍ، أو ذكرٍ أو أنثَى، أو كاملِ الخِلْقةِ [أو ناقصِ الخِلْقةِ][٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عنهُما- والضَّحَّاكُ[٤] -رحمَهُ اللهُ-: «ومَا تَنْقُصُ مِنَ الأَشْهُرِ التِّسْعَةِ فِي الحَمْلِ[٥]ومَا تَزْدَادُ على التِّسْعَةِ، فإنَّ الوَلَدَ قَدْ يُولَدُ لِستَّةِ أَشْهُرٍ [فيَعِيشُ][٦]، ويُولَدُ لِسَنَتَينِ [فيَعِيشُ][٧]»[٨].

وقالَ الحَسَنُ[٩] -رضيَ اللهُ عَنْهُ-: «وَمَا [تنَقُصُ][١٠] بالسِّقْطِ، وَمَا [تَزْدادُ][١١] بِالتَّمَامِ»[١].

---

(١) /٣ط/ز١٩٤/.

(٢) في الأصل، ز: (تعالى **أعلم**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لتمام المعنى.

(٤) الضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم، أبو القاسم الهِلَالي، وقيل: أبو الحَكَم، وقيل غير ذلك. تابعي صدوق، كثير الإرسال. صاحب التفسير، من أوعية العلم. مات سنة ثنتين ومئة، وقيل: خمس ومئة، وقيل غير ذلك. حدَّث عن أبي سعيد الخُدْري، وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وحدَّث عنه إسماعيل بن أبي خالد، وجُوَيبر بن سعيد.

ينظر: التاريخ الكبير: (٤/٣٣٣-٣٣٢). تهذيب الكمال: (١٣/٢٩٢-٢٩١، ٢٩٧). سير أعلام النبلاء: (٤/٥٩٨-٦٠٠). تقريب التهذيب: ٢٨٠.

(٥) في الأصل، ز: (الحمل **قال ابن عباس -رضي الله عنهما**)، وهي زيادة لا يستقيم معها السياق، كما أنها ساقطة من ط، وكذا في المرجع من غير زيادة.

(٦) في الأصل، ز: (أشهر **ويعيش**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٧) في الأصل، ز: (لسنتين **ويعيش**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٨) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٩٧)، عن ابن عباس والضحاك بلفظه. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٤٤٩)، عن الضحاك ببعضه. وكذا أخرجه (١٣/٤٥١)، عن الضحاك مطولًا.

(٩) البصري.

(١٠) في الأصل، ز: (وما **نقص**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(١١) في الأصل، ز: (وما **تزد**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

والغَيْضُ هُو: النُّقصانُ[٢].

ويُقالُ: هُو ذَهابُ المائعِ في العُمْقِ.

وقالَ عِكْرِمَةُ[٣] -رضيَ اللهُ عنهُ-: «مَا غَاضَتِ الرَّحِمُ بِالدَّمِ فِي حَمْلِهَا فَهُوَ نُقْصَانٌ مِنَ الوَلَدِ»[٤].

وقالَ ابْنُ زَيْدٍ -رحمهُ اللهُ-: «مَا تَغِيضُ: مَا تَغُورُ مِنَ النُّطْفَةِ فِي الرَّحِمِ، وَمَا تَزْدَادُ بِزِيَادِ مَا تَحِيضُ»[٥].

وهذَا إنَّمَا يَصِحُّ على قولِ[٦] مَنْ يقولُ: إنَّ الحاملَ تحيضُ، وليسَ في القرآنِ ما يدلُّ على ذلكَ[٧].

=

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٩٧)، عن الحسن بلفظه. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/-٤٥١ ٤٥٠)، عن الحسن بمعناه. وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٢٥/٥)، عن مجاهد بمعناه. والطبري في «تفسيره» (٤٥٠/١٣-٤٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٢٧/٧)، كلاهما عن الحسن بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (٤٤٥/١٣)، عن ابن عباس مطولًا. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٤٤٦/١٣-٤٤٧)، عن مجاهد مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧٨/٨)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن جرير عن الحسن ببعضه. وفي رواية (٣٧٧/٨)، عزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس مطولًا.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٩/٢. تفسير الطبري: (٤٤٥/١٣-٤٤٧). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٤.

(٣) عِكْرِمة، أبو عبد الله القُرَشي الهاشمي المدني، مولى ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. التابعي الثقة الثبت. عالم بالتفسير. مات سنة أربع ومئة، وقيل: سبع ومئة، وقيل غير ذلك. روى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأبي سعيدرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروى عنه الشَّعبي، وعَطِيَّة العُوفي.

ينظر: التاريخ الكبير: ٤٩/٧. تهذيب الكمال: (٢٦٤/٢٠-٢٦٧، ٢٩١-٢٩٢). تقريب التهذيب: ٣٩٧.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٢٦/٥)، والطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٤٤٨/١٣)، عن عكرمة بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧٨/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ؛ عن عكرمة بمعناه.

(٥) لم أقف على الأثر.

(٦) سقطت من ط.

(٧) من قال: إنَّ الحامل تحيض؛ فهو: مذهب مالك والشافعي والليث بن سعدٍ وابن لهيعة وابن شهابٍ ويحيى بن سعيد وابن أبي سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن وإسحاق بن راهويه، وذُكر عن عائشة رضي الله عنها قولان: تحيض، ولا تحيض،

=

وقولُه تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ أيْ: فيهِ بيانُ ما قدَّرهُ اللهُ تعالى مِن أحوالِ الأشياءِ، ويَدخُلُ (١الولدُ فيهِ١)؛ لأنَّهُ (٢تعالى قدْ٢) قدَّرَ فيهِ(٣) [حالَ](٤) حياتِهِ وموتِهِ، وصحتِهِ ومرضِهِ، وحالَ نقصانِ عقلِهِ وكمالِهِ، وحالَ تكليفِهِ(٥) إذا بلغَ حدَّ [التكليفِ](٦)، وقدَّرَ لهُ مَا يَجرِي عليهِ مِنْ رزقٍ، وما سيكونُ منهُ مِن طاعةٍ ومعصيةٍ، وولدٍ، وغيرِ ذلكَ، وكذلكَ القولُ في سائرِ الأشياءِ ومقاديرِها.

وقولُه تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ (١[معناهُ: هُو عالمُ ما غابَ عَنِ العبادِ، وما علِمَهُ العبادُ(٧).

=

والصحيح عنها أنها إذا رأت الدم لا تصلي. ومن قال: إنَّ الحامل لا تحيض: أبو عبد الله محمد الشيباني وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة والأوزاعي وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي وسعيد بن المسيّب والحسن وحماد والحكم ومحمد بن المنكدر وسفيان الثوري والأوزاعي وجمهور التابعين، واحتج أحمد بما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (كتاب الطلاق/باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها/ح١٤٧١-٥-) عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عُمَرُ للنَّبِي ﷺ فقال: ((مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا أَوْ حَامِلًا))، وعند الرجوع لطبيبات الحمل والولادة في وقتنا الحاضر كانت الإجابة منهن: أن الحامل لا تحيض، وهو موافق للقول الراجح. وجمع الدكتور/محمد البار في كتابه «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» (٩٩)، بين أقوال الفقهاءِ وبين الطب الحديث فقال: «وإذا استعنا بالمعلومات الطبية فإننا نجد الجنين لا يملأ تجويف الرحم إلا بعد الشهر الثالث من الحمل، وعليه فإن سقوط شيء من غشاء الرحم -وهو الذي يسقط عادة في الحيض- يجعل هذا الدم شبيهًا جدًّا بدم الحيض- ورغم ندرة حصول هذا الدم، إلا أنه يمكن أن يعتبر على هذه الصفة حيضًا، وذلك في الأشهر الثلاثة من الحمل...» والله أعلم.

ينظر: المدونة الكبرى: ٥٥/١. الأصل للشيباني: (٢٩٥/١-٢٩٦). مسائل حرب الكرماني: ٣٣٤-٣٣٨. الأوسط: (٢٤٠/٢-٢٣٨). المغني لابن قدامة: (٤٤٣/١-٤٤٤).

(١ - ١) في ز: (فيه الولد)، تقديم وتأخير.

(٢ - ٢) سقطت من ط.

(٣) سقطت من ط.

(٤) في الأصل، ز، ط: (فيه **أحال**)، الهمزة زائدة لا معنى لها، والسياق يقتضي ما أثبته في المتن -والله أعلم-.

(٥) في ط: (تكليفه **وقدر له ما الذي يكفله** -ثم بعدها كلمة غير مقروءة-، هكذا كتب: (بجلفه).

(٦) في الأصل، ز، ط: (حدَّ **التكلف**)، وهو خطأ.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ١٨٦/٢. التفسير البسيط: ٣٠٢/١٢ (عزاه إلى ابن عباس). التفسير الوسيط: ٧/٣.

ويُقالُ: الغيبُ: ما يكونُ، والشهادةُ:](١) ما كانَ.

وفي الجملةِ أنَّ كُلَّ معلومٍ فهُوَ داخلٌ في هذينِ الحرفينِ؛ لأنَّهُ بينَ معدومٍ وموجودٍ، والمعدومُ(٢) أجمعُ في حالِ(٣) الغائبِ، والموجودُ فيهِ غائبٌ وشاهدٌ.

فبيَّنَ اللهُ تعالى أنَّهُ عالمٌ بالكُلِّ، فأتْبَعَهُ [بأنْ](٤) وصَفَ نفسَهُ بأنَّهُ الكبيرُ، وذلكَ يتضمَّنُ قدرتَه على الأشياءِ(٥) كُلِّها مِن حيثُ لا يجوزُ عليه المنعُ(٦)؛ لأنَّ معنَى الكبيرِ: السَّيدُ المالِكُ المقتدِرُ على كُلِّ شيءٍ.

يُقالُ: أكابرُنا وكُبرَاؤنا، ولا يُرادُ بذلكَ إلَّا رفعُ القَدْرِ وتعظيمُ الخَطَرِ.

ووصَف نفسَهُ تعالى أنَّهُ: ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾(٧)، وذلكَ يتضمَّنُ عُلُوَّهُ [عمَّا](٨) لا يَلِيقُ بهِ، ولا يجوزُ عليهِ(٩).

(١ - ١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٢) /ز/ظ٣٤٧/.

(٣) في ط: (في **حكم**).

(٤) في الأصل، ز: (فأتبعه **بل**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ (أتبعه) يحتاج إلى معمول، ومعموله هو المصدر المؤول المجرور من (أن) والفعل (وصف)، فيكون المعنى: فأتبعه بوصف نفسه.

(٥) /٣ط/ظ١٩٤/.

(٦) يريد المصنف أن يبين أن الأشياء كلها داخلة في علم الله، وتحت قدرته قهرًا، فليس لها أن تمتنع عن تدبير الله لها، ولا تغيب عن علمه.

(٧) في ط: (أنَّهُ **المتعالي**)، خالف النَّاسخُ ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية من رسمِها بغير ياء.
ينظر: المقنع: ٣٠٣. مختصر التبيين: ٧٣٧/٣. الوسيلة في كشف العقيلة: ٣٣٧.
وأثبت الياء في حالِ الوصلِ والوقفِ لفظًا -دون الخط-: ابن كثير.
ينظر: السبعة في القراءات: ٣٥٨. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٢٩. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٧.

(٨) في الأصل، ز: (علوه **عمَّن**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأن (مَن) للعاقل، والمقصود به الصفات التي لا تليق بالله تعالى، وهي غير عاقل، فيناسبها (ما)، ولا تناسبها (من).

(٩) كأنه يشير -والله أعلم- إلى ما أثبته أهل السنة من الصفاتِ الخبرية كصفة الاستواء وأن الله تعالى متعالٍ عن الاتصاف بذلك.

[١١-١٢] قوله عز وجل: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١١ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ /٢/٧٧و/ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١٢﴾.

معنَى [أولِ الآيتين][١] أنَّ المُضمِرَ في نفسِهِ، والجاهرَ بنُطقِهِ، والمُستتِرَ في الظلماتِ، والظاهرَ في الطُّرقاتِ؛ علمُ اللهِ تعالى فيهم سواءٌ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ في موضعِ رفعٍ، كأنَّهُ قالَ: كُلُّهُم سواءٌ عندَ اللهِ تعالى في العلمِ، وهذا كما يُقالُ: سواءٌ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، [و][٣]معناهُ: ذُو سواءٍ، [٤]لأنَّ (سواءً)[٤] مصدرٌ، والمصدرُ ليسَ باسمِ الفاعلِ[٥].

قالَ الزَّجَّاجُ[٦] -رحمَهُ اللهُ-: «مَعْنَى السَّارِبِ: الظَّاهِرُ بالنَّهَارِ في سَرْبِه»[٧]، أيْ: طريقِهِ وتصرُّفِهِ في حوائجِهِ.

يقالُ: خَلِّ [له][٨] سَرْبَهُ، أيْ: طريقَهُ[٩].

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٦-٤٠٥.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٥.

(٦) إبراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْل، أبو إسحاق الزَّجَّاج البغدادي. النَّحوي. توفي سنة ستَّ عشرةَ وثلاثمئة، وقيل: سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة، وقيل غير ذلك. أخذ عن ثعلب، والمبرد. وأخذ عنه أبو علي الفارسي، والقاسم بن عبيد الله الوزير. ومن مصنفاته: كتاب: (معاني القرآن وإعرابه)، وكتاب: (الاشتقاق)، وكتاب: (فعلت وأفعلت).

ينظر: تاريخ العلماء النحويين: (٣٨-٤٠). إنباه الرواة: (١/١٩٤، ١٩٨-١٩٧، ٢٠٠). بغية الوعاة: (١/٤١١-٤١٣).

(٧) معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٥.

(٨) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٩) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٠٥.

وذُكِرَ عن قُطْرُبٍ(١) -رحِمَهُ اللهُ- فِي: «﴿مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ﴾ أيْ: ظَاهِرٌ، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أيْ: مُسْتَتِرٌ»(٢).

يُقالُ: أَسْرَبَ الوحشُ، إذا دخَلَ فِي كِنَاسِهِ(٣).

والقولُ الأوَّلُ(٤): [أَبْيَنُ](٥) وأبلَغُ فِي وصفِ عالمِ الغيبِ(٦).

وذهبَ بعضُهم -رحمه اللهُ-: إلى أنَّ المُرادَ بالمستخفِي والسَّاربِ: المستترُ بالليلِ والنَّهارِ(٧).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ (٨مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ٨)﴾ فمعناهُ: للإنسانِ مُتناوِباتٌ(٩)، وهاءُ الكنايةِ(١٠) فِي قولِهِ تعالى: ﴿لَهُۥ﴾ ردٌّ على مَنْ أسرَّ القولَ ومَنْ جهَرَ بهِ؛ وهُم الآدميُّونَ.

وقالَ بعضُهم -رحِمَهُم اللهُ-: هذهِ كنايةٌ [عن](١١) اللهِ تعالى(١٢).

---

(١) محمدُ بنُ المستنير، أبو علي المعروف بقطرب. النَّحوي. توفي سنة ست ومئتين. أخذ عن سيبويه، وعيسى بن عمر. وأخذ عنه: أبو القاسم الباهلي المهلبي. من مصنفاته: كتاب (معاني القرآن)، وكتاب (النوادر)، وكتاب (الصِّفات). ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ٩٩-١٠٠. تاريخ العلماء النحويين: (٨٢-٨٤). بغية الوعاة: (١/٢٤٣-٢٤٢).

(٢) معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها).

(٣) الكِنَاس والمِكْنَس: مولج الوحش من الظباء والبقر؛ تستكنُّ فيه من الحر، سُمي بذلك لأنها تكنس الرمل حتى تصلَ إلى الثرى. ينظر: لسان العرب: (ك ن س).

(٤) أي قوله: «معنَى أول الآيتين أنَّ المُضمِرَ في نفسِهِ...»، إلى قوله: «علم الله تعالى فيهم سواء»، ينظر: (٢٥٢)، من هذه الرسالة.

(٥) في الأصل، ز: (الأول **بين**)، وأثبتُّ الأنسب للسياق، وكذا هو في ط.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٦.

(٧) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها).

(٨ - ٨) سقطت من ط.

(٩) ينظر: التفسير البسيط: ٣٠٧/١٢. وأيضًا: ٧/٣.

(١٠) هاء الكناية: مصطلح من المصطلحات الكوفية يقصد به الضمير. ينظر: المدارس النحوية للسامرائي: ١٠٧. المدارس النحوية لشوقي ضيف: ١٦٦. المصطلح النحوي: ١٩٠.

(١١) في الأصل، ز: (كناية **على**)، والمثبت من ط.

(١٢) ينظر: تفسير الطبري: ٤٥٦/١٣. تأويلات أهل السنة: ٦٢٠/٢. التفسير البسيط: ٣٠٩/١٢.

ويُقالُ: هيَ كنايةٌ عَن رَّسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-(١).

واختلفُوا في المُعقِّباتِ:

قالَ بعضُهم -رحمهُ[م](٢) اللهُ-: الملائكةُ الكرامُ الكاتبونَ، ومنهُم أربعةٌ: ملَكانِ(٣) باللَّيلِ، وملَكانِ بالنَّهارِ(٤)، تعقبُ ملائكةُ اللَّيلِ ملائكةَ النَّهارِ، وملائكةُ النَّهارِ ملائكةَ اللَّيلِ(٥)، كمَا قالَ جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧] إلى آخرِ الآيةِ(٦)، وكمَا قيلَ في تفسيرِ قولِه تعالى(٧): ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨] تَشهَدُهُ ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهارِ(٨).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٦٧ (أخرجه عن عبد الرحمن بن زيد، وابن زيد ذكر هذا المعنى؛ أي خاصة بالنبي ﷺ؛ لأنه ذكر سبب النزول الذي سيأتي تخريجه والتعليق عليه في آياتِ الصواعق وهو في (٢٦٣)، من هذه الرسالة؛ أن الله حفظ النبي من عامر بن الطفيل ومن معه، إلا أن الطبري استبعده، وعلَّل بأنه لم يجر للنبي ﷺ ذكر في الآية أو الآية التي قبلها، ووافقه في ذلك ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (١٨٥/٥) فقال: «وقال عبد الرحمن بن زيد: الآية في النبي ﷺ، ونزلت في حفظ الله له من أربد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل في القصة التي تأتي بعد هذا في ذكر الصواعق، وهذه الآية وإن كانت ألفاظها تنطبق على معنى القصة؛ فيضعف القول إنه النبي ﷺ؛ لأنه لم يتقدم له ذكر فيعود الضمير في (له) عليه). تفسير ابن أبي حاتم: (٢٢٢٩/٧- ٢٢٣١) (أخرجه عن أبي الجوزاء، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم). معاني القرآن للنحاس: ٤٨٠/٣ (عزاه لأبي الجوزاء). تفسير الثعلبي: ٢٣٩/١٥.

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٣) /٣ط/و١٩٥/.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٤٨/٢ (عزاه إلى الحسن).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٠/٢. تفسير الطبري: (٤٥٦/١٣-٤٦٠) (أخرجه عن أبي صالح، وقتادة وابن عباس). تفسير ابن أبي حاتم: ٢٢٣٠/٧ (أخرجه عن ابن عباس).

(٦) آخر الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾. وقوله: «كما قال جلَّ ذكره: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾» هو قول ابن جريج؛ حيث إنه فسر قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، بالآية الآنفة، وقد أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٤٥٠/١٣). وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤٧٩/٣). والسمعاني في «تفسيره» (٨١/٣).

(٧) في ط: (تعالى **في هذه الآية**).

(٨) قول الغزنوي في تفسير الآية التي في سورة الإسراء: «تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»، هو التفسير الذي فسره النبي ﷺ للآية؛ كما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بإسنادين مختلفين عن ابن مسعود وعن أبي هريرة (١٢٦/١٦- مسند أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-)، والبخاري في «القراءة خلف الإمام» (١٧٩-١٨٠)، والترمذي في «سننه» (٥/-٢٠٥

=

وأمَّا قولُه تعالى في هذهِ الآيةِ: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: يطوفونَ بهِ كمَا يطوفُ المُوكَّلُ بحفظِ الغيرِ، يُحصِي عليهِ عملَهُ الَّذِي سيَعمَلُهُ، وعمَلَهُ الَّذِي قدْ عمِلَهُ.

وقولُه تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ[مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ](١)﴾ أيْ: يحفظونَهُ بأمرِ اللهِ تعالى(٢)، [فإنَّ](٣) حروفَ الصِّفاتِ يُبدَلُ بعضُها ببعضٍ(٤).

يُقالُ: كانَ الأمرُ مِنْ تدبيرِ فلانٍ، وبتدبيرِ فلانٍ.

وقالَ بعضُهم -رحمَهُمُ اللهُ تعالى-: معنَى المعقِّباتِ: الملائكةُ(٥) الَّذينَ يحفَظونَ العبدَ مِنَ الآفاتِ، كمَا قالَ مُجاهِدٌ -رحمَهُ اللهُ-: «مَا مِنْ عَبْدٍ إلَّا وبهِ مَلائِكَةٌ [مُوكَّلون](٦) يَحْفَظُونَهُ مِنَ

=

٢٠٤-أبواب تفسير القرآن/باب ومن سورة بني إسرائيل)، والطبري في «تفسيره» (١٥/٣٣)، جميعهم عن أبي هريرة بلفظه. وابن ماجه في «سننه» (١/٤٢٧-أبواب مواقيت الصلاة/باب وقت صلاة الفجر)، عن أبي هريرة بنحوه. والحاكم في «مستدركه» (١/٣٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/٤٩-٥٠)، كلاهما عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري بزيادة في آخره. والبزار في «مسنده» (١٠/١٧-١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/٣٤)، كلاهما عن أبي الدرداء مطولًا. وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٨٤) عن قتادة بنحوه موقوفًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٤١٦)، وعزاه إلى عبد الرزاق عن قتادة بلفظه. وفي رواية (٩/٤١٦)، عزاه إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه؛ عن أبي الدرداء بزيادة في أوله. وفي رواية (٩/٤١٥)، عزاه إلى أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة بزيادة في آخره.

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السِّياق.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد: ٤٠٥. تفسير عبد الرزاق: ١/٣٣٢ (أخرجه عن قتادة). تأويل مشكل القرآن: ٥٧٤.

(٣) في الأصل، ز: (تعالى، **وإنَّ**)، والمثبت من ط؛ لأن الجملة تعليلية.

(٤) المقصود بحروف الصفات: حروف الجر عند الكوفيين. ينظر: شرح المفصل: ٤/٤٥٤. همع الهوامع: ٤/١٥٣.

*ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥/٢٣٧. التفسير البسيط: ١٢/٣٠٩ (وعزاه إلى أبي بكر، ومحقق الكتاب وثقه من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري، لكني لم أقف على قول: «وحروف الصفات....» في الكتاب نفسه، ولكنه أشار إلى أن المعنى: يحفظونه بأمر الله). زاد المسير: ٧٢٨.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد: ٤٠٥. معاني القرآن للفراء: ٢/٦٠. تفسير الطبري: (١٣/٤٥٦-٤٦٠) (أخرجه عن الحسن، ومجاهد، وابن عباس، وإبراهيم، وابن أبي صالح، وقتادة).

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وبنحوه في المرجع.

الْجِنِّ وَالْإِنسِ والْهَوَامِّ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ»(١).

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عنهُمَا-: «يَحْفَظُونَهُ بأمْرِ اللهِ، حَتَّى يَنتَهُوا بِهِ إلى المَقَادِيرِ، فَإِذَا انتَهَوا بِهِ(٢) إلى المَقَادِيرِ خَلَّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَقَادِيرِ»(٣).

والقولُ الأَوَّلُ: أقرَبُ؛ لأنَّ الملائكةَ لو وُكِّلُوا بحفظِ المرءِ (٤على الإطلاقِ٤) لما جازَ أنْ تنوبَهُ نائبةٌ، كمَا أنَّهُم لـمَّا وُكِّلُوا بضبطِ أعمالِهم لمْ يَفُتْهُم منهَا في الإحصاءِ طاعةٌ ولا معصيةٌ، ولا بُدَّ مِنْ أنْ يُرادَ بالحفظِ أمرٌ مخصوصٌ، وذلكَ حفظُ الأعمالِ، و(٥)التنبيهُ بالخواطرِ؛ ليُصرَفَ عَنْ وُجوهِ المَهالِكِ، كمَا يُوسوِسُ إليهِ الشيطانُ فيَصرِفَهُ إلى [وُجُوهِ](٦) المَهالكِ والمعاصِي.

ويُقال: أرادَ بالمعقِّباتِ الأمراءَ(٧) الذين يمنعون الناسَ عن [المظالم](٨).

وذهب بعضُهم -رحِمهم الله-: إلى أنَّ المرادَ بقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ مع ما قبلَه أنه يَستوي في علمِ اللهِ السرُّ والجهرُ، والمُستخفي بظلمةِ الليلِ [والمجاهرُ](٩) بالنهارِ، المستظهِرُ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٤٦٠،٤٦٥-٤٦٦)، عن مجاهد مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٧٧-٣٨٧)، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد مطولًا.

(٢) سقطت من ط.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/١٨٧)، عن ابن عباس بلفظه. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٣٢)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٤٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٢٣٢)، جميعهم عن ابن عباس بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٨٦)، وعزاه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن ابن عباس بمعناه.

(٤ - ٤) سقطت من ز.

(٥) في ط: (الأعمال **أو التنبيه**).

(٦) في الأصل، ز: (إلى **وجه**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق من مطابقة الجمع بالجمع.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٤٦٠-٤٦١). تفسير ابن أبي حاتم: ٧/٢٢٣٠ (أخرجه كلاهما عن ابن عباس، وعكرمة، وزاد الطبري أثرًا عن الضحاك). معاني القرآن للنحاس: ٣/٤٧٨ (عزاه إلى ابن عباس).

(٨) في الأصل، ز: (عن **الظالم**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٩) في الأصل، ز: (الليل **والمجاهرة**)، التاء زائدة لا معنى لها، وهي خطأ، والمثبت من ط.

بالـمُعاوِنين والأنصارِ، فتكونُ الكنايةُ[١] في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ مردودةً إلى السارِبِ بالنهارِ كافَّة[٢].

ويكونُ المعنى في الحقيقة: أنَّ مَنِ استخفى بالليلِ فلن يفوتَ اللهَ تعالى أمرُه، ومَن سارَ نهارًا بالمعقِّباتِ[٣] -نحوُ السلطانِ يُحرَسُ بالأعوانِ الذين يُقدِّرون أنهم يَحفَظونه- لا يُنجيه حُرَّاسُه وأعوانُه من الله تعالى. قال: ولذلك عقَّبه الله تعالى [بقوله] [٤]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من العدلِ وشكرِ النعمة؛ لأنَّ أعوانَهم يحفَظونه[م][٥]، [أو][٦] يقدرون على دفعِ أمرِ الله تعالى عنهم، فإذا غيَّر القومُ ما بهم منَ الأمنِ والنعمةِ بتركِ الشكرِ[٧]، غيَّر اللهُ تعالى حالَهم عند ذلك، كما قالَ في آيةٍ أخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٤][٨].

وقال مُقاتِلٌ -رحِمه لله-: «أنعمَ اللهُ سبحانَه على أهلِ مكةَ إذ بعَث فيهم رسولًا من أنفُسِهم، وأطعَمَهم من جوعٍ، وأمَّنَهم من خوفٍ، فلم يَعرفوها، [فغيَّرها][٩]، وجعلَها لأهل المدينةِ»[١٠].

---

(١) أي: الضمير -كما سبقت الإشارة-. ينظر: (٢٥٣)، من هذه الرسالة.

(٢) /٣ط/ظ١٩٥/.

(٣) /ز/و٣٤٨/.

(٤) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٥) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لأنه يتكلم عن (القوم).

(٦) في الأصل، ز: (يحفظونهم **أن**)، والمثبت من ط؛ لأن الفعل (يقدرون) ثبتت نونه مما يدل على أنَّ الفعل مرفوع، ولا محل لـ(أن) هنا، والسياق يقتضي (أو)، ولا يقتضي (أن).

(٧) في ط: (**الشرك**)، وهو تصحيف.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: (٢/٣٦٧-٣٧٠). بحر العلوم: ٢/ ١٨٧.

(٩) في الأصل، ز: (يعرفوها **فغيرهما**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(١٠) لم أقف عليه مسندًا. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/١٨٧)، عن مقاتل بنحوه.

وقال الحسنُ -رضِيَ اللهُ عنه-: «إرادةُ التغيير في هذه الآية: عذابُ الاستئصال»[١].

وهذا هو الأصحُّ؛ لأنه يجوزُ أن يُرادَ بالتغيير تغيرُ حال الإنسان من سَعةٍ إلى ضيقٍ ومن غِنًى إلى فقرٍ؛ لأن مثلَ هذا قد يفعلُه اللهُ تعالى [بالمؤمن][٢] وإن لم يَعصِه[٣].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ فالمعنى: وإذا أراد الله تعالى إنزالَ عذابٍ على قومٍ؛ فلا دافعَ له[٤].

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ يتولَّاهم وينصرُهم[٥].

ويُقال: مِن ملجأٍ يلجَئون إليه[٦].

والمَوئِل هو: الملجأُ[٧].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، والرازي ذكر في تفسير الآية أقوالًا عن عذاب الاستئصال بنحو ما ذكره الغزنوي، للاستزادة ينظر: تفسير الرازي: (١٩/٢٣-٢٤).

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) يبدو أنَّ في قول المصنف سقطًا أو اضطرابًا؛ ولم يتبين لي بعد مراجعة النسخ الثلاث للمخطوطِ، وكذا مقارنة ما ذكره مع ما ذكر في كتب التفسيرِ وعلومِ القرآن التي وقف مصنفوها على الآية.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٧٠. تفسير الطبري: ١٣/٤٧١. بحر العلوم: ٢/١٨٧.

(٥) في ز: (يتولاهم **وينصر**)، سقطت الهاء والميم. *ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧/٢٢٣٣ (أخرجه عن السدي). تفسير الثعلبي: ١٥/٢٤٧.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٧. تفسير الثعلبي: ١٥/٢٤٧. تفسير البغوي: ٤/٣٠٣.

(٧) ينظر: العين: (أ ي ل). معاني القرآن للفراء: ٢/١٤٨. تفسير غريب القرآن: ٢٦٩.

[١٣-١٤] قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ /٢/ظ٧٧/ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝﴾

وذلك أنَّ الله تعالى سبحانه لَمَّا بيَّن مِن قبلُ تحذيرَ المُفسِدين مِن إنزالِ ما لا مردَّ له؛ أَتْبَعَه بذكرِ ما يُشبهُ[١] العقابَ، وبيَّن [بـ]هذه[٢] الآيةِ ما فيها من النعمِ والدلالةِ على الله سبحانه وتعالى، فقالَ عزَّ مِن قائلٍ:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً[وَطَمَعاً][٣]﴾ وهو اللَّمْحةُ التي تَنقدِحُ مِنَ السَّحابِ[٤].

وقولُه تعالى: ﴿خَوْفاً﴾ أي: يخوّفكم به خوفًا، ويُطمِعُكم به[٥] طمعًا، وهو خوفٌ للمسافر بالمطرِ أنْ تَبتلَّ ثيابُه وطريقُه فلا يُمكِنُه السيرُ، وطمعًا للمقيمِ أن يَسقِيَ حرثَه[٦].

ويُقالُ: خوفًا مِن أن لا ينزلَ الغيثُ فيُخْلِفَ، وطمعًا من أن لا يُخْلِفَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [أي: يخلقُ السَّحابَ الثِّقالَ][٧] بالمطر[٨] فيُجريه في الجوِّ.

والإنشاءُ: اتخاذُ الشيء من غير أصلٍ، لا على [[٩]حالٍ[٩]] سبقَ.

---

(١) /٣ط/و١٩٦/.

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه للسياق.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٤٩/٢ (عزاه إلى يحيى).

(٥) في ط: (ويطمعكم **فيه**).

(٦) في ط: (حرثه. **ويقال: خوفًا لكلِّ من يستضر به، وفي زمان يضر المطر، وطمعًا: لكلِّ من ينتفع به، وفي زمان ينفع المطر**).

*من قوله: «خوف للمسافر»، وقوله: «وطمعًا للمقيم»، ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٣٣٣/١. تفسير الطبري: ٤٧٥/١٣ (أخرجه كلاهما عن قتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٦.

(٧) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٧٠/٢. بحر العلوم: ١٨٧/٢. التفسير الوسيط: ٩/٣.

(٩ - ٩) في الأصل، ز: (على **غير مثال**)، والمثبت من ط؛ لوضوح المعنى.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ رُوي أنَّ الرَّعدَ اسْمُ مَلَكٍ يَزْجُرُ السَّحَابَ، ويُؤلِّفُ بعضَهُ إلى بعضٍ. وتسبيحُه: زَجْرُهُ بالسَّحابِ[١].

قال عِكْرِمَةُ[٢] -رحمه الله-: «هُوَ كَالحادِي بالإِبِلِ»[٣].

وعن سَلَمَةَ[٤] بْنِ كُهَيْلٍ[٥] -رحمه الله- «أنه سُئِلَ عَنِ الرَّعْدِ فقالَ: «هُو مَلَكٌ، وسُئِلَ عَنِ

---

(١) من قوله: «رُوي أنَّ الرَّعد اسْمُ مَلَك يَزْجُرُ السَّحَاب، ويؤلِّفُ بعضُهُ إلى بعض»، ذكره ابن أبي زمنين في ((تفسيره)) (٣٤٩/٢)، وعزاه إلى الكلبي بنحوه. والذي عليه كتب التفسير المسندة هو أن كل جزء من قول الغزنوي له إسنادٌ منفردٌ عن الآخر. فقوله: «رُوي أنَّ الرَّعد اسْمُ مَلَك يَزْجُرُ السَّحَاب» أخرجه ابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (١١٥)، عن أبي هريرة بنحوه. والطبري في ((تفسيره)) (٣٥٩/١)، عن مجاهد بنحوه. وعبد الرزاق في ((تفسيره)) (٣٣٣/١)، وابن الجعد في ((مسنده)) (٥٥)، وابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (١٢٣)، والطبري في ((تفسيره)) (٣٥٧/١)، جميعهم عن مجاهد بزيادة في آخره. وابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (١٢٣)، والطبري في ((تفسيره)) (٣٥٨/١)، وأبي الشيخ في ((العظمة)) (١٢٨٥/٤)، جميعهم عن ابن عباس مفرَّقًا. وابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (١١٤)، والطبراني في ((الدعاء)) (٣٠٦)، كلاهما عن ابن عباس بزيادة في آخره. والخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (٣٣١)، عن عكرمة بزيادة في آخره. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٠١/٨)، وعزاه إلى أبي الشيخ عن ابن عباس بزيادة في آخره. وفي رواية أخرى (٤٠٣/٨)، عزاه إلى الخرائطي عن عكرمة بزيادة في آخره. وقوله: «وتسبيحه: زَجْرُهُ بالسحاب»، أخرجه الطبري في ((تفسيره)) (٣٥٨/١)، عن ابن عباس مفرَّقًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٠١/٨)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن مردويه؛ عن ابن عباس مفرَّقًا.

(٢) مولى ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في ((تفسيره)) (٣٥٩/١)، عن عكرمة بمعناه. والسمرقندي في ((تفسيره)) (١٨٧/٢)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٥٠٦/٣)، كلاهما عن عكرمة بزيادة في أوله. والطبري في ((تفسيره)) (٣٥٨/١)، والخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (٣٣١)، والطبراني في ((الدعاء)) (٣٠٦)، وأبو الشيخ في ((العظمة)) (١٢٨٣/٤-١٢٨٤)، جميعهم عن ابن عباس في أثناء الحديث. وابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (١٢٠)، والطبري في ((تفسيره)) (٣٥٧/١)، وأبو الشيخ في ((العظمة)) (١٢٨٥/٤-١٢٨٤)، جميعهم عن شهر بن حوشب في أثناء الحديث. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٠٢/٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في ((سننه))، عن عكرمة بمعناه. وفي رواية (٤٠٠/٨)، عزاه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ، والخرائطي؛ عن ابن عباس في أثناء الحديث.

(٤) في ز، ط: (عن **مسلمة**)، وهو خطأ.

(٥) سَلَمة بنُ كُهَيْل بنِ حُصين، أبو يحيى الحضرمي الكوفي. تابعي ثقة، متقن للحديث. من أثبت أهل الكوفة. ولد سنة سبع وأربعين. وتوفي سنة إحدى وعشرين ومئة، وقيل: سنة اثنتين وعشرين ومئة، وقيل غير ذلك. روى عن إبراهيم بن سويد النخعي، وإبراهيم بن يزيد التيمي. وروى عنه: الأجلح بن عبد الله الكندي، وإسماعيل بن أبي خالد.
ينظر: التاريخ الكبير:٧٤/٤. تهذيب الكمال: (٣١٣/١١-٣١٥، ٣١٧). تقريب التهذيب: ٢٤٨.

البَرْقِ فَقَالَ: هُو مَخَارِيقُ بِأَيْدِي المَلائِكَةِ مِنَ النَّارِ»(١).

وذَهَب أهلُ اللغةِ إلى أنَّ الرعدَ هو: السَّوْطُ(٢)، (٣ويحتملُ أنه الضربُ الذي مِنَ السحابِ٣).

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ(٤)﴾ على هذا القولِ: ما فيه من الدلالةِ على تنزيهِ الله تعالى ووجوبِ حمدِه(٥).

ويُقالُ: يُسبّحُ سامعُ الرعدِ(٦).

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: وتسبحُ الملائكةُ من خوفِ الله تعالى(٧).

---

(١) أخرجه الطبري في ((تفسيره)) (٣٦٢/١)، والخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (٣٣١)، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٥٥/١)، وأبو الشيخ في ((العظمة)) (١٢٨١/٤)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٥٠٦/٣-٥٠٧)، جميعهم عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن الأشوع، عن ربيعة بن الأبيض، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ببعضه. وابن أبي الدنيا في ((المطر والرعد)) (٣٣١)، عن سلمة بن كُهيل، عن ابن أشوع عن ربيعة بن الأبيض ببعضه. والطبري في ((تفسيره)) (٣٦٣/١)، عن ابن عباس ببعضه. وأبو الشيخ في ((العظمة)) (١٢٨٢/٤)، عن بشير بن أبي ميمونة عن علي ببعضه. وأورده السمرقندي في ((تفسيره)) (١٨٧/٢)، وعزاه إلى وكيع عن المسعوديّ عن سلمة بن كهيل بنحوه. والسيوطي في ((الدر المنثور)) (٣٩٧/٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والخرائطي في ((مكارم الأخلاق))، والبيهقي في ((سننه))، من طرق عن علي بن أبي طالب ببعضه.

(٢) في ط: (السوط **من السحاب**).

*لعلَّ المؤلف أو النساخ وهموا؛ حيث إني لم أقف على من قال إن الرعد هو: السوط، وإنما فُسِّر البرق بالسوط، ونسب القول إلى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ينظر: تفسير الطبري: ٣٦٣/١. غريب القرآن للسجستاني: ٢٤٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٨٠/١.

كما أن المصنف عزا القول لأهل اللغة، ولم أقف على أحد من أهل اللغة قال بأن البرق هو السوط، وإنما ورد في مصادر اللغة منقولًا عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: (٣٢٧/٢-٣٢٨).

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٠٣/٥.

(٦) في ط: (الرعد **بحمده**). أشار السمعاني إلى هذا المعنى منسوبًا إلى قتادة بلفظ: «هذا عبد لله تعالى سامع مُطِيع». ينظر: تفسير السمعاني: ٨٣/٢.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/١٣. بحر العلوم: ١٨٨/٢. تفسير الثعلبي: ٢٥٣/١٥.

وأرادَ بالخوفِ: خوفَ[١] الهيبةِ والجلالِ[٢].

والخِيفةُ: حالُ الخوف، وكما يُقالُ لحالِ الركوبِ: رِكْبَة، ولحالِ الجلوسِ: جِلْسَة[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ﴾ أي: النيرانَ[٤] التي تسقطُ من الغيومِ، فتحرقُ ما تقعُ عليه كنيرانِ البرقِ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَّشَآءُ﴾ أي: يُهلِكُ بها مَن يشاءُ مِن خلقِه[٦].

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِے[٧] ٱللَّهِ[٨] [٩]وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ[٩]﴾ أي: شديدُ القوةِ والعقوبةِ[١٠].

ويُقالُ: ماحَلْتُ فلانًا؛ إذا قاويتَهُ حتى يتبيَّن أيُّكما أشدُّ، ومنه سَنَةٌ مَحْلٌ؛ أي: شديدةٌ في الجَدْبِ والحولِ والقوَّةِ[١١].

---

(١) سقطت من ز.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٢٢/٢. التفسير البسيط: ٣١٥/١٢. التفسير الوسيط: ٩/٣ (عزاه الواحدي إلى ابن عباس).

(٣) يشير إلى ما يسمى بـ(اسم الهيئة): ينظر: شرح التسهيل: ٤٧٠/٣.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٠١. تفسير الطبري: ٦٩٠/١ (أخرجه عن السدي). تفسير الطبري: ١٨٨/٢.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ٨٢/١.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ١٨٨/٢.

(٧) /٣ط/ظ١٩٦/.

(٨) في ط: (﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِے ٱللَّهِ﴾ **أي: الكفار يخاصمون في الله تعالى في نفيه أو إثبات شريك معه. وقوله تعالى:** ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾).

(٩ - ٩) سقطت من ط.

(١٠) ينظر: مجاز القرآن: ٣٢٥/١. تفسير الطبري: (٤٨٢/١٣،٤٨٤) (أخرجه عن أبي عبيدة ومجاهد وابن زيد). تأويلات أهل السنة: ٦٢٢/٢.

(١١) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها). تفسير الطبري: ٤٨٢/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٧.

وذكرَ القُتَيْبِيُّ[١] -رَحمهُ اللهُ-: «أنَّ المِحَالَ هُو: الْكَيْدُ. وَأَصْلُهُ: الحِيلَةُ»[٢].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «أن هذه الآيةَ نزَلت في عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ[٣] وَأَرْبَدَ بْنِ قَيْسٍ[٤] أتَيَا رسولَ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم- فأما عَامِرٌ فكان يكلمُه ويخاصمُه في الله تعالى، وكان يقولُ: انسُب لنا ربَّك، أمِنْ ذَهَب؟! أمِنْ فضةٍ؟! أو من لؤلؤ؟! وكان -صلى الله عليه وسلم- يرُدُّ عليه قولَه، فغمزَ عَامِرٌ صاحبَه: أنِ اضرِبْه بالسيف، وكانا قد استَخْلَيَا برسولِ[٥] الله -صلى الله عليه وسلم- فاخترطَ[٦] أَرْبَدُ شبرًا من سيفه؛ فحبَسَه الله تعالى، فلم يقدِرْ على سَلِّه، وجعَل عَامِرٌ يُومي إليه فلا يستطيعُ سلَّه، فالتفتَ -صلى اللهُ عليه وسلم- فرأى أَرْبَدَ وما صنَع، فقالَ: ((اللهُمَّ اكفِنِيهم بما شئتَ))، فأرسلَ اللهُ تعالى صاعقةً على أرْبَدَ

(١) عبدُ الله بنُ مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الدينوري، وقيل: المروزي الكاتب. صاحب التصانيف. كان ثقة ديِّنًا فاضلًا، وكان رأسًا في اللغة والعربية والأخبار وأيام الناس. ولد سنة سبعين ومئتين. وتوفي سنة ست وسبعين ومئتين، وقيل: سنة سبعين. حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد الزيادي. وأخذ عنه: ابنه القاضي أحمد، وعبيد الله السكري. ومن تصانيفه: كتاب (غريب القرآن)، وكتاب (غريب الحديث)، وكتاب (مشكل القرآن).

ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٨٣. تاريخ العلماء النحويين: ٢٠٩-٢١٠. نزهة الألباء: ١٥٩-١٦٠. تاريخ الإسلام: ٥٦٥/٦.

(٢) تفسير غريب القرآن: ٢٢٦.

(٣) عامر بن الطُّفَيل بن مالك العامري الجعفري. سيد بني عامر في الجاهلية، كان من شعراء الجاهلية وفرسانها. اختلف في إسلامه، والراجح أنه مات على الكفر؛ لدعاء النبي ﷺ عليه، فأخذته الغُدةُ، وكان يقول: «غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية». ولد قبل مولد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة.

ينظر: أسد الغابة: (١٢٤/٤-١٢٥). الوافي بالوفيات: (٣٣٠/١٦-٣٣١). الإصابة: ٥٠٥/٥.

(٤) أربدُ بن قيس بن جَزْء. أخو لَبِيد الشاعر لأمه، أراد قتل النبي ﷺ مع عامر بن الطُّفَيل، فدعا عليه؛ فرماه الله بصاعقة فمات.

ينظر: جمهرة أنساب العرب: ٢٨٥/١. الوافي بالوفيات: (٢١٦/٨-٢١٧). الأعلام للزركلي: ٢٩٥/٢.

(٥) /ز/ظ٣٤٨/.

(٦) سلَّ سيفه من غمده. ينظر: لسان العرب: (خ ر ط).

فأحرقَتْه، وولَّى عامرٌ هاربًا، فنزل على سَلُولِيَّةٍ[١] فطُعِن في خاصرتِه[٢] فماتَ»[٣].

(١) امرأة من قيس. ينظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/١٣. المعجم الكبير للطبراني: ٣٨١/١٠.

(٢) في ط: (في **خنصره**). المقصود بقوله: «طُعن» أي: أصيب بالطاعون، واشتهر عن عامر بن الطفيل في بعض الروايات قوله: «غدةٌ كغدَّةِ البعير»، ومعناها الطاعون.

ينظر: الأمثال لابن سلام: ٢٦١. مسند أحمد: ٥٣/٤٢. تفسير الطبري: ٤٦٩/١٣.

(٣) أخرجه الطبراني في ((الأحاديث الطوال)) (٨١-٨٢)، و((المعجم الأوسط)) (٦١/٩-٦٢)، و((المعجم الكبير)) (٣٨١/١٠-٣٧٩)، والواحدي في ((أسباب النزول)) (٤٥٢-٤٥٣)، جميعهم عن ابن عباس مطولًا.

وفي سبب نزولِ هذه الآية عدة أقوال، وما أشار إليه الغزنوي هو أحدها، ولمن أراد الاستزادة ينظر: تفسير الطبري: (٤٨١/١٣-٤٧٨). ثم إنَّ قول ابن عباس -الذي نسبه له الغزنوي وهو: «أن عامر بن الطفيل كان يقول: انسب لنا ربك، أمن ذهب؟! أمن فضة؟! أو من لؤلؤ؟»- لم أقف على هذا الجزء في قول ابن عباس في تفسير سورة الرعد، وأخرجه الطبري في ((تفسيره)) (٤٧٨/١٣-٤٨١)، عن غير عامر بن الطفيل في أسباب النزول الأخرى التي نزلت في الآية. وذكره السمرقندي في ((تفسيره)) (١٨٨/٢)، عن قتادة في قصة عامر بن الطفيل في سورة الرعد، والبغوي في ((تفسيره)) (٥٨٧/٨) عزاه إلى ابن عباس وأنه قول لعامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة في سبب نزول سورة الإخلاص، وابن الجوزي في ((تفسيره)) (١٦٠٢)، نسب القول لعامر بن الطفيل فقط في أحد أسباب نزول سورة الإخلاص التي ذكرها، وعزاه لابن عباس.

[١٥] قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ١٥﴾

فيه بيانُ حالِ[١] مَن ينقطعُ إلى الله تعالى، وتمييزُه ممَّن ينقطعُ إلى الأصنامِ.

ومعنَى: ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ كلمةُ الإخلاص: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ[٢].

وقالَ الحسنُ[٣] -رضيَ اللهُ عنه-: «إنَّ الحقَّ هو اللهُ تعالى، وكلُّ مَن دعا إلى الله تعالى فهو دعوةُ الحقِّ، وعبادتُه والانقطاعُ إليه حقٌّ، ومَن دعاه لا يذهبُ دعاؤه باطلًا»[٤].

وقولُه تعالى[٥]: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الذين يَدْعون مِن دونِ اللهِ تعالى آلهةً؛ لا تستجيبُ آلهتُهم لهم بشيء، إلا كما يُستجابُ للباسطِ ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ يدعوه لعطشِه، مُشيرًا إليه، مُريدًا بإشارته أن يبلغَ الماءُ فاه، وليس الماءُ ببالغِه، ومن المُحالِ أن يُجيبَه الماءُ[٦] بإشارته، وإن كانت إشارتُه إلى ماءٍ في بئرٍ أو ماءٍ على بُعد فهو أدخلُ في الإحالة، وكما لا يبلغُ الماءُ فمَ هذا الرجلَ، ولا يجيبُه إنْ ماتَ هو من العطشِ، كذلك لا ينفعُ الصنمُ لمن عنده بوجهٍ من الوجوهِ[٧].

---

(١) في الأصل ز: (حال **أنَّ**)، وهي زائدة لا معنى لها؛ لأنَّ (أن) تقتضي أن يكون لها خبرٌ وهو غير مذكور، وكذا هو في ط.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦١/٢. تفسير عبد الرزاق: ٣٣٤/١ (أخرجه عن قتادة وابن عباس). تفسير الطبري: (٤٨٥-٤٨٦/١٣) (أخرجه عن ابن عباس وقتادة وعلي بن أبي طالب وابن زيد). بحر العلوم (بنصه): ١٨٨/٢.

(٣) البصري.

(٤) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الواحدي في «البسيط» (٣٢٢/١٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧٣٠)، والرازي في «تفسيره» (٣٠/١٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٤٢/١٢)، جميعهم عن الحسن بمعناه مختصرًا.

(٥) /٣ط/و١٩٧/.

(٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٧٢/٢. تفسير الطبري: (٤٨٧/١٣-٤٨٩) (أخرجه عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومجاهد، وقتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٠٨.

ويُقال: معنَى ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ كالقابضِ بكفَّيْه[١] على الماءِ، كما يُستعملُ هذا اللفظُ في المَثَل: في مَن يطلبُ شيئًا[٢] لا يصلُ إليه، كما لا يَبقى الماءُ في يدِ القابضِ عليه[٣].

إلا أنَّ القولَ الأولَ أقربُ[٤]؛ لأنه لو كان المرادُ القولَ[٥] الثانيَ لقِيل: على الماءِ، لا: إلى الماءِ؛ فدلَّ على أن المرادَ [٦]بالآيةِ الإشارةُ إلى الماءِ.

وقولُه تعالى[٦]: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: إلا في ضلالٍ عنِ الصوابِ[٧]، وذَهابٍ عن الحقِّ؛ لأن الأصنامَ لا تنفعُ[٨]، ولا تقدرُ على الإجابةِ، وليس عبادتُهم لها إلا جهلًا منهم.

---

(١) سقطت من ط.

(٢) في الأصل، ز، ط: (يطلب **شيء**)، وهو خطأ، وحقها النصب؛ لأنها مفعول به.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٢٤. تفسير غريب القرآن: ٢٢٦. تفسير الطبري: ٤٨٧/١٣. جمهرة الأمثال: ١٢٥/٢.

(٤) واختاره السمعاني كذلك، إلا أنه ذكره القول الثاني وقال: «والقول الثاني وهو المعروف»، ينظر: ٨٥/٣.

(٥) سقطت من ط.

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٤/٢. تفسير السمعاني: ٨٦/٣.

(٨) في ط: (الأصنام **لا تسمع**).

[١٦] قوله عز وجل: ﴿وَلِله يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَٰلُهُم /٢/و٧٨/ بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩﴾

معناه: ولله يُصلِّي ويعبدُ مَن في[١] السماواتِ والأرضِ[٢]، فمَن سجَد له طوعًا[٣]: فالملائكةُ، ومَن دخلَ في الإسلامِ طائعًا، [أو][٤]وُلد في الإسلام. والمُكْرَهُ: هو الذي قُوتِلَ وسُبي فأُجبِر على الإسلام[٥].

ويُقالُ: معناه: أنه يجبُ على كلِّ أحدٍ السجودُ لله تعالى، إلا أنَّ[٦] المؤمنَ يسجدُ له طوعًا، والكافرَ ينبغي أن يُكرَهَ على السجودِ[٧].

ويُقالُ: أرادَ بالطَّوْع: أهلَ السماء؛ لأنَّ عبادتَهم بغيرِ مشقَّةٍ، وبالكَرْه: أهلَ الأرضِ؛ لأنَّ عبادتَهم بالمشقةِ.

---

(١) سقطت من ز.

(٢) سقطت من ط.

(٣) في ط: (طوعًا **وكرها**).

(٤) في الأصل، ز: (طائعًا **وولد**)، وهو خطأ، والمثبت من ط؛ لأن المعنى لا يستقيم بالواو، وكذا هو في المرجع.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦١/٢. بحر العلوم: ٢٨٢/١ (عزاه إلى الكلبي). التفسير البسيط: ٣٢٦/١٢.

*فصل الواحدي القول في مسألة «سجود الكافر بالإكراه» فقال: «المؤمنون والملائكة يسجدون لله تعالى طوعًا، والكافر يسجد كرهًا بالسيف ...، الساجد طوعًا من أهل السماوات والأرض: الملائكة، ومن دخل في الإسلام رغبة فيه أو ولد عليه، من أكره على الإسلام فهو يسجد كرهًا، وهذا القدر لا يفتح معنى الآية؛ لأن قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقع على كل من في الأرض من البشر، وليس جميع الكفار يسجدون كرهًا...» ثم ذكر اختلاف أهل العلم في توجيه الآيات فقال: «ذهب بعضهم إلى التخصيص؛ حكى ابن الأنباري ذلك عن بعض أهل العلم فقال: الملائكة وعباد الله الصالحون يسجدون طوعًا، والكافرون والمنافقون يسجدون خوف القتل، وقلوبهم تنطوي على الكفر، فعلى هذا يراد بقوله: ﴿كَرْهاً﴾، من يسجد لله كرهًا من خوف السيف لا جميع الكفار؛ من العموم الذي دخله الخصوص...»، ثم ذكر أن مِن المفسرين مَن ذهب إلى أن الكره أيضًا من صفة المؤمنين؛ يسجد لله طوعًا بسهولة، ومن المسلمين من يسجد لله كرهًا؛ لصعوبة ذلك عليه وإكراهه نفسه على أدائه. ينظر: التفسير البسيط: (٣٢٦/١٢-٣٢٧).

(٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: التفسير البسيط: ٣٢٧/١٢ (عزاه الواحدي لبعض المفسرين وقال: «ومن المفسرين من أجراها على العموم... فيكون المعنى على ما ذكره المفسرون: أن السجود واجب لله تعالى، فالمؤمن يفعله طوعًا، والكافر يؤخذ بالسجود كرهًا...» إلى أن قال: «وهذا مستبعد من حيث اللفظ».

ويُقالُ: طَوْعًا: لأهلِ الإخلاصِ، وكَرْهًا: لأهلِ النفاقِ[١].

ويُقالُ: معنَى يسجدُ: يخضعُ[٢]، والكلُّ مقهورون لله تعالى خاضِعون، إلا أنَّ المؤمنَ يخضعُ له طَوعًا، والكافرَ يخضعُ كَرْهًا؛ لأنه لا يقدرُ أن يمتنعَ مِنَ[٣] الجبلَّةِ التي خلَقه اللهُ تعالى عليها، ولا أنْ يمتنعَ منَ الأمراضِ والأسقامِ التي تحلُّ به[٤]، ولا منَ الأمورِ التي تدلُّ على أنه مقهورٌ ذليلٌ خاضعٌ لا يمكنُه الامتناعُ، وإن كان بلسانِه يجحَدُ ويكفرُ.

وقد سُمي الخضوعُ سجودًا، كما قال الشاعرُ[٥]:

تَــرَى الْأُكْــمَ[٦] فيــهِ سُــجَّدًا للْحَــوَافِرِ[٧]

أي: تراها لا تمتنعُ، بأنْ[٨] تطأَها الخيلُ بالحوافرِ، وإلا فالجبالُ لا تسجدُ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾؛ فالمعنى: ظلالُ مَن يسجدُ غُدوةً وعشيَّةً، إذا سجدَ الإنسانُ سجدَ معه ظلُّه[٩]، وهو بالغدوِّ: عن اليمينِ، وبالعشيِّ: عن الشمالِ.

ويُقالُ: أرادَ بالظلالِ ظلَّ الأشياءِ عند طلوعِ الشمس وارتفاعِها بالغدو، وعند قربِ غروبِها بالعشيِّ، فمرةً يُرى الظلَّ طويلًا على قدرِ انحطاطِ الشمس، ومرةً يُرى قصيرًا على قدرِ

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٨٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت: مامودو محمد): ٤٠٨-٤٠٩. بحر العلوم: ٢/١٨٩.

(٣) /٣ط/ظ١٩٧/.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٥٥. بحر العلوم: ٢/١٨٩.

(٥) زيدُ بنُ مُهلهِل بن زيد، أبو مُكْنِف الطَّائي النَّبْهاني، المعروف بزيد الخيل. من المُؤلَّفة، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيء سنة تسع، أسلم وحسن إسلامه، أسماه النبي ﷺ بزيد الخير، كان شاعرًا محسنًا خطيبًا. توفي منصرفه من عند النبي ﷺ محمومًا، وقيل: مات في آخر خلافة عمر.

ينظر: معرفة الصحابة: (٣/١١٩٧-١١٩٨). الاستيعاب: ٢/٥٥٩. أسد الغابة: (٢/٣٧٦-٣٧٧).

(٦) الأكم: دون الجبل، وقيل: الموضع الذي هو أشد ارتفاعًا مما حوله. ينظر: لسان العرب: (أ ك م).

(٧) البيت في ديوانه: ١١٠. وصدره: (بجيشٍ تظلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ).

(٨) في ط: (لا تمتنع **من أن**).

(٩) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥/٢٦٢ (عزاه إلى الكلبي).

ارتفاعِها، وما ذلك إلا بصنعِ الله تعالى فيه(١).

وقال الحَسَنُ -رضيَ اللهُ عنه-: «أَمَّا ظِلُّ الكَافِرِ فَيَسْجُدُ للهِ تَعَالى، وَأَمَّا هُوَ فَلا يَسْجُدُ لَهُ؛ بِئْسَ -وَاللهِ- مَا يَصْنَعُ»(٢).

وقال مُجَاهِدٌ -رضيَ اللهُ عنه-: «ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَسْجُدُ طَوْعًا وَهُوَ طَائِعٌ، وَظِلُّ الْكَافِرِ يَسْجُدُ طَوْعًا وَهُوَ كَارِهٌ»(٣).

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٣٢٨/١٢ (عزاه إلى أهل المعاني).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤٩٢/١٣)، عن مجاهد بلفظه. والطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٥٥٠/٥-٥٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٧٦/١)، كلاهما عن مجاهد بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤١٥/٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد بلفظه. وفي رواية (٤١٥/٨)، عزاه إلى أبي الشيخ عن مجاهد بمعناه مختصرًا.

[١٧-١٨] قوله عز وجل: ﴿۞ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ[١] شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٨﴾﴾

معناه: قُلْ، يا محمدُ لأهلِ مكةَ: مَن ربُّ السماواتِ المرفوعةِ والأرضِ المبسوطةِ؟ فإنْ أجابوك وقالوا: هو اللهُ، وإلا فقُل: اللهُ تعالى ربُّهما، وقُل لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ[٢] أَوْلِيَآءَ﴾: أربابًا لا يملِكون لأنفُسِهم نفعًا ولا ضرًّا! فكيف يملِكون[٣] لكم النفعَ والضرَّ[٤]؟! وإنما يتخذُ الإنسانُ الوليَّ لينفعَه، أو يدفعَ[٥] عنه ضرًّا.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: قُل: هل يَستوي أعمى القلبِ الذي يَعدِلُ عن عبادةِ الخالقِ المالكِ للضرِّ والنفعِ المنعِمِ بوجودِ الأنعامِ؟! هل يَستوي مع البصيرِ بقلبِه العالمِ بأنه تعالى إلهُه ووليُّه والقادرُ على نفعِه ودافعُ[٦] الضرِّ عنه؟!

ويجوزُ أن يكونَ قولُه: ﴿قُلْ[٧] هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ على طريقِ المثلِ، أي: كما [أنهما][٨] لا يستويانِ [فـ]كذلك[٩] المؤمنُ والكافرُ[١٠].

---

(١) /ز/و٣٤٩/.

(٢) في ط: (من **دون الله**)، وهو تحريف.

(٣) /٣ط/و١٩٨/.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/١٣. بحر العلوم: ١٨٩/٢. تفسير الثعلبي: (٢٦٢/١٥-٢٦٣).

(٥) في ط: (لينفعه **وليدفع**).

(٦) في ط: (نفعه **ودفع**)، وكلاهما في المعنى واحد، والمختلف في الإعراب (دافع) معطوفة على قادر، و(دفع)، معطوفة على (نفع).

(٧) سقطت من ط.

(٨) في الأصل، ز: (كما **أنهم**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٩) في الأصل، ز: (لا يستويان **وكذلك**)، والمثبت من ط.

(١٠) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥١/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٣/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧١٤/٥.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ هَلْ[(١)] تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ فيه تشبيهُ الكفرِ بالظلماتِ، وتشبيهُ الإيمانِ بالنورِ[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ [(٣)]خَلَقُوا كَخَلْقِهِۦ[(٣)]﴾ معناه: أجعَلَ الكفارُ لله شركاءَ؛ خلَقت شركاؤهم شيئًا كما خلَق اللهُ تعالى، فتشاكلَ الخلقُ عليهم، فلم يَعرِفوا خَلْقَ الشركاءِ مِن خَلْقِ الله تعالى، وأشرَكوها[(٤)] معه في العبادة[(٥)]؟!

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ بلا شريكٍ، فإذا لم يكُنِ الخلقُ إلا مِن واحدٍ لم يكُنِ الخالقُ إلا واحدًا؛ فهو الذي يستحقُّ العبادةَ بلا شريكٍ، وهو الواحدُ الغالبُ لكل شيءٍ، لا يقهَرُه أحدٌ.

ثم ضربَ اللهُ مثالَ[(٦)] الحقِّ والباطلِ؛ لأنَّ العربَ كانت من[(٧)] عادتِهم أنهم يوضِّحون كلامَهم بالمَثَلِ، فقال سبحانَه[(٨)]:

---

(١) سقطت من ز.

(٢) تأويلات أهل السنة: ٦٢٥/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٣/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧١٤/٥.

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) في ط: (تعالى **فأشركوها**).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٥/١٣. بحر العلوم: ١٨٩/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: (٣٧١٤/٥-٣٧١٥).

(٦) في ط: (الله **مثل**).

(٧) سقطت من ط.

(٨) ينظر: بحر العلوم: ١٨٩/٢.

[١٩-٢٠] ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٩﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠﴾﴾

معناه: أنزلَ مِنَ السماءِ مطرًا، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ﴾ من ذلك المطرِ بقدرِ الأوديةِ، فما كان منها كبيرًا سالَ بقدرِه، وما كان صغيرًا سالَ فيه بقدرِه[١].

وفي[٢] قوله تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ[٣]﴾ أي: عاليًا [٤]على الماءِ مرتفعًا[٤].

والسَّيْلُ: ما يسيلُ منَ المواضعِ المرتفِعة[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ معناه: مما تَطرَحون في النار، منَ: الذهبِ والفضةِ؛ لطلبِ[٦] حليةٍ تلبَسونها له[٧].

﴿زَبَدٞ﴾ أي: خَبَثٌ[٨].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٢٦. تفسير الطبري: (١٣/٥٠١-٥٠٣) (أخرجه عن قتادة وابن عباس). بحر العلوم: ١٨٩/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٤/١٥.

(٢) سقطت من ط.

(٣) /٣ط/ظ١٩٨/.

(٤ - ٤) في ط: (مرتفعًا على الماء)، تقديم وتأخير. *ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٢٦. بحر العلوم: ١٨٩/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٤/١٥.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: (س ي ل).

(٦) في ز: (لطب)، سقطت اللام.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/١٣. بحر العلوم: ١٩٠/٢.

(٨) في ط: (خبث. **مثل زبد الماء**). *ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٢/٢.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ مَتَـٰعٍ﴾ أراد به: /٢/ظ٧٨/ الحديدَ، والرَّصاصَ، وما شاكلَهما، مما يوقدُ عليه في النارِ؛ لاتخاذِ المتاعِ له[١].

﴿زَبَدٌ﴾ أي: خبثٌ، مثلُ زبدِ الماءِ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ [٢]ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ﴾ أيْ: هكذا يضربُ اللهُ[٢] تعالى مثلَ الحقِّ ومثلَ[٣] الباطلِ.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾؛ يقولُ: أمَّا زبدُ هذه الأشياءِ فيذهبُ ناحيةً لا يُنتفَعُ به، فإنَّ [٤]زبدَ الماءِ[٤] يتعلقُ بأصولِ الأشجارِ وبجَنَباتِ الوادي[٥]، فيَيْبَسُ، ويؤثرُ في يُبْسِ النباتِ والأشجارِ.

والجُفاءُ: ما رمى به الوادي وجَفَاه في جَنَباتِه[٦].

يُقالُ: أَجفأَت القِدرُ بزَبَدِها: إذا قذَفت الزَّبَدَ[٧].

ويُقالُ: جفأتُ الرجلَ: إذا صرَعْتَه[٨].

وكما أنَّ زبدَ الماءِ يذهبُ بحيثُ لا يُنتفعُ به، كذلك خبثُ الذهبِ والفضةِ وسائرِ

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/١٣. بحر العلوم: ١٩٠/٢. تفسير الثعلبي: (٢٦٤/١٥-٢٦٥).

(٢ - ٢) سقطت من ط.

(٣) سقطت من ز، ط، وفي الأصل الرسم يحتمل أن تكون (مثل)، كما أثبتها، وهي في الأصل غير متضحة هكذا رسمت: ([illegible]).

(٤ - ٤) في ز: (فإنَّ **الزبد لما**).

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٢٣.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٠. بحر العلوم: ١٩٠/٢ (عزاه إلى القتيبي، ولم أقف عليه عند القتيبي باللفظ المذكور). التفسير الوسيط: ١٢/٣.

(٧) ينظر: العين: (ج ف أ). معاني القرآن لقطرب (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها) (عزاه إلى محمد بن صالح). معاني القرآن للزجاج (ت ما مودو محمد): ٤١٠ (عزاه إلى أبي زيد).

(٨) ينظر: معاني القرآن لقطرب (ج١٥/لغة سورة الرعد وغريبها) تفسير الطبري: ٥٠٤/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٠. (عزاه إلى أبي زيد).

الجواهر(١لا يُنتفع بشيءٍ منها.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: أنَّ الماءَ الصافيَ من ماءِ المطرِ، وخالصِ الذهبِ والفضةِ وسائرِ الجواهرِ١)، يَبقى في ما بين الناسِ على وجهٍ يَنتفِعون به.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يقولُ(٢): للناسِ في أمرِ دينِهم، كما ضرَب لكم من المثلِ.

قال قتادةُ -رحمه اللهُ-: «هذه ثلاثةُ أمثالٍ ضربها اللهُ تعالى في مثلٍ واحدٍ، تقولُ: كما نزَّلَ مِنَ السماءِ ماءً، فسالت أوديةٌ بقدرِها؛ الصغيرُ على مقدارِ صغرِه، والكبيرُ على مقدارِ كبرِه، كذلك أنزلَ الله تعالى القرآنَ منَ السماءِ، فاحتملت القلوبُ على قدرِها؛ ذو اليقينِ على(٣) قدرِ يقينِه، وذو الشكِّ على مقدارِ شكِّه.

قالَ: ثم شبَّه الخَطَراتِ ووساوسَ الشيطانِ بالزَّبَدِ يعلو على الماءِ؛ وذلك مِن خبثِ البريَّةِ، لا مِن عينِ الماءِ، كذلك ما يقعُ في النفسِ مِن [وَهَمٍ](٤) وشَكٍّ فهو من ذاتِ النفسِ لا من ذاتِ الحقِّ.

قالَ: ثم بيَّن أنَّ الزبدَ يذهبُ جُفاءً؛ أي: [ذهابًا](٥) باطلًا، وتَبقى صفوةُ الماءِ، كذلك يَبطُلُ الشكُّ وسوءُ الخَطَراتِ، ويَبقى الحقُّ كما هو.

وكذلك ما يُوقَدُ عليه في النار لِمَنافِعِ الناسِ يَبطُلُ(٦) زبدُه وخبثُه، ويبقى [خالصُه صفوته](٧)، وكذلك الباطلُ يذهبُ ويبقى الحقُّ»(١).

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) سقطت من ط.

(٣) /ز/ظ٣٤٩/.

(٤) في الأصل، ز: (من **هم**)، وهو خطأ.

(٥) في الأصل: (أي: **ذهبا**)، وفي ز، ط: (أي: **هبا**). ولعلَّ الصواب ما أثبته، ويدل عليه الفعل المذكور قبله (يذهب)، وضده الفعل المذكور بعده (تبقى).

(٦) /٣ط/و١٩٩/.

(٧) في الأصل،ز: (خالصه **صفوته**).

ويُقالُ: أرادَ بذكرِ السيلِ احتمالَ أهواءِ القلوبِ المُظلِمةِ باطلًا كثيرًا تَهواه؛ لأنَّ السيلَ يجمعُ كلَّ قذرٍ، ثم لا يَبقى شيءٌ من ذلك، كذلك أهلُ الباطل [بما](٢) يَظهَرون على أهلِ الحقِّ [في](٣) بعضِ الأحوال، ثم يمحو اللهُ تعالى الباطلَ ويُبطِلُه، ويجعلُ العاقبةَ للحقِّ وأهلِه.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ففيه(٤) بيانُ الذي يَبقى ممَّا تقدَّم ذكرُه في هذه الآية، فهو مَثَلٌ لِمَنْ يستجيبُ لربِّه، والذي يذهبُ جُفاء فهو مثلُ مَن لا يستجيبُ، والمرادُ بالحسنى في الآية: الجنةُ ونعيمُها(٥).

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ معناه: الذين لم يُجيبوا ربَّهم إلى الإيمانِ(٦).

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ منَ الذهبِ والفضةِ وسائرِ الأموالِ وضِعفَه معه؛ لفادَوا به أنفُسَهم من عذابِ الله تعالى يومَ القيامةِ، لو قُبِل ذلك منهم، ولكن لا يُقبَلُ(٧).

وقولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: شدةُ الحسابِ والمناقشةُ فيه(٨).

=

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٥٠١)، عن قتادة بمعناه. وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٣٤)، عن قتادة بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٠٢)، عن قتادة ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٢١-٤٢٢)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ؛ عن قتادة بمعناه. وفي رواية (٨/٤٢٢)، عزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن قتادة ببعضه.

وقول: «ثم شبه الخطرات ووساوس الشيطان بالزبد...»، إلى قوله: «يبطل الشك وسوء الخطرات»، لم يرد بنحوه أو بمعناه في قول قتادة أو غيره، فلعلَّه وهم منه، أو إضافةٌ من النساخ، أو نقله عن مصدرٍ مفقود -والله أعلم-.

(٢) في الأصل، ز: (الباطل **ربما**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) في الأصل، ز: (الحق **وفي**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤) في الأصل، ز، ط: (﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **فيه**)، وهو خطأ، وما أثبت هو الصواب لأن (ففيه)، في جواب أما.

(٥) من قوله: «والمراد بالحسنى...»، إلى قوله: «الجنة»، ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥٠٥ (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢/١٩٠. تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٥٣ (عزاه إلى قتادة).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٧٤. تفسير الطبري: ١٣/٥٠٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٧٢١.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥٠٥. بحر العلوم: ٢/١٩٠.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٣٧٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١١. بحر العلوم: ٢/١٩٠.

قال إبراهيمُ النَّخَعيُّ[١] -رحمه الله-: «هو أن يُؤخذوا بذنوبهم كلِّها من دونِ أن يُغفَرَ لهم شيءٌ منها»[٢].

ويُقالُ: سوءُ الحسابِ أن يُحاسَبوا للتقريعِ والتوبيخِ[٣]، فإنَّ الكافرَ [يُحاسَبُ][٤] على هذا الوجهِ، وفي الخبرِ عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: ((مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ))[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ [٦]وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ[٦]﴾ أي: مصيرُهم في الآخرةِ جهنمُ[٧]، وبئسَ المأوى النارُ يتقلَّبون فيها؛ فيقومون ويقعُدون ويضطجِعون عليها.

---

(١) إبراهيمُ بن يزيد بن قيس، أبو عمران النَّخَعي الكوفي. تابعي ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا. فقيه أهل الكوفة. مات سنة ست وتسعين. روى عن الأسود بن يزيد، والربيع بن خُثَيْم. وروى عنه سليمان الأعمش، وعطاء بن السائب.
ينظر: التاريخ الكبير: ٣٣٣/١. تهذيب الكمال: (٢٣٣/٢-٢٣٨، ٢٤٠). تقريب التهذيب: ٩٥.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٤٣٤/٥)، عن فرقد السبخي بمعناه. والطبري في «تفسيره» (٥٠٥/١٣)، عن شهر بن حوشب بمعناه. والطبري في «تفسيره» (٥٠٦/١٣)، والواحدي في «الوسيط» (١٣/٣)، كلاهما عن إبراهيم النخعي بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٢٤/٨)، وعزاه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ؛ عن الحسن بنحوه.
وفي رواية (٤٢٣/٨-٤٢٤)، عزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن شهر بن حوشب بمعناه. وفي رواية (٤٢٤/٨)، عزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وأبي الشيخ؛ عن إبراهيم النخعي بزيادة في أوله.

(٣) ينظر: تفسير الماوردي: ١٠٨/٣ (عزاه إلى ابن عيسى).

(٤) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق ووضوح المعنى.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الرقاق/باب من نوقش الحساب عذب/ح٦٥٣٦)، عن عائشة -رضي الله عنها- بزيادة في آخره. ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب إثبات الحساب/ح٢٨٧٦)، عن عائشة -رضي الله عنها- بزيادة في أوله. والبخاري في «صحيحه» بإسنادين مختلفين (كتاب العلم/باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه/ح١٠٣)، (كتاب تفسير القرآن/باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٨]﴾)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب إثبات الحساب/ح٢٨٧٦)، كلاهما عن عائشة مطولًا.

(٦ - ٦) سقطت من ط.

(٧) ينظ: تفسير مقاتل: ٣٧٤/٢. بحر العلوم: ١٩٠/٢.

[٢١-٢٣] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

معناه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ منَ القرآنِ (١أنَّما هو١) الحقُّ، فآمنَ به، كمَن هو كافرٌ لا يعلمُ(٢)؟! وهذا لفظُ استفهامٍ، والمرادُ به: الإنكارُ(٣).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ معناه: إنما يتذكرُ أنَّما(٤) أنزلَ اللهُ(٥) إليك(٦) الحقَّ: ذوو العقولِ(٧) منَ الناسِ، ثم نعَتَهم(٨)، فقالَ عزَّ مِن قائلٍ:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالعهد في هذه الآيةِ: ما أخذَه النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- على المؤمنين أنْ يُطيعوه وينصُروه، ولا يَعصُوه(٩).

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ به: ما نصَبَ اللهُ تعالى من الأدلةِ من جهةِ [العقلِ](١٠) عليهم، ووفاهم بذلك: أن يُطِيعوا(١١) اللهَ عزَّ وجلَّ كما أمرَهم به.

(١ - ١) في ط: (القرآن **أنه**).

(٢) /٣ط/ظ١٩٩/. *ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣٧٥/٥. التحرير والتنوير: ١٢٣/١٣.

(٤) في ط: (يتذكر **أن ما**).

(٥) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٦) سقطت من ز.

(٧) في الأصل: (ذوو العقول **من العقول**)، وهي زيادة لا يستقيم معها السياق، وكذا هو في ط.

(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٢٨/٢. بحر العلوم: ١٩١/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٧/١٥.

(٩) ينظر: تفسير الماوردي: ١٠٨/٣. أحكام القرآن لابن العربي: ٨٣/٣.

(١٠) في الأصل، ز: (جهة **الفضل**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(١١) سقطت من ز.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قيلَ: المرادُ به تَواصُلُ المؤمنين فيما بينهم بالـمُوالاةِ والنُّصْرةِ[١]، وصلةُ الأرحامِ بالبرِّ والشفقةِ[٢].

وقيلَ: أرادَ بذلك الإيمانَ بمحمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وجميعِ الرسلِ -صلواتُ اللهِ عليهم-[٣].

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخافون عقابَ ربِّهم؛ لأنَّ خشيةَ الله تعالى إنما[٤] تكونُ /٢/و٧٩/ بخشيةِ عقابِه[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: ويخافون أنْ يُؤاخَذوا بالعقابِ، فيُجْزَون[٦] بخوفِهم عن معصيةِ اللهِ تعالى.

---

(١) في ط: (بالموالاة **والصلة**)، وهو خطأ.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/١٣. بحر العلوم: ١٩١/٢. تفسير الثعلبي: ٢٦٧/١٥ (عزاه إلى أكثر المفسرين).

(٣) ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢. التفسير البسيط: ٣٣٩/١٢. التفسير الوسيط: ١٣/٣ (عزاه الواحدي في الوسيط والبسيط إلى ابن عباس).

(٤) في ط: (تعالى **لا**)، وهو خطأ.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢.

(٦) في ز: (بالعقاب **فيتحررون**)، وهو خطأ.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

معطوفٌ على قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾، معناه: والذين صبَروا على أداءِ الفرائضِ، واجتنابِ المحارمِ(١).

ومعناه: شدائدُ الدنيا ومضارُّها؛ لطلبِ ثوابِ الله تعالى ورضاه(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أقاموا الصلاةَ المفروضةَ(٣) حتى تقومَ الصلاةُ بإقامتِهم.

وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ معناه: وأخرَجوا مِن أموالِهم الصدقاتِ المفروضةَ عليهم؛ خُفْيةً أو(٤) جَهْرًا(٥).

ويُقالُ: أرادَ بالسِّر: التطوعَ، والعلانيةِ: الفرضَ(٦).

وقولُه تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ معناه: ويدفَعون(٧) ظلمَ(٨) الظالمين، وجَوْرَ الجائرين بالحسنةِ، وإنما يكونُ درءُ السيئةِ بالحسنةِ على وجهَين:

أحدُهما: الحِلمُ والوعظُ بالكلامِ الحسنِ.

والثاني: بأنْ يُقاتلوهم ويقبِضوا على أيديهم.

وقولُه تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ معناه: أهلُ هذه الصفةِ لهم الدارُ التي أعقَبَتْها

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢. التفسير البسيط: ٣٣٩/١٢ (عزاه إلى ابن زيد، وأبي عمران الجوني). تفسير الرازي: ٤٤/١٩.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١٣. بحر العلوم: ١٩١/٢. تفسير القرطبي: ٥٨/١٢.

(٤) في ط: (خفية و).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١٣. بحر العلوم: ١٩١/٢.

(٦) /ز/و٣٥٠/. *ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢. المحرر الوجيز: ٢٠٠/٥. تفسير الرازي: ٤٤/١٩.

(٧) تفسير الثعلبي: ٢٧٤/١٥.

(٨) /٣ط/و٢٠٠/.

لهم أعمالُهم[١]؛ وهي الجنةُ[٢].

ثم بيَّن اللهُ [سبحانه وتعالى][٣] صفةَ الجنةِ فقالَ[٤] عزَّ مِن قائلٍ:

(١) سقطت من ط.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥١٠.

(٣) في الأصل، ز: (**تعالى وسبحانه**)، تقديم وتأخير؛ والمثبت من ط.

(٤) في ز: (فقا) سقطت اللام.

[٢٥] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ[١] وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾



معناه: جناتُ إقامةٍ يدخلونها[٢].

قال عبدُ الله بنُ عباسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «هي في وسَطِ الجنةِ، وهي معدِنُ الأنبياءِ -صلواتُ الله عليهم- والصدِّيقين، والشهداءِ، والصالحين -رضيَ اللهُ عنهم-»[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ[٤]﴾ [معناه][٥]: ويدخلُها مَن صلح مِن آبائهم وأزواجِهم وذرياتهم؛ في دينِهم وأفعالِهم، كما قالَ -جلَّ ذِكْرُه- في آيةٍ أخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّٰتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[٦] [الطور: ١٩][٧].

---

(١) في ز: (آبائهم **وأزجهم**)، سقطت الواو والألف.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٣٠/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٢٧/٥. المحرر الوجيز: ٢٠٠/٥.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس بلفظه، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٥٩/١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ت الكبيسي) (١٠٣٤/٣)، عن ابن عباس بمعناه. سعيد بن منصور في «سننه» (٤٣٤/٥)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٥٦٢/١١-٥٦٣)، كلاهما عن الحسن البصري بمعناه. وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨/٢)، عن قتادة بمعناه مختصرًا. وهناد بن السري في «الزهد» (٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٥٦١/١١)، كلاهما عن عبد الله بن مسعودٍ بمعناه مختصرًا.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٤٠/٧)، وعزاه إلى ابن جرير عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٤٤٠/٧)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بمعناه مختصرًا.

(٤) سقطت من ط.

(٥) في الأصل، ز: (معنا) سقطت الهاء، والمثبت من ط.

(٦) في الأصل، ز، ط: كتبت هذه الآية برواية أبي عمرو البصري على غير العادة، وأثبتُّها كما هي. وابن عامر وافق أبا عمرو في جمع ﴿ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ في الموضع الأول، وخالفه بأن رفع التاء، ووافقه في جمعها في الموضع الثاني وكذلك نافع جمع الموضع الثاني.

ينظر: السَّبعة في القراءات: ٦١٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٤٧٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٦٨٤.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ١٩١/٢. التفسير الوسيط: ١٤/٣.

وقولُه تعالى: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ معناه: والملائكةُ يدخُلون عليهم مِن أبوابِ الجنانِ[١] والبساتينِ [يقولون لهم][٢]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على شدائدِ الدنيا ومحنِها، وعلى المشقةِ في طاعة الله تعالى، فنِعمَ الدارُ التي أعقَبَتْها لهم أعمالُهم.

قال عبدُ الله بنُ عباس -رضي الله عنهما-: «لكلِّ واحدٍ مِن أهلِ جناتِ عَدْنٍ جنةٌ من دُرَّة مجوَّفة، لها ألفُ بابٍ، مِصراعُه مِن ذهبٍ، يدخلُ[٣] عليه مِن كلِّ بابٍ ملَكٌ، يقولون: سلامٌ عليكم بما صبَرتم»[٤].

وفي الآيةِ بيانُ ما أعدَّ اللهُ تعالى لهم من النعيم في الجنة، مع ما يكونُ فيه منِ اجتماعِهم، مع آبائهم وأزواجِهم وذرياتِهم؛ ممَّن صلَح منهم، ومع إكرامِ الله تعالى؛ بإرسالِ الملائكةِ إليهم بالتحيةِ والسَّلامِ مِن عندِ الله تعالى.

ثم بيَّن اللهُ تعالى حالَ الذين لم يَستجيبوا لربهم؛ فقالَ عزَّ مِن قائلٍ:

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/ ٩٠. تفسير البغوي: ٤/ ٣١٤.

(٢) في الأصل، ز: (والبساتين **بقولهم**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) في ط: (ذهب **يدخلون**)، وهو خطأ.

(٤) لم أقف عليه.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ [١] بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٦﴾﴾

معناه: والذين يَقطَعون[٢] فرائضَ اللهِ مِن بعدِ تأكيدِ العهدِ عليهم[٣].

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالظلمِ، والدعاءِ إلى غير عبادةِ الله تعالى؛ أولئك لهم ما يُبعِدُهم من رحمةِ الله تعالى، ولهم سوءُ المرجعِ: النارُ في الآخرةِ[٤].

وعن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((أَعْجَلُ الخَيرِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَعْجَلُ الشَّرِّ عِقَابًا البَغْيُ ويمينُ الغَمُوسِ[٥]؛ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[٦]))[٧].

وعن كَعْبِ الأَحْبَارِ[٨] -رحم[ةُ][١] اللهِ عليهِ- أنَّهُ قال: «وَالَّذِي فَلَقَ البَحْرَ لِبَنِي إِسْرَائِيل،

---

(١) /٣ط/ظ٢٠٠/.

(٢) في ط: (والذين **ينزلون**).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥١٤/١٣.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ١٩٢/٢.

(٥) في ط: (ويمين **الصبر**).

(٦) البلاقع: الأرض التي لا شيء فيها. ويقال: منزل بلقع، وأرض بلقع. ينظر: لسان العرب: (ب ل ق ع).

(٧) أخرجه وكيع في «الزهد» (٧١٠/٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٧٠/٥-٢٧١)، وهناد بن السري في «الزهد» (٤٩٤/٢-٤٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٣/١٠)، والشجري في «أماليه الخميسية» (١٧٦/٢)، جميعهم عن مكحول بنحوه. وأخرجه خيثمة في «حديثه» (٧٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٩٧/٣-٣٩٨)، كلاهما عن واثلة بن الأسقع ببعضه. والقضاعي في «مسنده» (١٧٦/١-١٧٧)، عن أبي هريرة ببعضه. والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٢/١٠)، عن أبي هريرة بزيادة في أوله. والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩/٢)، عن أبي هريرة مفرَّقًا. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦/٦)، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه مفرَّقًا. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٧/٤)، عن أبي هريرة بتقديم وتأخير. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٢٠/٩)، وعزاه إلى البيهقي، وابن جرير، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه مفرَّقًا. وفي رواية (٦٣٦/٣)، وعزاه إلى البيهقي عن أبي هريرة بتقديمٍ وتأخير.

(٨) كعب بن ماتع الحِمْيَري، أبو إسحاق اليماني، المعروف بكعب الأحبار. من مُسلِمة أهل الكتاب، أدرك عهد النبي ﷺ ولم يره، أسلم في خلافة أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يقال: أدرك

=

إنَّ في التَّوْرَاةِ لَمَكْتُوبًا: يَا ابْنَ آدَمَ، اتَّقِ رَبَّكَ، [وَابْرَرْ][٢] وَالِدَيْكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ، أَمُدُّ لَكَ فِي عُمُرِكَ، وَأُيَسِّرْ لَكَ يُسْرَكَ، وَأَصْرِفْ عَنْكَ عُسْرَكَ»[٣].

=

الجاهلية. توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين. روى عن صُهيب الرُّومي، وعمر بن الخطاب. وروى عنه الأخنس بن خليفة الضبي، وأسلم مولى عمر بن الخطاب.

ينظر: أسد الغابة: ٤/٤٦٠. تهذيب الكمال: (٢٤/١٨٩،١٩٢-١٩٣). تاريخ الإسلام: ٢/٢١٤.

(١) في الأصل: (رحم)، سقطت التاء، والمثبت من ز.

(٢) في الأصل، ز: (ربك **وأبرَّ**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/١٤٦-١٤٧)، عن كعب بلفظه. والثعلبي في «تفسيره» (١٥/٢٧١-٢٧٠)، عن كعب الأحبار بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٥٨٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن كعبٍ بلفظه.

[٢٧] قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا (١فِي ٱلْأَخِرَةِ١) إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٧﴾﴾

معناه: الله يوسِّعُ الرزقَ في الدنيا على مَن يشاءُ، ويَقدِرُ على مَن يشاءُ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ معناه: وسُرُّوا بالحياةِ الدنيا، ورضُوا بها، واستأثَروا بها على الآخرةِ[٣].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وما فيها مِن النعيمِ، في جنبِ نعيمِ الآخرة؛ إلا شيءٌ قليلٌ /٢/ظ٧٩/ كمتاعِ البيتِ يُمتعُ به ثم يَفنَى ويَذهَبُ.

وعَنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ: ((مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمِثْلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟))[٤]. وبالله التوفيق.

(١ – ١) سقط من ز.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥١٦. بحر العلوم: ٢/١٩٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٧٣١.

(٣) قوله: «واستأثروا بها على الآخرة»، ينظر: بحر العلوم: ٢/١٩٢.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة/ح٢٨٥٨)، عن مستورد بن شداد أخي بني فهر بنحوه.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ٢٨﴾

معناه[١]: ويقولون -على جهةِ التعنُّتِ-: هلَّا أُنزِلَ على محمدٍ آيةٌ مِن ربِّه[٢]؟!

يَعْنون الآياتِ التي كانوا يقترحونها عليه[٣].

ويجوزُ أن يكونوا لم يتفكَّروا في الآياتِ التي أُنزِلت عليه؛ فاعتقدوا أنه لم[٤] ينزلْ عليه آيةٌ.

قُلْ؛ يا محمدُ: إنَّ[٥] اللهَ تعالى ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ عن[٦] ثوابِه وكرامتِه[٧]، ويوفِّقُ لدينِه مَن أقبلَ إلى الله تعالى ورجَع عنِ الكفرِ.

---

(١) في ط: (معنا)، سقطت الهاء.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٧٦/٢. تفسير الطبري: ٥١٧/١٣. إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٧/٢.

(٣) قد سبقت الإشارة لبعض ما كانوا يقترحونه عند تفسير المصنف للآية المشابهة لها، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٨]، ينظر: (٢٤٦)، من هذه الرسالة.

(٤) /ز/ظ٣٥٠/.

(٥) /٣ط/و٢٠١/.

(٦) في ط: (من).

(٧) في ط: (كرامته **لعباده**).

[٢٩-٣٠] قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٣٠﴾

معناه: الذين آمنوا بمحمدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- والقرآنِ، وتسكُنُ قلوبُهم إلى ما وعَد اللهُ تعالى[١] منَ الثوابِ[٢]؛ ألا بوعدِ الله الصادقِ ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾؛ لأنه لا شيءَ يطمئنُّ القلبُ [به][٣] أبلغُ منَ الوعدِ الصادقِ.

وهذه الآيةُ لا تُناقِضُ قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]؛ لأنَّ المرادَ بتلك الآيةِ: أنَّ المؤمنَ إذا ذكرَ عقابَ اللهِ تعالى بينَ يدَيْه، وتذكَّر ما فعَل منَ المعاصي؛ وجِلَ قلبُه، وأرادَ بهذه الآيةِ: أنَّ المؤمنَ الذي لا يَعرفُ مِن نفسِه معصيةً، تحبط ثوابه، إذا ذكر عبده وعدَ الله تعالى بالثوابِ اطمأنَّ قلبُه إليه[٤].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ[٥] ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فمعناه: الذين آمنوا باللهِ،

(١) في ط: (تعالى **لهم**).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٧٧/٢. بحر العلوم: ١٩٢/٢.

(٣) في الأصل، ز: (القلب **إليه**)، والمثبت من ط؛ لمناسبته للآية.

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: ٩٢/٣. *جمع أبو علي الفارسي في كتابه «الحجة للقراء السبعة» (٢٢٢/١-٢٢٣)، بين الآيتين جمعًا آخرَ؛ فقال: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فأمَّا جمعُ مَن جمع بين هذه الآية وبين الأخرى وهي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وقوله: إنَّهما متدافعتان؛ لأنَّ الوجل خلاف الطمأنينة؛ فجهلٌ وذَهابٌ عمَّا عليه الآيتان وما أُريدَ بهما، وذلك أنَّ الاطمئنان إنَّما يكون عن ثلَج القلب وشرح الصدر بمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبعُ ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل. والوجل إنَّما يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى وما يستحق به الوعيد؛ فتوجلُ القلوب لذلك. فكلٌّ واحد من الحالين غير صاحبتها، فليس هنا إذًا تضادٌّ ولا تدافع. وهذان المعنيان المفترقان في هاتين الآيتين قد اجتمعا في آية واحدة، وهي قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، لأنَّ هؤلاء قد سكنت نفوسُهم إلى معتقدهم ووثِقوا به، فانتفى عنهم الشكُّ والارتياب الذي يعرِض لمن كان خلافَهم ممن أظهر الإسلام تعوُّذًا، فحصل له حكمُه دون العلم الموجب لثلَج الصدر وانتفاء الريب والشكِّ».

(٥) في ط: (**و**الذين)، وهو خطأ.

ورسلِه، وعمِلوا الصالحاتِ، واجتنَبوا[١] المعاصيَ، طُوبى لهم.

قال أهلُ اللغةِ: إنَّ طُوبَى فُعْلَى منَ الطِّيبِ[٢]، أي: لهم العيشُ الطيِّبُ[٣]، والغِبْطةُ والكرامةُ، وحُسنُ المرجعِ في الآخرةِ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ -رحِمه اللهُ-: «طُوبَى: اسْمُ الجَنَّةِ، بِلُغَةِ الحَبَشَةِ»[٤].

وعن أبي هريرةَ[٥] -رضِيَ اللهُ عنه- [أنه قال][٦]: «إنَّهَا اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الجنةِ، ساقُها منَ الذهبِ، وورقُها الحُلَل، وثمرُها من كلِّ لونٍ، وأغصانُها متدلِّياتٌ في الجنةِ، ليس في الجنةِ منزلٌ إلا وفيه غُصنٌ من أغصانِها، وتحتَ الشجرةِ كُثْبانُ المِسكِ والعنبرِ والزعفرانِ، لَوْ رَكِبَ رَجُلٌ

---

(١) في ط: (واجتنبوا **عن**).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٣. معاني القرآن للنحاس: ٤٩٤/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٣. معاني القرآن للنحاس: ٤٩٤/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٥٢٢/١٣)، كلاهما عن ابن عباس بنحوه. ومجاهد في «تفسيره» (٤٠٧)، وابن وهب في «تفسيره» (١٤٠/١)، والطبري في «تفسيره» (٥٢٣/١٣)، جميعهم عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٣٧/٨)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه. وفي رواية (٤٣٧/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد بمعناه مختصرًا. *الحبشة: اسم للأمة أطلق على أرضهم، وتسمى بأثيوبيا، وهي هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما بحر. ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٩١.

(٥) عبدُ الرحمن بنُ صخر، وقيل: عبدُ الله بنُ عمرو، وقيل: غير ذلك، أبو هريرة الدَّوْسي. الصحابي الجليل. أسلم يوم خيبر وشهدها. أحفظُ الصحابة لأخبار النبي ﷺ وآثاره، وكان من أصحاب الصُّفَّة. توفي سنة سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك.

ينظر: معرفة الصحابة: (١٨٨٦/٤-١٨٨٥). الاستيعاب: (١٧٦٨/٤-١٧٧٢). (٣١٣/٦-٣١٥).

(٦) سقطت من الأصل، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

قَلُوصًا[١]، أو حِقَّةً[٢]، ثُمَّ دَارَ بِالشَّجَرَةِ لَمْ يَبْلُغِ المَكَانَ الَّذِي ارْتَحَلَ مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ[٣] هَرَمًا»[٤].

(١) القَلوص: الفَتِيَّة من الإبل، وقيل: هي الثنيَّة، وقيل: هي ابنة المخاض، وقيل: هي كل أنثى من الإبل حين تُركب وإن كانت بنتَ لبون أو حِقَّة. ينظر: لسان العرب (ق ل ص).

(٢) الحقة في الإبل: التي تستحق أن تحمل. ينظر: لسان العرب: (ح ق ق).

(٣) في ط: (يموت **القلوص**).

(٤) لم أقف عليه مسندًا عن أبي هريرة، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٥٢٧/١٣)، كلاهما عن مُغيث بن سُمَيٍّ ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٥٠/٨)، وعزاه إلى ابن جريرٍ عن مغيث بن سمي ببعضه.

[٣١] قوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ[١] بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣١﴾﴾

معناه: هكذا أرسلناكَ إلى أمةٍ قد مضَتْ مِن قبلِها أممٌ أرسلنا فيهم الرسلَ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ﴾ فيه بيانُ الغرضِ في إرسالِه إلينا، فإن الغرضَ في إرسالِه: إنعامُه علينا أن يتلوَ علينا ما أُنزِلَ عليه منَ القرآنِ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: أهلُ مكةَ يكفرون بالرحمن، فإنهم كانوا يقولون: ما نعرفُ الرحمنَ إلا مُسَيْلِمةً[٤]، وكانوا يُسمُّونه رحمنَ اليمامةِ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ معناه: قُل لهم: الرحمنُ هو[٦] ﴿رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوَّضْتُ أموري إليه، متمسِّكًا بطاعته، وراضيًا بحكمِه، وإليه أتوبُ من

---

(١) /٣ط/ظ٢٠١/.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٣٠/١٣. بحر العلوم: ١٩٣/٢. التفسير البسيط: ٣٤٩/١٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ١٩٣/٢. تفسير الثعلبي: ٢٩٦/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٣٨/٥.

(٤) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب، أبو ثمامة الحنفي الوائلي، المعروف بمسيلمة الكذاب، قيل: اسمه هارون، ومسيلمة لقبه، وقيل: اسمه مسلمة. من المعمَّرين، عُرف في الجاهلية برحمن اليمامة، بعد وفاة الرسول ﷺ قصد قتال الصحابة، فجهَّز عليه أبو بكر الصديق جيشًا، وأميره خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقتلوه، وقيل: إن وحشي بن حرب هو مَن قتله، وقيل غير ذلك.

ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٩٥/٢. الأعلام: ٢٢٦/٧.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: (٣٧٧/٢-٣٧٨). بحر العلوم: ١٩٣/٢ (ذكر أن عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه هم من قالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسليمة). تفسير الثعلبي: (٢٩٦/١٥-٢٩٧) (ذُكر أنَّ سهيل بن عمرو والمشركون هم مَن قالوا: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة -يعنون مسيلمة الكذاب- وكان قولهم في صلح الحديبية). *اليمامة: بلدٌ كبير، كان اسمها أولًا جوًّا، كانت مركز مسيلمة الكذاب في نجد، وهي إقليم من أقاليم الجزيرة العربية، وأصبحت اليوم محصورة في بلدة صغيرة تقع في الخرج في نجد.

ينظر: مراصد الاطلاع: ٣/ ١٤٨٣. المعالم الأثيرة في السنة النبوية: ٣٠١. الموسوعة الحرة: (يمامة).

(٦) في ط: (هو **الله**).

ذنوبي[١].

(١) ينظر: بحر العلوم: ١٩٣/٢.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاًۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاًۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣٢﴾

وذلك [أنَّ][١] عَبْدَ اللهِ بنَ أبي أميةَ المخزوميَّ[٢] وجماعةً من كفارِ مكةَ أتَوا رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– فقالوا: «سيِّرْ لنا جبالَ مكةَ، فأذهِبْها حتى يُفسَحَ فيها؛ فإنها أرضٌ ضيقةٌ، ثم اجعلْ لنا فيها عيونًا وأنهارًا[٣] نزرعُ فيها، أو قرِّبْ أسفارَنا فيما بينَنا وبينَ الشامِ؛ فإنَّ السفرَ بعيدٌ، وافعَلْ كما فعَل سُلَيمانُ[٤] بنُ داودَ بالريحِ بزَعْمِك، أو كلِّمْ مَوْتانا كما فعل عيسى بدعائه بزَعْمِك، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ»[٥].

---

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق، وكذا هو في المرجع.

(٢) عبدُ الله بنُ أبي أُميَّة بن المغيرة المخزومي. أخو أمِّ سلمة زوجِ النبي ﷺ، كان شديد العداوة للرسول ﷺ، وشديد الخلاف على المسلمين مُبغِضًا لهم، هاجر للنبي ﷺ، وأسلم على يده عام الفتح، شهد فتح مكة، ووقعة حنين والطائف، وقتل يوم الطائف شهيدًا.

ينظر: معرفة الصحابة: ١٥٨٩/٣. الاستيعاب: (٨٦٨/٣-٨٦٩). أسد الغابة: ١٧٦/٣.

(٣) في ز: (عيونًا **وأنها**) سقطت الراء والألف.

(٤) في الأصل بعد كلمة سليمان لفظة يحتمل الرسم أنها: (علم)، هكذا: (علم)، لا أعلم المقصد منها، وهل هي من إضافة النساخ أو هي مقحمة، كما أن السياق لا يستقيم بها.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٦/١-٣٣٧)، عن قتادة بمعناه مختصرًا. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٨/٢٠)، عن عامر الشعبي بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» بعدة أسانيد، منها (٥٣٢/١٣)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وكذا أخرجه (٣٢/١٣)، عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٥٣٣/١٣)، عن عبد الله بن كثير بمعناه مختصرًا. والواحدي في «أسباب النزول» (٤٥٦)، عن الزبير بن العوام مطولًا. وأورده السيوطي بعدة أسانيد في «الدر المنثور» منها (٤٥٣/٨)، وعزاه إلى الطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والضياء في «المختارة»؛ عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٤٥٣/٨-٤٥٤)، عزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه؛ من طريق العوفي عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٤٥٥/٨-٤٥٦)، عزاه إلى ابن جرير عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٤٥٦/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة في «مصنفه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن عامر الشعبي بمعناه مختصرًا. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩٧/١٥-٢٩٨)، من غير نسبة بنحوه.

(١ومعناها: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾١): ولو أنَّ قرآنًا أُذهِبت به(٢) الجبالُ عن وجهِ الأرض، أو قُطعت به الأرضُ مسيرةَ شهرٍ في يومٍ واحدٍ(٣)، أو أُحيِي به الموتى فتكلَّموا؛ لكان هذا القرآنَ(٤)؛ لِمَا فيه من الدلالاتِ الكثيرةِ /٢/و٨٠/ على صحةِ هذا الدينِ، ولو أمكَنَ أن تحصُلَ هذه الأمورُ بشيءٍ من كتبِ الله تعالى لأمكَنَ(٥) بهذا القرآنِ أَولى.

وأما حذفُ جوابِ (لو) في الآية؛ فعلى وجهِ الاختصارِ؛ لأنَّ في الكلامِ دليلًا عليه(٦)، وقد تقدَّم أن حذفَ الجوابِ في مثل هذا(٧) أبلغُ في الفصاحةِ؛ لأنك إذا حذفتَ ذهَبَتِ النفسُ في ذلك إلى كل مذهبٍ(٨).

ويُقالُ: معنَى الآيةِ: ولو أنَّ [قرآنًا](٩) فُعِلَ به هذه الأشياءُ، لم يؤمِنْ هؤلاء المشركون، كأنه رَدَّ الجوابَ إلى قولِه تعالى من قبلُ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ﴾ [الرعد: ٣١](١٠).

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) سقطت من ز.

(٣) سقطت من ط.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٤. معاني القرآن للنحاس: ٤٩٦/٣.

(٥) /٣ط/و٢٠٢/.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٣/٢. تأويل مشكل القرآن: ٢١٤. تفسير الطبري: ٥٣٣/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٤.

(٧) /ز/و٣٥١/.

(٨) ذكره عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ تَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وموضع الشاهد الذي ذكر فيه حذف جواب (لو)، من الآيةِ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت أعياد دقنه): ٢٣٤.

(٩) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(١٠) من قوله: «معنى الآية ولو أنَّ قرآنًا فُعِلَ...»، إلى قوله: «لم يؤمن هؤلاء المشركون»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٤ (عزاه إلى بعضِ أهل اللغة). معاني القرآن للنحاس: ٤٩٦/٣. ومن قوله: «كأنه رد الجواب» إلى قوله: «قوله تعالى من قبل: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ﴾»، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٣/٢. واعترض عليه أبو حيَّان في «البحر المحيط» (٣٨٢/٥) وقال: «وعلى قول الفراء يترتب جواب (لو) أن يكون (لما آمنوا)؛ لأن قولهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ﴾ ليس جوابًا، وإنما هو دليلٌ على الجوابِ».

قولُه تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً﴾ معناه: بل اللهُ هو المالكُ لهذه الأشياءِ، القادرُ عليها، ولكنْ لا يختارُ إلا ما فيه مصلحةُ العبادِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معناه: أفلم يعلَمِ الذين آمنوا أن لو يشاءُ اللهُ لهدى الناسَ جميعًا(١) إلى الإيمانِ بالإلجاءِ إليه(٢)؟ أي: اللهُ تعالى قادرٌ على ذلك، ولكن لو فعلَ لبطَل الامتحانُ والتكليفُ.

ويُقالُ: معناه: أفلم يعلمِ(٣) (٤الذين آمنوا٤) أن لو يشاءُ اللهُ لهدى الناسَ كلَّهم في الآخرةِ إلى ثوابِه وكرامتِه؟ ولكنْ لم يفعل؛ ليستحقُّوا ذلك بأعمالهم؛ ليكونَ أهنأَ لهم وأطيبَ.

والإياسُ بمعنى: العلمِ في لغةِ النَّخَع(٥).

وإنما أُقِيمَ مُقامَ العلمِ على جهة التوسُّع؛ من حيثُ: ييأسُ العالمُ فيما لا يكونُ أن يكونَ، والعلمُ بأنَّ الشيءَ لا يقعُ يقطعُ الطمعَ عنه، والعلمُ بأنَّ الشيءَ يقعُ [يؤَكِّدُ](٦) الطمعَ فيه،

---

(١) سقطت من ط. *تفسير قوله تعالى: ﴿يَاْيْـَس﴾ بمعنى يعلم: هو اختيار أهل التأويل، ورجحه الطبري وقال: «والصواب من القول ما قاله أهل التأويل: إن تأويل ذلك: أفلم يتبين ويعلم؛ لإجماع أهل التأويل على ذلك...»، وممن فسرها بالعلم من أهل التأويل: ابن عباس، وقتادة، وابن زيد. ينظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/١٣. بحر العلوم: ١٩٤/٢ (عزاه للحسن وقتادة).

(٢) المقصود بالإيمان بالالتجاء: نفي المشيئة والاختيار، فتكون طاعة الإنسان كطاعة سائر المخلوقات، وهذا لم يُرده الله تبارك وتعالى، ومصداقُ ذلك قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]. وقد قال ابنُ القيم في ذلك: «...وإيمان القسر والإلجاء لا يسمى إيمانًا، ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة، ولا يسمى ذلك إيمانًا؛ لأنه عن إلجاء واضطرار؛ قال تعال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وما يحصلُ للنفوس من المعرفة والتصديق بطريق الإلجاء والاضطرار والقَسْر؛ لا يُسمى هدًى، وكذلك قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾». ينظر: شفاء العليل: ١٩٠.

(٣) في ط: (أفلم **يعلموا**).

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٤/٢ (عزاه إلى الكلبي عن أبي صالحٍ عن ابن عباس). تفسير الطبري: (٥٣٧/١٣-٥٣٥) (عزاه إلى الكلبي). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٤.

*والنَّخَع: هم بنو النخع واسمه حبيب بن عَمْرو بن علة بن جلد. والنسبة إليهم: (النَّخَعِي).

ينظر: عجالة المبتدي: ١١٩.

(٦) في الأصل، ز، (يقع **بذلك**)، والمثبت من ط؛ لأن السياق لا يستقيم مع المثبت في الأصل، ز.

فيكونُ تقديرُ الآية على هذا: أفلم يعلمِ الذين آمنوا علمًا يَئِسوا معه أن يكونَ غيرُ ما علِموه، قال الشاعر(١):

أَقُــولُ (٢لَهُــمْ بالشِّــعْبِ٢) إذْ يَأْسِــرُونَنِي   أَلَمْ تَيْأَسُــوا أَنِّي ابْـــنُ فَـــارِسِ زَهْـــدَمِ(٣)

ويُقالُ: معنَى الآيةِ: أفلم ييأسِ المؤمنون عن إيمانِ هؤلاء الكفارِ(٤)، وإن كان اللهُ تعالى [لو شاءَ](٥) لهدى الناسَ إلى الإيمانِ بالإلجاءِ إليه(٦).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضيَ اللهُ عَنْهُما-: «أَنَّهُ قَرَأَ: (أَفَلَمْ يَتَبَيَّن ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) فَقِيلَ لَهُ: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾، فَقَال: إِنِّي لَأَرَى الكَاتِبَ كَتَبَهَا وَهُوَ نَاعِسٌ»(٧)، إلا أنه لا وجهَ لتصحيحِ هذه الروايةِ، ولا يجوزُ أن يُظَنَّ بهم(٨) أن يَترُكوا(٩) في كتابِ الله تعالى(١٠) ما(١١)

---

(١) سُحَيم بن وَثِيل الرِّياحي اليَربوعي.

(٢ - ٢) في معاني القرآن لقطرب: (لأهل الشعب)، وكذا في شرح المعلقات التسع.

(٣) لم أقف على ديوان شعر سحيم، والمصادر نسبت البيت لسحيم.

ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/قراءت سورة الرعد). شرح المعلقات التسع: ٢٨٨-٢٨٩. مجاز القرآن: ٣٣٢/١. تفسير الطبري: ٥٣٥/١٣.

(٤) هذا هو القول الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾، بمعنى اليأس، وبعض أهل الكوفة كان ينكر أن يكون اليأس بمعنى العلم، ويزعم أنه لم يسمع أحدًا من العرب يقول: يئست؛ بمعنى: علمت. وذكر ذلك الفراء في كتابه، وكذا الطبري ذكره عنهم، ونقله الثعلبي كذلك. ينظر: معاني القرآن للفراء: (٦٣/٢-٦٤). تفسير الطبري: (٥٣٦/١٣-٥٣٧). تفسير الثعلبي: (٣٠٣/١٥-٣٠٤). وقوله: «أفلم ييأس المؤمنون عن إيمان هؤلاء الكفار»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٥. معاني القرآن للنحاس: ٤٩٨/٣. بحر العلوم: ١٩٤/٢.

(٥) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٦) سبقت الإشارة إلى قضية الإيمان بالإلجاء. ينظر: (٢٩٤)، من هذه الرسالة.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٣٧/١٣)، عن ابن عباس بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٥٧/٨)، وعزاه إلى ابن جرير وابن الأنباري في «المصاحف» عن ابن عباس بنحوه.

*وهي من القراءاتِ الشاذة، نسبها ابن خالويه إلى ابن عباس وعلي بن أبي طالب وجعفر بن محمد وابن مسعود، ووافقه ابن جنّي وزاد أنها قراءة ابن أبي مليكة والجحدري وعكرمة وآخرين.

ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٧١. المحتسب لابن جني: ٣٥٧/١.

(٨) /٣ط/ظ٢٠٢/.

(٩) في ط: (أن **ينزلوا**).

(١٠) في ط: (تعالى **شيئًا**).

(١١) سقطت من ط.

يعلمون أنه خلافُ ذلك(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ معناه: لا يزالون في عقوباتٍ من قِبَلِ الله تعالى تزجُرُهم عن الكفر، وتبعَثُهم على التمسُّكِ بدين الله تعالى، يجدون ذلك في أنفُسِهم.

وفي خبرٍ أنهم: كما نزل بقريشٍ من القحط، وبقومِ فرعونَ من الشدائدِ، فعلى هذا: قولُه تعالى: ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ راجعٌ إلى القارعة.

والقارعةُ: هي: النازلةُ الشديدةُ التي تَنزِلُ بأمرٍ عظيمٍ(٢).

ويُقالُ: أرادَ بالقارعةِ سرايا النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-(٣).

و[قوله](٤) تعالى: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً﴾(٥) معناه: أو تنزلُ أنت يا محمدُ وأصحابُك(٦) -

---

(١) الإشكال في الرواية أنَّ العبارة في ظاهرها إيهام، أما إسنادُ الرواية فصحيح كما ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» حيث قال: «وأما ما أسنده الطبري عن ابن عباس؛ فقد اشتد إنكارُ جماعة ممن لا علم له بالرجال صحته...»، وكذا قال المحقق محمود شاكر عند تعليقه على الأثر المذكور في «تفسير الطبري» حيث قال: «هذا خبرٌ رجاله ثقات، بل كل رجاله رجال الصحيحين، سوى أبي عبيد القاسم بن سلام، وهو إمام ثقة صدوق، فإسناده صحيح لا مطعن فيه...». ينظر: تفسير الطبري (ت محمود شاكر): حاشية (٣)، (١٦/٤٥٢-٤٥٤). فتح الباري: ٨/٣٧٣.

وكان لأهلِ العلم مسلكان في التعليق عليها:

١/منهم من ردها، كالغزنوي، والزمخشري حيث قال: «وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله... وهذه والله فرية ما فيها مرية...». ونقل القرطبي قول أبي بكر الأنباري حيث قال: «...وبها احتج من زعم أنه الصواب في التلاوة، وهو باطل عن ابن عباس؛ لأن مجاهدًا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف...».

ينظر: الكشاف: ٥٤١. تفسير القرطبي: ١٢/٧٤.

٢/ منهم من قال: تُؤوَّل على ما يليق، وهو قول الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال: «...وهذه الأشياء، وإن كان غيرها المعتمد، لكن تكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب أهل التحصيل، فلينظر في تأويله بما يليق به». ينظر: فتح الباري: ٨/٣٧٣. *تنبيه: أفدت هذا المنهج من تعليق الدكتور: عبد الله القبيسي، والدكتور: قاري خوشي، عند تحقيقهما لهذا الأثر في تفسير الثعلبي، ينظر: حاشية (٢)، (١٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٥. تهذيب اللغة: (ق ر ع). بحر العلوم: ٢/١٩٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٦٤. تفسير الطبري: (١٣/٥٤٠-٥٤٣) (أخرجه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٥. بحر العلوم: ٢/١٩٤.

(٤) في الأصل، ز: (**وبقوله**)، والباء زائدة لا يستقيم بها السياق، والمثبت من ط.

(٥) في ط: ﴿قَرِيباً مِّن﴾.

(٦) في ط: (يا محمد **مع**).

رضيَ اللهُ عنهم- قريبًا من مكةَ[١] تقاتلُهم عنِ[٢] الدين.

وقولُه: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: وقتُ هلاكِ الكفارِ.

ويُقالُ: فتحُ مكةَ[٣].

ويُقالُ: ما وعدَ الله تعالى مِن عذابِهم في الآخرةِ[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ﴾ ما وعدَ مِن عقابِ الكفارِ.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٩٤.

(٢) في ط: (تقاتلهم **على**).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٥٤٠،٥٤١-٥٤٢) (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة). تأويلات أهل السنة: ٢/٦٣٥. معاني القرآن للنحاس: ٣/٥٠٠ (عزاه إلى مجاهد وقتادة).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥٤٤ (أخرجه عن الحسن). تفسير الثعلبي: ١٥/٣٠٥. تفسير الماوردي: ٣/١١٣.

[٣٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٣﴾﴾

معناه: ولقدِ استُهزئ بالأنبياءِ -صلواتُ الله عليهم- قبلَك، كما استهزأَ بك قومُك(١).

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾(٢) فأمهلتُ للذين كفروا بعد استهزائهم بالرسلِ(٣).

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بذنوبهم، فانظرْ كيف كانَ عاقبةُ ما حلَّ -من عذابِ(٤) اللهِ تعالى- بهم، ولا يكُنْ في صدرِك حرجٌ منِ استهزائهم.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٩٤.

(٢) سقطت من ط.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٩٤.

(٤) في ط: (من **عقاب**).

[٣٤-٣٥] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٥﴾﴾

معناه: أفمَنْ هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بالتدبيرِ، ويعلمُ(١) ما كسَبت، ويُجازيها [عليه](٢)، إنْ خيرًا فخيرٌ، [وإنْ](٣) شرًّا فشرٌّ؛ كمَنْ لا يعلمُ ذلك، ولا يقدرُ على المجازاةِ؟ وهذا كما قالَ سبحانَه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ﴾ [النحل: ١٧]، إلا أنَّ الخبرَ محذوفٌ في هذه الآيةِ؛ لدلالةِ الكلامِ عليه(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ معناه: وضعوا لله شركاءَ في العبادةِ منَ الأصنامِ. قُلْ: سمُّوا هؤلاء الشركاءَ بأسمائهم(٥) التي تستحقُّها، وسمُّوا منفعتَها وتدبيرَها إن كان لها شركةٌ مع الله تعالى(٦).

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾؛ لفظُ الاستفهامِ بمعنَى الإنكارِ(٧).

---

(١) /٣ط/و٢٠٣/.

(٢) في الأصل، ز: (ويجازيه **عليها**)، والمثبت من ط وهو الصواب؛ لأن الضمير في (عليه) يعود إلى الاسم الموصول (ما) في قوله: (ما كسبت)، وهو مذكر.

(٣) في الأصل، ز: (فخير **أو**)، والمثبت من ط، وكذا هو في كتاب سيبويه: ٢٥٩/١.

(٤) استدل السمرقندي في «تفسيره» بالآية التي في سورة النحل، وذكرها الغزنوي، وكذا استشهد بها أبو حيان في البحر المحيط. ينظر: بحر العلوم: ١٩٥/٢. البحر المحيط: ٣٨٤/٥. وفيمن قال بأن الجواب محذوف، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٤/٢. تفسير الطبري: ٥٤٥/١٣. إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٨/٢.

(٥) في ط: (الشركاء **بأسمائها**). صياغة العبارة في النسخ الثلاث خطأ، ولا أعلم الخطأ هل هو من النساخ أو من المؤلف؛ فقد أشار للشركاء بـ«هؤلاء» إشارة الجمع، ثم أعاد على «الشركاء» ضمائر المفرد المؤنث. فتكون العبارة بناءً على ما في الأصل، ز: «قل سموا هؤلاء الشركاءِ بأسمائها التي تستحقها...»، وتكون على نسخة ط: «قل سموا هذه الشركاء بأسمائها التي تستحقها...».

(٦) ينظر: التفسير البسيط: (٣٥٩/١٢-٣٦٠).

(٧) يظر: التفسير البسيط: ٣٦٠/١٢.

المعنى: أتُخبِرون اللهَ[١] تعالى بما لا يصحُّ أن يكون معلومًا؟! /٢/ظ٨٠/ وهو كونُ الأصنامِ مستحِقَّةً للعبادةِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ على وجهِ الإنكارِ أيضًا.

معناه: [أم] [٢] سمَّيتم الأصنامَ آلهةً بظاهرِ كتابٍ من كُتبِ اللهِ تعالى سميتم الأصنام آلهة.

ويُقالُ: المعنى: أم بحجةٍ ظاهرة سمَّيتموها آلهةً! بل[٣] بقولٍ باطلٍ[٤]، وليس لكم دليلٌ من جهةِ العقلِ، ولا من جهةِ السمعِ يُوجِبُ استحقاقَ الأصنامِ الألوهيةَ.

وقولُه تعالى: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾ معناه: بل زُين للكفارِ قولُهم وفعلُهم؛ في عبادةِ غيرِ[٥] الله تعالى، وتكذيبِ محمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- والقرآنِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَصَدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾؛ مَن قرأ: بفتحِ الصَّادِ[٦] فالمعنى: صَرَفُوا النَّاسَ عن دينِ اللهِ تعالى[٧]وهو منَ الصَّدِّ.

ومَن قرأ: بالرفع[٨] فعلى فِعلِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه[٩]، أي: صَدَّهم رؤساؤهم عن دينِ اللهِ تعالى.

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٠٧/١٥.

(٢) في الأصل، ز: (معناه: لِمَ)، وهو خطأ والمثبت من ط؛ لاتساق (أم) مع ما قبلها وما بعدها، وكذا موافقته للنص القرآني.

(٣) في ط: (بل **سميتموها آلهة**).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/١٣ (أخرجه عن قتادة والضحاك). بحر العلوم: ١٩٥/٢ (عزاه إلى قتادة ومجاهد).

(٥) سقطت من ز.

(٦) ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر.

ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٩. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٢. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٧.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/١٣. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٢٩/١. بحر العلوم: ١٩٥/٢.

(٨) عاصمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ. ينظر: السَّبعة في القراءات: ٣٥٩. التَّيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٢. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٧.

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٥٥٠. إعراب القراءات السَّبع وعللها: ٣٢٩/١. الحجة في القراءات السَّبع: ٢٠١.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ قيلَ: معناه: ومَن يُضلِلْ[١] عن ثوابِه فما له مِن ﴿هَادٍ﴾[٢] يَهديه.

وقيلَ: مَن يَحكُمِ اللهُ بضلالته[٣] فما له مِن حاكمٍ يحكمُ بأنه مُهتدي.

وقيلَ: مَن يخذُلْه اللهُ تعالى عن دينِه ولا يوفقْه فما له مِن موفِّقٍ يَهديه إليه[٤].

وقولُه تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ معناه: لهم عذابٌ في الدنيا؛ وهو ما يَنزل بهم منَ المشاقِّ والأسقامِ والبلايا، فإنَّ[٥] هذه الأشياءَ تكونُ عقوبةً للكفار، وإنْ [٦]كان محبةً[٦] للمؤمنين.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: هو أشقُّ من عذابِ الدنيا[٧].

وما للكفارِ ﴿مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ﴾ يَقيهم من عذاب الله تعالى[٨]. وباللهِ التوفيقُ.

---

(١) في ط: (يضلل **الله**).

(٢) /ز/ظ٣٥١/.

(٣) في ط: (بضلالته **له**).

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٠٩/١٥.

(٥) /٣ط/ظ٢٠٣/.

(٦ - ٦) في ط: (وإن **كانت محبة**).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥١/١٣. تفسير الثعلبي: ٣٠٩/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٤٦/٥.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥١/١٣. تفسير الثعلبي: ٣٠٩/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٤٦/٥.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾

معناه: صفةُ الجنةِ التي وُعد المتقون [الكفرَ][١] والمعاصيَ: أنها تجري من تحتها الأنهارُ[٢].

ويجوزُ أن يكونَ (المَثَلُ) ابتداءً، وخبرُه (تجري من تحتها الأنهار)، وهذا كما يُقالُ: [حليةُ][٣] فلانٍ [أسمرُ][٤] ويُرادُ به: فلانٌ بهذه الصفة[٥].

وفي قراءةِ أميرِ المؤمنين -كرَّم اللهُ وجهَه-[٦]: (أَمْثَالُ ٱلْجَنَّةِ)[٧] أي[٨]: صفاتها[٩].

[وقولُه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِم﴾ أي: ثمرُها دائمٌ[١٠]، لا كجِنانِ الدنيا؛ يظهرُ ورقُها في حالٍ دون حالٍ][١١].

وقولُه تعالى: ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ أي: وظلُّها أيضًا دائمٌ؛ ليس فيه شمسٌ ولا أذًى[١٢]، كما قالَ تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً﴾ [الإنسان: ١٣].

---

(١) في الأصل، ز: (المتقون **للكفر**)، والمثبت ما في ط؛ لأنَّ الفعل (يتقي) يتعدَّى بنفسه. ينظر: لسان العرب: (و ق ى).

(٢) قول نحويي البصرة. ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٥/٢. تفسير الطبري: ٥٥٢/١٣. معاني القرآن للزجاج: ٤١٥.

(٣) في الأصل، ز: (يقال: **حكته**)، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٤) في الأصل، ز: (فلان **اسم**)، سقطت الميم والمثبت من ط وكذا هو في المرجع.

(٥) قول بعض نحويي الكوفة. ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٥/٢. تفسير الطبري: ٥٥٢/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤١٦.

(٦) علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ٦٥/٢ (أورده الفراء عن بعض مشيخته عن الكلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عليًّا قرأ بها). مختصر في شواذ القرآن (زاد ابن مسعود والسلمي): ٧٢. بحر العلوم: ١٩٥/٢.

(٨) في ط: (الجنة **التي**).

(٩) ينظر: بحر العلوم: ١٩٥/٢. البحر المحيط: ٣٨٦/٥.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/١٣. بحر العلوم: ١٩٥/٢. التفسير الوسيط: ١٨/٣.

(١١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(١٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/١٣. بحر العلوم: ١٩٥/٢. التفسير الوسيط: ١٨/٣.

وقولُه تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: الجنةُ دارُ المتقين في العاقبة، ودارُ الكافرين في العاقبةِ النارُ[1]، وفي الحديثِ: ((إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ تُقْسَمُ لَهُ شَهْوَةُ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَإِذَا أَكَلَ سُقِيَ شَرَابًا طَهُورًا، فَيَصِيرُ رَشْحًا يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، ثُمَّ تَعُودُ شَهْوَتُهُ إلى مَا كَانَ))[2].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/١٣. بحر العلوم: ١٩٥/٢. التفسير الوسيط: ١٨/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٢/١٢)، وهناد بن السري في «الزهد» (٧٢/١)، والطبري في «تفسيره» (٥٦٩/٢٣-٥٧٠)، جميعُهم عن إبراهيم التيمي بنحوه بلاغًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ١٦٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن إبراهيم التيمي بلاغًا بنحوه.

[٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِۦ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٧﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ(١) -رضيَ اللهُ عنه- ومَن أسلمَ معه مِن أهل الكتابِ -رضيَ الله عنهم- قالوا: يا رسولَ الله، ما شأنُ ذكرِ الرحمنِ في القرآنِ قليل، وهو في التوراةِ كثيرٌ؟ فنزلَ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١٠٩] فنزل: ﴿وَالَّذِين ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ﴾(٢) أي: يُعجَبون بما(٣) أُنزل إليك من ذكر الرحمنِ وغيرِ ذلك(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: ومِن اليهودِ والنصارى(٥)، مَن يُنكر بعضَ القرآنِ، وإنهم كانوا يُقِرُّون بصحةِ سورةِ يوسفَ -عليه السَّلامُ- وغيرِها، (٦ممَّا لا يكونُ فيه نسخُ شريعتِهم٦)، وكانوا يُنكرون منَ القرآنِ ما لا يوافقُ مذهبَهم ودينَهم.

قُلْ يا محمدُ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ أن أعبُدَ اللّهَ وحده، ولا أُشرِكَ به أحدًا في العبادةِ، إليه أدعو الخلائقَ، وإليه رجوعي في الآخرةِ(٧).

---

(١) في ط: (قال **عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- وذلك أن عبد الله بن سلام -رضيَ الله عنه-**). *وهو: عبد الله بن سلام، أبو يوسف الخزرجي الأنصاري. سماه النبي ﷺ عبد الله حين أسلم، وكان اسمه حصينًا. أحد الأحبار، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجرًا. توفي سنة ثلاث وأربعين. روى عنه: أنس بن مالك، وزرارة بن أوفى.

ينظر: معرفة الصحابة: ١٦٦٥/٣. الاستيعاب: ٩٢١/٣. أسد الغابة: (٢٦٥/٣-٢٦٦).

(٢) لم أقف عليه مسندًا عن عبد الله بن سلام، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٧٨/٢)، وعزاه للكلبي بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (٣١٢/١٥-٣١١)، والواحدي في «البسيط» (٣٧٤/١٢)، و«الوسيط» (١٨/٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧٣٧-٧٣٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٨٢/١٢-٨٣)، والخازن في «تفسيره» (٢١/٣)، جميعهم مطولًا منسوبًا للمفسرين من غير تخصيص -مع اختلافٍ بينهم في التعبير-.

(٣) /٣ط/و٢٠٤/.

(٤) من قوله: «يعجبون بما أنزل إليك»، إلى قوله: «من ذكر الرحمن»، ينظر: بحر العلوم: ١٩٦/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥٦/١٣ (أخرجه عن قتادة ومجاهد). بحر العلوم: ١٩٦/٢. تفسير الثعلبي: ٣١١/١٥ (عزاه إلى مجاهد وقتادة).

(٦ - ٦) ينظر: بحر العلوم: ١٩٦/٢.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ١٩٦/٢.

[٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٨﴾

معناه: كما أنزلنا إلى الأنبياء المتقدمين -صلوات الله عليهم- بلسانهم، كذلك أنزلنا إليك القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾(١).

والحُكْمُ هو: الفصلُ بين الشيئين على ما تُوجِبُه الحكمةُ، وقد يكون الحكمُ بمعنى الحكمةِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١١]، وآتيناه الحكمَ والنبوةَ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ معناه: ولئنِ اتبعتَ دينَ اليهودِ [وقِبلتَهم](٣).

﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ﴾ البيناتِ؛ أي: دينِ اللهِ ودينِ(٤) إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- وقبلتُه الكعبةُ.

﴿مَا لَكَ﴾ مِن دونِ الله مِن ناصرٍ ينصرُك ولا دافعٍ يدفعُ العذابَ عنك(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٣١٢/١٥. التفسير البسيط: ٣٧٤/١٢. تفسير الرازي: ٦٣/١٩.

(٢) ورد النص بهذه الطريقة في النسخ، ولعل المصنف أراد بيان معنى الحكم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، فبيَّنه بقوله: «وآتيناه الحكم والنبوة»، وإن كان في السياق خلل.

(٣) في الأصل، ز: (اليهود **وملتهم**)، والمثبت من ط؛ لأنه في السياق الذي بعده ذكر النقيض وهو القبلة.

(٤) في ط: (دين الله **دين**)، سقطت الواو.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦٣٩/٢.

[٣٩-٤٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً /٢/و٨١/ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ (١يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ١) ﴿٣٩﴾﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «وذلك أنَّ اليهودَ كانوا يُعيِّرون النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بتزويجِ النساءِ، حتى قالوا: لو كانَ محمدٌ نبيًّا؛ لشغَلَتْه النبوةُ عن تزويج النساءِ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ(٢).

المعنى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ إلى قومِهم من قبلِك، كما أرسلنا(٣) إلى قومِك، وجعلنا لهم نساءً أكثرَ من نسائك، وأولادًا أكثرَ من أولادِك، كان لداودَ -عليه السَّلامُ- [مئةُ(٤) امرأةٍ](٥) ولسليمانَ: ثلاثُمئةِ امرأةٍ مهرية، وسبعُمئةِ سُرِّيةٍ(٦).

وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ معناه: هل يملِكُ أحدٌ من الرسلِ -صلواتُ اللهِ عليهم- ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى(٧)؟ هو مالكُ الآياتِ لا يقدرُ أحدٌ أن يأتيَ بشيءٍ منها إلا بإذنِه.

وقولُه تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ معناه: لكلِّ مدةٍ من آجالِ العبادِ في الحياةِ والفَناءِ كتابٌ، قد كتَب اللهُ تعالى ذلك للملائكةِ؛ ليدُلَّهم به على [علمِه](٨) بالأشياءِ(٩).

(١ - ١) سقطت من ط.

(٢) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١٩٦/٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٨٤/١٢)، كلاهما من غير نسبة بنحوه. والواحدي في «الوسيط» (١٩/٣)، وفي «أسباب النزول» (٤٥٦)، عزاه للكلبي بنحوه. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٣٧)، وعزاه إلى أبي صالح عن ابن عباس بنحوه.

(٣) في ط: (كما **أرسلناك**).

(٤) /٣ط/ظ٢٠٤/.

(٥) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٦) من قوله: «كان لداود -عليه السلام-...»، إلى قوله: «وسبعمئة سرية»، ينظر: بحر العلوم: ١٩٦/٢ (عزاه للكلبي).

(٧) ينظر: بحر العلوم: ١٩٦/٢.

(٨) في الأصل، ز: (على **حكمته**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ الغيب يناسبه العلم وكماله، والشهادة تناسبها الحكمة.

(٩) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٥٩/٢.

ويُقالُ: في هذا تقديمٌ، وتقديرُه: لكلِّ كتابٍ أجلٌ؛ يريدُ: لكلِّ مَقضِيٍّ في الكتابِ وقتٌ يقعُ فيه(١)، ولا يجوزُ(٢) (٣الحكمُ بعد٣) ذلك بوجهٍ من الوجوهِ.

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٤) من ديوانِ الحَفَظةِ ما كتبوه من(٥) أعمالِ العبادِ ممَّا لا جزاءَ له، ويُنزل ويقدِّر ما له الثوابُ والعقابُ(٦).

وقَالَ الضَّحَّاكُ -رَحِمَ[هُ](٧) اللهُ-: «يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ مِنَ القُرْآنِ؛ فَيَنْسَخُهُ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ؛ فَلَا يَنْسَخُهُ»(٨).

ويُقالُ: يُهلِكُ ما يشاءُ من القُرى، ويُثبتُ ما يشاءُ فلا يَهلِك.

وعَنِ الحَسَنِ -رضيَ اللهُ عنه-: «يَمْحُو أَجَلَ مَنْ حَانَ أَجْلُهُ، وَيَدَعُ مَن لَمْ يَحِنْ أَجْلُهُ مُثْبَتًا»(٩).

ويُقالُ: يمحو اللهُ ما يشاءُ منَ الطاعاتِ بإحباطِها بالمعاصي، ومنَ المعاصي بتكفيرِها بالطاعاتِ.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٢/٦٥-٦٦).

(٢) في ط: (ولا يجوز **في**).

(٣ - ٣) في ط: (ولا تجوز **الحكمة بغير**).

(٤) في ط: (﴿مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، **قال عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما-**).

(٥) /ز/و٣٥٢/.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٩٧. التفسير البسيط: ١٢/٣٧٩ (عزاه لابن عباس في رواية أبي صالح والضَّحاك والكلبي). تفسير الثعلبي: ١٥/٣١٦. زاد المسير: ٧٣٨ (عزاه كلاهما لأبي صالح والضحاك).

(٧) في الأصل: (رحم) سقطت الهاء، والمثبت من ز، ط.

(٨) لم أقف عليه مسندًا عن الضحاك، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٣٧-٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٦٧-٥٦٦)، كلاهما عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٧٦)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «المدخل»، عن ابن عباس مطولًا.

(٩) أخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٥٦٨)، عن الحسن بنحوه. وكذا أخرجه (١٣/٥٦٨)، عن الحسن بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٧٧)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن بزيادة في آخره.

وعن عائشةَ -رضِيَ اللهُ عنها-: «أنَّ الحَفَظَةَ إِذَا رَفَعَتْ دِيوَانَ العَبدِ، فَإِنْ كَانَ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ خَيْرٌ، مَحَا اللهُ تعالى مَا بَينَهُمَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، فَإِن لَّمْ يَكُنْ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ حَسَنَاتٌ، أَثْبَتَ اللهُ تَعَالى مَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ»[١].

وقدِ اختلفوا في أنه: هل يدخلُ في المحوِ والإثباتِ السعادةُ والشقاوةُ، والموتُ والحياةُ، أم لا؟!

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ -رَضيَ اللهُ عنهما-: «لا يدخلُ [٢]فيه ذلك[٢]»[٣].

وقال عمرُ[٤] وعبدُ الله بنُ مسعودٍ -رضي اللهُ عنهما-: «يدخلُ فيه الشقاءُ والسعادةُ»[٥].

وكان من دعاءِ عمرَ[٦] -رضيَ اللهُ عنه-: «اللهمَّ إن كنتَ كتَبْتَنا سعداءَ فأثبِتْنا، وإن كنتَ كتَبْتَنا أشقياءَ فامحُنا، واكتُبْنا سعداءَ[٧] فإنك تمحو ما تشاءُ وتُثبت، وعندك أمُّ

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١٩٧/٢)، عن عائشة بنحوه.

(٢ - ٢) سقطت من ط.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨/١)، والطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٥٥٩/١٣-٥٦٠)، وابن المقرئ في «معجمه» (١٨٣)، وأبو الحسين بن بشران في «جزء فيه مجلسان من أماليه» (٢٢٧)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢١٧)، وفي «شعب الإيمان» (٣٢٢/٣-٣٢٣)، جميعهم عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٦٧/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وابن جرير، وابن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس مطولًا. وفي رواية (٤٧٠/٨)، عزاه لابن مردويه عن ابن عباس مطولًا.

(٤) ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٥٦٣/١٣-٥٦٤)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢١٥)، عن عمر بن الخطاب مطولًا. والضبي في «الدعاء» (٢١٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٥/١٦)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٥٦٤/١٣)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢١٥)، جميعهم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مطولًا. والطبري في «تفسيره» (٥٦٣/١٣)، عن أبي وائل مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٧١/٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن عمر بن الخطاب مطولًا. وفي رواية (٤٧١/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي الدنيا في «الدعاء»، عن ابن مسعود مطولًا.

(٦) ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٧) /٣ط/و٢٠٥/.

الكتابِ»[١].

وفي الحديثِ: ((أنَّ الدُّعاءَ يَرُدُّ البلاءَ، والصدقةَ تطفئُ غضبَ الرَّبِّ))[٢].

ورُوي: أنَّ[٣] الصدقةَ[٤] تَزيدُ في العمرِ والرزقِ[٥]، وكذلك رُوي في صلةِ الرحمِ أنها تُمُدُّ[٦] في العمرِ[٧].

---

(١) اللَّفظ الذي ذكره المصنف لم أقف عليه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما ذكره السمرقندي في ((تفسيره)) (١٩٦/٢)، عن أبي وائل بلفظه. وأخرجه الطبري في ((تفسيره)) (٥٦٣/١٣، ٥٦٤)، عن عمر بن الخطاب بمعناه. والطبري بإسنادين مختلفين في ((تفسيره)) (٥٦٣/١٣)، عن شقيقٍ بتقديم وتأخير. وأورده ابن كثير في ((مسند الفاروق)) (٥٤٩/٢)، عن أبي عثمان النهدي عن عمر بن الخطاب بمعناه. والسيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٧١/٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر؛ عن عمر بن الخطاب بمعناه. وفي رواية (٤٧٥/٨)، عزاه لابن جرير عن شقيق أبي وائل بتقديم وتأخير.

(٢) لم أقف على الحديث كما ذكره المصنف، ولعلَّه وهمٌ منه رَحِمَهُ اللَّهُ أو من النساخ، والذي وجدته أنَّ الحديث من جزئين، لكل جزء من الحديث تخريج مستقل، فقوله: «الدُّعاء يَرُدُّ البلاء»، أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في ((الفوائد)) (٦١)، عن أبي هريرة بزيادة في أوله. والشجري في ((أماليه الخميسية)) (١٦٣/٢)، عن أبي هريرة في أثناء الحديث. وقوله: «والصدقة تطفي غضب الرَّب»، أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٣٧٢/٧) عن عبد الله بن جعفر بلفظه. والبغوي في ((جزئه)) (٦٤-٦٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢١٣/٣)، كلاهما عن أنس بن مالك بزيادة في آخره. والترمذي في ((سننه)) (٦٠٠/١-٦٠١-أبواب السفر/باب ماذكر في فضل الصلاة)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٤٥/١٩)، كلاهما عن كعب بن عجرة في أثناء الحديث. والثعلبي في ((تفسيره)) (٢٩٠/٢١-٢٩١)، عن معاذ بن جبل في أثناء الحديث. والقضاعي في ((مسنده)) (٩٥)، عن جابر في أثناء الحديث. والحارث في ((مسنده)) (٣٩٧/١-٣٩٨)، والبختري في مجموع مصنفاته (٣٣٨)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري بزيادة في آخره.

(٣) سقطت من ط.

(٤) في ط: (وروي **والصدقة**).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في ط: (أنها **تزيد**).

(٧) أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٣٤)، عن أنس بن مالك بمعناه. والحارث في ((بغية الباحث)) (١/-٣٩٧-٣٩٨)، والبختري في ((مجموع مصنفاته)) (٣٣٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٤٤/٣-٢٤٥)، جميعهم عن أبي سعيد الخدري في أثناء الحديث. والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٨٩/١)، والقضاعي في ((مسنده)) (٩٤/١)، كلاهما عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده في أثناء الحديث. وابن المقرئ في ((معجمه)) (١٥٣-١٥٤)، عن ابن عباس في أثناء الحديث. والأصبهاني في ((الترغيب والترهيب)) (٣١٦/٢)، عن أبي هريرة في أثناء الحديث. والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٣١٢/٨)، عن أبي أمامة بزيادة في أوله. والقضاعي في ((مسنده)) (٩٣/١)، عن ابن مسعود بزيادة في آخره. وأورده

=

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ وأمُّ الكتابِ: أصلُ الكتابِ[1].

قيلَ: إنه اللَّوحُ المحفوظُ، كتَب اللهُ تعالى فيه كلَّ شيءٍ قبلَ أن يخلُقَ العبادَ، لا يُزادُ فيه ولا يُنقصُ منه، إذ فيه ما يمحو اللهُ تعالى، وفيه ما يُثبته، وإذا كتَبَتِ الحَفَظةُ ديوانَ العبدِ [2](ومُحي منه ما مُحي وأُثبت فيه[2]) ما أُثبت، وجَدوا ما كتبوه موافِقًا للمكتوبِ في اللوحِ المحفوظِ، فازدادوا عند ذلك معرفةً وبصيرةً بعلمِ اللهِ تعالى.

وقيلَ: أرادَ بأمِّ الكتابِ علمَ الله تعالى في الأزلِ، فإنه[3]) أصلُ الكتبِ والعلومِ كلِّها.

=

السيوطي في الدر المنثور (٣/٣١٥)، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط» عن أم سلمة في أثناء الحديث. وفي رواية (٣/٣١٦-٣١٥)، عزاه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج»، والبيهقي في «الشعب»، والأصبهاني في «الترغيب»، عن أبي سعيد الخدري في أثناء الحديث. وفي رواية (٣/٣١٥)، عن أبي أمامة بزيادة في أوله.

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٨٣/٢. تفسير عبد الرزاق: ٣٣٨/١ (أخرجه عن ابن عباس). تفسير الطبري: (٥٦٧/١٣-٥٧١) (أخرجه عن قتادة). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤١٧.

(٢ - ٢) في ط: (العبد **وجدوا ما محي وأثبت منه**).

(٣) في ط: (الأزل **وأنه**).

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَإِن مَّا[١] نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

معناه: وإمَّا نُرينَّك يا محمدُ بعضَ الذي[٢] نعِدُهم من نصرِ المؤمنين على الكفارِ[٣]، أو نقبضْك إلينا قبلَ أن يكونَ جميعُ ما نعدُهم من العذاب في حياتِك، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ إبلاغُ ما أُنزل إليك، وعلينا حسابُ ما يعملون والجزاءُ عليه[٤].

وفي الآيةِ: بيانُ أنه لا يكونُ جميعُ ما وعد اللهُ تعالى من نصرِ المؤمنين على الكفارِ في حياةِ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- بل يكونُ بعضُه في حياتِه، وبعضُه بعد وفاتِه.

---

(١) كتبت في الأصل، ز، ط: (وإما) متصلة، خالف النُّساخ رسم المصاحف العثمانية التي اتفقت على رسمها بالنون على الأصل، وليس في القرآن الكريم ما رسم على النون غير هذا الموضع.

ينظر: المقنع: ٤٦٤-٤٦٥. مختصر التبيين: ٧٤٣/٣. الوسيلة إلى كشف العقيلة: ٤١٢.

(٢) في الأصل، ز: (الذي **هم**)، و (هم)، زائدة لا معنى لها، ولا داعي لها في جملة الصلة.

(٣) ما عليه أكثر كتب التفسير أن المعنى: يري الله محمدًا ﷺ ما يعد المشركين بالعذاب، ولم أقف على من قال: يريه نصر المؤمنين على الكفار بهذا اللفظ.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٥٧٤/١٣. معاني القرآن للنحاس: ٥٠٤/٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٥٨/٥. التفسير البسيط: ٣٨٢/١٢.

[٤٢] قوله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤٢﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- في معنى هذه الآيةِ: «أو لم يرَ أهلُ مكةَ أنَّا ننقُصُ الأرضَ من أطرافِها؛ بفتحِ ديارِهم للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- والمسلمين؟[١]»[٢].

وقالَ الحسنُ -رضيَ اللهُ عنه-: «أرادَ بنقصِ أطرافِ[٣] الأرضِ[٤]: ذَهابَ فقهائِها، وخيارِ أهلِها»[٥].

قال: «ومثلُ العلماءِ كمثلِ[٦] النجومِ؛ إذا بدَتِ اهتَدَوا بها، وإذا[٧] /٢/ظ٨١/ أظلمتْ تسكَّعوا»[٨].

---

(١) في ط: (للنبي **وللمسلمين**).

(٢) أخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٥٧٤-٥٧٥)، عن ابن عباس بمعناه. وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٥/٤٤١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٧٥)، كلاهما عن الضحاك بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٧٩)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٨/٤٧٩)، عزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٨/٤٧٩-٤٨٠)، عزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحاك بمعناه.

(٣) في ط: (بنقص **الأطراف**).

(٤) سقطت من ط.

(٥) لم أقف عليه مسندًا عن الحسن، أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٥٧٨-٥٧٩)، عن ابن عباس بنحوه. ووكيع في «الزهد» (١/٢٦٩-٢٧٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/٦٠٠)، كلاهما عن عطاء بن أبي رباح بنحوه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٧٩)، عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٣٩)، عن مجاهد ببعضه. وحماد في «الفتن» (١/٢٤٣)، والحاكم في «مستدركه» (٢/٣٨١)، كلاهما عن ابن عباس ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٧٨-٤٧٩)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ونعيم بن حماد في «الفتن»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس بنحوه. وفي رواية (٨/٤٧٩)، عزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير عن مجاهد بمعناه مختصرًا.

(٦) /٣ط/ظ٢٠٥/.

(٧) كررت في الأصل.

(٨) لا أعلم ما قصد المصنف بقوله: «قال»، إن كان يقصد الحسن؛ فإني لم أقف على الأثر مسندًا عن الحسن، وقد أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠-٥٢/مسند أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، عن أنس بن مالك مرفوعًا بمعناه، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩/٥٣٤)، عن أبي قلابة بنحوه.

«وموتُ العالمِ ثُلْمةٌ[١] في الإسلامِ لا يسُدُّها شيءٌ ما اختلفَ الليلُ والنهارُ»[٢].

وعن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: ((ما ماتَ مُسلمٌ إلا انثَلَمتْ في الإسلامِ ثُلْمةٌ لا يسُدُّها مِن بعدِه شيءٌ))[٣].

وقال بعضُهم -رحمه الله- معناه: أو لم يرَوا أنَّا [٤]ننقصُ الأرضَ[٤] من أطرافِها بتخريبِها[٥]، فإنَّ تخرُّبَ[٦] بعضِها، يدُلُّ على أنها ستَخرَبُ كلُّها.

وإنما حملتُ الآيةَ على أحدِ هذه الوجوهِ الثلاثةِ؛ من: الفتحِ، أو موتِ العلماءِ، أو التخريبِ؛ لأنا نشاهدُ الأرضَ لا تنقصُ من حيثُ الصورةُ والمعاينةُ، كما قال عكرمةُ -رضيَ اللهُ عنه-: «لو كانت الأرضُ تنقصُ لَمَا كنا[٧] نجدُ مكانًا نجلسُ فيه»[٨].

وقولُه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ معناه: واللهُ تعالى يحكمُ بفتحِ البُلدانِ، وبغيرِ ذلك من أحكامِه؛ لا يتعقبُ أحدٌ حكمَه بالردِّ[٩].

والمُعقِّبُ في اللغة: هو الذي يَكُرُّ على الشيءِ فيتتبعُه[١٠].

---

(١) ثَلَم الإناء والسيف: كسر حرفه. ينظر: لسان العرب: (ث ل م).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢١٢)، والدارمي في «مسنده» (١٦٢/كتاب العلم/باب في فضل العلم والعالم)، كلاهما عن الحسن بلفظه. والثعلبي في «تفسيره» (٣٣٨/١٥)، عن عبد الله بن مسعود بلفظه. والبزار في «مسنده» (١٨٥/١٨)، عن عائشة بنحوه. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٨/٢)، عن عبد الله بن مسعود بنحوه. وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٩٥/١)، عن الحسن بنحوه.

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا عن النبي ﷺ، وأخرجه وكيع في «الزهد» (٣٠٩/١)، عن عبد الله بن مسعودٍ بنحوه.

(٤ - ٤) في ط: (أنا **نأتي الأرض ننقصها**).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/١٣ (أخرجه عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة). معاني القرآن للنحاس: ٥٠٥/٣ (عزاه إلى عكرمة عن ابن عباس). بحر العلوم: ١٩٧/٢.

(٦) في ط: (فإن **تخربت**).

(٧) سقطت من ط.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٧٨/١٣)، عن عكرمة بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨١/٨)، وعزاه إلى ابن جرير عن عكرمة بزيادة في أوله.

(٩) من قوله: «لا يتعقب أحد حكمه بالرد»، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٦/٢. مجاز القرآن: ٣٣٤/١. تفسير الطبري: ٥٧٩/١٣.

(١٠) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٦/٢. تفسير الطبري: ٥٨٠/١٣. تفسير الثعلبي: ٣٤٠/١٥.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ معناه: إذا حاسبَ فحسابُه سريعٌ[١]؛ لأنه لا يحاسبُ بفمٍ ولَهَواتٍ فيمنعُه الكلامُ مع بعضِهم عن الكلامِ مع غيرِهم[٢].

(١) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ١٩٧/٢.

(٢) قول المصنف: «بفم ولهوات»، هو قول مبني على إنكار إثبات الصفات الخبرية وتأويلها بما يتوافق مع أدلتهم العقلية فرارًا من التشبيه والتجسيم -غفر الله له-. وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله سبحانه وتعالى على وجهٍ يليق به بلا كيف، وإثبات صفة الكلام لا يتعارض مع أنَّ الله قادر على محاسبة العباد كلهم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيِّنًا ذلك: «والرب سبحانه لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، بل هو سبحانه يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم، لا يشغله هذا عن هذا. قيل لابن عباس: كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر))». ينظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية: ٢٤٦/٥.

[٤٣] قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

وقد مكَرَ الذين من قبلِ هؤلاء الكفارِ بأنبيائهم -صلواتُ الله عليهم- وبمَن آمنَ معهم[١] -رضيَ الله عنهم-، وعند اللهِ جزاءُ مكرِهم جميعًا، فإنَّ ما يفعلُه الله تعالى من إيصالِ المكروهِ يَثبُت، ومكرُهم يَضمحِلُّ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: يعلمُ ما تكسِبُ من خيرٍ أو شرٍّ[٣]، فيُجازيها عليه.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ[٤] ٱلْكَافِرُ﴾ تهديدٌ لهم أنهم إذا جهِلوا اليومَ عاقبةَ أمرِهم، [فسيعلمون][٥] -إذا صاروا إلى الآخرةِ- لِمَن عاقبةُ الدار المحمودةُ؛ لهم أم للمؤمنين[٦]؟!

---

(١) في ط: (آمن **بهم**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/١٣. بحر العلوم: ١٩٧/٢.

(٣) في ط: (خير **وشر**). *ينظر: تفسير مقاتل: ٣٨٤/٢.

(٤) /ز/ظ٣٥٢/.

(٥) في الأصل، ز: (أمرهم **سيعلمون**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ جواب الشرط مع السين لا بُدَّ من اقترانه بالفاء.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٦٢/٥. تفسير السمعاني: ١٠١/٣.

[٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[١] لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٤﴾﴾

معناه: ويقولُ الكفارُ من اليهودِ وغيرِهم: يا محمدُ، لستَ مرسلًا منَ اللهِ تعالى، ومَن يشهدُ لك على رسالتِه[٢]؟

قُلْ لهم يا محمدُ: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني مُرسَلٌ إليكم، وشهادةُ الله تعالى على أني نبيُّه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- من المعجزاتِ، لا شاهدَ أعلى من ذلك.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ كان عبدُ الله بنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: يقرأُ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ بالنصب، ويقولُ: «هو عبدُ الله بنُ سلَامٍ، ومَن آمنَ معه من أهلِ الكتابِ، كان عندهم في التوراةِ نعتُ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وصفتُه»[٣]، فكان يقولُ: «هذه الآيةُ مدنيةٌ؛ لأنَّ هؤلاء أسلموا بالمدينةِ»[٤].

---

(١) /٣ط/و٢٠٦/.

(٢) في ط: (على **رسالتك**).

(٣) من قوله: «كان عبد الله بن عباس يقرأ...»، إلى قوله: «بالنصب»، ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١٩٨/٢)، عن ابن عباس بلفظه. ولم أقف عليه غير عند السمرقندي، ولعلَّ المصنف اعتمد في نقله على السمرقندي، رغم أنَّ قراءة النصب هي قراءة الجمهور المتواترة، ولكن لعلَّ المؤلف أراد أن يبين أنَّ ابن عباس عندما قرأ بقراءة الجمهور -لأنه قرأ بقراءة شاذة ستأتي الإشارة إليها- فسَّر قراءة الجمهور على أنَّ المقصود بها: أنَّ من عنده علم الكتاب هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» (٥٨٢/١٣)، عن ابن عباس بمعناه، ولم يذكر في الرواية عبد الله بن سلام، وإنما ذكر أهل الكتاب فقط. وأخرج الطبري كذلك بعدة أسانيد في «تفسيره» (٥٨٣/١٣)، عن قتادة بمعناه، وفي رواية قتادة ذكر أنهم أناس من أهل الكتاب شهدوا بالحق ومنهم عبد الله بن سلام. وفي رواية عن قتادة (٥٨٣/١٣)، ذكر فيها أن عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري هم المقصودون بذلك. وفي رواية (٥٨٤/١٣)، عن قتادة اقتصر فيها على عبد الله بن سلام فقط. وذكر السمرقندي في «تفسيره» (١٩٨/٢)، ما ذكره المصنف بنحوه من غير نسبة.

(٤) لم أقف على رواية ذُكرت عن ابن عباس بهذا اللفظ، ولا بمعناه، ولعلَّ المقصود بقوله: «هؤلاء أسلموا بالمدينة»، عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري؛ لأنَّ الروايات أتت بذكرهم. ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٩/١)، والطبري في «تفسيره» (٥٨٣/١٣-٥٨٤)، كلاهما عن قتادة بلفظ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: «كان منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميمٌ الدَّاري» وزاد عبد الرزاق في روايته: «قال معمر، وقال الحسن: ومن عند الله علم الكتاب». وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨٣/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن قتادة وزاد (الجارود).

وكان عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ -رضيَ اللهُ [عنه] [١]- يقرأُ: (وَمِنْ عِندِهِ) بالخفضِ، على معنَى: أنَّ القرآنَ مِن عندِ الله تعالى[٢]، كان يقولُ: «هذه السُّورةُ مكيةٌ، وعبدُ اللهِ بنُ سلَامٍ أسلمَ بالمدينةِ»[٣].

وتُقرأ: (وَمِنْ عِندِهِ[٤] عُلِمَ ٱلْكِتَٰبُ) بخفضِ (مِنْ) وضمِّ العين وكسرِ اللامِ؛ من (عُلِمَ)، هكذا رُوي عن سعيدِ بنِ جُبير،[٥] وهو يريدُ قراءةَ ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنهما-[٦].

---

(١) في الأصل، ز، ط: (الله **عنهما**)، وهو خطأ.

(٢) انفرد السمرقندي بنسبة قراءة الخفض لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا توجيهها، فذكرها في «تفسيره» (٢/١٩٨)، عن ابن مسعود بلفظه. وأخرج الطبري قراءة الخفض عن غير ابن مسعود، وكذا عزا توجيهها لهم، فأخرجها عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وهارون، وسعيد بن جبير، وعن النبي ﷺ، إلا أنه ذكر أن الخبر الوارد عن النبي بأنه قرأ بذلك، ليس له أصل عند الثقات. ونسبها ابن خالويه للنبي ﷺ، وعلي، وأبي، والحسن، وذكر التوجيه في أحد أقواله دون نسبة، ووافقهم ابن جني، وزاد آخرين.

ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٥٧٤-٥٨٧). مختصر في شواذ القرآن: ٧٢. المحتسب لابن جني: ١/٣٥٨.

(٣) من قوله: «كان يقول هذه السورة مكية...»، إلى قوله: «أسلم بالمدينة»، لم أقف عليه منسوبًا لعبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عند غير السمرقندي في «تفسيره» (٢/١٩٨)، الذي ذكره بنحو ما ذكره المصنف. ووقفت عليه مسندًا عن سعيد بن جبير، وأخرجه عنه سعيد بن منصور في «سننه» (٥/٤٤٢-٤٤٣)، والطبري بإسنادين في «تفسيره» (١٣/٥٨٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٧٩)، جميعهم عن سعيد بن جبير بزيادة في آخره. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٨٤)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه»، جميعهم عن سعيد بن جبير بنحوه. وقال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٧٩)، بعد ما أخرج الأثر: «أنكر هذا سعيد بن جبير؛ لأنَّ السورة مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم بالمدينة»، وهو بنحو ما ذكره المصنف ونسبه لابن مسعود على ما اعتمد في نقله عن السمرقندي، وإن لم يكن بنصه.

(٤) كررت في ز.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٥/٤٤٣-٤٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٨٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٧٩)، جميعهم عن سعيد بن جبير بزيادة في أوله. والطبري في «تفسيره» (١٣/٥٨٦)، عن سعيد بن جبير في أثناء الحديث.

(٦) لعلَّ المصنف يقصد بقوله: «أنه يريد قراءة ابن مسعود»، من حيث المعنى، أي أنَّ معنى قراءة سعيد بن جبير -بخفض الميم وضم العين وكسر اللام في (عُلِم)-، مثل معنى قراءة ابن مسعود -التي عزاها له المصنف، وأشرت لذلك سابقًا- التي هي بخفض الميم في (مِن)، وكسر العين وسكون اللام في (عِلْم)، ومعناها: أنَّ القرآن من عند الله. فإن كان هذا مقصوده رَحِمَهُ اللَّهُ فهو صحيح؛ لأنَّ ما ذكره الغزنوي، هو ما ذكره الطبري في أحد رواياته التي أخرجها عن سعيد بن جبير، وقد

=

وعن أُبيّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قال: ((مَن قرأ سورةَ الرعدِ أُعطي منَ الأجرِ بوزنِ كلِّ سحابٍ مضى، وكلِّ سحابٍ [يكونُ][1] إلى يومِ القيامةِ، عشرَ حسناتٍ، وكان يومَ القيامة من المُوقنين بعهدِ الله تعالى))[2]. وباللهِ التوفيقُ.

=

أشرت لها في الحاشيةِ السابقة عند التخريج، وذكرت الرواية أنَّ سعيد بن جبير عندما كان يقرؤها: ﴿وَمِنْ عِندِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، كان يقول: «من عند الله». ينظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/١٣.

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٢) أخرجه الثعلبي في ((تفسيره)) (١٩٩/١٥-٢٠٠)، والواحدي في ((الوسيط)) (٣/٣)، كلاهما عن أبي بن كعب بنحوه.

سُورةُ إبراهيمَ

-عليهِ السَّلامُ-

مكيةٌ كلُّها عند أكثرِ المفسّرين -رحِمهم اللهُ-(١).

ويُروى عن عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما- [أنه قال](٢): «إلا آيتَينِ منها أُنزِلتا في حربِ بدرٍ(٣)؛ قولَه تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا (٤) وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ(٤)﴾ [إبراهيم:٣٠] إلى قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٢]»(٥).

وأما عددُ آيِ السورةِ فهو: خمسون آيةً عند البصريِّين، وآيتانِ عند الكوفيِّين، وأربعٌ: حِجَازيٌّ، وخمسٌ: شاميٌّ(٦).

بِسْمِ(٧) ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١-٢] ﴿۞ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ۝٢﴾

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٩٥/٢. فضائل القرآن لابن الضريس: ٣٤. تفسير ابن أبي زمنين: ٣٦١/٢. المكي والمدني في القرآن: (٣٤٠/١-٣٤٤).

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٣) بَدْر: بفتح الموحدة وسكون الدال المهملة ثم راء: ماءٌ عن يمين طريق مكة، بينها وبين المدينة. وهي اليوم بلدة بأسفل وادي الصفراء، تبعد عن المدينة مئة وخمسة وخمسين كيلًا. وهي معركة وقعت بين المسلمين وقريش في رمضان في السنة الثانية من الهجرة، انتهت بانتصار المسلمين.

ينظر: سيرة ابن هشام: (٢٩٧/٢)، (٤٥/٣). دلائل النبوة للبيهقي: ١٢٦/٣. معجم ما استعجم: ٢٣١/١. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٤١.

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) أخرجه النَّحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٤٨٠/٢)، عن ابن عباس بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨٦/٨)، وعزاه إلى النَّحاس في «ناسخه» عن ابن عباس بنحوه.

(٦) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن: ١٧١. حسن العدد في فن العدد: ٧٩. القول الوجيز: ٢١٥.

(٧) /٣ط/ظ٢٠٦/.

قد تقدَّم[١] تفسيرُ الحروفِ المقطَّعةِ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ يرتفعُ لأنه خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ خبرَ ﴿الٓر﴾[٣].

وقولُه تعالى: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ معناه: لتخرجَهم من ظلماتِ الكفرِ إلى نورِ الإيمانِ بأمرِ ربهم[٤]؛ أمَرَك أن /٢/و٨٢/ تدعُوَهم إلى الإيمانِ، وتزجُرَهم عن الكفرِ.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ معناه: إلى دين العزيزِ الحميدِ، (٥ويُسمَّى الدينُ صراطًا٥): لأنه يَسلُكُ بمَن يسلُكُه إلى الجنةِ.

و ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا يمكنُ أن يُغلب ويُقهر، و﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ المُستحمِدُ عبدَه[٦] بالإنعامِ.

وقيلَ: هو المستحِقُّ[٧] للحمدِ[٨].

---

(١) سقطت من ز.

(٢) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): ١٧٧-١٨٦. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ١٢٢-١٢١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢١.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٠. تفسير السمعاني: ٣/١٠٢. تفسير البغوي: ٤/٣٣٣.

(٥ - ٥) في ط: (الحميد. **وسُمي صراطًا**).

(٦) في ط: (المستحمدُ **عباده**).

(٧) في ز: (هو **المسمى**).

(٨) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٠٢. تفسير البغوي: ٤/٣٣٤.

[٣-٤] قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٣ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٤﴾

مَنْ قرأَ: (ٱللَّهِ) بالخفضِ(١)، فعلَى معنَى البناءِ على العزيزِ الحميدِ(٢).

ومَنْ قرأَ: برفعِ الهاءِ(٣) فعلَى الابتداءِ(٤).

والويلُ: كلمةٌ تُستعملُ في الشدةِ(٥).

ويُقالُ: هو وادٍ في جهنم(٦).

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ (٧ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ٧)﴾ معناه: الذين يختارون الدنيا على الآخرةِ(٨).

وقولُه تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوزُ أن يكونَ معناه: يُعرضون عن طاعة الله تعالى؛ منَ الصُّدودِ؛ وهو الإعراضُ(٩).

---

(١) الخفض: من مصطلحات أهل الكوفة؛ ويقصد به: الجر. ينظر: المدارس النحوية للسامرائي: ١٥٤. *وقرأ بالخفض: ابنُ كثير، وأبو عمرو، وعاصمٌ، وحمزةُ والكِسائيُّ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٠. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٦٧. تفسير الطبري: (١٣/ ٥٨٩). إعراب القراءات السَّبع وعللها: ١/٣٣٤. بحر العلوم (بنصه): ٢/٢٠٠.

(٣) نافع، وابنُ عامر. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٠. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٨.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٦٧. تفسير الطبري: ١٣/٥٨٩. إعراب القراءات السَّبع وعللها: ١/٣٣٤. بحر العلوم: ٢/٢٠٠.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٦. بحر العلوم: ٢/٢٠٠.

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٦. بحر العلوم: ٢/٢٠٠.

(٧ - ٧) سقطت من ط.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥٩١. بحر العلوم: ١٣/٥٩١. تفسير الثعلبي: ١٥/٣٥٤.

(٩) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٦.

ويجوزُ أن يكونَ معناه: يمنعون الناسَ(١).

يُقالُ: صَدَّه يصُدُّه صَدًّا؛ أي(٢): منَعَه.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ معناه: ويطلُبون بدين الله تعالى العِوَجَ(٣).

والعِوَجُ بكسر العين: في الدين(٤)، والعَوَج بفتح العين: في العصا(٥)، مأخوذٌ: من عُجْتَ يا فتى على فلان أي: عطفتها(٦) إليه.

وقولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ﴾ أي: في ذَهابٍ عن الحقِّ بعيدٍ(٧).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩١/١٣. تفسير الثعلبي: ٣٥٤/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٧٠/٥.

(٢) في ط: (صدًّا **إذا**).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٧٠/٥.

(٤) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن: ٨٦. مجاز القرآن: ٩٨/١. الفصيح: ٢٩٨.

(٥) ينظر: الفصيح: ٢٩٨. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٢.

(٦) في الأصل، ز: (أي: **عطفها**).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩١/١٣. بحر العلوم: ٢٠٠/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٧١/٥.

[٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي[1] مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾

معناه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ[2]﴾ كلُّ رسولٍ لقومه بلغتِهم ما أُمروا به، وما نُهوا عنه، فيَفهموا ويَتعلَّموا[3].

وقولُه تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ قيلَ: أي يخذلُ مَن يشاءُ؛ مَن كان أهلًا لذلك، ويُوفِّقُ لدينه مَن يشاءُ؛ مَن كانَ أهلًا لذلك[4].

وقيلَ: يُضل عن جنتِه وثوابِه مَن يشاءُ، ويَهدي إلى ذلك مَن يشاءُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ظاهرُ المُرادِ.

---

(١) /٣ط/و٢٠٧/.

(٢) في ط: (﴿قَوْمِهِۦ﴾ **كما أرسلناك بلسانِ قومك.** ﴿لِيُبَيِّنَ﴾).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩٢/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٢. بحر العلوم: ٢٠٠/٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٠/٢.

[٦-٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۝ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝﴾

معناهُ: ولقد أرسلنا موسى[١]: بدلائلِنا وحُجَجِنا[٢].

وقولُه تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ يجوزُ أن يكونَ معنَى: (أنْ) في هذا الموضعِ معنَى[٣]: أَيْ[٤].

ويجوزُ أن يكونَ معناه: [بأنْ][٥] أخرِجْ قومَك[٦]، كما يُقال: فعلتُ هذا أن يفعلَ هذا[٧]، أي: بأن يفعلَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ[٨]﴾ معناه: أيَّامُ[٩] نِعَمِ الله تعالى عليهم[١٠].

كما رُوي في الخبر أنَّ اللهَ تعالى أوحى إلى موسى -عليه السَّلام- أن حبِّبْني إلى عبادي، قال: يا رب كيف أُحبِّبُك إلى عبادِك والقلوبُ بيدك؟ فأوحى اللهُ[١١] أنْ ذكِّرْهم نَعْمائي[١٢].

---

(١) في ط: (موسى **بآياتنا**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/١٣.

(٣) /ز/و٣٥٣/. في ط: (الموضع **بمعنى**).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٣. إعراب القرآن للنحاس: (٣٦٤/٢-٣٦٥). مشكل إعراب القرآن: ٤٠٠.

(٥) في الأصل، ز: (معناه: **بل**)، وهو خطأ، والمثبت من ط.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٣. إعراب القرآن للنحاس: ٣٦٤/٢. مشكل إعراب القرآن: ٤٠٠.

(٧) في ط: (يفعل **جرم**).

(٨) في ط: ﴿**ٱللَّهِ** بِأَيَّىٰمِ﴾.

(٩) في ط: (معناه: **بأيام**).

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/١٣. معاني القرآن للزجاج: ٤٢٣. بحر العلوم: ٢٠٠/٢.

(١١) في ط: (الله **إليه**).

(١٢) لم أقف على الخبر عن موسى-عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلا عند السمرقندي، فذكره في «تفسيره» (٢٠٠/٢)، بلفظه. وأخرجت بعض المصنفات الحديثية أنَّ ما ذكر في الخبر هو من كلام داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومن ذلك: ما أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣١/١٩)، عن عبد الله بن الحارث بمعناه. والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٩/٦)، عن ابن عباس =

ويُقالُ: أراد بأيامِ الله تعالى نعمتَه ونقمتَه في الأممِ الماضيةِ[١].

قال الشاعرُ[٢]:

وَأَيَّامٍ لنَــــــا غُـــــــرٍّ طِـــــــوَالٍ عَصَـــيْنَا الـــمَلْكَ فيهـــا أنْ نَـــدِينَا[٣]

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ معناه: إنَّ في ذلك لدلالاتٍ لكلِّ مَن كان كثيرَ الصبرِ والشكرِ.

والصبرُ هو: حَبْسُ النفسِ عمَّا تنازعُ إليه[٤].

والشكرُ هو: إظهارُ النعمة على جهةِ الاعترافِ بها[٥].

=

مطولًا. وأورده السيوطي في موضعين مختلفين في «الدر المنثور» (١٧١/٥-١٧٢)، وعزاه إلى البيهقي عن ابن عباس مطولًا. وفي رواية (٥٦٠/١٢)، عزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد عن عبد الله بن الحارث بمعناه.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/١٣ (عزاه إلى بعض أهل العربية). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٣. بحر العلوم: ٢٠٠/٢.

(٢) عمرُو بن كُلثوم التغلبي، أبو الأسود، وقيل: أبو عمير. شاعر مقدَّم سيدٌ، أحد فُتَّاك الجاهلية.

ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١٥١/١. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: ٢٠٢. معجم الشعراء: ٢٠٢.

(٣) البيت في ديوانه: ٧١.

(٤) ينظر: تفسير ابن فورك (ت علال بندويش): ١٠٦/١. تفسير الماوردي: ١١٥/١. تفسير السمعاني: ١٠٤/٣.

(٥) ينظر: الفروق اللغوية: ٤٨. التفسير البسيط (بنصه): ٥٢٤/٢.

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ[١] ﴿٨﴾﴾

قد سبقَ تفسيرُه[٢].

وأمَّا دخولُ الواوِ في قوله تعالى: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ[٣]﴾ يقتضي أن يكونَ تذبيحُ الأبناءِ سوى سوءِ العذاب[٤]، وأنَّ[٥] قومَ فرعونَ كانوا يستعملون بني إسرائيلَ في الأمرِ الثقيلِ، وكانوا يقتلون ذكورَ أولادِهم صغارًا، ويستَبْقون إناثَ أولادِهم للاستذلالِ والاستخدامِ.

---

(١) /٣ط/ظ٢٠٧/.

(٢) في موضعين: عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: ٤٨]، وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: ١٤١].

ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): ٢٨٧-٢٨٩. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت محمود الشنقيطي): ٣٢٠-٣١٩.

(٣) سقطت من ط.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٩/٢. تفسير الطبري: ٥٩٩/١٣. إعراب القرآن للنحاس: ٣٦٥/٢.

(٥) في ط: (العذاب **فإنَّ**).

[٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٩﴾

معناه: قال لهم موسى -عليه السلام-: إذ أنجاكم مِن آل فرعون، وأعلَمَكم في الكتاب: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ نعمتي، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لِمَن كفر[١].

وقد يُذكر تفعَّلَ بمعنى أَفْعَلَ، كما يُقال: توعَّدَ[٢] وأوعَدَ بمعنًى واحدٍ[٣].

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠١. تفسير الثعلبي: ١٥/٣٥٦. تفسير الماوردي: ٣/١٢٣.

(٢) في ز: (يقال: **تواعد**).

(٣) معاني القرآن للفراء: ٢/٦٩. تفسير الطبري: ١٣/٦٠٠. معاني القرآن للنحاس: ٣/٥١٧.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝١٠﴾

قال لهم موسى -عليه السَّلامُ-: إنْ تكفروا بالله تعالى وبنعمتِه، ﴿أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ فإنَّ اللهَ /٢/ظ٨٢/ ﴿لَغَنِيٌّ﴾ عن طاعتِكم[1]، لم يأمرْكم بطاعتِه لحاجتِه إليها، وهو الحميدُ لِمَنْ وحَّده وأطاعَه.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠١. التفسير البسيط: ١٢/٤٠٨.

[١١-١٢] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۝ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝﴾

قيلَ: إنَّ الخِطَابَ في هذه الآيةِ هو لأمةِ محمدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-.

وقيلَ: هو خطابُ موسى -عليه السَّلامُ- لقومِه[١]؛ لأنه عطفٌ على ما تقدَّم من قولِه.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾؛ ومعنى هذه الآيةِ: ألم يأتِكم خبرُ الذين مِن قبلِكم مِن الأممِ الماضيةِ، قومِ نوحٍ، وقومِ هودٍ، وقومِ صالحٍ، والذين مِن بعدِهم مِن قومِ شعيبٍ، وغيرِهم؟ لا يعلمُ عددَهم إلا اللهُ[٢]، كما ورد في الحديثِ: ((كَذَبَ النَّسَّابُون))[٣] أي: لا يعلمون حقيقةَ أنسابِ المتقدِّمين[٤] وعددَهم، جاءتهم رسلُهم بالدلالاتِ الواضحاتِ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾؛ قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ -رضيَ اللهُ عنه- معناه: «فعَضُّوا على أناملِهم غيظًا على الرسلِ فيما ادَّعَوا منَ النبوةِ، كما أخبرَ الله تعالى عن كفارِ أمَّتِنا بقولِه تعالى: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩]»[٦].

---

(١) في ط: (لقومه **لقومه**)، مكررة لا معنى لها.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٦٠٣/١٣. بحر العلوم: ٢٠١/٢. تفسير السمعاني: (١٠٥/٣-١٠٦).

(٣) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في ((تفسيره)) (٦٠٤/١٣)، منها: ما أخرجه عن عمرو بن ميمون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظه. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظه. وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٩٥/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن عمرو بن ميمون بزيادة في أوله. وفي رواية (٤٩٥/٨)، عزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بزيادة في أوله.

(٤) /٣ط/و٢٠٨/.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ١٠٦/٣.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في ((تفسيره)) (٣٦١/١)، والطبري في ((تفسيره)) (٦٠٥/١٣)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٦١/٩)، والحاكم في ((مستدركه)) (٣٨٢/٢)، جميعهم عن عبد الله بن مسعود بمعناه مختصرًا. والطبري بإسنادين مختلفين في ((تفسيره)) (٦٠٥/١٣)، والحاكم في ((مستدركه)) (٣٨٢/٢)، كلاهما عن عبد الله بن مسعود ببعضه. والطبري في ((تفسيره)) (٦٠٦/١٣-٦٠٧)، عن ابن زيد ببعضه. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٩٦/٨-٤٩٧)، وعزاه إلى

=

وقالَ مجاهدٌ -رحمه اللهُ-: ((هذه كنايةٌ عن الجَحْد والتكذيبِ))[(١)].

ويُقالُ: معناه: وضَع الكفارُ أيديَهم على أفواهِهم؛ إشارةً إلى الرسل: أنِ اسكُتوا، وهذا كما يُشارُ -في إسكاتِ الصِّبيانِ- إلى الأفواهِ، ويُريدُ (٢بذلك السكوتَ٢)[(٣)].

ويُقالُ: معناه: وضَع الكفارُ أيديَهم على أفواهِ أنبيائِهم -صلواتُ الله عليهم-[(٤)].

ويُقالُ: أرادَ بالأيدي النِّعَمَ[(٥)] قال: ردُّوا نعمَ اللهِ تعالى التي أنعَمَ عليهم بالتكذيبِ بألسنتِهم[(٦)].

=

عبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمعناه مختصرًا فقال: «﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ قال: «عضوا عليها». وفي لفظ: «عضوا على أناملهم غيظًا على رسلهم». وفي رواية (٤٩٧/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن زيد بمعناه مختصرًا. *وقول ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تفسيرِ الآية هو الذي رجحه الطبري في تفسيره، وكذا النحاس، فقال الطبري: «وأشبه الأقوال عندي بالصواب في تأويل الآية القولُ الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود؛ أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غيظًا على الرسل، كما وصف الله عز وجل به إخوانهم من المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من ردِّ اليد إلى الفم». وقال النحاس: «وفي الآية قول رابع، وهو أولاها وأجلها إسنادًا...»، ثم ذكر قول ابن مسعود ثم قال: «قال أبو جعفر: والدليل على صحة هذا القول قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾».
ينظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/١٣. معاني القرآن للنحاس: (٥١٩/٣-٥٢٠).

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في ((تفسيره)) (٦٠٧/١٣)، عن مجاهد بمعناه. والطبري في ((تفسيره)) (٦٠٨/١٣)، عن قتادة ببعضه. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤٩٦/٨)، وعزاه إلى ابن عبيد وابن المنذر عن مجاهد بمعناه. وفي رواية (٤٩٧/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي ببعضه.

(٢ - ٢) في ط: (بذلك **الأمر بالسكوت**).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٩/٢ (عزاه إلى ابن حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٤. معاني القرآن للنحاس: ٥١٩/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٩/٢. تفسير الطبري: ٦٠٨/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٨٠/٥.

(٥) في ط: (النعم **كأنه**).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٦٩/٢-٧٠). تفسير الطبري: ٦٠٨/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٤.

وحروفُ الصفاتِ يُقامُ بعضُها مُقامَ بعضٍ[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧٠]، أي: على جذوعِ النخلِ[٢].

وقولُه تعالى[٣]: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [معناه: قالوا لأنبيائهم -عليهم السَّلامُ][٤] ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ منَ الكتابِ والتوحيدِ[٥].

﴿مُرِيبٍ﴾[٦] ظاهرِ الشكِّ فيما يقولون[٧].

والرَّيْبُ: شكٌّ مع التُّهَمةِ[٨].

---

(١) سبق بيان المعنى المراد من قول المصنف: «وحروف الصفات»، ينظر: (٢٥٥)، من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: أدب الكاتب: ٥٠٦. تأويل مشكل القرآن: ٥٦٧. المنتخب من غريب كلام العرب: ٦٠٥/٢.

(٣) في ط: (تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾).

(٤) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لوضوح المعنى.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٣٩٩/٢. تفسير الطبري: ٦٠٩/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٨٢/٥.

(٦) سقطت من ط.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢٠١/٢.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/١٣. جمهرة اللغة: (ر ي ب). الصحاح: (ر ي ب).

[١٣] قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾﴾

معناه: قالت رسلُهم: أفي اللهِ شكٌّ؛ مع وضوحِ الأدلةِ عليه؟[١] وهذا استفهامٌ بمعنى الإنكارِ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معناه: خالقُ السماواتِ والأرضِ؛ كيف تشكُّون فيه؟ ودلائلُ وَحدانيتِه ظاهرةٌ، وهو خالقُ السماواتِ والأرضِ[٣].

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى دينِه؛ ليتجاوزَ عنكم ذنوبكم في[٤] الجاهليةِ.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى منتهى آجالِكم، فلا يعذبُكم بعذابِ الاستئصالِ[٥].

وأمَّا دخولُ (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فيجوزُ[٦] أن يكونَ للتجنيس، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا[٧] الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٢٨].

ويجوزُ أن يكونَ للتبعيض[٨]، على معنًى: يدعوكم ليغفرَ لكم بعضَ ذنوبِكم، فادْعُوا اللهَ تعالى، وارغَبوا إليه في مغفرةِ الذنوبِ كلِّها.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ معناه: قالتِ الأممُ لرسلِهم -عليهم السَّلامُ-: إنْ أنتم، أي: ما أنتم.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٢.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: ١٢/٤١٤. التفسير الوسيط: ٣/٢٥. زاد المسير: ٧٤٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦١٠. بحر العلوم: ٢/٢٠٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٧٨٣.

(٤) /٣ط/ظ٢٠٨/.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٢.

(٦) /ز/ظ٣٥٣/.

(٧) في ط: (تعالى: **واجتنبوا**) بالواو، وهو خطأ.

(٨) ينظر: التفسير البسيط: ١٢/٤١٧. تفسير الزمخشري: ٥٤٦. المحرر الوجيز: ٥/٢٢٩ (عزاه إلى سيبويه).

ويُقالُ: هل أنتم إلَّا آدميُّون مثلُنا، لا فضلَ لكم علينا، تريدون أن تمنعونا عمَّا كان يعبدُ آباؤنا منَ الأصنامِ، فأْتُوا بحجةٍ واضحةٍ بينةٍ[(١)].

وهذا التماسٌ منهم للآياتِ التي كانوا يَقترِحونها على أنبيائهم -صلواتُ الله عليهم-[(٢)]. وسُميت الحجةُ سلطانًا؛ لأنها تتسلَّطُ على الباطلِ لتُدْحِضَه.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٢.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري: ٥٤٧. *وقد سبقت الإشارة لما كانوا يقترحونه، ينظر: (٢٤٦)، من هذه الرسالة.

[١٤-١٥] قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝﴾

معناه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم أنتم، ولكنَّ اللهَ يُنعم على مَن يشاءُ مِن عبادِه[١] كما أنعمَ علينا بإرسالنا[٢]، ولا نملِكُ الإتيانَ بالآياتِ التي تقترحونها[٣] علينا، ونحن بشرٌ مثلُكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فليتوكلِ[٤] المؤمنون في تفويضِ الأمرِ إليه والرضا بتدبيره[٥].

فقالت لهم الكفارُ: فتوكَّلوا أنتم أيضًا على اللهِ تعالى حتى ترون ما يفعلُ بكم.

فقالتِ الرسلُ: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾/٢/و٨٣/ تعالى؛ أي: أيُّ شيءٍ لنا في أن لا نتوكلَ على اللهِ تعالى[٦].

﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا[٧]﴾؛ والهدايةُ من الله تعالى هي الدلالةُ على الحق والسُّبلِ[٨] تمييزًا بينه وبين الباطلِ[٩].

(١) في ز: (من **عبادنا**)، وهو خطأ.
(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٠/٢. تفسير الطبري: ٦١١/١٣. بحر العلوم: ٢٠٢/٢.
(٣) في ط: (التي **يقترحون**).
(٤) في ط: (أي: **فليثق**).
(٥) ينظر: التفسير الوسيط: ٢٥/٣.
(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٨٥/٥. التفسير الوسيط: ٢٥/٣. تفسير السمعاني: ١٠٨/٣.
(٧) /٣ط/و٢٠٩/.
(٨) في ط: (الحق **والرسل**)، وهو خطأ.
(٩) ينظر: تفسير السمعاني: ١٠٨/٣.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَن عَلَىٰ ما ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾ معناه: ولنصبرنَّ على أذاكم اتباعًا لأمرِ اللهِ تعالى، واتباعًا لمرضاتِه[١].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [معناه: أنَّ الله تعالى أهلٌ للتوكُّلِ عليه، فعليه ينبغي أن يتوكلَ المؤمنون][٢].

وقدَّ بيَّنا أنَّ معنَى التوكلِ: هو التمسُّكُ بطاعةِ الله تعالى، مع الرضا بقضائه وتدبيرِه[٣].

وبالله التوفيقُ.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٨٦/٥. المحرر الوجيز: ٢٣١/٥.

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط. *ينظر: تفسير الطبري: ٦١١/١٣.

(٣) ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِّ عَلَيْهِ وتَوَكَّلْتُۖ﴾ [يوسف: ٦٧]. ينظر: (١٤١)، من هذه الرسالة.

[١٦-٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ[١] لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾

وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا أخبرَ عن الرسلِ -في الآية المتقدِّمة- أنهم توكَّلوا على الله تعالى، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أَتْبَعَه بتهديدِ الكفارِ لهم بأبلغِ ما يشُقُّ عليهم، حيث قالوا لهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾؛ أي: قالت الكفارُ لأنبيائهم -صلواتُ الله عليهم-: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ منَ الأرضِ التي نحن فيها، أو لترجعُنَّ إلى دينِنا الذي نحن عليه، فعند ذلك أمرَ اللهُ تعالى الرسلَ منهم بما أوحى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكفارَ، ولنُنزِلَنَّكم أرضَهم وديارَهم من بعد هلاكِهم، وهذا نهايةٌ في الإنعامِ في مقابَلةِ ما تواعدوهم به، فإنَّ هذا جزاءُ مَن توكَّل على ربِّه؛ أن يكفيَه أمرَ عدوِّه.

ثم بيَّن اللهُ تعالى العلةَ التي لأجلِها[٢] وعدَ الرسلَ -عليهم السَّلام-؛ قال جلَّ ذكرُه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [٣]أي: ذلك جزاءُ مَن خافَ[٣] مقامَ العبادِ[٤] عندي.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ[٥]﴾ بالعقابِ لِمَن عصاني[٦].

---

(١) سقطت من ط.

(٢) في ط: (التي **لها**).

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) /٣ط/ظ٢٠٩/.

(٥) في الأصل، ز، ط: (وخاف **وعيدي**) بالياء، خالف النُّساخ ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية على رسمها من غير الياء.

ينظر: المقنع: ٣٠٤. مختصر التبيين: ٧٤٨/٣. الوسيلة إلى كشف العقيلة: ٣٢٨.

والخلاف كان بين القرَّاء في إثبات الياء وحذفها في القراءة؛ فأثبتها وصلًا: ورش عن نافع. وحذفها الباقون وصلًا ووقفًا.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٤. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٢. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٩.

(٦) تفسير السمعاني: ١٠٨/٣. تفسير البغوي: ٣٤٠/٤.

وإنما أضافَ المقامَ إلى نفسِه على هذا المعنى الذي ذكرنا من مقامِ العباد؛ للمساءَلةِ والمحاسَبة؛ بحيثُ لا حاكمَ غيرُ الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى لا يجوزُ [عليه][١] المقامُ[٢].

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ فمعناه: سألتِ الرُّسلُ ربَّهم أن يحكمَ بينهم وبين الكفارِ[٣]؛ لأنَّ الفتحَ هاهنا بمعنى: الحُكْمِ.

يُقالُ للحاكم: الفتَّاحُ[٤].

فلمَّا فزِعتِ الرُّسلُ إلى ربهم بإنجازِ الوعدِ؛ فتَح لهم ما طلَبوا[٥].

﴿وَخَابَ[٦] كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ والجبَّارُ: هو الطالبُ للتَّبختُر والعلوِّ فوق كلِّ علو، ولهذا صار ذلك ذمًّا في صفاتِ العبدِ ومدحًا في صفات الله تعالى[٧]؛ [٨]لأن العبادَ لا يستحِقُّون هذه المرتبةَ، واللهُ تعالى[٨] مستحِقٌّ لها بقدرتِه وسلطانِه.

---

(١) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٢) قوله: «لا يجوز عليه المقام»، مترتب على عقيدة المصنف في نفي المكان عن الله، كما قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣] قال: «قد تعلقت المشبهة بظاهره، وقالوا: يجوز على الله المكان بدلالةِ هذه الآية، وهذا باطل عند أهل السنة والجماعة؛ لأن الله تعالى كان ولا مكان، ولا يجوز عليه الحاجة والتغيير عما كان». وقوله بأن هذا قول أهل السنة والجماعة غير صحيح؛ لأن أهل السنة والجماعة يثبتون أن الله مستوٍ على عرشه، بائنٌ عن خلقه، ولا يعني ذلك أنه يحُدُّه مكان، أو هو داخل سماواتِه، بل هو في علوٍّ مطلق، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة: مملوءٌ بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه، بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات». وقال في موضع آخر: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها: أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تمثيل. فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله».

ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت محمود الشنقيطي): ٣٠٥-٣٠٦. مجموع الفتاوى: (٥/١٦٤)، (٥/١٩٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٥. تأويلات أهل السنة: ٣/١٥.

(٤) ينظر: العين: (ف ت ح). تأويل مشكل القرآن: ٤٩٢. تفسير غريب القرآن: ١٧٠.

(٥) في ط: (لهم **ما طلبوه**).

(٦) في ط: (فخاب) بالفاء، وهو تحريف.

(٧) في ط: (تعالى **لأنه**).

(٨ - ٨) سقطت من ط.

والعنيدُ: هو الدَّافعُ للحقِّ على جهةِ الاستكبارِ(١).

ويُقالُ: معنَى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ استنصَرَ كلُّ قومٍ على نبيِّهم(٢)، كما قال النضرُ بنُ الحارثِ(٣): «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِر عَلَينا حِجَارةً مِنَ السَّمَاءِ»(٤).

ويُقالُ: معناه: استنصر كلا الفريقين(٥).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿مِّن وَرَآيِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ فمعناه: أمامَ هذا الجبارِ بعد الموت جهنمُ(٦)، والوَراءُ: يكونُ من خلفٍ وقُدَّامٍ(٧).

ومعناه: ما تَوارَى عنك؛ أي: استَتَرَ عنك، وليس هذا من الأضدادِ على هذا المعنى(٨).

---

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق: (٣٤١/١) (أخرجه عن قتادة). تفسير الطبري: (٦١٤/١٣-٦١٦) (أخرجه عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد). معاني القرآن للنحاس: ٥٢١/٣ (عزاه إلى مجاهد وقتادة). تفسير الماوردي: ١٢٧/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٦١٧/١٣ (أخرجه عن ابن زيد).

(٣) النضر بن الحارث العبدري، أبو فائد. أشد قريش عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم تكذيبًا وأذى. صاحب لواء المشركين ببدر، خالط النصارى واليهود، ونظر في كتب الفرس، صاحب حديث. أسره المقداد يوم بدر، وأمر المصطفى بضرب عنقه.

ينظر: أنساب الأشراف: (١٤٠/١، ١٤١). الأعلام للزركلي: ٣٣/٨.

(٤) ما قاله النضر بن الحارث هو ما حكاه القرآن الكريم في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: ٣٢]. ومن المصادر التي نسبت هذا القول للنضر بن الحارث، ينظر: تفسير مجاهد: ٣٥٤. تفسير الطبري: (١٤٤/١١-١٤٥) (أخرجه عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء). تفسير ابن أبي حاتم (ت عيادة الكبيسي): (٣٣٨/١-٣٤١) (أخرجه عن ابن عباس، والسدي، وسعيد بن جبير).

(٥) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢٠٣/٢.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠١/٢. معاني القرآن للأخفش: ٤٠٦/٢. تفسير الطبري: ٦١٧/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٠/٥.

(٧) قوله: «الوراء يكون من خلف وقدام»، فيمن قال: إن معنى (الوراء) من الأضداد، ينظر: مجاز القرآن: ٣٣٧/١. تفسير الطبري: ٦١٨/١٣. التفسير البسيط: ٤٣٠/١٢.

(٨) من قوله: «والوراء يكون من خلف وقدام»، إلى قوله: «وليس هذا من الأضداد». ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٢٥.

ويُقالُ: يجوزُ أن يُسمى الأمامُ: وراءً في الزمان[١] وفي كل ما يُشاهَد؛ لأنَّ الأيات[٢] تلحقه كما يَلْحَقُ الإنسانُ مَن خلفَه.

ويُقالُ: الموتُ وراءَ كلِّ أحدٍ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن[٤] مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: يُسقَى من ماءٍ يسيلُ من جلودِ أهلِ النارِ منَ القَيْحِ والدمِ[٥].

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «في جهنَّمَ أوديةٌ، في تلك الأوديةِ صديدُ أهلِ النارِ وقَيْحُهم ودماؤهم، فيُسقَون من ذلك الصديدِ قد نتُنَ ريحُه؛ يتجرَّعُه شاربُه، والملَكُ يضربُه[٦]بالمَقامعِ[٧] ويقولُ له: اشربْ، فيقولُ: لا أطيقُه، فيضربُه حتى يشربَ جَرْعةً وجرعةً، ولا يكادُ يُسيغُه من نتنِه وريحِه[٨] وحرِّه»[٩].

ويُقالُ: معنَى: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ من ماءٍ شبيهٍ بالصَّديد[١٠]؛ لأنهم لو سُقوا نفسَ الصديدِ لم يكنْ لذكرِ الماءِ معنًى.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: لا يقدرُ على أن يبتلعَه ويُجيزَه[١١].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٥٧/٢. تفسير الطبري: ٦١٨/١٣ (عزاه إلى بعض نحويِّي أهل الكوفة).

(٢) في الأصل، ز: يحتمل الرسم الآيات كما هو مثبت، وفي ط يحتمل الرسم أن تكون (الآفات)، والأنسب للسياق -والله أعلم- (الأوقات)، مثل ما ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٣٦٣/١٥-٣٦٤)، وإن لم يكن بنفس سياق المصنف؛ حيث قال: «وقال بعضهم: إنما يجوز هذا في الأوقات؛ لأن الوقت يمر عليك فيصير خلفك إذا جزته». هكذا كتبت في الأصل: (الايات)، وكذا في ز: (الايات)، وفي ط: (الافات).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (بنصه): ١٠٤/١٩.

(٤) /ز/و٣٥٤/.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد: ٤١٠. تفسير الطبري: (٦١٨/١٣-٦١٩) (أخرجه عن مجاهد والضحاك). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٥.

(٦) /٣ط/و٢١٠/.

(٧) الجِرَزة، وأعمدةُ الحديد منه، يُضرَبُ بها الرأس. ينظر: لسان العرب: (ق م ع).

(٨) سقطت من ط.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣١. بحر العلوم: ٢٠٣/٢. تفسير الماوردي: ١٢٨/٣ (في أحد أقواله).

(١١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٦. بحر العلوم: ٢٠٣/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٠/٥.

والإساغةُ[١]: هو دخولُ المشروبِ في حَلْقِه مع قَبولِ النفسِ له[٢].

يُقالُ: ساغَ لي الشيءُ، وأسَغْتُه[٣]، فيكونُ معنَى لا يُسيغُه: لا تقبلُه نفسُه، ولكنْ يُكرَه عليه، وفي الحديثِ عن النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قال: ((يُقَرَّبُ إِلَيْهِ ذَلِكَ /٢/٨٣ظ/ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، ووقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فِيهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، فَتَخْرُجُ أَمْعَاؤُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٦]، وقالَ جَلَّ ذكرُه: ﴿وَإِنْ يَّسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِے اِ۬لْوُجُوهَ﴾ [الكهف:٢٩]))[٤].

وأما قولُه تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ اِ۬لْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ فمعناه: يأتيه غَمُّ الموتِ وألمُه من كلِّ مكانٍ[٥]، كان يموت بدون ذلك في الدنيا، حتى يأتيَه من تحتِ كلِّ شعرةٍ[٦].

---

(١) في ز: (و **الإصاغة**).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١٦/٣. الصحاح: (س و غ).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٦.

(٤) أخرجه ابن المبارك في ((مسنده)) (٧٧)، وأحمد في ((الزهد)) (٢٠)، وفي ((مسنده)) (٣٦/٦١٥-تتمة مسند الأنصار/حديث أبي أمامة الباهلي الصُدَي بن عجلان بن عمرو)، والترمذي في ((سننه)) (٤/٣٣٥-٣٣٤/أبواب صفة جهنم/باب ما جاء في صفة شراب أهل النار)، وابن أبي الدنيا في ((صفة النار)) (٥٩-٦٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠/١٣٨-١٣٩/كتاب التفسير/سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾)، والطبري في موضعين من ((تفسيره)) (١٥/٢٥١)، (٢١/٢٠٢-٢٠٣)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٨/١٠٦)، وفي ((مسند الشاميين)) (٢/٦٣)، والحسن بن رشيق في ((جزئه)) (٧٣)، والحاكم بإسنادين مختلفين في ((مستدركه)) (٢/٣٨٢،٤٠٠)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١٨٢)، والبيهقي في ((البعث والنشور)) (٣٠٤-٣٠٥)، والواحدي في ((الوسيط)) (٣/٢٦-٢٧)، والبغوي في ((تفسيره)) (٤/٣٤٢)، وفي ((شرح السنة)) (١٥/٢٤٣-٢٤٤)، وعبد الغني المقدسي في ((ذكر النار)) (٦٥-٦٦)، جميعهم عن أبي أمامة الباهلي بنحوه. والطبري في ((تفسيره)) (١٣/٦٢٠-٦٢١)، عن أبي أمامة ببعضه. وأبو يعلى في ((مسنده)) (٢/٥٢٠)، عن أبي سعيد الخدري ببعضه. وأورده ابن كثير في مواضع مختلفة في ((تفسيره)) (٤/٤٨٥)، وعزاه إلى الإمام أحمد عن أبي أمامة بنحوه. وفي (٥/١٥٥)، عزاه إلى عبد الله بن المبارك، وبقية بن الوليد عن أبي أمامة بنحوه. وفي (٧/٢١)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن أبي أمامة بمعناه مختصرًا. والسيوطي في ((الدر المنثور)) (٨/٥٠٢-٥٠٣)، وعزاه إلى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن أبي الدنيا في ((صفة النار))، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نعيم في ((الحلية))، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في ((البعث والنشور))، عن أبي أمامة بنحوه.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١٦/٣. بحر العلوم: ٢٠٣/٢.

(٦) من قوله: «حتى يأتيه من تحت كل شعرة». ينظر: تفسير الطبري: ٦٢١/١٣ (أخرجه عن إبراهيم التيميّ). تفسير الثعلبي: ٣٦٥/١٥ (عزاه إلى إبراهيم التيمي). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٢/٥.

ويُقالُ: معناه: وتأتيه النيرانُ من كلِّ جانبٍ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يموتُ أبدًا؛ فيستريحَ من العذابِ[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ معناه: ومن بعدِ ذلك[٢]، عذابٌ شديدٌ أشدُّ مما تقدَّم[٣] ذكرُه، لا ينقطعُ ولا يفتُرُ[٤]، ولكن يُعذَّبُ لونًا بعد لونٍ.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢١/١٣. تأويلات أهل السنة: ١٦/٣. بحر العلوم: ٢٠٣/٢. تفسير الثعلبي: ٣٦٥/١٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٦.

(٣) في ط: (تقدم **ذكر الموت**).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٢/٢. تأويلات أهل السنة: ١٧/٣. بحر العلوم: ٢٠٣/٢.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

معناه: مَثَلُ[١] أعمالِ الذين كفروا بربهم -في انتفاعِهم بها- كرمادٍ اشتدَّت به الريحُ في يومٍ ريحُه عاصفٌ[٢].

يقولُ: كما لا يقدرُ [أحدٌ على جمعِ ذلك الرمادِ إذا ذرته الريحُ الشديدةُ، فكذلك هؤلاء الكفارُ لا يقدِرون][٣] على الانتفاع بشيءٍ منَ الأعمالِ التي[٤] عمِلوها على جهةِ البرِّ؛ مثلِ: صلةِ الرحمِ ونحوِها.

وأمَّا الكفرُ والمعاصي فلا يكونُ كرمادٍ اشتدَّت به الريح، ويودُّون أن يكونَ كذلك.

وإنما جُعل العاصفُ نعتًا لليوم على معنًى: أنَّ عصفَ[٥] الريحِ إنما يكونُ في ذلك اليومِ، كما يُقالُ: يومٌ ماطرٌ؛ والمطرُ للسماءِ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ معناه: ذلك الذي ذُكر هو الذَّهابُ عن النفعِ، البعيدُ عن الحقِّ والهدى.

وعن أُبيِّ بنِ كعبٍ -رضيَ اللهُ عنه- في قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]؛ قال: «يقومون ثلاثَ مئةِ سنةٍ لا يُؤْذَنُ لهم في الكلامِ، ولا يُؤذنُ [لهم][٧] فيَقعُدوا، وأما المؤمنون فيُهَوَّنُ عليهم كما تُهَوَّنُ عليهم الصلاةُ المكتوبةُ»[٨].

---

(١) في ط: (معناه: **مثال**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٦٢٢-٦٢٣). بحر العلوم: ٢/٢٠٣.

(٣) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤) /٣ط/ظ٣١٠/.

(٥) في ط: (أنَّ **عصوف**).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٧٣. تفسير الطبري: ١٣/٦٢٣.

(٧) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، وكذا هو في المرجع.

(٨) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٠٢)، والجرجاني في «تفسيره» (٢/١٦١)، كلاهما عن أبي بن كعب بنحوه.

وعن خيثمةَ[١] -رحِمه الله- أنه قالَ: «كنا عند عبدِ الله بنِ عمرَ[٢] -رضيَ اللهُ عنه- فقلنا: إن عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ -رضيَ اللهُ عنه- كان يقولُ: إنَّ الرجلَ ليعرَقُ حتى يسبَحَ في عَرَقِه يومَ القيامة، ثم يرفعُه العرقُ حتى يُلْجِمَه، وما بلَغَه الحسابُ، وما ذلك إلا بما يَرَى الناسَ يُفعَلُ بهم؛ أي: يراهم يُحاسَبون، ولم يبلُغْه حسابُه، فقال عبدُ الله بنُ عمرَ -رضيَ اللهُ عنه-: هذا للكفارِ، فما للمؤمنين؟ قال: فقلنا: الله تعالى أعلمُ، وما ندري! فقال: يرحمُ اللهُ تعالى أبا عبدِ الرحمنِ؛ يحدِّثُكم[٣] أولَ الحديثِ ولم يحدثْكم آخِرَه، إنَّ للمؤمنين [كراسيَّ][٤] يجلسون عليها، ويُظلَّلُ عليهم الغمامُ، ويكونُ يومُ القيامة عليهم كساعةٍ منَ النهار، وكأحدِ طرَفَيْه»[٥].

---

(١) خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة، الجُعْفي الكوفي. تابعي ثقة. حديثه في الكتب الستة. روى عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو. وروى عنه إبراهيم النَّخَعي، وإسماعيل بن خالد.

ينظر: التاريخ الكبير: ٢١٥/٣. تهذيب الكمال: (٣٧٠/٨-٣٧٢). تاريخ الإسلام: ٩٣٢/٢.

(٢) عبدُ اللهِ بنُ عمر بنِ الخطاب، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي. الصحابي الجليل. خال المؤمنين، من أملك شباب قريش عن الدنيا، من أهل الورع والعلم، شهد الخندق. قيل: كان مولده قبل المبعث بسنة. وتوفي سنة ثلاث وسبعين، وقيل: أربع وسبعين. روى عن النبي ﷺ، وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروى عنه ابنُ عبَّاس، ونافعٌ مولاه.

ينظر: معرفة الصحابة: ١٧٠٧/٣. الاستيعاب: ٦٠٢/٢. أسد الغابة: (٤٥٢/٢-٤٥١).

(٣) في ط: (عبد الرحمن **يحدث**).

(٤) في الأصل، ز: (للمؤمنين **كراسٍ**)، والمثبت من ط؛ لأنَّ (كراسي) اسم غير منقوص، وكذا هو في المرجع.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٤٨)، عن خيثمة بنحوه -إلا أنه ذكره عن خيثمة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وهناد بن السري في «الزهد» (١٩٩)، عن عبد الله بن مسعود بمعناه مختصرًا. والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩/١٣-٤٠٨)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص بمعناه مختصرًا. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٠٣/٢-٢٠٢)، والجرجاني في «تفسيره» (١٦١/٢-١٦٢)، كلاهما عن خيثمة بنحوه، وذكراه عن خيثمة من حديث عبد الله بن عمر كما ذكره المصنف.

[٢٢-٢٣] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٢﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٣﴾﴾

معناه: ألم تعلمْ يا محمدُ، أنَّ اللهَ تعالى خلَق السماواتِ والأرضَ على ما تُوجِبُه الحكمةُ وتقتضيه المصلحةُ؟

والحقُّ هو: وضعُ الشيء موضعَه الذي توجبُه الحكمةُ.

وقولُه تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ معناه: إن يشأْ يُهلككُّم إن[١] عصَيْتُموه، ويخلقْ خلقًا[٢] آخَرين أطوعَ للهِ منكم[٣]، وليس ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ [٤]بِعَزِيزٍ﴾ أي[٤]: بشديدٍ ولا متعذِّر[٥]؛ لأنَّ مَن قدَر على بناءِ شيءٍ كان على هدمِه أقدرَ إذا لم يخرجْ من كونِه قادرًا[٦].

---

(١) /٣ط/و٢١١/.

(٢) في ط: (ويخلق **قومًا**).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٢/٢. بحر العلوم: ٢٠٤/٢. تفسير الثعلبي: ٣٦٨/١٥.

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢٥/١٣. بحر العلوم: ٢٠٤/٢.

(٦) ينظر: التفسير البسيط: ٤٤٤/١٢ (عزاه إلى أهل المعاني).

[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ[١] فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

معناه: إذا كان يومُ القيامةِ؛ برزَ الناسُ من قبورِهم للمُساءَلة والمحاسَبة، فيُسألون عن أعمالِهم، ويُجازَوْن عليها، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٦][٢].

وقولُه تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ[٣] لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ[٣]﴾ فيه بيانُ أنَّ مَن يقلِّدُ غيرَه في الكفرِ والمعصيةِ لا يكونُ معذورًا عند اللهِ تعالى[٤]، /٢/و٨٤/.

(١) /ز/ ظ٣٥٤/.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٤.

(٣ - ٣) سقطت من ط.

(٤) قول المصنف: «من يقلدُ غيرَه في الكفر والمعصية لا يكون معذورًا عند الله تعالى»، مفاده: أن المقلد لا يعذر بالجهل، وهذا ليس على إطلاقه، ولم أجد من أئمة التفسير المعتبرين من قال بذلك كالإمام الطبري، ومسألة العذر بالجهل مسألة خلافية بين أهل العلم؛ منهم: من ذهب إلى أنه لا يعذر بالجهل؛ لأن الحجة قائمة بالميثاق الذي أخذه الله على عبادِهِ وهم في عالمِ الذر، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ومنهم من ذهب: إلى أنه لا عقاب إلا بعد إرسال الرسل، واسشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]. وقد استقصى الشيخ الشنقيطي في كتابه «دفع إيهام الاضطراب» الأدلة، وناقشها وفصل فيها، ثم ختم المسألة بقوله: «ووجه الجمع بين هذه الأدلة هو عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة ...». ينظر: ١٤١. ذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/٢٤٠)، بعد تفسيره لقوله تعالى:
=

والمعنى: فقالَ أتباعُ(١) العُصاةِ والظلمةِ للذين استكبروا -وهم الرُّؤساءُ والقادةُ فيهم(٢)-: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ في المعصيةِ والظلمِ في دارِ الدنيا(٣)، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ(٤)﴾ دافِعُون عنَّا شيئًا من عذابِ الله تعالى(٥)؟

يُقالُ: أَغنَى عنه: إذا دفَع عنه، وأغناه: إذا جعَلَه غنيًّا(٦).

وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [معناه:](٧) قال لهم رؤساؤُهم: لو هدانا [اللهُ](٨) إلى ما يتخلصُ به من هذا العذابِ(٩)، ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ إليه؛ أي: لا مطمعَ لنا في ذلك، فكيف تطمعون في مثلِه من جهتِنا.

وقولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَا﴾ معناه: أنه لا حيلةَ لنا؛ فسواءٌ علينا(١٠) ﴿أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ(١١)﴾ [مَخْلَصٌ](١٢) من هذا العذابِ(١٣).

=

﴿فَاسْتَجَبْتُم لِي﴾ قولًا عمَّن قال بالتقليد فقال: «وذكر بعض الناس أن هذا المكان يبطل منه التقليد، وفي هذه المقالة ضعف على احتمالها، والتقليد وإن كان باطلًا ففساده من غير هذا الموضع».

(١) في ط: (فقال **تباع**).

(٢) في ط: (والقادة **منهم**). *ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٢/٢. بحر العلوم: ٢٠٤/٢. التفسير الوسيط: ٢٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢٦/١٣. بحر العلوم: ٢٠٤/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٥/٥.

(٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢٦/١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٥/٥. تفسير الماوردي: ١٢٩/٣.

(٦) في المصادر المعنى أتم: «يقال: أغنى عنه؛ إذا دفع عنه **الأذى**، وأغناه؛ **إذا أوصل إليه النفع**». ينظر: تفسير الماوردي: (١٣٠/٣-١٢٩). تفسير القرطبي: ١٢٦/١٢.

(٧) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط.

(٨) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط، لما يقتضيه السياق.

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ٦٢٦/١٣.

(١٠) سقطت من ط.

(١١) سقطت من ط.

(١٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه وضوح المعنى.

(١٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧٩٦/٥. تفسير السمعاني: ١١١/٣.

قال السُّدِّيُّ -رضيَ اللهُ عنه-: «يقولُ أهلُ النارِ: تعالَوا فلنجزعْ؛ لعلَّ اللهَ يرحمُنا، أي: بجَزَعِنا[١]، فلا يُغني عنهم شيئًا، فيقولون: تعالَوْا[٢] فلنصبرْ؛ لعلَّ اللهَ يرحمُنا بصبرِنا، فلا يُغني عنهم صبرُهم شيئًا، فيقولون عند ذلك: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾»[٣].

وأما قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ فهو إخبارٌ عن خُطبةِ الشيطانِ إبليسَ لعَنَه اللهُ، وقد فعل، وذلك أنه إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، وذُبح الموتُ بين الجنةِ والنارِ؛ قام إبليسُ لعَنَه اللهُ خطيبًا على منبرٍ منَ النارِ، فقالَ: يا أهلَ النارِ، إنَّ اللهَ وعَدَكم وعدًا، فكان وعدُه حقًّا، ووعدتُكم أنا فأخلفتُكم، وما كان لي عليكم قدرةُ الإكراهِ على المعصيةِ، ولا حجةٌ على ما قلتُ، إلا أن دعوتُكم إلى طاعتي بالوسوسةِ[٤]، ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بسوءِ اختيارِكم، ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ على ما حلَّ بكم من العقابِ، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾؛ فإني لم أُجبِرْكم على المعصيةِ، ما أنا بمُغيثِكم، وما[٥] أنتم بمُغيثِيَّ[٦].

وفي هذا بيانُ أنه ليس على إبليسَ عقابُ معصيتِهم، وإنما عليه عقابُ الدعوةِ فقط، وأما عقابُ معصيتِهم فعليهم.

والإصراخُ في اللغة: هو إغاثةُ المستغيثِ إلى ما يستغيثُ به[٧].

---

(١) في ط: (بجزعنا **فيجزعون**).

(٢) /٣ط/ظ٢١١/.

(٣) لم أقف عليه مسندًا عن السدي، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/٦٢٧-٦٨٢)، عن ابن زيد بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥٠٦)، وعزاه إلى ابن جرير عن ابن زيد بمعناه. وذكره السَّمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٠٤)، عن أسباط عن السدي بنحوه.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٣. تفسير الطبري: ١٣/٦٢٩. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٧-٤٢٨.

(٥) في ط: (بمغيثكم **ولا**).

(٦) من قوله: «ما أنا بمغيثكم، وما أنتم بمغيثي»، ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٣. تفسير الطبري: (١٣/٦٢٨-٦٢٩). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٧-٤٢٨.

(٧) ينظر: العين: (ص ر خ). جمهرة اللغة: (ص ر خ). تهذيب اللغة: (ص ر خ).

والفائدةُ فيما ذكَرَه اللهُ تعالى من قولِ إبليسَ يومَ القيامةِ: تحذيرُ العبادِ عن إغوائه وإضلالِه[(١)]، وبيانُ ما يَلحَقُ أهلَ النارِ من الغمّ والحسرةِ عند قولِه.

ويُحكى أنَّ أعرابيًّا أتى على رجلٍ يقرأُ هذه الآيةَ، فقالَ: قاتلَه اللهُ ما أفصَحَه!

وأمَّا قولُه تعالى: -حاكيًا- ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾؛ فهو إخبارٌ عن كلامِ إبليسَ، ومعناه: إنِّي كفرتُ من قبلُ بالذي أشركتُموني به في الطاعةِ، من قبلِ أنْ أشركتُموني به، أي: كفرتُ بربي من قبلِ ما عذَلْتُموني به[(٢)].

ويُقالُ: معناه: إني كفرتُ الآنَ بما كان من إشراكِكم إيايَ في الطاعةِ؛ إذ أطعْتُموني وجعلْتُموني كأني ربٌّ وإلهٌ، فصيَّرتُموني شريكًا لربِّكم، وأنا اليومَ أكفرُ بشركِكم[(٣)]، كما قالَ تعالى في آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤][(٤)].

وأما قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فمعناه: قال اللهُ -عزَّ وجلَّ-: إنَّ الظالمين، من[(٥)] إبليسَ وغيرِه؛ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: وَجِيعٌ[(٦)]، يَخلُصُ وجعُه إلى قلوبِهِم.

وأما القراءةُ في قوله تعالى: ﴿مَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ فأكثرُ القرَّاءِ في ذلك على فتحِ الياءِ[(٧)]؛ لأنهما ياءانِ ساكنتانِ وقبلَهما كسرةٌ، فكأنها ثلاثُ ياءاتٍ، فإذا التقى الساكنانِ وأحدُهما ياءٌ اختِيرَ له الفتحُ، مثل: أَيْنَ، ولَيْتَ، وكَيْفَ، وكما قالوا: يا بَنِيَّ، وفتَحوا[(٨)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٨.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٥/٢ (عزاه إلى الكلبي). تفسير الماوردي: ١٣١/٣. تفسير السمعاني: ١١٢/٣.

(٣) ينظر: تفسير الماوردي: ١٣١/٣ (عزاه إلى ابن بحر). تفسير السمعاني: ١١٢/٣. المحرر الوجيز: ٢٤١/٥.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٥/٢.

(٥) /٣ط/و٢١٢/.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٣/٢. تفسير الطبري: ٦٢٩/١٣. تفسير السمعاني: ١١٢/٣.

(٧) نافعٌ، وعاصمٌ ، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، والكِسائيُّ.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٩.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٥/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٨. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٣٥/١.

وقرأها حَمْزَةُ(١): بالجرِّ(٢)، وهُوَ الأصلُ في التقاءِ الساكنينِ من الحروفِ الصحيحةِ، كقولِكَ: قُلِ الحقَّ(٣).

وأنشدَ الفراءُ(٤):

قَــالَ لَهَــا: هَــلْ لَــكِ يَا تَا فِيِّ   قَالَـتْ لَـهُ: مَـا أَنـتَ بِالـمَرْضِيِّ(٥)

فحرَّك قوله (فِيِّ) إلى الكسرةِ.

---

(١) حمزةُ بنُ حبيب بنِ عُمارةَ، أبو عمارة الزَّيَّات الدُّؤلي الكوفي التَّيْمي، مولاهم. القارئ العلامة الفَرَضي، الإمام الحبر، أحد القُرَّاء السَّبعة. ولد سنة ثمانين. وتوفي سنة ست وخمسين ومئة، وقيل: أربع وخمسين ومئة، وقيل غير ذلك. قرأ القرآن على الأعمش، وحُمْران بن أعين. وقرأ عليه: الكِسائي، وسُلَيم بن عيسى.

ينظر: معرفة القُرَّاء: (١/٢٥١-٢٥٠، ٢٦٥). أحاسن الأخبار: (٣٠٥-٣٠٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨). طبقات القرَّاء السَّبعة: ٩٢. غاية النهاية: (١/٢٣٨-٢٣٦).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٦/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٨. إعراب القراءات السبع وعللها: (١/٣٣٦-٣٣٥).

*قراءة حمزة ضعفها الأخفش فقال: «وبلغنا أن الأعمش قال (بمصرخيِّ) فكسر؛ وهذا لحن، لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو». وكذا الزجاج فقال: «وقراءة حمزة والأعمش بكسر الياء، هذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة لا وجه لها إلا وجه ضعيف...». ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٠٧/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٢٨. وقول الأخفش والزجاج وغيرهم غير صحيح؛ لأن قراءة حمزة قراءة متوترة اجتمعت فيها أركان القراءات الصحيحة كما ذكر ابن الجزري، وكذا لغة صحيحة لبني يربوع؛ نص على ذلك قطرب وأجازها، وكذا الفراء وإمامُ اللغة والقراءة أبو عمرو بن العلاء، ولا عبرة بقول مَن ضعفها. ينظر: النشر في القراءات العشر (ت محمد محفوظ): ٣٢٩-٣٣٠.

(٤) أنشده الفرَّاء استدلالًا على صحةِ الكسر عند التقاء الساكنين، وقائلُ البيت هو: الأغلب العجلي، وهو: جُشَم بن عمرو العجلي. راجز مشهور، أدرك الإسلام وحسن إسلامه. توفي في وقعة نَهاوند.

ينظر: أسد الغابة: (١/٢٦١-٢٦٢). الإصابة: ١٩٩/١.

والفرَّاءُ هو: يحيى بنُ زيادِ بنِ عبد الله، أبو زكريا الأسدي الديلمي الكوفي. النَّحوي، المعروف بالفرَّاء. توفي سنة سبع ومئتين. أخذ عن الكِسائي، وأبي بكر بن عيَّاش. وأخذ عنه سَلَمةُ بن عاصم، وابن اليزيدي. ومن تصانيفه: كتاب «معاني القرآن»، وكتاب «اللُّغات»، وكتاب «الوقف والابتداء».

ينظر: مراتب النحويين: (٨٦،٨٨). طبقات النحويين واللغويين: (٢٠٠-١٩٩، ٢٠٥). إنباه الرواة: (١/٢٩٦)، (٢/٢٨٥)، (٣/١٢-١٦، ٢٠-٢٢).

(٥) والبيتُ في أرجوزته: ١٢٨.

[٢٦] قوله عز وجل: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٦﴾﴾

وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بيَّن من قبلُ ما يَجري بين أهلِ العقابِ، بيَّن[١] في هذه الآيةِ ما يُعامَلُ به أهلُ الثوابِ؛ فقال: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[٢] جَنَّٰتٍ تَجْرِى [٤]مِن تَحْتِهَا [ٱلْأَنْهَٰرُ][٣]﴾ أي: تَجري[٤] من تحتِ قصورِها وأشجارِها الأنهارُ، مقيمين دائمين فيها بإذنِ الله تعالى لهم[٥].

والإذنُ ههنا: بمعنى الإطلاقِ والإباحةِ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي: يُحَيِّي بعضُهم بعضًا بالسَّلام، ويُرسِلُ اللهُ تعالى [٧]إليهم الملائكةَ[٧] بالسَّلامِ[٨].

والسلامُ: ما يجمعُ النعيمَ والسلامةَ منَ المَكارهِ.

---

(١) سقطت من ز.

(٢) في ط: (ٱلصَّٰلِحَٰتِ في)، وهو تحريف.

(٣) سقطت من الأصل، ز.

(٤ - ٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٦٣٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٠٣. المحرر الوجيز: ٥/٢٤٢.

(٦) لم أقف على مَن قال في معنى الإذن هنا بما ذكره الغزنوي، وقال أبو منصور الماتريدي: إن الإذن هنا بمعنى: «الرحمة». وقال ابن عطية: «الإذن هنا عبارة عن القضاء والإمضاء». ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٢١. المحرر الوجيز: ٥/٢٤٢.

(٧ - ٧) في ط: (الملائكة إليهم)، تقديم وتأخير.

(٨) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٦٨. تفسير الثعلبي: ١٥/٣٧٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٠٣.

[٢٧-٢٨] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً /٢/ظ٨٤/ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٨﴾

وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بيَّن في الآياتِ المتقدِّمةِ ما يصيرُ الكفارُ إليه من النارِ، وما يفعلُه بأهلِ الجنة، أَتْبَعَها بهذا المَثَلِ ترغيبًا[١] في الحقِّ وتحذيرًا من الباطلِ، فقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ[٢] مَثَلًا﴾ معناه: ألم تعلمْ[٣] يا محمدُ كيف وصَفَ اللهُ تعالى شبهًا كلمةً طيبةً؛ وهي كلمةُ التوحيدِ والإقرارِ بالنبوةِ، وكلُّ كلامٍ أمَرَ اللهُ تعالى به[٤]؛ كشجرةٍ طيبةِ الثمرِ، وهي النخلةُ، لا شيءَ أحلى من ثمرِها، وهو الرُّطَب، كما لا كلامَ أحسنُ من كلمةِ الدِّين[٥].

وقولُه تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ تشبيهٌ بثباتِ الإيمانِ وما فيه من الأدلةِ التي لا يجوزُ عليها الفسادُ؛ بقرارِ النخلةِ التي أصلُها على نهايةِ الثباتِ في تمكُّنِ عروقِها في الأرض، بل المعرفةُ في قلبِ المؤمنِ أثبَتُ من عروقِ النخلةِ؛ لأنَّ النخلةَ تُقطَعُ[٦]، ومعرفةُ العارفِ لا يقدرُ أحدٌ من الناسِ أن يُخرِجَها من قلبِه[٧].

وقولُه تعالى: ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تشبيهُ أعمال المخلصين -التي هي فروعُ الإيمانِ- في أنها ترتفعُ وتعلو إلى جانبِ السماءِ؛ لأن الأعمالَ لا تصلُحُ إلا بالإيمانِ، والأصلُ: هو الإيمانُ، والفرعُ: هو الأعمالُ الصالحةُ[٨].

---

(١) /ز/و٣٥٥/.

(٢) /٣ط/ظ٢١٢/.

(٣) في ط: (ألم **تر**).

(٤) سقطت من ط.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٤. بحر العلوم: ٢/٢٠٥.

(٦) في ط: (النخلة لأنها **تقلع**).

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٥.

(٨) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٥.

وقيل: في تشبيهِ ما يحصلُ من الرفعةِ والإعظامِ للمؤمنِ بكلمةِ الدينِ بفروعِ النخلةِ في السماءِ.

وقولُه تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ فيه تشبيهُ ما يحصلُ من الثوابِ الدائمِ الذي لا منزلةَ أعلى منه، وإن تأخَّر إلى الآخرة؛ بثمرةِ الشجرةِ التي تُؤتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ، فإنَّ الغارسَ لهذه الشجرةِ يبذُل جهدَه في تعهُّدِها وعمارتها رغبةً فيما يَجني من ثمرِها، وإن لم يكُنِ الثمرُ في الوقتِ حاصلًا، وكذلك المكلَّفُ يجبُ أن يمسكَ بالدينِ ويحفظَه، وإن لحِقَتْه المشقةُ؛ لما يرجو من دوامِ النعيمِ في الآخرةِ.

وذهب الحسنُ[١] وسعيدُ بنُ جُبيرٍ -رضي الله عنهما- في قولِه تعالى: ﴿كُلَّ [حِينٍۭ][٢]﴾ [أنها][٣] ثمرُ ما يؤكلُ في كلِّ ستةِ أشهرٍ[٤]، وهو إحدى الروايتين عن ابنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- قال: «ثمرُ النخل مِن حينِ يطلُعُ الطلعُ إلى أن يُجَدَّ[٥] [٦]لستةِ أشهُر[٦]»[٧].

وفي الروايةِ الأخرى عن ابنِ عبَّاسٍ[٨] -رضِي اللهُ عنهما-: «﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ في كلِّ وقتٍ»[٩].

---

(١) في ط: (الحسن **البصري**).

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) في الأصل، ز: (﴿حِين﴾ **أي**)، والمثبت من ط؛ لما يقتضيه السياق.

(٤) أخرجه مجاهد في «تفسيره» (٤١١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/٦٤٧)، كلاهما عن سعيد بن جبير بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٣/٦٤٦)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٣/٦٤٧)، عن الحسن ببعضه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٦٤٧)، عن ابن عباس في أثناء الحديث. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥١٦)، وعزاه إلى الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٨/٥١٧)، عزاه إلى ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في أثناء الحديث.

(٥) من الجُداد وهو القطع.

(٦ - ٦) في ط: (يجد **ستة لشهر**).

(٧) لم أقف عليه مسندًا. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٠٦)، عن سعيد بن المسيب بنحوه.

(٨) /٣ط/و٢١٣/.

(٩) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (١٣/٦٤٣-٦٤٤)، عن ابن عباس بمعناه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٦٤٥)، عن الضحاك بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥١٥)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس مطولًا.

وهذا هو الأقربُ إلى الظاهرِ، وإن الحين [يصلحُ][١] لجميعِ الأزمان؛ طالت المدةُ أم قصُرت، ومن المعلومِ أن النخلَ يُنتفعُ به في كلِّ وقت، ولا ينقطعُ ثمرُه في جميعِ الأوقاتِ؛ لأنَّ ثمرَه يكونُ أولًا طَلْعًا، ثم بَلَحًا، ثم بُسْرًا، ثم رُطَبًا، ثم تمرًا إلى آخرِ السنةِ.

وقولُه تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي: بعلمه وتقديرِه؛ لأنَّ اللهَ تعالى يخلقُ ثمرَ[٢] الشجرةِ على قَدْرِ ما يعلمُ من المصالحِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ معناه: يبيّنُ اللهُ الأشباهَ للناسِ[٣] في صفةِ التوحيدِ والدينِ؛ لكي يصلحوا[٤] ويؤمنوا.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فمعناه: وصفةُ كلمةِ الشركِ في المذمَّةِ والمضرَّة: كصفةِ الحنظلِ[٥]، ليس فيه حلاوةٌ ولا منفعةٌ ولا رائحةٌ طيبة[٦]، بل يضُرُّ مَن[٧] يتناولُه، وكذلك كلمةُ الكفر وما نهى اللهُ تعالى عنه من الكلامِ يضُرُّ [بصاحبِه][٨].

وقولُه تعالى: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: كما أنه ليس لشجرِ الحنظلِ أصلٌ يثبُتُ عليه، ولكن يُقلع ويؤخذُ جثته من أصله، وكذلك الكفرُ يُبطِلُه الله تعالى ويستأصلُ أهلَه[٩].

وقولُه تعالى: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ معناه: ما لتلك الشجرةِ من قرارٍ، وإنَّ الريحَ تقلَعُها وتَذهبُ بها، كذلك ليس لكلمةِ الكفرِ حجةٌ يَحتجُّ بها صاحبُها[١٠].

---

(١) في الأصل، ز: (الحين **أصلح**)، والمثبت من ط؛ لأن المقام ليس مقام تفضيل.

(٢) في ز: (يخلق **من**).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/١٣. بحر العلوم: ٢٠٦/٢.

(٤) في ط: (لكي **يتعظوا**).

(٥) الحنظل: الشجر المر. ينظر: لسان العرب: (ح ن ظ ل). *وممن قال إنها شجرة الحنظل: أنس بن مالك ومجاهد، ينظر: تفسير الطبري: (٦٥٢/١٣-٦٥٤) (أخرجها عنهما).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: (٤٠٤/٢-٤٠٥). بحر العلوم: ٢٠٦/٢. تفسير الثعلبي: ٣٨٢/١٥.

(٧) في ط: (يضر **بمن**).

(٨) في الأصل، ز: (يضر **لصاحبه**)، والمثبت من ط؛ لأن الفعل (يضر)، يتعدى بنفسه وبالباء. *ينظر: التفسير البسيط: ٤٧٠/١٢.

(٩) ينظر: تفسير مقاتل: (٤٠٤/٢-٤٠٥).

(١٠) سقطت من ط. *ينظر: بحر العلوم: ٢٠٦/٢. تفسير ابن أبي زمنين: (٣٦٨/٢-٣٦٩).

[٢٩] قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[١]

معناه: يثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بثوابه وكرامتِه؛ بالقولِ الثابتِ؛ وهو الإيمانُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ معناه: القبرُ[٢]، كما رُوي عنِ ابنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((أنه خرَج إلى جنازةٍ، وانتهى إلى القبرِ، فحدَّث القومَ، فقالَ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: إنَّ المؤمنَ إذا دخلَ قبرَه أتاه ملَكانِ: نكيرٌ ومُنكَرٌ، فقالا له: مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فيثبِّتُه الله تعالى، فيقولُ: اللهُ ربي، والإسلامُ ديني، ومحمدٌ -صلَّى الله عليه وسلَّم- نبيي، فيقولان له: صدقتَ، هكذا كنتَ في /٢/و٨٥/ الدنيا، ثم يُفتح له بابٌ من النار، فيقولان له: لو كنتَ كذبتَ بها أُدخِلت هذه النارَ، ثم يُفتح له في قبره مَدَّ بصرِه، ويُفتح له بابٌ إلى الجنة، يأتيه من رَوح الجنة [و][٣]ريحها، فيقولانِ له: إن مصيرَك إلى هذه، فيقولُ: دعوني أبشِّرْ أهلي، فيقولان له: كما أنت، ثم يُضرَبُ على أذنَيْه، فيكونُ كرَقْدةِ العروسِ حتى يوقظه اللهُ تعالى. قال: وأما الكافرُ فإن الملكين يَدخُلان عليه بغلظةٍ، ويسألانه، فيقولُ: لا أدري، فيقولان له: هكذا كنتَ في الدنيا، فيضربانِه بمِرْزَبَة[٤] من حديد، فيصيحُ صيحةً يسمعُها الخلقُ كلُّهم إلا الثقلَينِ، فلا يسمعُ صوتَه شيءٌ إلا لعنَه، ثم يُفتح له بابٌ إلى الجنة، فيقولان له: لو صدقتَ لكان مصيرُك إليها، ثم يُفتح له بابٌ إلى النار فيرى مقعدَه فيها، ويدخلُ عليه من ريحها وسَمُومِها، ويُقال له: نَمْ نومةَ اللَّديغِ، لا يجدُ للنوم طعمًا، ثم يُضيَّقُ عليه قبرُه، حتى يَختلِفَ عليه من ذلك أضلاعُه، قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضي

---

(١) في ط: **(تم الجزء الثالث بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله وحده. وكان الفراغ من ساحته لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر شوال أحد شهور سنة ست وتسعين وستمائة، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا)**. .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٥. تفسير الطبري: (١٣/٦٦٦-٦٦٧) (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢/٢٠٦ (عزاه إلى قتادة، والربيع بن أنس).

(٣) سقطت من الأصل، ز، وأثبتت لما يقتضيه السياق.

(٤) مطرقة كبيرة تكون للحداد. ينظر: لسان العرب: (ز ر ب).

الله عنهما-: فذلك قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾))[١].

ويُقالُ: التثبيتُ في الدنيا: هو أن يمكِّنَ اللهُ المؤمنين مِن[٢] ما وعَدَهم بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٣].

والتثبيتُ في الآخرة: هو إسكانُ الجنةِ بالقولِ الثابتِ جزاءً لهم على التمسُّكِ بالإيمانِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يُهلِكُهم، ويُبطِلُ أعمالَهم.

ويُقالُ: يُضلهم عن ثوابِه وكرامتِه.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ معناه: يفعلُ اللهُ الذي يشاءُ من التثبيتِ والإضلالِ[٣]، لا مانعَ له بما يفعلُ[٤].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أبو داود الطيالسي في ((مسنده)) (٢/١١٤-١١٩)، وعبد الرزاق في ((مصنفه)) (٣/٥٨٣-٥٨٠)، وأحمد في ((مسنده)) (٣٠/٥٧٦-٥٧٨/مسند الكوفيين/حديث البراء بن عازب)، والروياني في ((مسنده)) (١/٢٦٣-٢٦٧)، وأبو داود في ((سننه)) (٧/١٣١-١٣٢/أول كتاب السنة/باب في المسألة في القبر وعذاب القبر)، والحاكم في ((مستدركه)) (١/٩٣-٩٥)، والبيهقي في ((إثبات عذاب القبر)) (٣٧-٣٩)، جميعهم عن البراء بن عازب مطولًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٨/٥٢١-٥٢٣)، وعزاه إلى الطيالسي، وابن أبي شيبة في ((مصنفه))، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري في ((الزهد))، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في كتاب((عذاب القبر))، عن البراء بن عازب مطولًا. والأحاديث في باب إثبات عذاب القبر تطول، وهي كثيرة؛ فاكتفيت بحديث البراء بن عازب المطول.

(٢) /ز/ظ٣٥٥/.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٧. التفسير البسيط: ١٢/٤٧٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٧٧. تفسير الطبري: ١٣/٦٦٨. التفسير البسيط: ١٢/٤٧٤.

[٣٠-٣٢] قوله عز وجل: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ۝﴾

أولُ الآيةِ تعجيبٌ للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- من صنعِ المشركين، فإنهم بدَّلوا شكرَ نعمةِ الله تعالى بالكفر، فجازى بكفرِ النعمة الشكرَ، ثم لم يقتصِروا على هذا في أنفسِهم حتى أضلُّوا قومَهم، وأحلُّوهم دارَ الهلاكِ؛ وهي جهنمُ يدخلونها يومَ القيامةِ.

﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ قرارُ مَن يكونُ قرارُه النارُ.

ويُقالُ: أراد بالذين بدَّلوا نعمَ الله: قريشًا، وأراد بدارِ البوارِ: مصرعَهم ببدرٍ(١).

وقولُه تعالى: [﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً﴾](٢)، ومعناه: جعلوا لله أمثالًا ونظراءَ(٣).

وقولُه تعالى: ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ معناه: كان عاقبةُ أمرهم الضلالَ عن دينِ الله تعالى، وإلا فلم يكُنْ غرضُهم بما فعلوا إلا الصوابَ والصلاحَ.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ معناه: تمتَّعوا قليلًا في الدنيا، فإن رجوعَكم يكونُ إلى النارِ(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٦٧٦،٦٧١-٦٧٣) (أخرجه عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وسعيد بن جبير). تفسير الثعلبي: ١٥/٣٩٣ (أخرجه عن علي بن أبي طالب). تفسير البغوي: ٤/٣٥٢ (عزاه إلى علي بن أبي طالب).

(٢) في الأصل، ز: وقوله تعالى: ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً﴾، وهو خطأ؛ لأن المعنى المذكور للآية لا يتناسب مع الآية التي ذكرها.

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١١٧. تفسير البغوي: ٤/٣٥٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٧.

[٣٣] قوله عز وجل: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣٣﴾

في أولِ الآيةِ أمرٌ من الله تعالى لنبيِّه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أن يأمرَ المؤمنين بما يؤدِّي بهم إلى النعيمِ المقيمِ.

وقولُه تعالى: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معناه: يؤدُّوا الصَّلاةَ لمواقيتِها بشرائطِها، فإنَّ الصَّلاةَ لا تقومُ إلا بإقامتِهم لها.

واختلفوا في أنه لماذا جُزم قولُه تعالى: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؟

قال بعضُهم: لأنه جوابُ الأمرِ، وهو قولُه تعالى: ﴿قُل﴾.

وقال بعضُهم: لأنَّ تقديرَه: قل لعبادي الذين آمنوا: [أقيموا](١) الصلاةَ.

ويُقالُ: تقديرُه: لِيُقيموا الصلاةَ، إلا أنه حُذف اللامُ فبقِي مجزومًا(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ معناه: ويُنفقوا مما رزقناهم من الأموالِ(٣) في وجوهِ البِرِّ؛ من الفرائضِ والنوافلِ.

سِرًّا: في النوافلِ(٤)؛ ليدفَعوا عن أنفسِهم تُهَمَةَ الرِّياءِ.

وعلانيةً: في الفرائضِ(٥)؛ ليدفعوا عن أنفسِهم تُهَمَةَ المَنْعِ.

وقولُه تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ معناه: بادِروا إلى ذلك قبلَ يومِ القيامة؛ فإنه يومٌ لا بيعَ فيه، ولا يُقبَل فيه البَدَلُ؛ للتخليصِ من النار، ولا مخالةَ فيه، لا ينفعُ فيه مودةٌ يكونُ من شرطِها تخليصُ أحدِهما للآخَر.

---

(١) في الأصل، ز: (آمنوا يقيموا)، وهو خطأ والمثبت من المرجع.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٢-٤٣٣.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٨.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/١٣٧ (عزاه إلى القاسم بن يحيى). المحرر الوجيز: ٥/٢٥٠. تفسير القرطبي: ١٢/١٤٣ (عزاه إلى القاسم بن يحيى كذلك).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/١٣٧ (عزاه إلى القاسم بن يحيى). المحرر الوجيز: ٥/٢٥٠. تفسير القرطبي: ١٢/١٤٣ (عزاه إلى القاسم بن يحيى).

[٣٤-٣٦] قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ /٢/ظ٨٥/ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾

معناه: إن الذي يجوزُ أن يُتخذ إلهًا ويُعبد هو: اللهُ الذي خلق السَّماواتِ والأرضَ، فبدأ سبحانه بالرتبةِ الأولى في النعم؛ لأنه لولا السماءُ والأرضُ لم يصحَّ إنزالُ الماءِ، ولا إظهارُ النبات، ثم أتْبَعَه بقوله:

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني المطرَ(١).

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ يعني: المطرَ؛ من الثمارِ ما ينتفعون به.

أجرى اللهُ تعالى العادةَ بذلك، لمصالحِ المكلَّفين، لا أنه لا يصِحُّ من حيثُ القدرةُ أن يخرجَ من غيرِ الماءِ النازلِ، ولكن خلقَ لكم الرزقَ على التدريج؛ لأنَّ العبادَ إذا علِموا أن هذه المنافعَ القليلةَ من الدنيا لا بُدَّ من أن يُتكلَّفَ لها بالمَشاقِّ لتحصيلها، فالمنافعُ الدائمةُ في الآخرةِ أَولى أن يُتكلَّفَ لها ذلك بالمواظبةِ على طاعةِ اللهِ تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ معناه: وسخَّر لكم السُّفُنَ(٢) لتجريَ في البحرِ عند ركوبِكم فيها بأمره.

وتسخيرُ السفن لنا، وتمكينُنا من الخشبِ والآلاتِ التي نتخذُ منها السفنَ، ولولا خلقُ الله للأشجارِ على ما هو عليها من الصلابةِ، وخلقُه الماءَ على ما هو عليه من السلاسةِ واحتمالِ السفن، وخلقُه الرياحَ وإرسالُه بها من جانبٍ، إذنْ لم تجرِ السفنُ في الماء، ولولا السفنُ التي تنقلُ النعمَ من مكانٍ إلى مكان؛ لاتسعت النعمُ على قوم حتى يملُّوها ويقلُّ انتفاعُهم بها، وضاقت على آخَرين حتى لا يأمَنوا القحطَ والهلاكَ.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٧. بحر العلوم: ٢/٢٠٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٠٧. تفسير الطبري: ١٣/٦٨١. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨١٩.

وأمَّا إضافةُ جَرْيِ السفنِ إلى أمر الله تعالى، وإن كان جريُها من فِعالِ الله تعالى، فعلى معنى: أنَّ فِعالَ الله تعالى إذا أُضيفت إليه بلفظِ الأمرِ كان ذلك من أبلغِ الدلالةِ على الاقتدارِ(١).

فإنه إذا قيلَ: (أراد اللهُ تعالى كذا، فكانَ، أو أمَر اللهُ تعالى كذا، فكانَ)، كانَ أبلغَ مِن أن يُقالَ: (فعَل كذا، فكانَ كذا).

والقولُ -في مجاز اللغة- يُوضعُ موضعَ الفعلِ، كقولِ الشاعرِ(٢):

فَقَالَـتْ لَـهُ العَيْنَـانِ: سَمْعًـا وَطَاعَـةً ....

فَجَعَـلَ(٣) بُكَاهُمَـا قَـوْلاً مِنْهُمَـا(٤)

وقولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ معناه: ذلَّل لكم الأنهارَ تجري حيث تشاؤون(٥).

والنهرُ: المجرى الواسعُ للماءِ.

---

(١) إن المصنف -غفر الله له- لم يفرق بين أمر الله وبين أفعاله في هذا الموضع، وهذا مخالف لما جاء في كتاب الله تعالى، وهو قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فأفعاله سبحانه متعلقة بمشيئته، وأما أمره فغيرُ فعله، فقد ورد الأمر في القرآن بمعنى القول في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وبمعنى الوحي ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ [الطلاق: ١٢]، وبمعنى القضاء في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، أي: يقضي القضاء. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمسلمون قالوا: رب العالمين يأمر بما يشاء له الخلق والأمر، وليس لأحد من الخلق أن يغير دينه ولا يبدل شرعه، ولكن هو يحدث من أمره ما يشاء فينسخ ما يشاء». كما أنه ذكر أن الأمر غير الفعل فقال: «العاقل يجد فرقًا ضروريًّا بين (قال) و(فعل) وبين (أمر) و(خلق). ولو كان القول فعلًا كسائر الأفعال بطَل الفرقُ الضروري، فثبت أن القول غير الفعل، وهو قبل الفعل، وقبليتُه قبليةٌ أزلية...».

ينظر: الصفدية: ٣١٣/٢. درء تعارض العقل والنقل: (٣١٨/٢-٣١٩).

(٢) لم أهتد لقائله.

(٣) /ز/و٣٥٦/.

(٤) لم أقف على البيت كما ذكره المصنف، وقد ذكر ابن جني في كتابه الخصائص صدر البيت وهو موافق للغزنوي فيه وذكر عجزه فقال بعد ذكره لصدر البيت: وأبدت كمثل الدُّرِ لما يثقب، والبيت غير منسوب عند ابن جني، ووافقهم الباقلاني في صدر البيت وفي عدم نسبته، واختلف عن ابن جني في عجزه فقال: وأحْدرتا كالدُّر لما ينظم، وعجزه في المحكم مع الاتفاق في صدر البيت وعدم النسبة: وحدرتا كالدر لما يثقب. وعجز البيت الثاني لم أقف عليه.

ينظر: الخصائص: ٢٢/١. الانتصار للباقلاني: ٧٨٨/٢. المحكم والمحيط الأعظم: (ق و ل).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ١١٨/٣.

يُقالُ: نَهرتُ الدمَ: إذا أجريتَه واسعًا(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ معناه: سخَّرهما لكم إلى يوم لقيامةِ(٢).

وتسخيرُهما: هو مجيئُهما في وقتٍ معلومٍ لا يتفاوتُ، فإنَّ الشمسَ تطلُعُ في ابتداءِ النهارِ دائمًا، وتغربُ عند ابتداءِ الليلِ دائمًا.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ معناه: وسخَّرهما لكم؛ بأنْ أتى بهما متعاقِبَيْن، ينصرفُ الناسُ في معايِشِهم بالنهار، ويَهدؤون(٣) بالليل، ومجيئُهما على التعاقُب متعلِّقٌ بحركاتِ الشمسِ والقمرِ(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ معناه: وآتاكم -بعدَ هذا- من جميعِ ما تسألون عنه(٥)؛ من العافيةِ والسلامةِ وغيرِ ذلك ممَّا تحتاجون إليه، كما قال اللهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٨].

وليس في هذه الآيةِ تخصيصُ كلِّ واحدٍ من الخلقِ بإتيانه كلَّ ما سأل حتى يَعترِضَ ملحدٌ في القرآنِ بمثلِ هذا القولِ، ولكنَّ اللفظَ خارجٌ مخرجَ العمومِ(٦).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أنه قالَ: «مَن أُعطي شيئًا مما يَسألُ، وإن كان قليلًا؛ فقد أُعطِي»(٧).

---

(١) من قوله: «والنهر المجرى الواسع...»، إلى قوله: «إذا أجريته واسعًا»، ينظر: تفسير ابن فورك (ت علال بندويش): ٣١٣. النكت في القرآن: ٢٧٥. إعراب القرآن للأصبهاني: ١٨٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧١/٢. تفسير القرطبي: ١٤٤/١٢.

(٣) في الأصل، ز: (بالنهار **ويهدؤوا**)، وهو خطأ؛ لأنه لا موجب لحذف النون.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٨/٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢. معاني القرآن للأخفش: ٤٠٨/٢. تفسير الطبري: ٦٨٣/١٣ (عزاه إلى بعض أهل الكوفة). بحر العلوم: ٢٨/٢.

(٦) قصد المصنف الرد على من يثير الشبهات حول القرآن، واتخذ من هذه الآية مدخلًا للطعن فيه؛ وشبهتُهم مفادها أن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، فيقول: إن ذلك غير متحقق في الواقع، فلا نجد أن كل من سأل شيئًا أُعطي، وقد أجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك بقوله: «وليس في هذه الآية تخصيص كل واحد من الخلق بإيتائه كل ما سأل... ولكن اللفظ خارجٌ مخرج العموم».

(٧) لم أقف عليه.

ومَن قرأ: (مِّن كُلٍّ) بالتنوين[١]، والمعنى: أعطاكم من كُلٍّ ما تقدَّم ذكرُه من النعم[٢]، ثم قالَ: ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾ أي: لم تسألوه، ولا عليكم أن تسألوه، بل ابتدأكم بذلك تفضُّلًا[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ معناهُ: إنْ أردتم أن تبلُغوا إلى معرفةِ غايةِ نعمِ الله تعالى عليكم، [لم][٤] تُطيقوا عدَّها، فكيف يُمكنُهم القيامُ بشكرها؟!

وأصلُ الإحصاء في الحسابِ: أنَّ المعدودَ إذا بلَغ غايةَ عَقْدٍ من العقودِ، وطُرِحت له حَصاةٌ واحدةٌ، واستُؤنفَ العَدُّ بعد ذلك[٥].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ معناه: إن الإنسانَ -مع هذه النعمِ- لظلومٌ لنفسه، كفَّارٌ لنعمِ ربه[٦].

والإنسانُ: اسمُ جنسٍ، لكن يُقصد به في مثل هذا الموضعِ: الكافرُ خاصَّةً، كما في قولِه تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ١-٢][٧].

ويُقالُ بأنَّ القصدَ من الآية أنَّ طِباعًا[٨] تجذبُهم إلى الظلم والكفرِ؛ لما فيهما من ارتكابِ الملاذِّ والشهواتِ، وتركِ الشرائعِ والعباداتِ التي تثقُل على الأبدانِ.

---

(١) أخرجها الطبري عن الضحاك بعدة أسانيد، ونسبها ابن خالويه لابن عباس والحسن وجعفَر بن محمد، وسلام بن المنذر، ووافقه ابن جني، وزاد أنها قراءة محمد بن علي، وعمرو بن فائد، وآخرين، ووافقهم الكرماني في بعضهم.
تفسير الطبري: ٦٨٥/١٣. مختصر في شواذ القرآن: ٧٣. المحتسب لابن جِنّي: ٣٦٣/١. شواذ القراءات: ٢٥٥.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في توجيه قراءة العامة، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٢٠/٥.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٨/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٢١/٥.

(٤) في الأصل، ز: (لا تطيقوا)، ولعله خطأ من النساخ، والصواب ما أثبته؛ لأن السياق فيه شرط، فتناسبه (لم)، كما أن (تطيقوا) مجزومة -والله أعلم-.

(٥) من قوله: «وأصل الإحصاء...»، «واستُؤنف العَدُّ بعد ذلك»، ينظر: تفسير أبي السعود: ٤٨/٩. روح البيان: ٤٢١/٤. فتح القدير: ٧٤٩.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٨/٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٤.

(٨) في الأصل، ز: (أنَّ طباع)، وهو خطأ؛ لأنَّ (طباع) اسم إنَّ، وحقه النصب.

[٣٧-٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي /٢/و٨٦/ فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

معناه: واذكُرْ إذْ قال إبراهيمُ بعدَ ما بنى البيت: يا ربِّ اجعَل مكةَ آمِنًا(١)، يأمَنُ فيها الناسُ والوحوشُ، فاستجاب اللهُ دعاءَه، حتى اجتمع فيها الناسُ مع شدةِ العداوةِ بينهم، وتَدْنُو الوحوشُ فيه من الناس، فتأمَنُ منهم.

وإنما عرَّف البلدَ في هذه الآية، ونكَّر في سورة البقرة؛ لأنَّ النكراتِ إذا أُعِيدت تعرَّفت(٢).

ويجوزُ أن يكونَ إبراهيمُ -عليه السَّلام- دعا بدعوتين في وقتين.

وقولُه عز وجل: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ معناه: والطُفْ بي ولبني لطفًا، نتجنبُ به من عبادة الأصنام.

وتُقرأ: (وَأَجْنُبْنِي) بفتحِ الألفِ(٣).

يُقالُ: أَجْنَبْتُهُ، وجَنَبَتُه، وجَنَّبْتُه من كذا: إذا جعلتَه ناحيةً وجانبًا منه(٤).

وقولُه تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معناه: إنَّ الأصنامَ أضلَلْن كثيرًا من الناسِ(٥).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٨/٢. تفسير الطبري: ٦٨٦/١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٤.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: ١٣٢/٢٤. الكشاف: ١٢١٠. عروس الأفراح: (٢٠٧/١-٢٠٩).

(٣) أي: بهمزة قطع مفتوحة، نسبها قطرب للجحدري، وكذا النحاس وزاد عيسى بن يعمر، ووافقهم ابن خالويه وزاد الهجهاج الأعرابي، ووافقهم ابنُ جني.

ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/قراءة سورة إبراهيم). معاني القرآن للنحاس: ٥٣٥/٣. مختصر في شواذ القرآن: ٧٣. المحتسب لابن جني: ٣٦٣/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٤. تهذيب اللغة: (ج ن ب). المحكم والمحيط الأعظم: (ج ن ب). *(وأجنبني)، لغة تميم، قاله قطرب، ووافقه ابن جني. وقال الفراء: «أهل الحجاز يقولون: جَنَبني خفيفة، وأهل نجد يقولون: أجنبني شره وجنبني...».

ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/قراءة سورة إبراهيم). معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢. المحتسب لابن جني: ٣٦٣/١.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٠٨/٢. تفسير الطبري: ٦٨٨/١٣. معاني القرآن للنحاس: ٥٣٥/٣.

وأضافَ الإضلالَ إلى الأصنامِ، وإن لم تكن تفعلُ الأصنامُ شيئًا؛ لأنهم ضلُّوا بعبادتها، كما يقولُ الرجلُ: فتَنَتْني هذه الجاريةُ، أي: أحبَبْتُها، فوقعتُ في الفتنةِ بعينِها[١].

وقولُه تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ معناه: فمَن تبِعني على ديني فإنه مني ومعي، ومَن خالفَ ديني ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ غفورٌ لذنوبهم بالتوبةِ، رحيمٌ بهم[٢].

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٥. معاني القرآن للنحاس: ٥٣٥/٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/١٣. بحر العلوم: ٢٠٩/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٢٤/٥.

[٣٩-٤٣] قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

معناه: قالَ إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- يا ربَّنا، إني أسكنتُ بعضَ ذريتي، وهو: إسماعيلُ مع أمه هاجرَ[١].

﴿بِوَادٍ﴾ لا يُنبتُ شيئًا، وأراد به: واديَ مكةَ، وهو الأَبطَحُ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ معناه: عند المسجدِ الحرام، وسمَّاه المحرَّمَ لأنه لا يستطيعُ أحدٌ الوصولَ إليه إلا بالإحرامِ[٣].

---

(١) من قال: «بعض ذريتي»، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢. بحر العلوم: ٢٠٩/٢. تفسير الثعلبي: ٤٠٠/١٥. ومن قال إنه أسكن: «إسماعيل وأمه هاجر»، ينظر: تفسير الطبري: (٦٩٣/١٣-٦٨٩) (أخرجه عن ابن عباس). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٢٥/٥. تفسير الماوردي: ١٣٨/٣.

(٢) ينظر: تفسير الماردي: ١٣٨/٣. *والأَبْطَحُ: بالفتح ثم السكون وفتح الطاء: يضاف إلى مكة وإلى مِنًى؛ لأن المسافة بينهما واحدة، وربما كان أقرب إلى منى، وهو خَيْفُ بني كنانة، وهو جزع من وادي مكة بين المنحنى إلى الحجون، ثم تليه البطحاء إلى المسجد الحرام، وكلاهما من المعلَّاة، ثم المسفَّلة: من المسجد الحرام إلى قوز المكاسة «الرَّمِضَةُ» قديمًا.
ينظر: معجم البلدان: ٧٤/١. مراصد الاطلاع: ١٧/١. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ١٣-١٤.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٩/٢.*يبدو أن ترجيح المصنف في أن سبب تسمية البيت الحرام: عدم دخوله إلا بالإحرام؛ مبنيٌّ على مذهبه الفقهي؛ فالحنفية يوجبون على الداخلِ لمكة الإحرامَ؛ سواءٌ كان لغرض الحج أو التجارة أو غيرها، بخلاف الشافعية الذين فرَّقوا في أحكام دخولها؛ فإن كان الداخل لمكة يريد نسكًا فيجب الدخول بالإحرام، وإن كان لحاجة كالتجارة والزيارة، أو كان مكيًّا وخرج لتجارة ثم عاد، أو دخلها للإقامة؛ ففيها قولان لشافعي في عامة كتبه أنه يستحب، وأومأ في الأم إلى أن لا يدخلها إلا محرمًا. وكذا المالكية؛ فرأيهم إن كان القاصد لمكة يريد عمرة أو حجًّا وجب دخوله محرمًا، وأما إن أراد دخول مكة لغير ذلك؛ فلا يخلو من أمرين: إن كان ممن يكثر تَردادُه إلى مكة وذهابه وإيابه ومن المقيمين فيها؛ فلا يلزمه دخولها محرمًا، وإن كان من المقلين من الدخول لها وكان قصده حاجة أو تجارة وما أشبه ذلك؛ فلا يجوز دخوله إلا محرمًا. وكذا قال الحنابلة: من يدخل مكة لحاجة متكررة أو لقتال مباح أو من خوف فلا إحرام عليه،
=

ويُقالُ: أرادَ به حرمةَ القتالِ والاصطيادِ(١)، كما رُوي في الخبر: ((إنَّ مكةَ حرامٌ بحرام الله تعالى، لا يُخْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا))(٢).

وأمَّا نسبةُ البيت في الآيةِ إلى الله تعالى(٣) فعلى(٤) معنَى: أنَّ الله تعالى يسكنُ فيه، تعالى الله عن ذلك(٥).

=

النوع الثاني: من لا يكلف الحج كالعبد والصبي والكافر إذا أسلم بعد مجاوزة الميقات، أو بلغ الصبي أو أعتق العبد وأرادوا الإحرام؛ يحرمون من موضعهم، النوع الثالث: يدخل لغير قتال ولا حاجة متكررة، فيجوز له الدخول من غير إحرام عند أحمد، وعند الحنفية وبعض الشافعية يجب الإحرام. أما إن قصدها مريدًا للحج أو العمرة فيجب عليه دخولها محرمًا.

ينظر: المعونة: (١/٥١١-٥١٣). التجريد للقدوري: (٤/٢٠١٥-وما بعدها). المغني لابن قدامة: (٣/٧٠-٧٣).

فكما أن الغزنوي فسر الآيات على مذهبه الفقهي فيما يظهر -والله أعلم- فنجد أن سبب التسمية التي ذكرها تخالف ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الجزية/باب إثم الغادر للبر والفاجر/ح٣١٨٩)، عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهُ»، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ». فتسمية البيت المحرم ليست مقتصرةً على وجوب دخوله بالإحرام، وإنما لأن الله حرمه منذ أن خلق السماوات والأرض، فالدخول له بالإحرام، وتحريم القتال وتحرم الصيد، كله تبعٌ لتحريم الله له منذ أن خلق السماوات والأرض. والله تعالى أجل وأعلم.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع في ((صحيحه)) منها ما جاء في: (كتاب الجنائز/باب: الإذخر والحشيش في القبر/ح١٣٤٩)، (كتاب جزاء الصيد/باب: لا ينفر صيد الحرم/ح ١٨٣٣)، (كتاب جزاء الصيد/باب: لا يحل القتال بمكة/ح١٨٣٤)، (كتاب البيوع/باب: ما قيل في الصَّوَّاغ وقال طاوس عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»، وقال العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ، فقال: «إِلَّا الإِذْخِرَ»/ح٢٠٩٠)، ومسلم في ((صحيحه)) (كتاب الحج/باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام/ح١٣٥٣)، كلاهما عن ابن عباس ببعضه.

(٣) /ز/ظ٣٥٦/.

(٤) هكذا في الأصل، ز؛ ولعلَّ الصواب: (وأما نسبة البيت إلى الله **فليس على معنى**: أن الله تعالى يسكن فيه...».

(٥) الذي عليه جمهور السلف وأهل العلم أن إضافة البيت إلى الله جَلَّجَلَالُهُ هي إضافة تشريف، وقد يضاف لمعنى يختص به يميز به المضاف عن غيره؛ مثل: بيت الله، واختصاص بيت الله لما امتاز به عن غيره؛ لأن الله اصطفاه وعظمه، فهذه الإضافة إضافة تشريف إلى الله سبحانه وتعالى. ينظر: الجواب الصحيح لابن تيمية:٢/ ١٥٩.

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معناه: ربَّنا أسكَنْتَهم عند بيتِك المحرَّمِ؛ ليقيموا الصلاةَ نحوَ الكعبةِ، فاجعلْ أفئدةً من الناسِ تميلُ وتنزِعُ إليهم[١].

قال مجاهدٌ -رحِمه اللهُ-: «لو قالَ إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- أفئدةَ الناسِ؛ لزاحَمَهم الرومُ وفارسُ، ولكنْ قال: أفئدةً منَ الناسِ»[٢].

وقرأ بعضُهم: (تَهْوَى) بنصب الواو[٣]، من هوى يهوي هُويًّا؛ إذا سقَط[٤].

قالَ الزجَّاجُ -رحمه الله-: «هو في اللغة بمعنى: السقوط»[٥].

إلا أن معناه في هذه الآية: يرتفعُ؛ لأن قرينتَه في هذه الآية (إِلَيْهِمْ)، ففسر بتفسير يصلحُ مع هذه القرينةِ، كما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل:٧٤] أي: دنا منكم[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٦٩٨/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٧/٩)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٦٩٨/١٣-٦٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٢/١٣)، جميعهم عن مجاهد بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/-٥٥٩ ٥٥٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن مجاهد بنحوه.

(٣) ذكرها الفراء والزجاج من غير نسبة، ونسبها النحاس لمجاهد، ووافقه ابن جني، وزاد أنها قراءة علي بن أبي طالب، وأبي جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد -عليهم السَّلام-.

ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٦٥/٣. معاني القرآن للنحاس: ٥٣٦/٣. المحتسب لابن جني: ٣٦٤/١.

(٤) لعلَّ المؤلف قصد توجيه القراءة من حيث اللغة؛ لأنَّ أهل اللغة فسروا (هوى) عمومًا بالفتح بمثل ما ذكره المصنف. ينظر: تهذيب اللغة: (هـ و ى). الصحاح: (هـ و ى) (عزاه كلاهما إلى الأصمعي).

أما توجيه القراءة فقد وجهها الفراء والزجاج وابن جني بمعنى المحبة، فقال الفراء: «وقرأ بعضُ القرَّاء (تَهْوَى إِلَيْهِم) بنصب الواو، بمعنى تهواهم، كما قال (رَدِفَ لَكُمْ) يريدُ ردفكم، وكما قالوا: نَقَدتُ لها مائةً؛ أي نَقَدتُها». وقال الزجاج: «... ومن قال: (تهوَى إليهم)، فعلى هوي يهوَى: إذا أحب...». وقال ابن جني في توجيهها: «...(تهوَى إليهم) بفتح الواو هو من هوِيت الشيءَ؛ إذا أحببتَه...».

ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٥. المحتسب لابن جني: ٣٦٤/١.

(٥) لم أقف عليه في كتاب معاني القرآن للزجاج؛ فلعلَّ المؤلف إما أن يكون وهم، أو نقله عن كتاب مفقود، أو هو سهو من النساخ، وما نصَّ عليه الزجاج في كتابه هو قوله: «...ويجوز (تهوَى إليهم)، فمن قرأ بالأولى -يقصد قراءة الكسر- فهو على هوى يهوي إذا ارتفع، ومن قال: (تهوَى إليهم)، فعلى هوي يهوى إذا أحب، والقراءة الأولى هي المختارة». ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٣٥.

(٦) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت سماح محمد): ١٩٨.

وقولُه تعالى: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ معناه: تميلُ الناسُ [إليهم][١]، وبغير ذلك من الأسباب؛ لكي يشكروا نعمتَك[٢].

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ﴾ ما نُسِرُّه في أنفسِنا وما نُظهِره.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يحتملُ: أن يكونَ من كلامِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- ويحتمل أن يكونَ قولًا من الله تعالى ابتداءً معترِضًا بين الكلامين، كأنه قالَ سبحانه: وقد صدَق إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- فإنه لا يخفى على اللهِ شيءٌ، ثم رجَع إلى قولِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾[٣] معناه: الشكرُ لله الذي وهَب لي على الكبرِ إسماعيلَ وإسحاقَ[٤].

رُوي أن إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- كان ابنَ مئةِ سنةٍ يومَ وُلد له إسحاقُ -عليه السَّلامُ-، وكانت امرأتُه سارَةُ يومئذٍ بنتَ تسعٍ وتسعين سنةً[٥]، وكان إسماعيلُ أكبرَ من إسحاقَ -عليهما السَّلامُ- بثلاثَ عشرةَ سنةً[٦].

---

(١) أثبتها؛ ليستقيم السياق.

(٢) لعل المصنف فسرها بما ذكره الماوردي في أحد الأقوال في الآية، أنَّ المراد بالثمرات وجهان: أحدهما: ثمرات القلوب بأن يحببهم إلى قلوب الناس فيزوروهم، وعبر عنها المصنف بـ«ميل الناس» -والله أعلم-. والمعنى الثاني: الظاهر من ثمرات النخيل والأشجار -وهذا المعنى هو ما عليه أكثر المفسرين مع اختلافهم في التعبير-. ينظر: تفسير الماوردي: ١٣٩/٣. وتفسير المفسرين للآية: قال الطبري في «تفسيره» (١٣/٧٠٠-٧٠١): «....وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار...». وقال السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/٢٠٩): «وأطعمهم من الثمرات». وقال البغوي في «تفسيره» (٤/٣٥٧): «ما رزقت سكان القرى ذوات الماء».

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٠٩/٢. تفسير الثعلبي: ٤٠٤/١٥. تفسير القرطبي: ١٥٦/١٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/١٣. تفسير الثعلبي: ٤٠٤/١٥. تفسير البغوي: ٣٥٧/٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/٤٧٦)، عن مجاهد بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٩٩-١٠٠)، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد بنحوه.

(٦) لم أقف على ما ذكره المصنف مسندًا، وإنما وقفت على الشطر الأول مسندًا -وقد أشرت إليه في الحاشية السابقة-، ومن قوله: «كان إسماعيل أكبر من إسحاق -عليهما السلام- بثلاث عشرة سنة»، ذكره السمرقندي في «تفسيره» بموضعين مختلفين، (٢/٢٠٩)، (٣/١٢٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/٨٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥١٣)، جميعهم بلفظه من غير نسبة. والماوردي في «تفسيره» (٥/٦٠)، عزاه للكلبي بلفظه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: قابلُ الدعاءِ[١].

وقولُه تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معناه[٢]: الطُفْ بي يا رب حتى أدومَ على إقامةِ الصلاةِ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ مَن يقيمُ الصلاةَ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ أي: أجِبْ دعائي[٤]، فإنَّ تقبُّلَ الدعاءِ إنما يكونُ: بالإجابةِ، وتقبُّلَ العملِ إنما يكونُ: بإيجابِ الثوابِ عليه، ومقابلتِه بالجزاء[٥].

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ معناه: يا ربَّنا، اغفِرْ لي ذنوبي ولأبويَّ.

/٢/ظ٨٦/ قال بعضُهم: أراد بهذا سؤالَ المغفرةِ لآدمَ -عليه السَّلامُ-، وحواءَ -عليها السَّلامُ-[٦]؛ لأنه عطَف عليه قولَه: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ ولأنَّ الله تعالى قد نهاه عنِ استغفارِه لأبيه مِن بعدِ ما تبيَّن له أنه عدوٌّ لله تعالى.

وقال بعضُهم -رحِمه اللهُ-: أراد بوالديه أبوَيْه الآدميين، وكان إبراهيمُ يستغفرُ لأبيه المشركِ عن موعدةٍ وعَدها إياه على ما تقدَّم ذكرُه[٧].

وقرأ بعضُهم: (وَلِوَالِدَيَّ)؛ لأن أمَّهُ كانت مسلمةً[٨].

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ معناه: يوم يُحاسَبُ فيه الخلقُ[٩]، فإن الحسابَ إنما

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٣١. بحر العلوم: ٢/٢٠٩.

(٢) سقطت من ز.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٧٠٢. بحر العلوم: ٢/٢٠٩. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٣٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٠٩. تفسير السمعاني: ٣/١٢١. تفسير البغوي: ٤/٣٥٨.

(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥/٤٠٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٣٢. تفسير البغوي: ٤/٣٥٨.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٣٢. تفسير الماوردي: ٣/١٣٩. تفسير السمعاني: ٣/١٢١ (في أحد أقوالهما في الآية).

(٧) ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ٧٩.

(٨) ذكرها السمرقندي من غير نسبة، ونسبها السمعانيُّ لإبراهيم النخعي، ويحي بن يعمر. ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢/٢٠٩. تفسير السمعاني: ٣/١٢١.

(٩) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٢٢.

يقومُ بمحاسبةِ الله تعالى مع الخلق.

فإنْ قال قائلٌ: كيف سألَ إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- لنفسه المغفرةَ، وذلك معلومٌ كونُه[(١)]؟

قيلَ: إنَّ الدعاءَ بمثلِ هذا إنما يكونُ على وجهِ الانقطاعِ إلى الله تعالى، وإن عُلِم كونُه، كما بيَّنا في قولِه تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران:١٩٤][(٢)]. وغيرِ ذلك من الآيات[(٣)]. وبالله التوفيقُ.

---

(١) أي: وقوعه.

(٢) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت نبيل نصار): ٣٤٢.

(٣) لعله يقصد الآيات التي فيها دعوات الأنبياء عليهم السلام، مثل دعاء نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، ودعاء الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]. وغير ذلك من الآيات.

[٤٤-٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

في الآية تعزيةٌ للمظلومِ، ووعيدٌ للظالمِ(١).

معناها: ولا تظُنَّ اللهَ يا محمدُ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- غافلًا عن أعمالِ الظالمين، ومجازاتِهم على ما يعملون(٢).

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾ صفتُه هذه الصفةُ، وهو أنه تَشخَصُ فيه أبصارُهم.

قال ابنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «إذا سِيقوا إلى النارِ في يوم الحسابِ شخَصت أبصارُهم إليها»(٣).

وقال الحسنُ(٤) -رضِيَ اللهُ عنه-: «تشخَصُ أبصارُهم إلى إجابةِ الداعي حين يدعوهم من قبورِهم، لا تَطرِفُ فيه أعينُهم من هولِ ذلك اليومِ»(٥).

وقولُه تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين(٦) نحوَ البلاءِ الذي ينزلُ بهم.

وفي هذا بيانُ أنَّ حالَهم يومئذٍ بخلافِ المعتادِ؛ لأن الغالبَ من حالِ المبهوتِ المُعايِنِ للبلاءِ: أن يشخصَ بصرُه وهو واقفٌ، لا أنه يُسرعَ إلى شيء.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٧٠٣/١٣-٧٠٤) (أخرجه عن ميمون بن مهران). بحر العلوم: ٢١٠/٢. تفسير الثعلبي: ٤٠٥/١٥ (عزاه كلاهما إلى ميمون بن مهران).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٧٠٣/١٣. بحر العلوم: ٢١٠/٢.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧١٠/١٣)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا.

(٤) في ز: (**ابن عباس** الحسن).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: (٧٠٤/١٣-٧٠٥) (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢١٠/٢. تفسير الثعلبي: ٤٠٦/١٥ (عزاه كلاهما إلى قتادة).

والإهطاعُ: الاسراعُ(١).

يُقالُ: أَهطَعَ البعيرُ؛ إذا أسرعَ(٢).

وقال مجاهدٌ -رحِمه اللهُ-: «مُهطِعين: مُدِيمين(٣) النظرَ»(٤).

قال الخليلُ(٥) -رحمه الله-: «المُهْطِعُ: الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ على الشَّيءِ بِنَظَرِهِ، وَلَا يَرْفَعُ عَيْنَهُ عَنْهُ»(٦).

وقولُه تعالى: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رافعين رؤوسَهم(٧) إلى ما يرون في السماءِ؛ منَ الانفطارِ، وانتشارِ الكواكبِ، وتكويرِ الشمس، ونحوِ ذلك.

والعادةُ في مَن شاهدَ البلاءَ أن يُطرِقَ رأسُه عنده لكي لا يراه، فبيَّن تعالى: أن حالَهم خلافُ المعتادِ.

وقولُه تعالى: ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ﴾ أي: لا يُغمِضون أعينَهم(٨) من الهولِ والفزعِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَفْـِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: خاليةٌ من كل خيرٍ وأصل خير، كهواء ما بين السماء والأرض، لا تعي شيئًا(٩).

ويُقالُ: هي مجوَّفة لا عقولَ فيها(١٠).

---

(١) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة إبراهيم). تفسير الطبري: ٧٠٧/١٣. تهذيب اللغة: (هـ ط ع).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣٣. تهذيب اللغة: (هـ ط ع). بحر العلوم: ٢١٠/٢.

(٣) في المصادر: (مهطعين: **مديمي**)، و(مديم)، اسم فاعل، ويجوز في اسم الفاعل إضافته إلى معموله، فتكون كما في المصادر (مديمي)، أو إعماله عمل فعله من غير إضافة، فتكون كما ذكرها المصنف.

(٤) أخرجه مجاهد في «تفسيره» (٤١٢)، والطبري في «تفسيره» (٧٠٦/١٣)، كلاهما عن مجاهد بلفظه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٦٤/٨)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم بلفظه.

(٥) ابن أحمد الفراهيدي.

(٦) العين: (هـ ط ع).

(٧) ينظر: تفسير مجاهد: ٤١٣. تفسير الطبري: (٧٠٧/١٣-٧١٠) (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وسعيد). بحر العلوم: ٢١٠/٢.

(٨) /ز/و٣٥٧/.

(٩) ينظر: بحر العلوم: ٢١٠/٢.

(١٠) ينظر: مجاز القرآن: ٣٤٤/١. بحر العلوم: ٢١٠/٢ (عزاه إلى أبي عبيدة، وما ذكره المصنف بنص ما ذكره السمرقندي عن أبي عبيدة، وبنحو ما ذكره أبي عبيدة في «مجازه»).

وقال السُّديُّ -رضِيَ اللهُ عنه-: «هوتْ أفئدتُهم بين موضعِها وبين الحنجرةِ، فلا هي عائدةٌ إلى مواضعِها، ولا هي خارجةٌ منها؛ لقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٧]»[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ معناه: وأعلِمْهم موضعَ المخافةِ يومَ يأتيهم العذابُ، وهو يومُ القيامةِ[٢].

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: ربَّنا أعِدْنا إلى حالِ التكليف، وأجِّلْنا بمثل أجلِ الدنيا ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾. يقولُ الله تعالى لهم:

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ معناه: أولم تكونوا حلَفْتم من قبلُ[٣] هذا في الدنيا: ما لكم منِ انتقالٍ من الدنيا إلى الآخرةِ؟ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ[٤] مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨][٥].

ويُقالُ: ما لكم منِ انتقالٍ إلى العذابِ[٦].

وهذا لأنَّ أحدًا لا ينكرُ الانتقالَ والزوالَ عن الحياة إلى الموت، وعن الشبابِ إلى الهرَمِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ معناه: في مساكنِ عادٍ وثمودَ[٧].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا عن السدي، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣/١)، والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٧١٣/١٣)، كلاهما عن قتادة بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٦٥/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة بمعناه. وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤١٠/٢)، من غير نسبة بنحوه. والسمرقندي في «تفسيره» (٢١٠/٢)، عن السدي بنحوه.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي: ٤١٠/١٥.

(٣) سقطت من ز.

(٤) سقط لفظ الجلالة من ز.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: (٤١٠/٢-٤١١). تفسير الطبري: ٧١٥/١٣ (أخرجه عن مجاهد). تفسير الثعلبي: ٤١٠/١٥.

(٦) ينظر: تفسير الماوردي: ١٤٢/٣ (عزاه إلى الحسن).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٧١٧/١٣. بحر العلوم: ٢١٠/٢. تفسير الثعلبي: ٤١٠/١٥.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ فمعناه: ظهَر لكم كيف كفروا بالله تعالى وبرسولِه، وكيف عاقَبَهما الله تعالى عند التكذيبِ[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ معناه: وبيَّنا لكم الأمثالَ المنبِّهة على التفكُّر، فلم تعتبِروا بتلك الأمثالِ.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢١٠.

[٤٨-٤٩] قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝﴾

ومعناه: /٣/و٨٧/ وقد مكرتِ الأممُ الماضيةُ بأنبيائهم ما أمكنَهم منَ المكرِ، واللهُ تعالى عالمٌ بمكرِهم، وعنده جزاءُ مكرِهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ فيه قراءتانِ:

مَن كسرَ اللامَ، أي: الأُولى من قوله تعالى: ﴿لِتَزُولَ﴾[(١)] فالمعنى: وإن كان مكرُهم قصدًا منهم على أن تزولَ منه الجبالُ، ثم لا تزولُ منه الجبال، فكيف يزولُ منه الذي هو أثبتُ منَ الجبالِ[(٢)]؟

ويجوزُ أن يكونَ معنى هذه القراءةِ: الجَحْد، كأنه قال: وما كان مكرُهم ليزولَ منه دينُ الإسلام، وثبوتُه كثبوتِ الجبالِ الراسيةِ، فاستحقَرَ مكرَهم[(٣)].

ومَن فتحَ اللامَ الأُولى مِن هذه الكلمة، فقرأ: (لَتَزُولُ)[(٤)] فهو على معنًى: استعظامِ مكرِهم[(٥)]، وتكونُ اللامُ الأولى بمعنى: اليمينِ، كأنه قال: وإن كان مكرُهم قد بلغَ مُنتهاه حتى تزولَ منه الجبالُ، فلا يضُرُّ ذلك أنبياءَ الله تعالى ورسلَه، فإنَّ اللهَ تعالى وعدَ رسولَه[(٦)] -صلَّى اللهُ

---

(١) قرأ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية: نافعٌ، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وحمزةُ، وعاصمٌ.
ينظر: السَّبعة لابن مُجاهد: ٣٦٣. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٣/٥٤٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٧٩. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤١. إعراب القراءات السبع: ١/٣٣٧. معاني القراءات للأزهري: ٢/٦٤.

(٤) الكِسائي. ينظر: السبعة لابن مجاهد: ٣٦٣. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣١. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٥٩.

(٥) ينظر: الحجة للقرَّاء السبعة: (٥/٣٣-٣١). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: (٢/٢٨-٢٧). شرح الهداية: (٢/٣٧٤-٣٧٣).

(٦) في ز: (وعد **الله**)، وهو خطأ.

عليه وسلَّم- النصرَ، بقولِه تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣،...]، وبغير ذلك منَ الآيِ(١).

فإنْ قال قائلٌ: فهل زالت الجبالُ بمكرِ الكفارِ؟!

فالجوابُ عنه: أنه رُوي في بعضِ التفاسير(٢) عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- «أن نمرودَ(٣) الجبارَ أمرَ بتابوتٍ خفيفٍ، فصُنع له، ثم أدخلَ في التابوتِ معه غلامًا خفيفًا، ثم ربطَ العُقْبانَ(٤)، والنسورَ إلى قوائمِ التابوت، وعلَّق اللحمَ فوقَه إلى جنبٍ يرونه، وارتفعت بهم النسورُ، وكان جعَل كُوَّة(٥) صغيرةً في أعلى التابوت، فقال للغلام: انظرْ يومك هذا، فإذا دنوتَ من السماءِ فأعلِمْني حتى أَعلَمَ عِلمَها، وكانت النسورُ يرتفعون بهم يريدون اللحمَ، فارتفعوا يومَهم وليلتَهم، فنظر إلى السَّماء، فإذا هي كهيئتِها بالأمسِ، ثم فتحَ كوةً أسفلَ التابوت، فإذا الأرضُ مثلُ اللحم(٦)، ثم نظرَ في اليوم الثاني، فإذا السماءُ كهيئتها والأرضُ مثلُ الظلمةِ، فصوَّب عند ذلك اللحمَ إلى أسفلِ التابوت، فنظرت النسورُ إلى اللحمِ في أسفل التابوت وانحطَّت به، فمرَّت بجبلٍ، فسمع الجبلُ حفيفَ التابوتِ فظن أنه أمرٌ من السماء، فكاد يزولُ

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤١-٤٤٢. معاني القرآن للنحاس: ٥٤٢/٣. معاني القراءات للأزهري: ٦٥/٢. *ومن الآيات التي وعد الله رسوله بالنصر: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وغيرها من الآياتِ المباركات.

(٢) من قوله: «منها: فإن قال قائل: فهل زالت...»، إلى قوله: «روي في بعض التفاسير»، ينظر: (معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤١-٤٤٢. *ومن التفاسير التي ذكرت القصة: ينظر: تفسير مقاتل: (٤١١/٢-٤١٢). تفسير الطبري: (٧١٨-٧٢٠/١٣). بحر العلوم: ٢١١/٢. تفسير الثعلبي: (٤١٢/١٥-٤١٤).

(٣) نَمْرُودُ بن كَنْعَان. من ملوك النبط الأوائل، ملك ثمانمئة سنة، أربعَمئةٍ صحيحًا، وأربعَمئةٍ سقيمًا ببعوضةٍ أهلكه الله فيها دخلت منخره ووصلت إلى دماغه. ينظر: سلم الوصول: (٣٧٣/٣-٣٧٤).

(٤) العِقبان: جمع عُقاب، وهو: طائر من العِتاق. ينظر: لسان العرب: (ع ق ب).

(٥) خرق أو ثقب. ينظر: لسان العرب: (ك و ه).

(٦) في ز: (مثل **اللحمة**).

عن مكانه من مخافةِ الله تعالى، ووقع التابوتُ في أرضٍ يابسةٍ، فنجا الخبيثُ، ثم سلَّط اللهُ عليه أضعفَ خلقِه؛ بعوضةً، فعذَّبه بها أربعين يومًا حتى قتلته»[١].

هكذا رُوي في الآية، فإن صحَّ هذا الخبرُ[٢]؛ وإلا فمعنى الآية: لو بلغَ مكرُهم ما لا يُظَنُّ أن يبلُغ؛ لما انتفعوا به، ولما نالَ من الإسلامِ[٣]، وهذا كما قال الشاعرُ[٤]:

لَـئِنْ كُنْـتَ فِي جُـبٍّ ثَمَـانين قَامَـةٍ ... وَرُقِّيـتَ أَسْـبَابَ السَّـمَاءِ بِسُـلَّمِ

لَيَسْـتَدْرِجنْكَ الْقَـوْلُ حَـتَّى تَهُـرَّهُ[٥] ... وَتَعْلَـمَ أَنِّي [٦]عَـنْكُم غَـيْرُ[٦] مُلْجَـمِ[٧]

---

(١) لم أقف عليه مسندًا عن عبد الله بن عباس، وأخرجه مقاتل في «تفسيره» (٢/٤١١-٤١٢)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٣/٧١٨-٧١٩)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمعناه. والطبري في «تفسيره» (١٣/٧١٩-٧٢٠)، عن مجاهد بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥٧٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري؛ عن علي بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمعناه. وفي رواية (٨/٥٧١)، عزاه إلى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمعناه. وفي رواية (٨/٥٧١-٥٧٢)، عزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد بمعناه.

(٢) مال الغزنوي إلى تضعيف هذا الخبر، وقد ضعفه من قبله الزجاجُ ومن بعدهما ابنُ عطية والرازي، وهذه الرواية لا تصح كما هو ظاهر، فهي إما رواية إسرائلية، أو رواية موضوعة، وقد قال الزجاج في نقدها في كتابه «معاني القرآن ت مامودو محمد» (٤٤٢)، «وهذا إنما هو في قصة نمرود بن كنعان، ولا أعلم لنمرود هنا ذكرًا...». وقال ابن عطية في «تفسيره» (٥/٢٦٣)، «وذكر ذلك عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذلك عندي لا يصح عن علي، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريقِ المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسُر كما وصف، وبعيد أن يُغَرِّر أحدٌ بنفسه في مثل هذا». وقال الرَّازي في «تفسيره» (١٩/١٤٧)، «وهذا بعيدٌ جدًّا؛ لأنَّ الخطر فيه عظيم، ولا يكاد العاقلُ يُقدم عليه، وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حجة في تأويل الآية البتة».

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٢.

(٤) ميمونُ بن قيس بن جندل، أبو بصير، ويقال: أبو بشر الثعلبي. الشاعر المعروف بالأعشى الكبير. ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/٥٢. معجم الشعراء: ٤٠١. تاريخ دمشق: ٦١/٣٢٧.

(٥) تكرهه. ينظر: لسان العرب: (هـ ر ر).

(٦ - ٦) في ديوانه: (عَنْكَ لَسْتُ).

(٧) والبيت في ديوانهُ: ١٢٣.

وفي قراءةِ عليٍّ وعبدِ الله بنِ مسعودٍ -رضيَ اللهُ عنهما-: (وَإِن كَادَ[1] مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[2]، والمعنى تعظيمُ شركِهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩١][3].

وأما قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾ فمعناه: لا تظُنَّ اللهَ يا محمدُ، يخلفُ وعدَه رسلَه ما وعَدَهم منَ النصرةِ وإظهارِ الدينِ.

ومِن حق الكلامِ: أن يكونَ الوعدُ والرسلُ منصوبَين؛ لأن الإخلافَ يعملُ في المفعولينِ، إلا أنك إذا أضفتَه فلا بد من خفضِ ما يليه، وهو في التأويلِ نصبٌ[4].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي: عالٍ لا يُعجزُه شيءٌ، ذو نقمةٍ ممَّن عصاه فكفَر به[5].

---

(١) في ز: (وإن **كان**).

(٢) وافق عليًّا وابنَ مسعودٍ في القراءة: عمرُ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كما أخرجه عنهم القاسم بن سلام، ووافقه الطبري، وأخرجها عنهم جميعًا، وزاد أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ووافقهم ابن خالويه وزاد ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد: ٣٠٥-٣٠٤. تفسير الطبري: (٧٢١/١٣-٧١٨). مختصر في شواذ القرآن: ٧٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (٧٢٢/١٣-٧٢٣) (أخرجه عن ابن عباسٍ، والضحاك، وقتادة). تأويلات أهل السنة: ٣٥/٣. معاني القرآن للنحاس: ٥٤٤/٣ (أخرجه عن عبد الله بن عباس).

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه: ١٧٥/١. معاني القرآن للفراء: ٧٩/٢-٨١.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢١١/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٤٤/٥.

[٥٠-٥٣] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾

وذلك[١] أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ بيَّن وقتَ انتقامِه، وقال جلَّ ذكرُه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «تبديلُها: أن يُزادَ فيها ويُنقَصَ منها، وتُسوَّى جبالُها وأوديتُها، وتُمَدَّ مدَّ الأديمِ العُكاظي[٢]، أرضًا بيضاءَ كالفضة لم يسفك عليها دمًا، ولا يعمل عليها خطيئة»، قال: وتبديلُ السماءِ: انفطارُها، وانتشارُ كواكبِها، وتكويرُ شمسِها، وخسوفُ قمرِها، وأنشد في هذا قولَ لَبِيد[٣]:

وما[٤] النَّاسُ بالنَّاسِ الذِّينَ عَهِدتَّهم[٥] ... ولا الدَّارُ بالدَّارِ [٦]الَّذِي كُنتَ تَعْلَمُ[٦]

يُقالُ للرَّجُلِ: قد تبدَّلت، وهو الرجلُ نفسُه.

---

(١) /ز/ظ٣٥٧/.

(٢) الأديم العكاظي: منسوبٌ إلى سوقِ عكاظ، وهو مما حُمل إلى السوق وبيع بها. ينظر: لسان العرب: (ع ك ظ). والأديم: الجلد، وأديم الأرض: وجهها. ينظر: لسان العرب: (أ د م).

(٣) لم أقف عليه منسوبًا للبيد، وإنما وجدته منسوبًا لهدبة بن الخشرم العُذْري، وهو سلمة بن الأسحم، أبو سليمان. شاعر مُفْلِق كثير الأمثال في شعره، فصيح متقدم.

ينظر: معجم الشعراء: ٤٨٣. تاريخ دمشق: ٣٦٦/٧٣. الأعلام للزركلي: ٧٨/٨.

(٤) في الديوان: (فما).

(٥) في الديوان: (عرفتهم).

(٦ - ٦) في الديوان: (التي أنت تعرف). والبيت في ديوانه: ١٣٥. *والأثر: أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٧٧/٨)، وعزاه إلى البيهقي في «البعث» عن ابن عباس بنحوه. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤١٦/١٥)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا.

وذهب بعضُهم -رحمه الله-: إلى أنَّ الآيةَ على ظاهرها، وأنَّ هذه الأرضَ تبدَّلُ يومئذٍ بأرضٍ أخرى(١)، كما رُوي عن عائشةَ -رضيَ اللهُ عنها- أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- «قرأ هذه الآيةَ، فقلنا: /٢/٨٧ظ/ يا رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليك وسلَّم- فأين يكونُ الناسُ؟ قال: على جسرِ جهنمَ؛ يعني الصراطَ»(٢).

وأما السماواتُ -على هذا القول- فإنها تُطوى وتُبدل سماءً أخرى غيرَها(٣)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَآءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء:١٠٣](٤)، وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٤]، وقد أَرَى اللهُ تعالى في الدنيا العبادَ آثارَ ما يكونُ في القيامة؛ مِن زلزلةٍ يرَونها، أو هزةٍ وانكسافِ شمسٍ أو قمرٍ، وجعل الكواكبَ رجومًا للشياطينِ، وإذا عاينَ ذلك ذوو علمٍ علِموا أن وعدَ الله كائنٌ لا محالةَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ معناه: وبرَزوا من قبورهم للمحاسبةِ(٥). وجعَل البروزَ من قبورهم للحساب بروزًا للهِ تعالى، وإن كان اللهُ تعالى عالم بجميع الأشياء، ليس يَخفى عليه شيءٌ فيبرُزَ له من بعدُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ معناه: وترى يا محمدُ -صلَّى الله عليك وسلَّم- المجرمين يومئذٍ مقرَّنين(٦).

قال بعضُهم -رحمه الله- معناه: مجموعين مع الشياطينِ في الأغلالِ والسلاسلِ(٧)، كما رُوي في الخبر: ((أنه يُقرن كلُّ كافر مع شيطانه في غُلٍّ من حديدٍ، وقيدٍ من حديدٍ))(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٧٣٥-٧٣٧) (أخرجه عن كعب، وأبي هريرة، وعمرو بن ميمون الأوديّ، وعائشة).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب صفة القيامة والجنة والنار/باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة/ح٢٧٩٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنحوه.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٧٣٩ (أخرجه عن مجاهد). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٤.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/١٤٤ (عزاه إلى القاسم بن يحيى).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٣٧. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/٣٨٤٧. تفسير السمعاني: ٣/١٢٦.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٥/٣٨٤٨-٣٨٤٩).

(٧) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/١٤٥. تفسير السمعاني: ٣/١٢٦. تفسير البغوي: ٤/٣٦٣.

والأصفادُ: الأغلالُ، وَاحِدُهَا: صَفَدَ، وصِفاد[٢].

ويُقالُ: الأصفادُ: الأغلال والقيودُ[٣].

قال الشاعرُ[٤]:

فَــــآبُوا بالنِّهَـــابِ وبالسَّـــبَايَا وَأُبْنَـــا بالمُلُـــوكِ مُصَـــفَّدِينَا[٥]

وذهب بعضُهم -رحمهم الله-: إلى أنَّ معنى ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين[٦] في القَرَن.

والقَرَن: الرِّبْقةُ[٧] التي يُوثق بها، فيُجمع بها أيديهم إلى أعناقِهم.

وقولُه تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ معناه: قُمُصُهم[٨] من نارٍ سوداءَ كالقطرانِ، كما في قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩].

والقطرانُ يكونُ في ثيابهم، وهو: ما يُهْنأُ[٩] به الإبلُ[١٠].

وهذا مبالغةٌ في الوعيد؛ لأن القطرانَ أبلغُ في اشتعالِ النار في الجلود[١١].

=

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢١٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/٤٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/٣٦٣)، جميعهم من غير نسبة بنحوه. والواحدي في «البسيط» (١٢/٥٢٠)، وفي «الوسيط» (٣/٣٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٣/١٢٦)، والرازي في «تفسيره» (١٩/١٥١)، جميعهم عزاه إلى الكلبي بنحوه.

(٢) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة إبراهيم وغريبها). تفسير الطبري: ١٣/٧٤٠. تفسير الثعلبي: ١٥/٤١٩. التفسير البسيط: ١٢/٥١٩.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ١/٣٤٤. تفسير الطبري: ١٣/٧٤١. (أخرجه كلاهما عن قتادة). معاني القرآن للنحاس: ٣/٥٤٦ (عزاه إلى قتادة).

(٤) عمرو بن كلثوم.

(٥) البيت في ديوانه: ٨٣.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥/٤١٩. تفسير البغوي: ٤/٣٦٣.

(٧) في ز: (القرن: **القربقة**)، وهو خطأ. *والربقة: الخيط، وقيل: الحبل والحلق. ينظر: لسان العرب: (ر ب ق).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤١٣. مجاز القرآن: ١/٣٤٥. تفسير الطبري: ١٣/٧٤٢.

(٩) هِنَاءً: طَلاها بالهِناء؛ وهو القَطِرانُ. ينظر: لسان العرب: (هـ ن أ).

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٧٤٢. الصحاح: (هـ ن أ). المحكم والمحيط الأعظم: (ق ط ر).

(١١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٥.

ومَن قرأ: (قَطْرٍ آنٍ) منون[١]، فمعناه: مِن نحاسٍ مذابٍ قد بلغَ النهايةَ في الحما[٢].

ويحتمل: أنهم يُسربَلون بسِرْبالين: أحدُهما من القطر، والآخرُ من القطرانِ؛ ليكونَ دلالةً على صحةِ القولين.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ معناه: تعلو وجوهَهم النارُ[٣]، وذلك أن بين الكافرِ وشيطانِه حجرًا من كِبريتٍ، فهو يشتعلُ في الوجهِ.

وقولُه تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ معناه: وبرَزوا لله الواحدِ القهارِ؛ ﴿لِيَجْزِىَ[٤] ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣٠].

ويجوزُ بأن تكونَ اللامُ في قولِه تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ لامَ قسمٍ سقطت نونُها، المعنى: ليوفينَّ اللهُ تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ معناه: إذا حاسبَ فحسابُه سريعٌ[٥]؛ لأنه لا يُحاسِبُ بعَقْدٍ، وإشارةٍ، ولا يتكلمُ باللسانِ واللَّهاةِ، ولكن يكلمُ الجميعَ في وقتٍ واحدٍ[٦].

---

(١) أي: قُرئت بكلمتين: (قَطْرٍ آنٍ)، وكذا قرئت بوجهين: فقرأ بفتح القاف وتسكين الطاءِ وتنوين الراء: عكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن؛ أخرجها الطبري عنهم، ووافقه ابن خالويه، وزاد أنها قراءة أبي هريرة، وجماعة. وقرأ بكسر القاف وإسكانِ الطاء: عيسى بن عمر الكوفي وابن عباس وعلقمة وسعيد بن جبير وابن سيرين وآخرون، نسبها لهم ابن جني.

ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٧٤٤-٧٤٦). مختصر في شواذ القرآن: ٧٤. المحتسب لابن جني: ١/٣٦٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٣/٧٤٥-٧٤٤) (أخرجه عن الربيع بن أنس، وعكرمة وابن عباس). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٥. بحر العلوم: ٢/٢١٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢/٢١٢.

(٤) في الأصل، ز: (ليجزي **الله**)، وهو تحريف.

(٥) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢/٢١٢.

(٦) قال الطبري في الآية: «إن الله عالمٌ بعمل كل عامل، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كفٍّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علمًا، لا يعزب عنه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره»، فقوله في الآية أكمل في المعنى، وأكثر تنزيهًا لله من قول المصنف؛ لأن قول الأخير يحمل معنى نفي صفة الكلام عن الله تعالى، وهذا لا يعد تنزيهًا على مذهب أهل السنة والجماعة.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤﴾

معناه: هذا القرآنُ ذِكرٌ بالغٌ، وموعظةٌ كافيةٌ للناس، وليخوَّفوا بذكر العقابِ، وليدعوَهم هذا الإنذارُ إلى علم التوحيد، وليعظَ ذووا العقول من الناس[١]، فيوصلَهم ذلك إلى الجنةِ ويخلصَهم من النار.

وعن أُبيّ بنِ كعب -رضِيَ اللهُ عنه- عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: ((مَن قرأ سورةَ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- أُعطي من الأجرِ عشرَ حسناتٍ بعددِ مَن عبدَ الأصنامَ، وبعددِ مَن لم يعبدْها))[٢]. وبالله التوفيق.

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ١٢٧/٣. تفسير البغوي: ٣٦٣/٤. تفسير القرطبي: (١٧٢/١٢-١٧٣).

(٢) أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٢٢/٣)، عن أبي بن كعب بلفظه. والثعلبي في «تفسيره» (٣٥٠/١٥-٣٥١)، عن أبي بن كعب بنحوه.

سورة الحِجْر

كلُّها مكيَّةٌ[١]، وهي تسعٌ وتسعون آيةً بلا خلافٍ[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١-٣] ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرَانٍ[٣] مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

قد سبَق تفسيرُ ﴿ الٓر﴾[٤].

ومعنَى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: هذه آياتُ الكتابِ الذي وعدتُ إنزالَه عليك[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَقُرَانٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: وقرآنٍ[٦] مبينٍ للحلالِ والحرام، مميِّزٍ بين الحقِّ والباطلِ[٧].

والقرآنُ والكتابُ جميعًا صفتانِ لشيءٍ واحدٍ، إلا أنَّ وصفَه بأنه كتابٌ يُفيد أنه يُكتب، ووصفَه[٨] بأنه قرآنٌ يُفيد أنه مما يُقرن بعضُه إلى بعض[٩].

وقولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ربما يأتي على الكافرين يومٌ يتمنَّون أن لو كانوا مسلمين، وهذا إنما يكونُ في الآخرةِ إذا صارَ المسلمون إلى الجنةِ والكفارُ إلى النارِ[١٠].

/٢/و٨٨/ يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين في الدنيا[١١].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٣/٢. تفسير غريب القرآن: ٢٣٥. معاني القرآن للنحاس: ٧/٤.

(٢) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن: ١٧٣. حُسن المدد في فنِّ العدد: ٨٠. القول الوجيز: ٢١٨.

(٣) أثبتها على قراءة ابن كثير على غير عادته وأثبتها كما هي. ينظر: النشر في القراءات العشر: ٩٩٣/٣.

(٤) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ١٢١.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٨٧/٢. تفسير الرازي: ١٥٥/١٩.

(٦) في ز: **(قراه)**، وهو تحريف.

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: ١٢٨/٣. تفسير البغوي: ٣٦٤/٤.

(٨) /ز/و٣٥٨/.

(٩) ينظر: التفسير البسيط: (٥٢٩/١٢-٥٣٠). تفسير السمعاني: ١٢٨/٣. تفسير البغوي: ٣٦٤/٤. *وظاهر توجيه المصنف على قراءة ابن كثير والله أعلم.

(١٠) ينظر: تفسير الماوردي: ١٤٨/٣.

(١١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٨. بحر العلوم: ٢١٤/٢.

وعن عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما- أنه قال: «وذلك أن الله تباركَ وتعالى إذا أدخلَ أهلَ الجنةِ الجنةَ، وأهلَ النارِ النارَ، احتُبِس قومٌ من أهلِ القبلةِ ومنَ المنافقين على الصِّراطِ، فيقولُ المنافقون لهم: هذا حبْسُنا بنفاقِنا وكفرِنا، فما نفَعَكم إيمانُكم بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم-؟ فعند ذلك يَصِيحون صيحةً لـمَّا عيَّرهم المنافقون، فيسمعُها أهلُ الجنة، فيقومون إلى آدمَ، ثم إلى نوحٍ، ثم إلى إبراهيمَ، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى -عليهم السَّلام-، فيطلبون الشفاعةَ، فيُحا[لـ]ـون[١] على رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلم- ويذكُرون أن لهم خطايا، فيشفعُ لهم الرسولُ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-، وذلك هو المقامُ المحمودُ، فيُدخلهم اللهُ تعالى الجنةَ، فإذا نظر المنافقون إليهم -وقد دخلوا الجنةَ- تمنَّوا أن لو كانوا مسلمين»[٢].

وأما كلمة (رُبَ) فهي مبنيةٌ على الفتح، ومعناها: التسويف، وهي تجُرُّ ما بعدَها بالإضافة، فإذا كان يليها الفعلُ وُصلت بـ(ما).

وفيها لغاتٌ:

(رُب) بالتشديدِ والتخفيفِ، و(رُبما) كذلك، و(رُبَّه رجلًا) ، و(رُبَّما رجلٌ)، و(رَبَّما) بنصب الراء[٣].

---

(١) في الأصل: (الشفاعة، **فيحاونه**)، سقطت اللام من الأصل.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/٤٥٧-٤٥٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/١٠٦)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري بمعناه. والطبري في «تفسيره» (١٤/١٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٧٦)، كلاهما عن ابن عباس وأنس بمعناه مختصرًا. وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/٤٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٨)، والحاكم في «مستدركه» (٢/٢٥٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٧٩)، جميعهم عن أبي موسى الأشعري بمعناه مختصرًا. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٢٥-٥٢٦)، وعزاه إلى الطبراني عن أبي سعيد الخدري بمعناه. وفي رواية (٤/٥٢٤)، وعزاه إلى ابن جرير عن ابن عباس وأنس بن مالك بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٤/٥٢٥)، عزاه إلى الطبراني عن أبي موسى الأشعري بمعناه مختصرًا. والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥٨٧)، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه؛ عن أبي سعيد الخدري بمعناه. وفي رواية (٨/٥٨٦-٥٨٧)، وعزاه إلى ابن أبي عاصم في «السنة»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور»؛ عن أبي موسى الأشعري بمعناه مختصرًا.

(٣) قال محمد بن صالح -كما ذكر عنه قطرب في «كتابه»-: إنَّ أهل الحجاز وكثيرًا من قيس يقولون: (رَبَما)، بالتخفيف، وتميمٌ وأسدٌ يقولون: (رُبَّما)، بالتثقيل وضمِّ الراء، وتيم الرباب من تميم يقولون: (رَبَّما)، بالتثقيل وفتح الراء. ونقل قطرب: «أنَّ يُونُس زعم أنهم يقولون: (رُبْ رَجُلٍ) بإسكانِ الباءِ، و(رُبَّما كان ذاك)، و(رَبَّما كان ذاك)، لغة بني كلاب

=

وهي تستعملُ: تارةً للتعليل، وتارةً للمبالغة في الوعيد، وهي في هذا الموضع: على وجهِ الوعيدِ، كما تقولُ العربُ: لعلَّك ستندمُ على فعلِك، وتقول: لا تفعلْ كذا؛ فإنك إنْ فعلتَ (ربما تندمُ)(١)؛ ولا يشُكُّ قائلُ هذا القول(٢) في أن فاعلَ هذا الفعلِ [سيندمُ](٣) عليه لا محالةَ، إلا أنه يقولُ ذلك له على وجه المبالغةِ في التحذير.

=

الفتح. وذكر الفراء في كتابه «لغات القرآن» لغة أهل الحجاز وكثير من قيس وأسد وتميم وتيم الرباب من تميم بمثل ما ذكره قطرب. وقال النحاس: «...التخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقيل لغة تميم وقيس وبكر..».

ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة الحجر) (عزاه إلى محمد بن صالح). كتاب فيه لغات القرآن: ٧٨. إعراب القرآن للنحاس: ٣٧٦/٢.

*وكذلك فيها قراءات متواترةٌ وشاذة: فالقراءاتُ المتواترة فيها: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: (رُبَّمَا) مشددة. وقرأ عاصم ونافع: (رُبَمَا) خفيفة.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٦. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦٠.

والقراءاتُ الشاذة: قرأ أبو زيد (رَبما)، بالفتح والتخفيف، وقال: «سمعتُ أبا قرة يقرؤها كذلك»، وقرأ الأعشى (رُبَما)، بالضم والتخفيف، كما نسبها لهما ابن خالويه، ووافقه الكرماني في قراءة أبي قرة، وزاد قراءة سعيد بن جبير بفتح الراء وتشديد الباء.

ينظر: مختصر في شواذ القرآن: ٧٥. شواذ القراءات: ٢٦٤.

(١) فيما اطلعت عليه من المصادر، لم أقف على من قال: إن (رب) للتعليل والوعيد، والذي وقفت عليه أنهم ذكروها للتقليل؛ لكن قد يكون الغزنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذهب إلى أنها للوعيد من خلال وقوفه على ما ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٨٢/٢)، حيث قال: «يُقال: كيف دخلت (رب) على فعل لم يكن؛ لأن مودَّة الذين كفروا إنما تكون في الآخرة؟ فيقال: إن القرآن نزل وعدُه ووعيده وما كان فيه حَقًّا فإنه عِيان، فجرى الكلام فيما لم يكن منه كمجراه في الكائن...»، فلعله استنبط أنها للوعيد. والذي في كتب اللغة أنها للتقليل.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٤٨-٤٤٩. الأصول في النحو: (٤١٦/١-٤١٩). شرح كتاب سيبويه: (٢٠٤/١)، (٧٢/١)، (٤٩٢/٢). الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٢١-٣١٩.

(٢) يقصد الجملة السابقة: (ربما تندم).

(٣) في الأصل، ز: (الفعل **سيدوم**)، ولا يستقيم به السياق.

وأما قولُه تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ فمعناه: اترُكْهم يا محمدُ -صلَّى الله عليه وسلم- يأكلوا في الدنيا كالأنعام، ويتلذَّذوا قليلًا قليلًا، ويَشغَلْهم الأملُ الطويلُ عن طاعة الله، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ماذا ينزلُ بهم من العذاب[١].

وعن رَّسُول اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: ((أخوفُ ما أخافُ على أمتي شيئانِ اثنان: طولُ الأملِ، واتباعُ الهوى، فأما طولُ الأمل: فيُنسي الآخرةَ، وأما اتباعُ الهوى: فيُضِلُّ عن الحقِّ))[٢].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٤/٢. تفسير الطبري: (١٣/١٤-١٤). بحر العلوم: ٢١٤/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٦-٢٧)، والشجري في «الأمالي الخمسية» (٢٢٤/٢)، كلاهما عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا مطولًا. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٧)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا مطولًا. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩/٧)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا بنحوه. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٦٩/١-٢٧٠)، وابن عمران الموصلي في «الزهد» (٣٠٤/١)، ووكيع في «الزهد» (٢/-٤٤١-٤٣٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠/١٩))، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (١٠٧)، وفي «فضائل الصحابة» (٥٣٠/١)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٩٠/١-٢٩١)، وأبو داود في «الزهد» (١١٦)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٥٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٩٢)، وفي «شعب الإيمان» (٣٦٩/٧)، جميعهم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا مطولًا.

[٤-٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝﴾

معناه: وما أهلكنا من أهلِ قريةٍ إلا ولهم ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ فيه مدةُ بقائهم، ووقتُ فنائهم، لا تَهلِكُ ﴿أُمَّةٍ﴾ قبل أجلِها الذي كُتب لها، ولا تؤخَّرُ ﴿أُمَّةٍ﴾ عن أجلِها طرفةَ عين، فلا يغُرنَّ هؤلاء الكفارَ تأخرُ وقتِ هلاكهم، فإنه إذا جاء الوقتُ الذي كتَب اللهُ تعالى له؛ لم يتأخرْ عنه، كما لا يتقدمُ عليه(١).

وفي هذا بيانُ أنه لا يموتُ أحدٌ، ولا يُقتل، إلا لأجلِه الذي جعَله الله تعالى، ولا يعترضُ على هذا قول مَن يقول: كان يجبُ أن لا يكونَ القاتلُ ظالمًا للمقتول؟

لأنه؛ وإن كان المعلومُ من حال المقتول أنه سيموتُ في ذلك الوقت لا محالةَ لو لم يُقتل، ولكنه كان يموتُ من غير آلامِ القتل، فكان القاتلُ بإيصال تلك الآلامِ إليه ظالمًا له.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٤. بحر العلوم: ٢/٢١٥. تفسير الماوردي: ٣/١٤٨.

[٦-٩] قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾

معناه: قالت الكفارُ من أهل مكةَ -وهم: عبدُ الله بنُ أمية المخزوميُّ[١]، وأصحابُه[٢]- قالوا للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكرُ في دَعْواه وزعمه، إنك لمجنونٌ في دَعْواكَ أنَّه نُزل عليك هذا[٣]؛ فإنهم كانوا لا يُقرُّون بأن القرآنَ أُنزل عليه[٤].

ويُقال: إنما نسبوه إلى الجنون لأنه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- كان يتغيَّرُ وجهُه وقتَ نزولِ الوحيِ عليه[٥].

وقولُه تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ معناه: قالوا: هلَّا تأتينا بالملائكة منَ السماءِ، فيشهدون أنك رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيما تَدَّعي[٦]؟!

وقولُه تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ جوابٌ منَ اللهِ تعالى لهم[٧]، يقولُ: ما ننزلُ الملائكةَ من السماءِ إلا بالحق، أي: إلا بالرسالةِ، والعذابِ، والموتِ؛ وكلُّ ذلك حقٌّ[٨].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) ذكر مقاتل في «تفسيره» مجموعةً منهم؛ فقال: «نزلت في عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث وهو ابن علقمة من بني عبد الدار بن قصي، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش، والوليد بن المغيرة...». ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: (٤٢٤/٢-٤٢٥). تفسير الطبري: ١٥/١٣. بحر العلوم: ٢١٥/٢.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤٠/٣.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤٠/٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/١٤. بحر العلوم: ٢١٥/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٦٤/٥.

(٧) ينظر: التفسير البسيط: ٥٤٥/١٢. التفسير الوسيط: ٤٠/٣. زاد المسير: ٧٥٤.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: (١٧/١٣-١٨) (أخرجه عن مجاهد). بحر العلوم: ٢١٥/٢. تفسير السمعاني: ١٣٠/٣.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾ أي: ما كانوا مؤجَّلين إذا نزَلت عليهم الملائكةُ(١)، بل يُستأصَلون بالعذابِ حينئذٍ، إلا مَن يكونُ المعلومُ من حاله أنه يؤمنُ، أو يؤمنُ من نسلٍ أنسلَه(٢).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ أرادَ به القرآنَ(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: جعلناه /٢/٨٨ظ/ مُعجِزًا لا يُقدَرُ على الإتيانِ بمثله، فهو محفوظٌ من الزيادة والنقصان(٤).

ويُقال: هو محفوظٌ من كيد المشركين، لا يُطالُ، فيبقى إلى آخرِ التكليفِ، يحفظونه عصرًا بعد عصرٍ، حتى يكونَ به الحجةُ على الناسِ.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٠. بحر العلوم: ٢/٢١٥. التفسير البسيط: ١٢/٥٤٦ (عزاه إلى ابن عباس).

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ١٩/١٦٣.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٢٥. تفسير الطبري: ١٣/١٨. تأويلات أهل السنة: ٣/٤١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/١٨. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٠. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٨٦٥.

[١٠-١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾

معناه: ولقد أرسلنا من قبلِك في الأمم الأوَّلين(١).

والشِّيَعُ: جمعُ شِيعةٍ(٢)، والشيعةُ: الأمةُ والفِرْقة(٣).

ولم يذكر رُسلًا؛ لأن قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يدلُّ عليه(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ معناه: كان لا يأتيهم رسولٌ مُرسَلٌ إليهم إلا كانوا به يستهزؤون؛ في إنكارِ التوحيدِ، والبعثِ، والنشورِ، كما يفعلُ بك قومُك(٥).

وفي هذا تسليةٌ للنبي -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فيما كان يَلْقاه من أذى الكفارِ(٦).

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ قيل معناه: كذلك نسلُكُ القرآنَ في قلوب المُجرِمين؛ أن نسمعهم ونفهمهم، ثم لا يؤمنون به(٧).

ويُقالُ: معناه: كذلك نسلكُ الاستهزاءَ في قلوبِ المجرمين(٨)، بأن يَخطِرَ ببالهم حتى يمتنعوا عنه، إلا أنهم كانوا لا يمتنعون عنه.

ويُقالُ: معناه: كما سلَكْنا في قلوبِ شِيَعِ الأولين أنْ كذَّبُوا، كذلك نسلُكُه -يعني

(١) ينظر: مجاز القرآن: ٣٤٧/١. تفسير الطبري: ١٩/١٤ (أخرجه عن ابن عباس، وقتادة). تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥ (عزاه إلى ابن عباس وقتادة).

(٢) ينظر: مجاز القرآن: (١٩٤/١)، (٣٤٧/١). تفسير الطبري: ١٩/١٤. تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥.

(٣) /ز/ظ ٣٥٨/. *ينظر: مجاز القرآن: ١٩٤/١. تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٩/١٤. تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٦٦/٦.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢١٥/٢. تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥. التفسير الوسيط: ٤٠/٣. تفسير السمعاني: ١٣١/٣.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي: ٤٣٢/١٥. التفسير البسيط: ٥٥٠/١٢. تفسير السمعاني: ١٣١/٣. تفسير البغوي: ٣٧٠/٤.

(٧) ينظر: تفسير الماوردي: ١٥٠/٣. تفسير السمعاني: ١٣١/٣. المحرر الوجيز: ٢٧٦/٥.

(٨) ينظر: تفسير الماوردي: ١٥٠/٣ (عزاه إلى قتادة). التفسير البسيط: ٥٥٢/١٢. زاد المسير: ٧٥٥.

التَّكذيبَ- في قلوبِ المجرمين[١].

وقال قتادةُ -رحم[ةُ][٢] الله عليه-: «إِذَا كَذَّبُوا سَلَكَ اللهُ تعالى في قُلُوبِهِم أَلَّا يُؤْمِنُوا»[٣]، كما قال اللهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٤].

ومَن قرأ: (نُسْلِكُهُۥ) بضمّ النونِ[٤]، فهو مِن: أَسْلَكَ يُسْلِكُ.

يُقالُ: سَلَكْتُ الخَيْطَ فِي الإبرةِ، وأَسْلَكْتُهُ: إذَا أَدْخَلْتَهُ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ معناه: قد مضَتِ الأوَّلون[٦] بعذابِ الاستئصال عند معاندتِهم في التكذيبِ بعد الآياتِ[٧].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٥/٢. تفسير الطبري: (٢٠/١٤-٢١) (أخرجه عن ابن جريج، وقتادة). تفسير الماوردي: ١٥٠/٣.

(٢) في الأصل: (قتادة **رحم**)، سقطت التاء المربوطة، والمثبت من ز.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٥/١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/١٤)، كلاهما عن قتادة بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٩٤/٨-٥٩٥)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بزيادة في آخره.

(٤) ذكرها الزجاج من غير نسبة، وكذا السمرقندي والكرماني.

ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٧٤/٣. بحر العلوم: ٢١٥/٢. شواذ القراءات: ٢٦٤.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢١٥/٢. الغريبين في القرآن والحديث: ٩٢٠/٣. تفسير الزمخشري: ٥٥٩.

(٦) في الأصل، ز: (مضت **الأولين**)، وهو خطأ؛ والصواب ما أثبته؛ لأنه جمع مذكر سالم.

(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤٢/٣.

[١٤-١٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

معناه: ولو فتحنا على هؤلاء الكفارِ ﴿بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ينظرون إليه، فظلُّوا يصعَدون إليه وينزِلون عنه، لم يؤمنوا.

وقالُوا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾(١): وقالوا: أُخِذت أبصارُنا(٢)، وغُطِّيَت، وأُغشِيت عن حقيقة الرؤية، ونحن قومٌ قد سُحِرنا، ويُخَيَّل إلينا هذه الأشياءُ على خلافِ حقائقِها(٣)، كما قالوا -حين انشقَّ القمرُ عاينوه-: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢](٤).

ويُقالُ: معنَى: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: فظلَّت الملائكةُ يصعَدون إليه، وينزِلون عنه بالوحي؛ من قولهم: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾(٥).

ومَن قرأ: (سُكِرَتْ) بالتخفيف(٦) فهو من: السَّكَر والسُّكْر(٧).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥/١٤ (أخرجه عن قتادة). إعراب القرآن للنحاس: ٣٧٨/٢. تفسير الثعلبي: ٤٣٤/١٥ (عزاه إلى الحسن).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٢٧/١٤-٢٨) (أخرجه عن ابن عباس، وقتادة). بحر العلوم: ٢١٥/٢. تفسير الثعلبي: ٤٣٤/١٥ (أخرجه عن قتادة).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٧٨/٢. تفسير الزمخشري: ٥٥٩.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥١. بحر العلوم: ٢١٦/٢. تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨١/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: (٢٣/١٤-٢٤) (أخرجه عن ابن عباس، وابن جريج، والضحاك). التفسير البسيط: ٥٥٧/١٢ (عزاه إلى ابن جريج).

*ورجح أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ القول الثاني الذي ذكره الغزنوي؛ وهو: أن المقصود بالآية: الملائكة، فقال الثعلبي في «تفسيره» بعد ذكره لهذا المعنى: «...هذا قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأكثر العلماء». وقال الواحدي في «البسيط»: «القول الثاني: أن هذا العروج للملائكة؛ لأنه هو المعروف المشهور...، وهذا قول ابن عباس وابن جريج وجماعة». وقال السمعاني في «تفسيره»: «...الأكثرون على أنهم الملائكة، والقول الآخر أنهم المشركون». وقال البغوي: «...أي: فظلت الملائكة يعرجون فيها....، هذا قول الأكثرين»، ثم بعد ما ذكر المعنى الآخر؛ أن الكفار ظلوا يعرجون، قال: «والأول أصح».

ينظر: تفسير الثعلبي: ٤٣٤/١٥. التفسير البسيط: ٥٥٦/١٢. تفسير القرآن: ١٣٢/٣. تفسير البغوي: ٣٧١/٤.

(٦) ابنُ كثير. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٦. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦٠.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦/١٣. معاني القرآن للنحاس: ١٤/٤ (عزاه كلاهما إلى أبي عمرو بن العلاء). الحجة للقراء السبعة: ٤٣/٥.

وقراءةُ التَّشديدِ[1] لتكثيرِ الفعلِ[2] والمبالغةِ: كما في: ﴿فُتِّحَتْ﴾ [الزمر:٦٨] ﴿وَفُتِّحَتْ﴾ [الزمر: ٧٠،...]. وبالله التوفيق.

(١) قراءة: نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.
ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٦. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٣. التبصرة في القراءات السَّبع:٥٦٠.
(٢) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٣٥٢/٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ٣٠/٢. شرح الهداية: ٣٧٥/٢.

[١٦-١٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلاَّ مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾

معناه: ولقد خلَقْنا في السماءِ بروجًا.

والبُرُوجُ هي: منازلُ الشمسِ والقمر وغيرِهما من الكواكب السبعةِ؛ وهي اثنا عشرَ بُرْجًا، يسميها الحُسَّابُ: الحَمَلَ، والثَّوْرَ، إلى آخِرِ أسمائها المعروفة(١).

والبُرْجُ في اللُّغةِ: هو المنزلُ الظَّاهرُ المنيعُ الحَصِين، كما يُقال: بروج السُّور(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ أي: زيَّنا السماءَ بالكواكب للناظرين إليها(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾ أي: حفِظنا السماءَ نحنُ مِن أن يدخُلَ فيها شيطانٌ، وأن يحصل منها في موضع يمكنُهم الاستماعُ إلى كلام الملائكة(٤).

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: «كان أهلُ الجاهلية من الكَهَنة، ولا يكونُ كاهنٌ إلا ومعه تابعٌ من الجن، فينطلقُ الشياطينُ الذين كانوا معهم، فيقعُدون في السماء مقاعدَ للسمع، فيستمعون إلى ما هو كائنٌ في الأرض من الملائكة، فيقولون به على ألسنةِ كَهَنتِهم، فيقولون: إنه قد كان كذا وكذا من الأمرِ، فتُفْشِيه كَهَنتُهم إلى الناس، فيـ[ـتـ]ـكلمون(٥) به قبل أن ينزلَ على النبي -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-، فإذا تكلَّم به النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- بعد ذلك، قالوا: قد علِمنا قبلَه. وكانت الشياطينُ لا تُحجَب عن السماواتِ كلِّها حتى بُعث [عيسى بنُ مريم](٦) -عليه السَّلامُ-، فلمَّا بُعث مُنِعوا عن ثلاثِ سماوات فلم يَصِلوا إليها، وكانوا يصعَدون في أربعِ سماوات، إلى أن بعَث اللهُ تعالى محمدًا -صلَّى اللهُ عليه وسلم- خاتمَ النبيين، فمُنعوا عن /٢/و٨٩/ السماواتِ السبعِ، وحُرِست السماءُ بالنجوم والملائكةِ، وكان

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٢. معاني القرآن للنحاس: ١٥/٤. تفسير الثعلبي: (٤٣٥/١٥-٤٣٤).

(٢) ينظر: العين: (ب ر ج). تهذيب اللغة: (ب ر ج). لسان العرب: (ب ر ج).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٦/٢. تفسير الطبري: ٣٠/١٤. بحر العلوم: ٢١٦/٢.

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣٦. تأويلات أهل السنة: ٤٥/٣. معاني القرآن للنحاس: ١٧/٤.

(٥) في الأصل، ز: (الناس **فيكلمون**)، سقطت التاء، والمثبت من المراجع؛ لما يقتضيه السياق.

(٦) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من المرجع.

الشيطانُ الماردُ منهم يشري نفسَه لإبليسَ، فيصعدُ ويكون آخَرُ أسفلَ منه، فإذا استمع قال للذي أسفلَ منه: قد كان كذا وكذا من الأمر، فيهرُب، ويُرمَى الذي يستمعُ بالشهاب، منهم مَن يأتي على نفسه، ومنهم مَن يُخبَل؛ فذلك قولُه تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾»[١] [معناه][٢]: لكنْ مَنِ اختلسَ السمعَ خُلْسةً[٣].

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ أي: لحِقَه نجمٌ مضيءٌ حارٌّ متوقِّد[٤].

والشهابُ هو: الكوكبُ المُنقضُّ[٥]، وانقضاضُ الكوكبِ: انفصالُ شيءٍ منه حتى يُرى كأنه شراراتٌ من النار، وأمَّا الكواكبُ فبِحالِها.

قال الزجَّاجُ: «ومن الدليلِ على أن الشهبَ هي الكواكبُ المنقضَّةُ؛ كانت من بعدِ مولدِ النبي -صلَّى اللهُ عليه وسلم- أنَّ شعراءَ العربِ كانوا في الجاهلية يمثِّلون في السرعة بالبرقِ والسيلِ ونحوِهما، من الأشياء المسرعة، لا يوجدُ في أشعارها بيتٌ ذُكر فيه الكواكبُ المنقضَّة،

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقنديُّ في «تفسيره» (٢١٦/٢)، عن ابن عباس بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (٤٣٦/١٥)، والواحدي في «البسيط» (٥٦٦/١٢)، وفي «الوسيط» (٤١/٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣٧٢/٤)، والرازي في «تفسيره» (١٧٣/١٩)، جميعهم عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. والماوردي في «تفسيره» (١٥٢/٣)، والسمعاني في «تفسيره» (١٣٢/٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨٧/١٢)، جميعهم عن الكلبي ببعضه. والزمخشري في «تفسيره» (٥٥٩)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٥٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨٧/١٢)، جميعهم عن ابن عباس ببعضه.

*اختلفت أقوال أهل العلم في الشهاب: هل هو يقتل أم لا؟ قال ابن عباس: «إنَّ الشُّهُبَ لا تَقْتُلُ، ولكن تَحرِقُ وتُخبِّلُ وتَجْرَحُ، مِن غَيرِ أنْ تَقْتُلَ» أخرجه الطبري عنه في «تفسيره». وذكر الواحدي في البسيط عنه -ابن عباس- أنه قال: «...وذلك أن المارد يعلو فيُرمى بالشهابِ، فتصيب جبهته أو جبينه أو حيث شاء الله منه فيحرقه ولا يقتله، ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري». وقال الحسن وطائفة: إنه يقتل، كما ذكره الماوردي وابن عطية عنه. وذكر البغوي القولين فقال: «...فمنهم من تقتله، ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تخبله فيصير غولًا يُضل الناس في البوادي».

ينظر: تفسير الطبري: ٣٣/١٤. تفسير الماوردي: ١٥٣/٣. التفسير البسيط: ٥٦٧/١٢. تفسير البغوي: ٣٧٢/٤. المحرر الوجيز: ٢٧٩/٥.

(٢) في الأصل، ز: (﴿ٱلسَّمْعَ﴾ **معنا**)، سقطت الهاء.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢١٦/٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢١٦/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٠٨٤/٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٣.

فلما حدَثت بعد مولدِ النبي -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- استَعمَلت الشعراءُ ذكرَها، كما قال ذو الرُّمَّة[١]:

كَأَنَّـهُ كَوْكَـبٌ فِي إِثْـرِ عِفْرِيَـةٍ[٢]   مُسَـوَّمٌ فِي سَـوادِ اللَّيـلِ مُنْقَضِـبُ[٣]»[٤]

فإن قيل: كيف يجوزُ من الشياطينِ أن يَصيروا إلى موضعٍ يَحترقون فيه وهم عقلاءُ؟

قيل: إنهم يَدْنُون من السماء[٥] في وقتٍ لا تتكلمُ فيه الملائكةُ، ولا يمكنُ استراقُ السمعِ، ولا يُرجَمون، وقد يدنون من السماء لاستراقِ السمع؛ لا يُظهرون أنفُسَهم أنهم يستمعون، فإذا استرَقوا السمعَ علِم بهم الملائكةُ، فرمَوْهم بالشُّهُب. فالعاقلُ إذا كان قد يُصيبُه الضررُ من الشيء وقد لا يصيبُه؛ فإنه يَتعاطاه.

فإن قيل: كيف يجوزُ أن يكونَ الشهابُ هو الكوكبَ المنقضَّ، ونحن لا نشاهدُ حركاتِ الشمس والقمرِ مع كبرِ جثتِهما، فكيف يُشاهَدُ حركاتُ الشهابِ مع بُعدِه؟

قيل: فيه قولان:

أحدُهما: أن الملائكةَ قد يلتقي بعضُهم ببعض بين السماء والأرض، فيدنو الشياطينُ منهم لاستراق السمع، فيُرمَون بالشهاب، فلا نرى نحن ذلك الشهابَ؛ لبُعده عنا.

والثاني: أن حركاتِ الشهاب تكونُ سريعةً لا يقعُ في خلالها سكونٌ، فنرى حركاتِها، بخلاف حركاتِ الشمسِ والقمر.

---

(١) غَيْلانُ بنُ عُقْبة بنِ بُهَيْش، أبو الحارث المُضَري العَدَوي. الشاعر المشهور بذي الرُّمة. توفي سنة سبع عشرة ومئة. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب: ٣٧٦/١. الأنساب للسمعاني: ٢٣/٦. تاريخ الإسلام: (٢٣١/٣-٢٣٢).

(٢) العفاريت. ينظر: لسان العرب: (ع ف ر).

(٣) البيت في ديوانه: ١١١/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٣-٤٥٤.

(٥) /ز/و٣٥٩/.

[١٩-٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠﴾

معناه: والأرضَ بسَطْناها على الماء من تحت الكعبة[١]، وألقَينا في الأرض جبالًا ثوابت أوتادًا لها، ولا يمتنعُ أن تكونَ الأرضُ على الماء، ولو كانت خاليةً عن الجبال لَمَادَتْ بأهلها[٢]، فلما ألقَى اللهُ عزَّ وجل فيها الجبالَ إعلامًا للناس يثبِّت بها الأرض.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ يجوزُ أن يكون المعنى: وأنبَتْنا في الجبال من كلِّ ما يُوزن، مثل: الذهب، والفضة، والحديد، والصُّفْر[٣]، والرَّصاص، ونحو ذلك[٤].

ويجوزُ أن يكون المعنى: وأنبتنا في الأرض من كلِّ شيءٍ؛ من النبات، والثمار[٥]. مقدور مقسوم لا يجاوزُ ما قدره الله تعالى على ما تقتضيه الحكمةُ[٦].

وأمَّا تخصيصُ الموزون: فلأنَّ ما يُكالُ من الحبوب فعاقِبَتُه الوزنُ أيضًا[٧].

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ معناه: وخلقنا لكم في الأرض معايشَ تعيشون بها، منها تأكلون، وتشربون، وتلبَسون[٨].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ معناه: وجعلنا، لِمَن لستُم له برازقين؛ معايشَ من الدوابِّ وغيرها، وجاز (مَن) لغير الناس[٩]، كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ يَّمْشِي عَلَىٰ

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٦/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٧٢/٦. تفسير الماوردي: ١٥٣/٣(عزاه إلى قتادة).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٦/٢. التفسير البسيط: ٥٦٨/١٢. تفسير القرطبي: ١٩١/١٢.

(٣) النحاس الجيد. ينظر: لسان العرب: (ص ف ر).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٦/٢. تفسير الطبري: ٣٦/١٤. بحر العلوم: ٢١٧/٢. التفسير البسيط: ٥٧٠/١٢ (عزاه للكلبي، وذكر أنه قول ابن زيد والحسن واختيار الفراء).

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢١٧/٢. تفسير الثعلبي: ٤٤٥/١٥. تفسير البغوي: ٣٧٤/٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٤.

(٧) ينظر: التفسير البسيط: ٥٦٨/١٢.

(٨) ينظر: تفسير السمعاني: ١٣٤/٣. تفسير البغوي: ٣٧٤/٤. تفسير القرطبي: ١٩٢/١٢.

(٩) يقصد استعمال الاسم الموصول (مَن) لغير العاقل. ينظر للاستزادة: أوضح المسالك: (١٤٨/١-١٤٩).

بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٣][(١)].

ويُقالُ: معناه: وجعلنا لكم مَن لستم له برازقين، كأنه قال: جعلنا لكم فيها معايشَ، وجعلنا لكم الصيدَ، والدوابَّ، والأنعامَ، وكفيناكم مؤونةَ أرزاقِها[(٢)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٥ (وهذا المعنى رجحه الزجاج).

[٢١-٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝﴾

معناه: وما مِن شيءٍ يحتاجون إليه -من النباتِ، والثمارِ، والأمطارِ- إلا ومفاتحُه إلينا وفي مقدورِنا، وذكَر الخزائنَ تشبيهًا بالمقدورِ؛ بالخزائنِ المُعَدَّةِ للأشياء[١].

قولُه تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ معناه: وما ننزلُ الرزقَ والمطرَ إلا بمقدارٍ معلوم تقتضي الحكمةُ إنزالَه، ويعلمُ الخُزَّانُ مقاديرَه[٢]، كما رُوي في الخبر: مع كل قطرةٍ [ملَك][٣] يضعُها/٢/ظ٨٩/ موضعَها[٤].

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «إلا يومَ الطُّوفانِ الذي أَغرق اللهُ تعالى فيه قومَ نوح -عليه السَّلام-، فإنه قد طغَى الماءُ يومئذٍ على خُزَّانِه، وكثُر، فلم يحفظوا ما خرج منه يومئذٍ»[٥]. وإنما كان يقولُ ذلك استدلالًا بقوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٠].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ معناه: وأرسلناها ذاتَ لَقاحٍ تأتي بالسحاب، وتُلقِحُ الشجرَ[٦]، هذا كما رُوي في الخبر: ((وَمِنْ شَرِّ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ))[٧]، أي: ذاتِ إلمامٍ،

---

(١) من قوله: «وذكر الخزائن...»، إلى قوله: «المعدة للأشياء»، ينظر: التفسير البسيط: ١٢/٥٧٥ (عزاه إلى أهل المعاني).

(٢) عامة أهل التفسير فسَّروه على أنه المطر وحده. ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٢٧. تفسير الطبري: (١٤/٣٩-٤٠) (أخرجه عن عبد الله بن مسعود، وابن جريج، والحكم بن عتيبة). بحر العلوم: ٢/٢١٧. تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٨٢. وغيرهم من أهل التفسير.

(٣) سقطت من الأصل، والمثبت من ز، وكذا هي في المرجع.

(٤) أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١/٢٨)، عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولًا.

(٥) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقنديُّ في ((تفسيره)) (٢/٢١٧)، عن ابن عباس بنحوه.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٤٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٥. تفسير الثعلبي: ١٥/٤٤٨.

(٧) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٧-١٥١/كتاب النعوت/باب كلمات الله سبحانه وتعالى)، (٩-٣٧٠/كتاب عمل اليوم والليلة/باب ذكر ما كان إبراهيم ﷺ يُعوِّذ به إسماعيلَ وإسحاقَ صلى الله عليهما وسلم)، عن ابن عباس في أثناء الحديث.

فتكونُ لامَّة بمعنى: مُلِمَّة[١]، كذلك الريح اللاقحة هي: المُلقِحة للسَّحاب، أي: المحيلة للسحاب المطار.

ويجوز أن تُسمى الريحُ لاقحةً على معنى أنه يُلقَح بها؛ يُقالُ: ليلٌ نائمٌ، ويوم ماطرٌ[٢].

قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ -رضيَ اللهُ عنه-: «يَبْعَثُ اللهُ الرِّيحَ فَتُلْقِحُ السَّحابَ، ثُمَّ تَمْرِيه[٣] فَتَدِرُّ كما تَدِرُّ اللِّقْحَةُ[٤]، ثُمَّ تُمْطِرُ»[٥].

وعنه -رضيَ اللهُ عنه- أنه قال: «خلق اللهُ تعالى الماءَ في الريحِ، فتُفرِغُه الريحُ في السحابِ، ثم تَمْرِيه»[٦].

وقولُه تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا[٧] مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: أنزلنا من نحوِ السماءِ المطرَ[٨] الذي أمرَّهُ السحابُ بوزنٍ معلوم.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلناه في الأرض سُقيا لكم، حتى حبَسْتموه في

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥/ ٤٥٠ (عزاه إلى أبي عبيدة، ولم أقف عليه عند أبي عبيدة).

(٢) من قوله: «ويجوز أن تسمى الريح لاقحة»، إلى قوله: «ويوم ماطر»، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٨٧. تفسير الطبري: ١٣/ ٤٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/ ٣٨٧٧ (عزاه كلاهما إلى بعض نحويي الكوفة – وهو قول الفراء).

(٣) مَرَتِ الريحُ السحابَ: إذا أنزلت منه المطر. ينظر: لسان العرب: (م ر ا).

(٤) اللِّقحة: الناقة من حين يسمن سنام ولدها، لا يزال ذلك اسمها حتى يمضي لها سبعة أشهر ويفصل ولدها. وقيل: الناقة الحلوب الغزيرة اللَّبن. ينظر: لسان العرب: (ل ق ح).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٣)، عن عبد الله بن مسعود بلفظه. وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق» (١٥٢)، والطبري في «تفسيره» بإسنادين، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٥٠٨)، جميعهم عن ابن مسعود بنحوه. وأخرجه البزار في «مسنده» (٨/ ١٨٠-١٧٩)، عن ابن مسعود ببعضه. والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٥٠٨)، كلاهما عن ابن مسعود مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٢)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، عن ابن مسعود بنحوه.

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد سبق تخريج ما في معناه في الأثر السابق.

(٧) في الأصل، ز: (وأنزلنا) بالواو، وهو خطأ.

(٨) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/ ٤٦. بحر العلوم: ٢/ ٢١٧. تفسير الثعلبي: ١٥/ ٤٥١.

الغُدْرانِ(١)، والحِيَاض(٢)، [لتكفُّوا بها](٣) الزرع والمواشي(٤).

يقُالُ: أَسْقَيْتُ فلانًا: إذا جعلتَ له سُقيا، وسَقَيْتُه: إذا أعطيتَه الماءَ يشربُ.

وقد يُقال: سَقَى وأَسْقَى بمعنًى واحدٍ(٥).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ أي: لستم لذلك الماء بخازنين، وليس مفاتحُه بأيديكم، فآتاكم(٦).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ فيه بيانُ أنَّ الله تعالى إنما أنعمَ على عبادِه بهذه النعمِ، لا للبقاءِ في الدنيا، ولكن ليَبتلِيَهم بالخير والشر، فيجازيهم على أفعالهم في الآخرةِ، وذلك قولُه تعالى:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي: نحيي بالبعث في الآخرة، ونميت(٧) في الدنيا(٨).

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ لِمَا في السماوات والأرض بعد موتِ أهلها.

ومعنى الإرثِ: أن الخلائقَ كلَّهم يموتون، ولا يبقى إلا اللهُ الواحدُ القهار، وما يَبْقى للحيِّ بعد الميت يُسمَّى: ميراثًا(٩).

---

(١) القطعةُ من الماء يغادرها السيل، أي: يتركها. ينظر: لسان العرب: (غ د ر).

(٢) جمعُ: حوض؛ وهو مجتمع الماء المعروف. ينظر: لسان العرب: (ح و ض).

(٣) كتبت في الأصل: (لتكمناه)، وفي ز: (ليكرها)، ولم أتمكن من قراءتها، ولعل ما أثبته هو الصواب، بمعنى: أي تكون كافية للزرع والمواشي. وما ذكره المصنف هو بنحو ما ذكره السمرقندي، والنص المذكور عند الأخير: «...في الغدرانِ والحياضِ لتسقوا الضياع والمواشي». ينظر: بحر العلوم: ٢/٢١٧.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢١٧.

(٥) من قوله: «يقال: أسقيت فلانًا إذا جعلت له سُقيا...»، إلى قوله: «سقى وأسقى بمعنى واحد»، ينظر: العين: (س ق ى). مجاز القرآن: (١/٣٤٩-٣٥٠). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٠. جمهرة اللغة: (س ق ى). *وهما لغتان؛ نصَّت المصادر السابقة على ذلك.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٢٧. تفسير الطبري: ١٤/٤٧. بحر العلوم: ٢/٢١٧.

(٧) /ز/ظ٣٥٩/.

(٨) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢١٧.

(٩) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٢٧. تفسير الطبري: (١٤/٤٧-٤٨). بحر العلوم: ٢/٢١٧.

[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

معناه: ولقد علِمنا المتقدِّمين الماضِين منكم.

ويُقال: ولقد علِمنا الباقِين[١].

ويُقال: معناه: ولقد علِمنا الأوَّلِين منكم والآخِرِين، ولقد علِمنا السابِقِين منكم إلى الطاعة، ولقد علِمنا المتأخِّرين عن الطاعة[٢].

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: وذلك أن رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- قال: ((إنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ المُقَدَّمِ))[٣]، وكان يقولُ: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ

(١) من قوله: «معناه: ولقد علمنا المتقدمين الماضين منكم»، إلى قوله: «علمنا الباقين»، لا أعلم ما يرمي إليه المصنف؛ فللآية الكريمة عدة معانٍ يحتملُها كلامه، وقد ذكرها المفسرون في تفسيرهم للآية؛ منها: ما ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤٢٧/٢): علم المتقدمين من بني آدم مَن مات منكم، وعلم مَن بقي ولم يمت. والطبري في «تفسيره» (٤٨/١٤) ذكر عدة أقوال وأخرجها بإسناده -كما هي عادته- ومنها: علم مَن مضى مِن الأمم وخلق، ومَن لم يخلق. والقول الآخر في الآية له (٥٠/١٤): المستقدمين الذين هلكوا، والمستأخرين الذين لم يهلكوا. وقول آخر (٥١/١٤): المستقدمين في أول الخلق، والمستأخرين في آخرهم. وكذا قال فيها (٥١/١٤): المستقدمين من الأمم، المستأخرين من أمة محمد. وذكر صاحب «بحر العلوم» (٢١٧/٢) من معانيها: المستقدمين: الأموات، والمستأخرين: الأحياء. وقال كذلك (٢١٨/٢): المستقدمين: ما مضى، والمستأخرين: ما بقي من أمة محمد. وغيرها من الأقوال التي ذكرها أهل التفسير تامة، ولم يبين الغزنوي ما أراد بمعنى (الماضين)، و(الباقين)، وكلامه يحتمل عدة احتمالات.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٥٢/١٤-٥٣) (أخرجه عن الحسن). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٦. بحر العلوم: ٢١٨/٢ (عزاه إلى الحسن).

(٣) لم أقف عليه مسندًا عن ابن عباس. وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٦/٣)، وأحمد في «مسنده» (٥٦٩/٣٠-حديث البراء بن عازب)، والروياني في «مسنده» (٢٤٢/١)، والسراج في «مسنده» (٢٥١-٢٥٠)، بإسنادين مختلفين، جميعهم عن البراء بن عازب بلفظه. وابن ماجه في «سننه» (١٣٢/٢-أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها/باب فضل الصف المقدم)، والسراج في «مسنده» (٢٥١)، بإسنادين مختلفين، كلاهما عن البراء بن عازب بنحوه. وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥٢/٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٠/٩)، كلاهما عن ابن مسعود بنحوه. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٧/٣)، عن عبد الله بن شداد بنحوه. وكذا أخرجه (٣٣٧/٣)، عن هشام عن أبيه بنحوه. وأخرجه كذلك (٣٣٩/٣)، عن مجاهد بنحوه. والحاكم في «مستدركه» (٧٦٥/١)، عن البراء بن عازب بزيادة في أوله. وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٠٥/٢)، والدارمي في «مسنده» (٣٢٤-كتاب الصلاة/ باب: فضل من يصل الصف في الصلاة)، وأبو داود في «سننه» (٧/٢-كتاب الصلاة/باب تسوية الصفوف)، والنسائي في «السنن الكبرى»

=

أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا))(١)، فازدحمَ الناسُ على الصفِّ المقدَّمِ الأولِ(٢).

وقال قومٌ(٣) كانت بيوتُهم قاصيةً عن المسجد: لنَبِيعنَّ دُورَنا، ولنَشترِينَّ بُيوتًا قريبةً من المسجد؛ حتى نُدرِكَ الصفَّ الأولَ، فكادت البيوتُ البعيدةُ من المسجد تخلو من القوم، فقال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَن أتى المسجدَ فإنه يُكتب آثارُه، وله بكلِّ خُطوةٍ كذا وكذا

=

(٤٣١/١-كتاب المساجد/باب كيف يقوم الإمام الصفوف)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٤٨/١)، ابن حبان في «صحيحه» (١٧٠/١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٦/٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٣/٣)، جميعهم عن البراء بن عازب بنحوه مع قصة في أوله. وأحمد في «مسنده» (٤٦٦/٣٠-حديث البراء بن عازب)، وهناد بن السري في «الزهد» (٥١٩/٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢٣٩/٢-كتاب قيام الليل وتطوع النهار/باب رفع الصوت بالأذان)، وفي «السنن الصغرى» (١٣/٢-كتاب الأذان/باب رفع الصوت بالأذان)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٦/٨)، والزهري في «حديثه» (٣٩٦/١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٧٢/٣)، جميعهم عن البراء بن عازب مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٠٧/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأبي داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم، عن البراء بن عازب بنحوه. وفي رواية أخرى (٦٠٧/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة عن مجاهد بنحوه. وفي رواية أخرى (٦٠٧/٨)، عزاه إلى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن شدَّاد بنحوه.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة/باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام)، عن أبي هريرة بلفظه.

(٢) من قوله: «فازدحم الناس...» إلى: «المقدم الأول»، أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩/٣)، عن مجاهد بنحوه مرسلًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٠٧/٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن مجاهد بنحوه (وهو جزء من الحديث الذي ذكره الغزنوي: ((إنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ...)) -وإن كان الغزنوي لم يذكر هذا الجزء في الحديث الذي أورده-. ينظر: (٤٠٢)، من هذه الرسالة). وذكره الواحديُّ في «الوسيط» (٤٣/٣)، «والبسيط» (٥٨٧/١٢)، عن الربيع بن أنس بنحوه. ومن قوله: «فازدحم الناس...»، إلى قوله: «لنشترين بيوتًا قريبة من المسجد»، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤٥٧/١٥-٤٥٦)، والواحديُّ في «أسباب النزول» (٤٥٨)، كلاهما عن الربيع بن أنس بنحوه. (وبداية قول الربيع بن أنس: «حض النبي ﷺ على الصف الأول في الصلاة...».

(٣) هم بنو عُذْرة؛ صرَّح بهم الربيع بن أنس في الأثر الذي ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤٥٦/١٥-٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٥٨).

حسنة، ويُرفَع بها كذا وكذا درجة))، فجعل الناسُ يرغبون في دُورٍ بعيدةٍ من المسجد؛ لتُكتَب آثارُهم[١]، فأنزل اللهُ تعالى قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ﴾ الآية[٢].

ومعناها: أنكم إنما تُجزَون على نياتِكم، فاطمأنُّوا لذلك وسكَنوا[٣].

وفي بعض الروايات: أنه كان في القوم مَن يتأخرُ إلى آخِر الصفوف؛ لينظُرَ إلى النساء، حتى رُوي أنه كان فيهم مَن إذا سجَد نظر إلى المرأة من تحتِ إبْطِه، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾ أي: يُحيِيهم للجزاء.

---

(١) لعلَّ الغزنويَّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما أشار إلى الحديث المرفوع للنبي ﷺ: ((من أتى المسجد فإنه يكتب آثاره...))- ولم أقف عليه-، ثم قال: «لتكتب آثارهم»، قصد الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢]؛ لأن هذه الآية ذكر الربيع بن أنس -في الأثر-الذي سبقت الإشارة إليه- أنها نزلت في بني عُذرة، هي والآية التي نحن بصدد تحقيقها. وكان لمحققي تفسير الثعلبي تعليقٌ لطيف على سبب النزول الذي ذكره الثعلبي عن الربيع بن أنس. للاستزادة ينظر: تفسير الثعلبي: (١٥/٤٥٦-٤٥٧).

(٢) ومن قوله: «وقال قوم...»، إلى قوله: «فأنزل الله...»، ينظر: بحر العلوم (بنصه): (٢/٢١٧-٢١٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٨٨. بحر العلوم: ٢/٢١٨. تفسير الخازن: ٣/٥٤.

(٤) أحد الأقوال الوادرة في معنى المستقدمين والمستأخرين، فمعنى الآية: علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة، وعلمنا المستأخرين فيها بسبب النساء، واستدلوا بعدة روايات، ومنها الرواية التي ذكرها المصنف. ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٥٤. *والرواية أخرجها: أبو داود الطيالسي في ((مسنده)) (٤/٤٣٣-٤٣٤)، وأحمد في ((مسنده)) (٥/٥-مسند عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ)، وابن ماجه في ((سننه)) (٢/١٦٢-١٦٣-باب الخشوع في الصلاة)، والترمذي في ((سننه)) (٥/١٤٧-أبواب تفسير القرآن/باب: ومن سورة الحجر)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) بإسنادين: (١/٤٥٥-باب المنفرد خلف الصف)، (١٠/١٤٣-باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠])، وفي ((السنن الصغرى)) (٢/١١٨-باب المنفرد خلف الصلاة)، والطبري في ((تفسيره)) (١٤/٥٣)، وابن خزيمة في ((صحيحه)) (٢/٨١٨)، وابن حبان في ((صحيحه)) (٥/١٨٦)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٢/١٧١)، والحاكم في ((مستدركه)) (٢/٣٨٤)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٣/١٣٩)، بإسنادين، وفي ((شعب الإيمان)) (٤/٣٦٩-٣٧٠)، والواحدي في ((تفسيره الوسيط)) (٣/٤٣)، وفي كتابه ((أسباب النزول)) (٤٥٧)، جميعهم عن ابن عبَّاس مطولًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٨/٦٠٤-٦٠٥)، وعزاه إلى الطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبَّان، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مَرْدَوَيْه، والبيهقي في ((سننه))، عن ابن عباس مطولًا.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما يستحقُّه كلُّ واحدٍ منهم. وبالله التوفيق.

[٢٦-٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

وذلك أنَّ الله تعالى لَمَّا ذكَر قولَه جلَّ ذكرُه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أَتْبَعَه بكيفيةِ ابتداءِ خلقِه لآدمَ والجنّ، فقال جلَّ ذكرُه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ يعني: آدمَ(١)؛ لأنه كالمعهود.

والصلصالُ: هو الطينُ اليابسُ الذي لم تُصِبْه نارٌ، وإذا ضرَبْتَه صَلَّ؛ أي: صوَّتَ، وإذا مسَّه النارُ فهو فَخّارٌ(٢).

والصَّلصلة: الصوتُ الشديد.

يُقالُ لصوتِ الرعدِ: صلصلةٌ.

والحَمَأُ: جمعُ الحَمْأةِ، وهي الطينُ المتغيِّر إلى السواد(٣).

والمسنون: المتغيِّرُ الرائحةِ إلى النتنِ، من قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:٢٥٨](٤).

ويُقال: هو الذي أتَى عليه السِّنُونَ(٥).

ويُقال: هو المَصْبُوب، من قولهم: سننتُ الماءَ، إذا واليتَ بين صَبِّه(٦).

وهذا /٢/و٩٠/ كلُّه إخبارٌ عن اختلاف حالات خلقة آدمَ -عليه السَّلامُ- ولا تناقضُ فيها؛ فإنه -عليه السَّلامُ- كان في الأصل ترابًا، ثم عُجن ذلك الترابُ بالماء فصار طينًا، ثم

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٥٧. بحر العلوم: ٢/٢١٨. تفسير الثعلبي: ١٥/٤٥٨.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ١/٣٥٠. تفسير غريب القرآن: ٢٣٧-٢٣٨. تفسير الثعلبي: ١٥/٤٥٩.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ١/٣٥١. تفسير الطبري: ١٤/٥٩. غريب القرآن للسجستاني:٧٧.

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣٨. بحر العلوم: ٢/٢١٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١٧٢. الأضداد: ٣٩٨. بحر العلوم: ٢/٢١٨.

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣٨. تفسير الطبري: ١٥/٦٠. الأضداد: ٣٩٨.

صار حمأً مسنونًا، ثم صُوِّر، وتُرك مُصوَّرًا حتى يبِس فصار صَلْصالا، فمكث أربعين سنةً(١)، ثم صار بشرًا؛ لحمًا ودمًا وعظمًا، ثم نُفخ فيه الروحُ.

وقال بعضُهم: الصلصالُ: هو الطينُ المُنتن، من قولهم: صَلَّ اللَّحمُ؛ إذا أنتنَ(٢).

إلا أن الأولَ أصحُّ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٢]، والطينُ لا يُنتِن إذا كان يابسًا، وإنما يُنتن إذا كان رَطْبًا(٣).

وكانت الحكمةُ في خلقته من الطين اليابسِ أن تتبينَ الملائكةُ أن ذلك ممكنٌ، إلا أنه لا يقدرُ عليه غيرُ الله تعالى، وأن يُعلِم الخلائقَ أن ضَعةَ الأصلِ لا تُوجبُ ضَعةَ الإنسان إذا نُقل إلى حالٍ شريفة، ولا شرفَ الأصلِ يوجبُ شرفَ الفرع إذا نُقل إلى حالة دنيَّة.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ قيل: إنَّ الجانَّ أبو الجنِّ؛ وهو: إبليسُ(٤).

فمَن أسلمَ من ولدِه فهو جني، ومَن كفر فهو شيطانٌ.

وقولُه تعالى: ﴿مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: من قبلِ آدمَ -عليه السَّلامُ-(٥).

وذكَر الكَلْبيُّ(٦) -رضِيَ اللهُ عنه-(٧): «أنَّ الجنَّ ولدُ الجانِّ، وليس بإبليسَ، إنما إبليسُ أبو الشياطينِ»(٨).

---

(١) ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢٢٩/١)، أخبارًا مطولةً عن خلق آدم، وفيها بعض ماذكره المصنف في مسألة أن آدم كان جسدًا من طين أربعين سنة، ثم قال معقبًا: «ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثيرٌ منه متلقًّى من الإسرائيليات».

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٥٨/١٤-٥٩). الأضداد: ٣٩٨. غريب القرآن للسجستاني: ١٢٩-١٣٠.

(٣) وهذا ما رجحه الطبري كذلك، وعلل بنحو ما علل الغزنوي. ينظر: تفسير الطبري: ٥٩/١٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣/١٤ (أخرجه عن قتادة). تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣. بحر العلوم: ٢١٨/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٣/١٤ (أخرجه عن قتادة). تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣. بحر العلوم: ٢١٨/٢.

(٦) محمد بن السَّائب الكلبي، أبو النضر الكوفي. كذاب، ليس بشيء، متروك الحديث. روى عن أبي صالح، وعن الشعبي. وروى عنه الثوري تعجبًا مما كان يقول.

ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٢٧٠/٧-٢٧١). الكامل في ضعفاء الرجال: (٢٧٤/٧،٢٧٧).

(٧) قد يكون سهوًا من النساخ في إثبات الترضي على الكلبي؛ لأن الكلبي ليس من الصحابة، ولا هو من الذين اتبعوهم بإحسان.

(٨) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١٥٨/٣)، عن الكلبي بنحوه. والبغوي في «تفسيره» (٣٧٩/٤)، من غير نسبة بنحوه.

ويُقالُ: الجانُّ: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظِه، كالناسِ لبني آدمَ.

وقولُه تعالى: ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ معناه: من نار من ريحٍ حارَّة(١).

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: «سَمُومُنا هذه من جزءٍ من سبعين جزءًا من السَّمُومِ الذي خُلق منه الجانُّ»(٢).

ويُقال: السَّمُومُ: نارٌ صافيةٌ لا دُخَانَ لها(٣)، والدُّخَانُ من عوارضِ الوقودِ، وعن هذا تُسمى الريحُ الحارَّةُ المحرِقةُ سَمُومًا.

يُقالُ: أَسَمَّ يومُنا؛ أي: حَرَّ(٤).

وأما المارجُ الذي ذكَره اللهُ تعالى في قوله: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٣]، فمعنَى المارِجِ: ما اختلَط من لهيبِ النار(٥)، كأنه قال: مِن لهبٍ مرِجَ وانقطعَ من النارِ.

والآيتانِ متَّفِقتان في المعنى.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢١٨/٢. تفسير الماوردي: ١٥٩/٣ (عزاه إلى ابن عيسى). التفسير البسيط: (٥٩٩/١٢-٦٠٠) (عزاه إلى ابن مسعود).

(٢) لم أقف عليه مسندًا عن عبد الله بن عباس، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٦٤/١٤)، والحاكم في «مستدركه» (٥١٦/٢)، كلاهما عن عبد الله بن مسعود بنحوه. والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩/١-١٧٠)، عن ابن مسعود مع زيادة في أوله. ومعمر بن راشد في «جامعه» (٢١٣/١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٧/٩)، كلاهما عن ابن مسعود مطولًا. وأورده السيوطي في «الدرالمنثور» (٦١٤/٨)، وعزاه إلى الطيالسي، والفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن ابن مسعود مع زيادة في آخره. وفي رواية (٦١٥/٨)، عزاه إلى ابن مردويه عن ابن مسعود في أثناء الحديث.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢١٨/٢ (جزء من قول ابن عباس عزاه له السمرقندي). تفسير الثعلبي: (٤٦٢/١٥-٤٦٣) (جزء من قول الكلبي عن أبي صالح عزاه له الثعلبي). التفسير البسيط: ٥٩٩/١٢ (جزء من رواية عزاها الواحدي إلى ابن عباس في رواية الكلبي).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٦٤/١٤-٦٥). التفسير البسيط: ٦٠٠/١٢ (عزاه للفراء، وليس هو في معانيه).

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ٢٤٣/٢. تفسير عبد الرزاق: ٢٦٢/٢ (أخرجه عن الحسن). بحر العلوم: ٣٠٦/٣.

ويُقال: المارجُ: هو الجاري المضطرِبُ، كقولِه تعالى: ﴿فَهُمْ فِيٓ[(١)] أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، وقولِه تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧][(٢)].

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: ((([٣]كان لجهنمَ سمومٌ، وكان لسمومِها نارٌ، وهي نارٌ تكونُ بين سماءِ الدنيا وبين الحجابِ الذي هو[٣]) دون[(٤)] السماء، وهي النارُ التي يكونُ منها الصواعقُ إذا أحدَث اللهُ في خلقه ما يشاءُ، حرَقت النارُ الحجابَ، فهَوَتْ إلى الأرض إلى حيثُ أُمِرت، والهَدَّةُ التي تسمعُ الناسُ: صوتُ الحجاب))[(٥)]. وهي كلمةٌ رقيقةٌ لا تُرى السماءُ إلا من ورائها[(٦)].

---

(١) /ز/و٣٦٠/. في ز: (في)، كررت.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٩/٥ (إلا أنه لم يستدل بالآية التي في سورة (ق)، التي استدل بها الغزنوي، واكتفى بالاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾).

(٣ - ٣) سقطت من ز.

(٤) في ز: (هو إلى).

(٥) لم أقف عليه مسندًا عن ابن عباس، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠٧/١٢)، عن ابن عباس بنحوه. والواحدي في «البسيط» (٥٩٩/١٢)، وعزاه إلى ابن عباس في رواية الكلبي بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (٤٦٢/١٥-٤٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣٧٩/٤)، كلاهما عن الكلبي عن أبي صالحٍ بنحوه.

(٦) لعلَّ الغزنوي قصد بيانَ معنى: (الهدة)، لأن هذه الزيادة لم أقف عليها في المصادر التي ذكرت القول، ومعنى: (الهدة): الصوت. ينظر: الصحاح: (هـ د د).

[٢٨-٣٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾

في هذه الآية بيانُ أنَّ المرادَ بخلق الجنِّ والإنسِ: ما يتصلُ بالتكليفِ والامتحان، لا كما خلقَ اللهُ سائرَ أجناسِ الحيوانِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ قد تقدَّم تفسيرُه(١).

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ معناه: إذا جمَعتُ خلقَه(٢) باليدين، والرجلين، والعينين، وسائرِ الأعضاء، فسوَّيتُه على الكمال، وأدخلتُ فيه رُوحًا من أرواحي، فصار بشرًا بعد ما كان طينًا يابسًا ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ﴾ على وجوههم خاضِعين له بالتحيةِ.

وأما إضافةُ الرُّوح في الآية إلى الله تعالى: فهو على وجهِ التشريف والتكريم لآدمَ -عليه السَّلامُ- بأنْ خصَّه الله تعالى [بخلقِه](٣) إيَّاه من الطين اليابس، (٤والأرواح فيها لله تعالى، إلا أنَّ إضافةَ اللهِ تعالى في هذه الآيةِ على هذه الحجةِ٤)، فإن الملِكَ إذا أضاف الشيءَ إلى نفسِه: فإنما يضيفُ إلى نفسه على جهةِ التعظيم لذلك الشيءِ(٥).

---

(١) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٩]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): ٢٤٨-٢٥٤.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢١٨/٢. تفسير الثعلبي: ٤٦٥/١٥.

(٣) في الأصل، ز: (تعالى **بإحسانه**)، وكررت في الأصل، وهو خطأ، والمثبت ما استقام به السياق.

(٤ - ٤) هكذا في الأصل، ز، والسياق مضطرب، فلعلها مما أقحمه النساخ -والله أعلم-.

(٥) ينظر: التفسير البسيط: ٦٠١/١٢. التفسير الوسيط: ٤٥/٣. تفسير السمعاني: ١٣٨/٣.

والنفخُ: كنايةٌ عن الإحياء، كما أن الخلقَ كنايةٌ عن إحداث.

يُقالُ في الكلام: ما زال فلانٌ ينفخُ في فلان حتى أفسَدَه علينا، يُريد بذلك: أنه لم يزَلْ يمدحُه، وقد حياه حتى أغراه علينا.

وقولُه: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ معناه: سجدوا كلُّهم لآدمَ -عليه السَّلامُ- سجدةَ [تحيةٍ][١]، وعبادةٍ لله تعالى[٢].

/٢/ظ٩٠/ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ يدلُّ على اجتماعهم في السجود، كأنه قال: سجَدوا كلُّهم في حالةٍ واحدة[٣].

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ امتنعَ أن يكونَ مع الساجدين لآدمَ -عليه السَّلامُ- وقد سبَق الكلامُ في استثناءِ إبليسَ من جملةِ الملائكة، إلا أنه كان يعبُد اللهَ تعالى في جملتهم، فأُمر بالسجود معهم[٤].

وأما قولُه تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ معناه: قال اللهُ تعالى: يا أيها الآيِسُ من رحمتي؛ ما لك أن لا تكونَ مع الساجدين؟ وما منَعك من السجود؟

قال الخبيثُ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ﴾ أي: كيف ينبغي أن أسجدَ له، وأنا أشرَفُ أصلًا منه؟ وهو من طين مُتصلصِل؟ -أي: هو مجوَّف محتاجٌ إلى الطعام والشراب- وهو

---

(١) في الأصل، ز: (سجود **تحيطة**)، وهو خطأ، والمثبت من المرجع.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٦٥. بحر العلوم: ٢/٢١٩. التفسير البسيط: ١٢/٦٠١ (عزاه إلى الكلبي، وقال الواحدي: ونحو هذا قال جميع المفسرين).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٥٧-٤٥٨ (عزاه إلى محمد بن يزيد المبرد، ولم أقف عليه في مصنفاته). *ولم يرجحه الزجاج، واختار قول سيبويه والخليل أن: «﴿أَجْمَعُونَ﴾ توكيدٌ بعد توكيد» فقال بعد أن ذكر القولين: «وقول سيبويه والخليل أجود؛ لأن أجمعين معرفة، فلا تكون حالًا». ووافقه النحاس؛ حيث إنه ذكر القولين ثم قال معقبًا على قول محمد بن يزيد: «...هذا خطأ، ولو كان كما قال لكان نصبًا على الحال». ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٨٠. وموضع نص الزجاج سبقت الإشارة إليه.

(٤) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٣]. ينظر: (تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء) (ت منى اليزيدي): ٢٥٩-٢٦٠.

من حَمَأ؛ والحَمَأ: ظُلمة وسوادٌ، والمسنونُ من الحمأِ مُنتِن[١].

قال اللهُ تعالى له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنةِ[٢].

ويُقالُ: من الأرضِ، فألحَقَه اللهُ تعالى بجزائرِ البحورِ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مطرودٌ من الرحمة مُبْعَدٌ من كلِّ خيرٍ[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ معناه: وإنَّ عليك -مع هذا- لعنةَ الله تعالى، ولعنةَ الخلائقِ إلى يوم الجزاءِ، وهو يومُ القيامة[٥]، تُلعَن بكلِّ ما ستفعلُه.

وهو أولُ مَن عصى اللهَ تعالى من أهلِ السماواتِ والأرض[٦].

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد: ٤١٦. تفسير مقاتل: ٤٢٩/٢. تفسير عبد الرزاق: (٣٦٨/١-٣٦٩) (أخرجه عن قتادة).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣. بحر العلوم: ٢١٩/٢. تفسير البغوي: ٣٨١/٤.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣. بحر العلوم: ٢١٩/٢.

(٤) فسر أهل التفسير قوله تعالى: ﴿رَجِيمٌ﴾ بالملعون، وقالوا: إن الرجم في القرآن الشتم. وفسروه تفسيرًا آخرَ؛ فقالوا: قيل: الرجيم ما يُرْجَمُ من الكواكب.

ينظر: تفسير الطبري: ٦٧/١٤ (أخرجه عن قتادة وابن جريج). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٥٨. تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣. تفسير القرطبي: ٢١١/١٢.

وفسروا اللعن بالطرد والإبعاد والإقصاء. ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢. تأويلات أهل السنة: ٤٩/٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٧/١٤. التفسير البسيط: ٦٠٤/١٢. التفسير الوسيط: ٤٥/٣ (عزاه إلى الكلبي).

(٦) ينظر: التفسير البسيط: ٦٠٤/١٢. التفسير الوسيط: ٤٥/٣.

[٣٦-٤٢] قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾

معناه: قال: إبليسُ: يا ربِّ فأنظِرْني، أي: أجِّلْني إلى يومِ يُبعثُ الخلائقُ من القبور(١). أي: فالخبيثُ لا يذوقُ الموتَ(٢).

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قيل: إلى وقتِ النفخةِ الأولى(٣)، حتى يَصعَقَ ملَكُ النفخةِ مَن في السماواتِ ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله تعالى، وبين النفخةِ الأولى والثانيةِ أربعون سنةً، وهذا لم يكنْ إجابةً من الله تعالى لإبليسَ إلى ما سأل؛ لأنه لم يكُنْ أجلُه إلى ما دون آخرِ حال التكليفِ، ثم أجَّله اللهُ تعالى إليه، ولكنْ كان في علم الله تعالى أنه لو لم يسألْ هذا السؤال لكان أجلُه يمتدُّ إلى آخرِ أحوالِ التكليفِ(٤).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٩/٢. تفسير الطبري: ٦٨/١٤. بحر العلوم: ٢١٩/٢.

(٢) لعله قصد بقوله: «فالخبيث لا يذوق الموت»، أي: أن إبليس أراد الأجل؛ لئلا يذوق الموت؛ لأنه قد علم أنه لا يموت بعد البعث. وذكر ذلك مقاتل، واعتمدت عليه؛ لأن العبارة المنقولة ذكرها في تفسيره، وهو من مصادر الغزنوي. ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٩/٢.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٢٩/٢. بحر العلوم: ٢١٩/٢. تفسير الثعلبي: ٤٦٦/١٥.

(٤) قول الغزنوي: «وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة»، لم يثبت بطريق صحيح، كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥٥٢/٨): «زعم بعض الشراح أنه وقع عند (مسلم) أربعين سنة، ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش: أربعون سنة، وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال: «ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة...»». وفي فتاوى «اللجنة الدائمة» (٣٣٣/٣)، قالوا: «تحديد مدة ما بين النفختين من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل والاجتهاد، بل بالسمع عن النبي ﷺ، ولم يثبت في تحديدها عنه حديث صحيح، وإنما ثبت فيها ما رواه البخاري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا، قال: «أبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبَ الذنب؛ منه يركب الخلق»، فلم يزد على أن قال: أربعون، ولم يبين هل هي سنون أو شهور أو أيام؟ وأما من لا يموتون بين النفختين فالله أعلم بهم سبحانه». والحديث الذي استدلت به اللجنة الدائمة: أخرجه البخاري بإسنادين مختلفين عن أبي هريرة في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ

=

فيكونُ هذا الجوابُ في الحاصل: جوابَ إهانةٍ لإبليسَ، لا إجابةٍ له، كما أخبرَ الله تعالى عن أهل النارِ أنهم يَدْعون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، فيُجابُون بالإهانة؛ يُقال لهم: ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

ويُقالُ: أراد بالوقت المعلوم وقتًا يعلمُه الله تعالى، ولا يعلمُه إبليسُ[١].

والقولانِ يرجعانِ إلى معنًى واحدٍ. أي: وقتِ آخرِ التكليفِ أيضًا؛ لا يعلمُه إلا اللهُ تعالى، فلمَّا لم يُعْطَ الخبيثُ ما سأل من النَّظِرةِ قال:

﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى﴾: بما خيَّبْتَني من جنتِك ورحمتِك، لأُزينَنَّ لبني آدمَ في الأرض من الشهواتِ واللذاتِ حتى يختاروها على ما عندك[٢].

والغَوايةُ قد تكونُ بمعنى الخيبة، كما قال الشاعرُ[٣]:

فَمَنْ يَلْقَ خَيرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَه وَمَنْ يَغْوِ[٤] لاَ يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لائِمَا[٥]

أي[٦]: مَن يخِبْ لا يَعدَمْ -مع ذلك- لائمًا على الخيبةِ[٧].

وقولُه تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معناه: ولأُضِلنَّهم من الحقِّ إلى الباطلِ، ومن الطاعةِ إلى المعصيةِ.

=

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]/ح٤٨١٣-ح٤٨١٤)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة/باب ما بين النفختين/ح٢٩٥٥)، عن أبي هريرة كذلك.

(١) ينظر: تفسير الماوردي: ١٥٩/٣.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٩٥/٦. تفسير السمعاني: ١٤٠/٣.

(٣) عمرو بن حَرْملة بن سعد، وقيل: ربيعة بن سفيان بن سعد، وقيل غير ذلك، القيسي. الشاعر الجاهلي، المعروف بالمُرَقِّش الأصغر.

ينظر: نسب معد واليمن الكبير: ٦١/١. معجم الشعراء: ٢٠١. جمهرة أنساب العرب: ٣١٩.

(٤) الغي: الضلال والخيبة. ينظر: لسان العرب: (غ و ى).

(٥) البيت في ديوانه «المرقش الأصغر»: ١٠٠.

(٦) /ز/ظ٣٦٠/.

(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٨٩٥/٦.

وقولُه: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ مَن قرأ: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بنصبِ اللَّامِ[(١)]؛ فمعناهُ: الَّذينَ أخلصتَهم لنفسِك[(٢)].

ومَنْ قرأ: بكسرِ اللَّامِ[(٣)]؛ فمعناهُ: الذين أَخلَصوا الطاعةَ لك[(٤)].

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذَا صِرَاطٌ﴾؛ قال بعضُهم -رحِمه الله-: هذا تهديدٌ من الله تعالى لإبليسَ، كما يقولُه الإنسانُ لغيره على جهةِ التهديد: افعَلْ ما شئتَ؛ فإنَّ طريقَك عليَّ؛ أي: لا يفوتُني[(٥)].

ويُقالُ: معنى الآيةِ: عليَّ ممرُّ مَن أطاعَك، وممرُّ مَن عصاك، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤][(٦)].

ويُقالُ: معنى هذه الآيةِ: إن هذا دينٌ مستقيمٌ، عليَّ بيانُه والهدايةُ إليه[(٧)].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ بيَّن الله تعالى أن إبليسَ لا يقدرُ على أن يَحمِلَهم على المعصية ويُكرِهَهم عليها، ولكن مَن تبِعه فإنما يتبعُه باختياره، كما سبَق

---

(١) نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٤٨. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٤٦-٥٤٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٩/٢. تفسير الطبري: ٦٨/١٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ٩/٢. شرح الهداية: ٣٦١/٢.

(٣) ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٤٨. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٣. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٤٧.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٢/ ٨٩. تفسير الطبري: ٦٨/١٤. بحر العلوم: ٢١٩/٢. تفسير الثعلبي: ٤٦٨/١٤. الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها: ١٠/٢.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٦٩/١٤. تفسير الثعلبي: ٤٦٨/١٥ (عزاه إلى الكسائي). الهداية إلى بلوغ النهاية: (٣٨٩٦/٦-٣٨٩٧) (عزاه إلى مجاهد).

(٦) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢١٩/٢.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢١٩/٢.

ذكرُه في سورة إبراهيمَ -عليه السَّلامُ-(١)، ثم بيَّن الله سبحانه مصيرَ مَن اتبعه ومَن لم يتبعْه، فقال عزَّ وجل(٢):

---

(١) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ...﴾ [الآية: ٢٥].

(٢) قوله: «ثم بيَّن الله مصير مَن اتبعه، ومصير مَن لم يتبعه فقال»، ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢/ ٢٢٠.

[٤٣-٥٠] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ /٢/و٩١/ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

معناه: وإنَّ جهنَّمَ لَموعِدُ إبليسَ ومَن تبعه، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي سبعةُ أبوابٍ بعضُها أسفلَ مِن بعضٍ(١).

هكذا رواه مقاتلٌ، عن الضحَّاكِ، عن ابنِ عبَّاسٍ -رضِيَ اللهُ عنهم- قال: «وكُلُّ طَبَقٍ منها أشدُّ حرًّا من الطبقِ الذي فوقَها بسبعينَ ضعفًا، والبابُ الأولُ: أهوَنُ حرًّا، ولو أن رجلًا بالمشرقِ فكُشِف عنها بالمغرب لخرَج دماغُه من مَنخِرَيه من شدةِ حرّها، فالطبقُ الأولُ من جهنم: فيها أهلُ القبلة من أهلِ الكبائر، إذا ماتوا غيرَ تائبين. والثاني: لظًى؛ وفيها النصارى. والثالثُ: الحُطَمة؛ وفيها اليهودُ. والرابعُ: السعيرُ؛ وفيها المجوسُ. والخامسُ: سقرُ؛ وفيها المشركون وأهلُ الأهواءِ المختلِفة. والسادسُ: الجحيمُ؛ وفيها الصابئون والزنادقةُ. والسابعُ: الهاويةُ؛ وفيها المنافقون، فذلك قولُه عز وجل: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(٢)» أي: جزءٌ من العصاةِ معلومٌ.

والرواياتُ مختلفةٌ في هذا الباب(٣)، إلا أنَّ في الجملةِ أنَّ الله تعالى يقسم أهلَ النار في الدركاتِ على قدرِ إجرامهم، وهو أعلمُ بهم، كما يقسمُ المؤمنين في درجاتِ الجنة على مقدارِ طاعتِهم.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٣٠. تفسير الطبري: (١٤/٧٢-٧٤). *وفي وصفها أنها فوق بعض: (أخرجه الطبري بعدة أسانيد عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). التفسير البسيط: ١٢/٦٠٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الرواية التي وقفت عليها، وفيها بعض ما ذكره المصنف في الرواية الأولى، مع اختلاف بينهما: ما أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٧٤)، عن ابن جريج قال: «...قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الهاوية، والجحيم فيها أبو جهل». وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٢١)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر؛ بنحو ما =

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ معناه: إن المتقين للمعاصي؛ بالإيمان، وإخلاصِ الطاعة؛ في بساتينَ وأنهارٍ ظاهرةٍ تنبعُ من الفوَّارات، وتجري بلا أخدود، يُقال لهم يومَ القيامة: آمنين من الآفاتِ[١].

ويُقالُ: بتحيةٍ من الله[٢] تعالى: آمنين من كلِّ ما يكرهون.

قولُه تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ معناه: ونزعنا ما في صدورِ أهلِ الجنةِ من أسبابِ العداوة؛ من الحقدِ، والحسدِ، والتباغُضِ[٣].

﴿إِخْوَٰنًا﴾ أي: حتى[٤] يصيروا بمنزلةِ الإخوانِ، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في الزيارةِ[٥]، تسيرُ أسِرَّتُهم في الجنانِ بعضُها إلى بعض[٦].

والسُّررُ: جمع السرير[٧]، يُسمى سريرًا لأنه مجلسُ السُّرورِ[٨].

رُوي عن أميرِ المؤمنين عليٍّ -رضيَ اللهُ عنه- أنه قال: «إني لأرجو أن أكونَ أنا

=

أخرجه الطبري. وفي رواية (٦٢٢/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك بلفظ: ((﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾. قال: باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للصابئين، وباب للمجوس، وباب للذين أشركوا؛ وهم كفار العرب، وباب للمنافقين، وباب لأهل التوحيد، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين أبدًا)).

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٠/٢. تفسير الثعلبي: ٤٧٥/١٥. تفسير الماوري: ١٦١/٣ (عزاه إلى علي بن عيسى).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي: ١٦١/٣ (عزاه إلى الكلبي، وقال: هو بمعنى قوله).

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٠/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٠٣/٦.

(٤) سقطت من ز.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ١٦٢/٣ (عزاه إلى قتادة).

(٦) لم أقف على من قال بأن الأسرَّة تسير، فيما اطلعت عليه من مصادر، وقد ذكر ابن القيم في ((حادي الأرواح)) (٢١١)، وصف الأسرَّة فقال -بعد ذكره للآيات التي تصف سُرُر الجنة-: «فأخبر تعالى عن سُرُرهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيدًا من بعض».

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ٨٠/١٤. تهذيب اللغة: (س ر ر). الصحاح: (س ر ر).

(٨) ينظر: التفسير البسيط: ٦١٢/١٢ (عزاه إلى أهل المعاني).

وطلحةُ[١] والزبيرُ[٢] من الذين قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، الله تعالى أعدلُ من ذلك، فغضِبَ وقال -رضيَ اللهُ عنه-: إن لم نكن نحن فمَن هم؟»[٣].

قولُه تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: لا يُتعِبون أنفسَهم في طلبِ العَيْشِ، وذلك مِن تمامِ النعيمِ أيضًا؛ لأنَّ [أشدَّ ما ينغِّصُ][٤] النعيمَ على الإنسانِ حاجتُه إلى التعبِ في نَيْلِها.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أي: لا يخافون الإخراجَ منها أبدَ الآبِدِين، شبابٌ لا يَهرَمون، أصحَّاءُ لا يَسقَمون، أحياءٌ لا يموتون، بخلافِ مَن ينالُ منا رتبةً عند إنسانٍ كبير؛ فإنه لا يأمنُ أن تزولَ عنه تلك الرتبةُ في وقت من الأوقاتِ.

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان، أبو محمد القرشي التَّيمي. الصحابي الجليل. سماه النبي ﷺ: (طلحة الخير)، و(طلحة الفيَّاض)، و(طلحة الجود)، شهد أحدًا ووقى بيده النبيَّ ﷺ، وشهد ما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الذين أخبرَ عمر أن النبي ﷺ توفي وهو راضٍ عنهم. قتل شهيدًا سنة ست وثلاثين يوم الجمل.

ينظر: معرفة الصحابة: (١/٩٤،٩٦-٩٩). الاستيعاب: (٢/٧٦٦-٧٦٤، ٧٦٨-٧٧٠). أسد الغابة: (٣/٨٧-٨٤).

(٢) الزُّبير بن العوَّام بن خُويلد، أبو عبد الله القرشي الأسدي. الصحابي الجليل. لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ. أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله -عز وجل-، حواريُّ رسول الله ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الذين أخبر عمر أن النبي ﷺ توفي وهو راضٍ عنهم. قتل شهيدًا سنة ست وثلاثين يوم الجمل.

ينظر: معرفة الصحابة: (١/١٠٤،١٠٧،١٠٩). الاستيعاب: (٢/٥١٠-٥١٣،٥١٦). أسد الغابة: (٢/٣٠٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٧٨)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه. ونعيم بن حماد في «الفتن» (١/٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١/٥٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٣٠٠)، ثلاثتهم عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه مختصرًا. وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/٧٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٧٦-٧٧)، كلاهما عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزيادة في أوله. وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/٧٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٧٧)، والحاكم في «مستدركه» (٣/٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٣٠٠-٣٠١)، جميعهم عن علي بن أبي طالب مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٢٨-٦٢٩)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والعدني، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، من طرق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولًا.

(٤) في الأصل، ز: (لأنَّ **أحد ما ينقص**)، وهو خطأ، والمثبت ما يستقيم به السياق.

وأما قولُه تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾ فمعناه: أَخبِرْ عبادي[(١)].

﴿أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبِ مَن تاب[(٢)]، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لِمَن مات على التوبة.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ﴾ المؤلمُ الأليم لِمَن استحقَّه[(٣)].

وفي هذا بيانُ أنَّ الجنةَ مُعَدَّةٌ لِمَن ليس بمتَّقٍ إذا هو تابَ واتقى؛ فإن الله أمرَ رسولَه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أن يُعرِّفَهم عظيمَ رحمتِه، وإنعامَه عليهم بأنْ مكَّنهم من التلافي بالتوبة، لينالوا المغفرةَ.

وقد رُوي عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قال: ((لَو يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ رَحْمَةِ اللهِ تعالى مَا تَوَرَّعَ عَن حَرَامٍ، ولو يَعْلَمُ قَدْرَ عُقُوبَةِ اللهِ تعالى لبَخَعَ[(٤)] نَفْسَهُ))[(٥)]، في عبادةِ اللهِ تعالى[(٦)].

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣١/٢. تفسير الطبري: ٨١/١٤. بحر العلوم: ٢٢٠/٢.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٢١/٢. تفسير الثعلبي: ٤٧٥/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٠٧/٦.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٠٧/٦.

(٤) قتلها غمًّا. ينظر: لسان العرب: (ب خ ع).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظنّ بالله» (٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٨١/١٤-٨٢)، كلاهما بلاغًا عن قتادة بنحوه. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٥٤٠/٤)، وعزاه لقتادة بلاغًا بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٣٢/٨)، وعزاه لعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن قتادة بلاغًا بنحوه.

(٦) قول الغزنوي: «في عبادة الله تعالى»؛ لعلَّه أراد بيان معنى (بخع نفسه)، الوارد في الحديث؛ حيث إنَّ هذه الزيادة لم أقف عليها. وكذا هو عند أبي الليث السمرقندي. ينظر: بحر العلوم: ٢٢١/٢.

[٥١-٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٖ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ[1] أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾

وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بيَّن قبلَ هذه الآياتِ أمرَ الوعدِ والوعيدِ، أتبعَه بذكرِ ما نزل على العبدِ في الدنيا من البشرى من النِّعَم العاجلةِ، وموقعِ ذلك من سرور النفسِ، وما يرِدُ عليه في دنياه عند عذابِ الاستئصال، وعِظَمِ موقعِه /٢/ظ٩١/؛ لينبِّهَ العبادَ بالعاجلة على الآجِلة، فقال عزَّ مِن قائل:

﴿وَنَبِّئْهُم عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ معناه: أخبِرْهم عن أضيافِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- وهي: الملائكةُ[2]، إلا أنه قال: عن ضيف؛ لأن الضَّيْفَ مصدرٌ يجوزُ أن يُوضعَ موضعَ الجمعِ[3].

وسمَّى الملائكةَ أضيافًا لأنه كان عند إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- و-عليهم السَّلامُ- أنهم نزلوا عنده للضيافةِ، ولهذا أعدَّ لهم طعامًا.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ قد تقدَّم تفسيرُه[4].

---

(١) /ز/و٣٦١/.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٨٢/١٤. تفسير الثعلبي: ٤٧٦/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٠٨/٦.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ٢٢٦/٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٣. تصحيح الفصيح: ١٤٥.

(٤) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ سَلَٰمٞ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٖ﴾ [هود: ٦٨]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ٣٤٠-٣٤١.

قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ معناه: قال لهم إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- حين لم يَطعَموا من طعامِه: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾، وذلك أنه خافَ أن يكونوا قد أضمَروا له سوءًا، ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخَفْ[١].

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بمولودٍ إذا وُلد كان غلامًا، وإذا بلغَ كان عليمًا[٢]، قال لهم: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولدِ بعدَ أنْ مسَّني الكبرُ والشيبُ[٣]، والإنسانُ إنما يُولَدُ له الولدُ في حالة الشبابِ، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟!

قال مجاهدٌ -رضيَ اللهُ عنه-: «إنما قال إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- ذلك على جهةِ التعجُّب»[٤].

ويُقالُ: أرادَ به: أفتُبشِّروني بهذا من عندِ الله، أو مِن تِلقاءِ أنفُسِكم[٥]؟!

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ﴾ بأمرِ الله تعالى؛ فإنَّ أمرَ الله تعالى لا يكونُ إلا حقًّا[٦].

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ من رحمةِ اللهِ.

قال لهم إبراهيمُ -عليه السَّلامُ-: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ أي: كيف أقنطُ من رحمةِ الله تعالى؟!

تُقرأ: بكسرِ النُّونِ ونَصْبِها[٧]؛ يُقالُ: قَنَطَ يَقْنِطُ، وقَنِطَ يَقْنَطُ، والمعنى واحدٌ[٨].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣١/٢. تفسير الطبري: (٨٢/١٤-٨٣). بحر العلوم: ٢٢١/٢. تفسير السمعاني: ١٤٣/٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٢١/٢. تفسير الماوردي: ١٦٣/٣. تفسير السمعاني: ١٤٣/٣.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٢١/٢.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨٣/١٤-٨٤)، عن مجاهد بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٣٣/٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ عن مجاهد بمعناه.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ١٦٤/٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٨٤/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٠٩/٦. تفسير السمعاني: ١٤٣/٣.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿يَقْنَطُ﴾، قرأ بكسر النون: أبو عمرو، والكسائي. وبفتحها: ابنُ كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٤. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦١.

(٨) ينظر: العين: (ق ن ط). معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/قراءة سورة الحجر). مجاز القرآن: ٣٥٣/١. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦١.

وفي قولِه: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ قراءاتٌ أيضًا؛ يُقرأ: ﴿تُبَشِّرُونِ﴾ بكسرِ النونِ[١] على الإضافةِ[٢].

أصلُه: (تُبشِّرُونَنِي) بنونَين؛ حُذفتْ إحداهما وتُركت الكسرةُ دليلًا على الحذفِ[٣].

وتُقرأ: بنصبِ النونِ[٤] على لفظِ الجماعةِ بغيرِ الإضافةِ[٥].

وتُقرأ: (تُبَشِّرُونِ) بالتخفيف[٦].

وتُقرأ: بالتشديدِ والإدغامِ في النونَين[٧]، كما في: ﴿تَأْمُرُونِّيَ﴾ [الزمر:٦١]، و﴿[أَتُحَآجُّونِّي][٨]﴾ [الأنعام:٨١]، ونحوِ ذلك[٩].

وأما قولُه تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ معناه: قال فما شأنُكم أيها المرسلون[١٠]؟

والخَطْب هو: الشأنُ العظيمُ الذي يخاطِبُ الناسُ فيه بعضُهم بعضًا[١١].

وسمَّاهم مُرسَلين؛ لأن الملائكة كلَّهم رسلُ الله تعالى.

---

(١) نافع. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٤. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦١.

(٢) ينظر: شرح الهداية: (٢/٣٧٨-٣٧٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٠. إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣٤٤. الحجة في القراءات السبع: ٢٠٦.الحجة للقراء السبعة: (٥/٤٥-٤٦).

(٤) أبو عمرو، وابنُ عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٧. التيسير في القراءات السبع: ٣٣٤. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦١.

(٥) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣٤٥. الحجة في القراءات السَّبع: ٢٠٧. بحر العلوم: ٢/٢٢١. حجة القراءات: ٣٨٣.

(٦) لعلَّه يقصد من قرأ بكسر النون -كما في قراءة نافعٍ- أو بنونٍ مفتوحة -كقراءةِ أبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي- فالنون فيهما مخففة، والاختلاف بينهما بحركة النون.

ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: (١/٣٤٥-٣٤٤). الحجة في القراءاتِ السبع: ٢٠٦-٢٠٧. معاني القراءات: ٢/٧٠.

(٧) ابن كثير. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٦٧. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٤. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦١.

(٨) في الأصل، ز: (و **تحاجوني**)، وهو تحريف.

(٩) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣٤٥. الحجة في القراءات السَّبع: ٢٠٧. بحر العلوم: ٢/٢٢١.

(١٠) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٣٢. تفسير الطبري: ١٤/٨٦. بحر العلوم: ٢/٢٢٢.

(١١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٥٥. تفسير ابن فورك (ت علال بندويش): ٣٣٩. تفسير الماوردي: ٤/٢٤٦.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾ معناه: قالوا إنا أُرسِلنا لهلاكِ قومٍ مجرمين؛ وهم قومُ لوطٍ -عليه السَّلامُ-[١].

وقولُه تعالى: ﴿إِلا ءَالَ لُوطٍ﴾ معناه: إلا خاصَّتَه وعشيرتَه، ولم يكن قد آمنَ به إلا عشيرتُه.

﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ من الهلاكِ، ولا يمتنعُ أن يكونَ في آل لوطٍ -عليه السَّلامُ- مَن كان مجرمًا، إلا أنه لم يبلغْ جرمُه حدَّ الكفرِ الذي يستحِقُّ به عذابَ الاستئصالِ؛ فلذلك استثنى لوط -عليه السَّلامُ- من المجرمين.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالجرم عملُهم الخبيثُ.

وقولُه تعالى: ﴿إِلا ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناءٌ ليسَ من الأولِ[٢].

وأما قولُه تعالى: ﴿إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فهو استثناءٌ من الهاء والميم[٣] في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾، وقد تقدَّم [أن][٤] المراد بهذه المرأةِ إحدى امرأتَيْه، وهي التي كانت تُسمى: واعلةَ امرأةَ لوطٍ والهة[٥].

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٨٦/١٤. بحر العلوم: ٢٢٢/٢. التفسير البسيط: ٦٢١/١٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامود ومحمد) (بنصه): ٤٦١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٦١.

(٤) في الأصل، ز: (تقدم **من**)، والمثبت هو الأليق بالسياق.

(٥) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨٠]، ولم يذكر المصنف فيها أن للوطٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ امرأتين، ولا في موضع سورة التحريم كذلك، وذكرته وإن كان موضعًا متأخرًا؛ لأنه قد يُظن أن من المحتمل أن يكون ذكره هناك. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت محمود الشنقيطي): ٢٧٣. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ٣٥٧. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الحربي): ٣٢٨. * وقوله: «وهي التي كانت تسمى: واعلة امرأة لوط والهة»، فيه اضطراب في المعنى أو سقط، فإما أن يقصد أن اسمها: (واعلة) كما ذكره في سورة هود، أو اسمها (والهة)، وأشار لاسمها بـ(والهة): الماوردي في «تفسيره» (٤٧/٦)، وعزاه إلى الضحاك، فعلى هذا ينبغي أن يكون السياق (واعلة امرأة لوط **أو والهة**). وفي موضع سورة الأعراف قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، «معناه إلا أهله

=

وأما واعلةُ امرأةُ نوحٍ كانت منافقةً، فقدَّر اللهُ تعالى عليها الهلاكَ.

والغابِرون: هم الباقون في موضعِ العذاب(١).

والأصلُ في الاستثناءِ أن المستثنى يكونُ خارجًا من المستثنى منه، فإذا استُثْنِي من الاستثناءِ عاد الاستثناءُ الآخِرُ إلى جملةِ المستثنى منه الأولِ، فصار تقديرُ الكلام في هذه الآية: إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين وامرأةِ لوط إلا آلَه.

ولهذا قيلَ: إذا قال الرجلُ: لفلانٍ عليَّ عشرةٌ إلا خمسةً إلا درهمَينِ، لزِمَه سبعةٌ.

وإذا قالَ: إلا خمسةً إلا ثلاثةً، لزِمته ثمانيةٌ(٢).

فيصيرُ العددُ الأخيرُ في مثل هذه المواضعِ كلِّها مضمومًا إلى ما يَبقى من الجملةِ الأولى بعد الاستثناءِ الأولِ.

=

التي كانت زوجة **لها**»، هكذا عند الأستاذ/ محمود الشنقيطي الذي حقق هذا الجزء، وهو خطأ، والمثبت في المخطوط: «معناه إلا أهله التي كانت زوجة **له**» (**٢**/**و٢٤١**/)، فإما أن يكون قوله: (أهله)، تحريفًا من النساخ، ويكون المراد (معناه: إلا داهلة...)، فقد ذكر السمرقندي في موضع من مواضع «تفسيره» (٣/٣٨٣)، أن اسمها (داهلة)، أو هو تحريف لـ(والهة)، أو يكون: (إلا واهلة)، كما ذكره البغوي في موضع من مواضع «تفسيره» (٨/١٧٠).

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٦/٤٧٩. تفسير الماوردي: ٣/١٦٥. تفسير البغوي: ٤/٣٨٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٨٥ (عزاه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام). تفسير الثعلبي: ١٥/٤٨٠ (عزاه إلى أبي عبيدة). تفسير القرطبي: (١٢/٢٢٥-٢٢٦).

[٦١-٦٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥﴾

معناه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وهم الملائكةُ[١] إلى آلِ لوطٍ -عليهم السَّلامُ- [٢] قال لهم:

﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، وإنما قال لهم ذلك لأنهم جاءُوه على هيئةٍ وجمالٍ، لم يكنْ قد شاهدَ مثلَهم في الجمالِ، وكان يعلمُ طلبَ قومِه لأمثالِهم، فخافَ عليهم من قومه[٣]، فقال:

﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: على الوصفِ الذي أنكرُ مجيئَكم إليَّ في مثلِ هذه الديارِ.

وقد يُقالُ في الأمرِ الغريبِ النادرِ في العادةِ: إنه مُنكَر، فبيَّنتِ الملائكةُ أن مجيئَهم لأمرٍ يسُرُّه:

﴿قَالُوا[٤] بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: بالعذاب الذي كانوا يشكُّون فيه[٥].

﴿وَأَتَيْنَٰكَ﴾ /٢/و٩٢/ بأمرِ الله تعالى، وأنَّ أمرَ الله تعالى حقٌّ.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في ذلك.

وفي الآيةِ بيانُ أنَّ لوطًا -عليه السَّلامُ- لم تكن الملائكةُ تأتيه حين أُوحي إليه على هذه الصورةِ التي جاءُوا إليه الآن، وإلا كان لا يُنكرُهم في هذا الوقت وقد جاءُوه قبل ذلك.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٨٨.

(٢) قال صاحب «التفسير البسيط» ناسبًا القول لأهل المعاني: «يعني: جاء لوطًا...، وآل الرجل يُذكر والمراد به الرجل...». ينظر: التفسير البسيط: ١٢/٦٢٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ١٢/٢٢٦.

(٤) في الأصل، ز: (فقالوا)، وهو تحريف.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٣٢. تفسير الطبري: ١٤/٨٦. بحر العلوم: ٢/٢٢٢.

وقولُه تعالى: ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ معناه: قالوا له: سِرْ بهم بعضَ الليل[١] عند السَّحَر.

يُقالُ: سَرَيْتُ وأَسْرَيْتُ[٢]؛ إذا سرتَ ليلًا[٣].

والقِطْع هو: القطعةُ[٤].

وأما قولُه تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ فمعناه: كن في مَن يسيرُ خلفَهم[٥]؛ كي لا ينالَهم من العذابِ ما ينالُ المجرمين.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: لا يتخلفْ في موضعِ الهلاكِ[٦].

ويُقالُ: لا يلتفتْ إلى شيء خلفَه[٧]، كما يقولُ الإنسانُ لغيره: امضِ لوجهِك، ولا تعرّجْ على شيء.

وقولُه تعالى: ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: الموضع الذي تُؤمرون بالمُضيّ إليه، وهو صُغَر[٨].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٨٨/١٤ (أخرجه عن ابن زيد). تأويلات أهل السنة: ٥٦/٣. بحر العلوم: ٢٢٢/٢.

(٢) /ز/ظ٣٦١/.

(٣) ينظر: مجاز القرآن: ٢٩٥/١. إصلاح المنطق: ١٨٧. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣١٠-٣١١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٣١٠. الصحاح: (ق ط ع). تفسير السمعاني: ١٤٥/٣.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٣/٢. تأويلات أهل السنة: ٥٦/٣. بحر العلوم: ٢٢٢/٢.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٢/٢.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٣/٢. تأويلات أهل السنة: ٥٧/٣.

(٨) ينظر: تفسير الثعلبي: ٤٨١/١٥ (عزاه إلى مقاتل). التفسير البسيط: ٦٢٦/١٢ (عزاه إلى الكلبي). تفسير القرطبي: ٢٢٧/١٢. *صُغَر: اسم قرية من قرى لوط، كانت خمس قرى، فأهلكت أربعة ونجت صغر؛ لأن لوطًا دخلها كما ذكره الثعلبي، وبنحوه قال القرطبي. وقال صاحب «معجم البلدان» (٤١١/٣): هي على وزن زُفَر، وهي (زُغَر) بعينها، وهي على البحيرة المقلوبة وبقية مدائن لوط، وإنها نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة، والجبال منها قريبة. وعند تعريفه بـ(زُغر) (١٤٣/٣)، قال: «قرية بمشارفِ الشام...»، وقال: «قيل: زغر اسم بنت لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ نزلت بهذه القرية فسميت باسمها». وقال: «حدثني الثقة أن زغر في طرف البحيرة المنتة -البحر الميت- في وادٍ هناك، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وهي من ناحية الحجاز». وفي «المعالم الأثيرة» (١٣٥)، أنها تقع على شاطئ البحر الميت في الجنوب الشرقي.

[٦٦-٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

معناه: وأوحينا إليه ذلك الأمرَ(١).

وقولُه تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال بعضُهم -رحمهم الله-: هذا في موضعِ النصبِ؛ لأنه بدلٌ من قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وتفسير له(٢).

ويُقالُ: هو في موضعِ الخفض؛ لأنَّ المعنى: بأنَّ دابرَ هؤلاء، إلا أنه حذفَ الباءَ(٣).

وقطعُ الدابرِ: هو الإتيانُ على آخِرِ القومِ بالهلاكِ، حتى لا يَبقى منهم أحدٌ.

ودابرُ الشيءِ وآخِرُه واحدٌ(٤).

وقولُه تعالى: ﴿مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: أنهم مُستأصَلون [عند الصباح](٥) لا يبقى لهم نَسْلٌ ولا عَقِبٌ.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ معناه: أنهم جاءُوا يبشِّرُ بعضُهم بعضًا بأضيافِ لوطٍ -عليه السَّلامُ- لعملِهم الخبيث(٦)، فإنهم كانوا يُجاهرون بهذه الفاحشةِ حتى كان لا يُخفيها أحدٌ عن أحد.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٢. تفسير الماوردي: ٣/١٦٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢/٤١٣. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٦٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٩٠. تفسير الطبري: ١٤/٨٩.

(٤) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: ٢/٦١٥.

(٥) في الأصل، ز: (مستأصلون **عندهم بالصباح**)، ولا يستقيم بها السياق، والمثبت هو الأنسب، ونحوه في المرجع. *ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٨٩ (عزاه إلى ابن عباس). تفسير الماوردي: ٣/١٦٥. التفسير البسيط: ١٢/٦٢٨ (عزاه إلى ابن عباس).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٤٥.

فقال لهم لوطٌ -عليه السَّلامُ-: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ فلا تُلزموني فيهم عارًا[١]، ولا [تفعلوا][٢] فعلًا أخجَلُ منهم، ﴿وَاتَّقُوا[٣] ٱللَّهَ﴾ تعالى في الحرام، ولا تذلوني في أمري[٤].

﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾ عن ضيافةِ الغرباءِ[٥]، وعن أن تُجير أحدًا[٦]؟

وأما قولُه تعالى: ﴿قَالَ[٧] هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ فمعناه: قال لهم: هؤلاء بناتي أزوِّجُكموهنَّ إن كنتم لا بُد تفعلون هذا الفعلَ[٨].

وذُكر أنه لم يجدْ ما يقي به من أضيافه أبلغَ مِن أنه عرضَ بناتِه عليهم؛ للتزويجِ وافتداءِ ضيفِه ببناتِه في الشفاعة، وقد كان علِم أنهم لا يرغبون في التزويج.

ويُقال: أراد بقوله ﴿بَنَاتِيٓ﴾ بناتِ قومه[٩]؛ لأن نساءَ أمةِ كلِّ نبيٍّ بمنزلةِ بناتِه في شفقتِه عليهنَّ[١٠].

وأما قولُه تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ فهو قسمٌ بحياةِ نبيِّنا -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وفيه منزلةٌ عظيمةٌ له في الشرف، فإن الله عزَّ وجل أقسمَ بحياته، ولم يُقسم بحياة أحدٍ غيرِه[١١].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٦٢٨/١٢. التفسير الوسيط: ٤٩/٣. تفسير السمعاني: ١٤٥/٣. (ذكره الواحدي في البسيط والوسيط، على معنى: فضحه يفضحه؛ إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار، ونحوه عند السمعاني).

(٢) في الأصل، ز: (فلا **تفعلا**)، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل، ز: (**فاتقوا**) بالفاء، وهو تحريف.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٢/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩١٣/٦.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٢/٢. تفسير البغوي: ٣٨٧/٤ (في أحد أقواله). تفسير القرطبي: ٢٢٨/١٢.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٨٧/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩١٣/٦.

(٧) سقطت من ز.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٣/٣.

(٩) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣/٢.

(١٠) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٤. معاني القرآن للنحاس: ٣٣/٤.

(١١) ينظر: تفسير الطبري: (٩١/١٤-٩٢) (أخرجه عن ابن عباس). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٤. معاني القرآن للنحاس: ٣٤/٤.

والعَمْرُ والعُمْرُ واحدٌ، إلا أنه لا يجوزُ في القَسَمِ إلا الفتحُ، وإنما آثَروا الفتحَ في القسمِ؛ لأن ذلك أخفُّ عليهم، وهم يُكثرون القسمَ بـ: لَعَمْري، وتقديرُه: لعمرُك قسمي، ولعمرُك ما أُقسمُ به، إلا أنه حذفَ الخبرَ؛ لأنَّ في الكلام دليلًا عليه(١).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ جوابُ القسم، معناه: إنهم لفي غفلتِهم يتحيَّرون(٢).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج: (ت مامودو محمد): ٤٦٤-٤٦٥. إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٨٧.

[٧٣-٧٧] قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

معناه: فأخذتهم الصيحةُ في وقتِ دخولِهم في الإشراق[١].

والمُشرِق: هو الداخلُ في وقت الإشراق[٢]، كما أنَّ المُصبِح: الداخلُ في وقت الصباح[٣]، وذلك أن الملائكةَ قلَعوا مدائنَهم في وقت الصبحِ، فرفَعوها[٤] إلى قريبٍ من السماءِ، ثم قلَبوها عند طلوعِ الشمس، وصاحَ بهم جبريلُ -عليه السَّلامُ- حينئذٍ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: أعلاها أسفلَها، وأسفلَها أعلاها[٦].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ قد تقدَّم تفسيرُه[٧].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ معناه: إنَّ في إهلاكِ قومِ لوطٍ لآياتٍ للمتوسِّمين.

والتَّوسُّم: هو التَّفعُّل مِن السِّمَة[٨].

يُقالُ: وَسَمْتُ فلانًا: إذا أعلمتَ عليه، وجعلتَ العلامةَ سِمةً له، وتوسَّمتُ فيه: إذا نظرتَ إلى سِمَتِه[٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٩٣/١٤) (أخرجه عن ابن جريج). معاني القرآن للنحاس: ٣٥/٤. بحر العلوم: ٢٢٣/٢.

(٢) في ز: (وقت **الصبح**).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٥.

(٤) في الأصل، ز: (**فرفوعها**)، وهو تحريف.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٣/٢.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٩٤/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩١٦/٦.

(٧) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨١]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت زهرة المازني): ٣٥٩.

(٨) ينظر: الدر المصون: ١٧٧/٧.

(٩) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت: مامودو محمد): ٤٦٦.

والمتوسِّمون هم: النُّظَّار[١] /٢/ظ٩٢/ المتثبِّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقةَ السِّمة[٢].

وعن أبي سعيدٍ الخُدْري[٣] -رضيَ اللهُ عنه- عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلم- أنه قالَ: ((اتقوا فِراسةَ المؤمنِ؛ فإنه يَنظرُ بنُورِ اللهِ تعالى))؛ ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٤].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: إنَّ في ذلك لدلالةً للمؤمنين الذين يصدِّقون بذلك.

وتخصيصُ المؤمنين لأنهم هم الذينَ يَعتبِرون بالآيات وينتفِعون بها[٥].

(١) النظار جمع ناظر، وهو من النظر بالعين والقلب. ينظر: لسان العرب: (ن ظ ر).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٦. معاني القرآن للنحاس: ٣٥/٤. *عند الزجاج: «حقيقة قيمة الشيء»، وعند النحاس: «تثبت حقيقة سمة الشيء». أردت بيان المعنى الأتم، وذكرت نص النحاس لقربه من النص، وإلا فالمصنف أخذ بقول أبي إسحاق الزجاج.

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان، وقيل: ابن شيبان، أبو سعيد الخُدْري. الصحابي الجليل. مشهور بكنيته، شهد الخندق، وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروى عنه علمًا جمًّا. توفي سنة أربع وسبعين. روى عنه جابر بن عبد الله، وابن عمر.

ينظر: معرفة الصحابة: (١٢٦٠/٣-١٢٦١). الاستيعاب: ٦٠٢/٢. أسد الغابة: (٤٥١/٢-٤٥٢).

(٤) أخرجه البخاري في ((تاريخه)) (٣٥٤/٧)، الترمذي في ((سننه)) (١٤٩/٥-أبواب تفسير القرآن الكريم/باب ومن سورة الحجر)، والطبري في ((تفسيره)) (٩٦/١٤)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٣/٨)، ثلاثتهم عن أبي سعيد الخدري بلفظه. وأبو الشيخ الأصبهاني في ((أمثال الحديث)) (١٦٥)، وأبو نعيم بإسنادين مختلفين في ((الطب النبوي)) (٢٠٤/١)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٦٣٩/٨)، وعزاه إلى البخاري في ((تاريخه))، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن السني، وأبي نعيم في ((الطب النبوي))، وابن مردويه، والخطيب؛ عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٥٩/٣.

[٧٨-٧٩] قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾

معناه: وقد كان [أصحابُ](١) الأيكةِ(٢)؛ وهم: قومُ شُعَيب -عليه السَّلامُ-؛ ظالمين بكفرهم بالله تعالى(٣).

ومعنى: (إنْ) و(اللَّام): التوكيد(٤).

والأَيْكةُ: الغَيْضةُ؛ وهي الشجرُ الملتفُّ الكثيرُ(٥).

وكان شُعيبٌ -عليه السَّلامُ- بُعث إلى قَوْمَين من أهلِ مَدْينَ(٦)، وكانوا يطفِّفون في الكيلِ والوزنِ، فأُهلكوا بالصيحة، وبُعث إلى أصحابِ الأيكةِ، فأُهلكوا بالظُّلَّة(٧).

ويُقال: إن مدينَ والأيكةَ واحدٌ، كانت عند مدينَ، فخرجوا من مدينَ إليها يطلبون الرَّوْحَ عندها(٨).

---

(١) في الأصل، ز: (كان **صاحب**)، وهو خطأ.

(٢) من جعل الأيكة غير مدين قال: إن الأيكة خلف مدين -هذا ما وقفت عليه-. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٣٢٤/١. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٢١/٢. وابن كثير -كما سيأتي- ومصادر البلدان والموسوعة الحرة جعلوهما مكانًا واحدًا، فاكتفيت بالتعريف بمدين.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٤/٢. تفسير الطبري: ٩٩/١٤. بحر العلوم: ٢٢٣/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٦٧.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٩٩/١٤.

(٦) مَدْيَن: تقع على البحر الأحمر، وتقع آثار مساكنهم بالقرب من مدينة البدع التابعة لمنطقة تبوك الواقعة شمال غرب المملكة العربية والسعودية.

ينظر: معجم البلدان: ١٤/٢. الموسوعة الحرة: (مَديَن).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٠/١٤ (أخرجه عن قتادة). تأويلات أهل السنة: ٥٩/٣. بحر العلوم: ٢٢٣/٢ (عزاه إلى قتادة).

(٨) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٣/٢. *واختاره ورجحه فقال: «وقال بعضهم: آل مدين والأيكة واحد؛ لأن الأيكة كانت عند مدين، وهذا أصح». وكذا اختاره ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]: فقال: «هؤلاء -أعني أصحاب الأيكة -هم أهل مدين على الصحيح...، ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام، بعثه الله إلى أمتين...»، ثم ذكر أدلة القائلين بأنهما أمتان، ورد عليها وأعقبها بقوله: «والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء

=

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:١٨٩]، واضطرمَ المكانُ عليهم نارًا، فهلَكوا [عن][(١)] آخِرِهم[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: بالعذابِ[(٣)].

وقولُه تعالى[(٤)]: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: أنَّ قَرْياتِ لوطٍ، ومواضعَ قومِ شُعيب -عليهم السَّلامُ- على طريقٍ مُبِين[(٥)].

ويُسمى الطريقُ إمامًا؛ لأن الإنسانَ يؤمُّه[(٦)].

=

وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة». يظر: تفسير ابن كثير: (١٥٨-١٥٩/٦).

(١) في الأصل، ز: (فأهلكوا **من**)، وهو خطأ، والمثبت من المرجع.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٧. التفسير البسيط: ٦٤١/١٢. تفسير السمعاني: ١٤٨/٣.

(٣) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢٢٣/٢.

(٤) /ز/ و٣٦٢/.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٤/٢. تفسير الطبري: (١٠٢/١٤-١٠٣) (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٧. بحر العلوم: ٢٢٣/٢.

(٦) بعض المصادر ذكرت أن الطريق جعل إمامًا؛ لأنه يُؤمُّ فيتبع. ينظر: معاني القرآن للفراء: ٩١/٢. تفسير الطبري: ١٠٢/١٤.

[٨٠-٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٨١ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝٨٣ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٤﴾

ولقد كذَّب قومُ صالحٍ صالحًا، ومَن تقدَّم ذكرُهم من المرسلين.

والحِجْرُ[١]: ديارُ[٢] ثمودَ[٣].

وإنَّما سُمُّوا أصحابَ الحِجْر؛ لأنهم كانوا يسكُنون مكانَ الحِجْر، كما سُمي الأعرابُ الذين يسكنون البواديَ أصحابَ الصحاري.

وقال مجاهدٌ: «الحِجْرُ: اسمٌ لوادٍ كانوا يسكنون عندَه»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ معناه: وأعطينا أولئك المرسلين الأعلامَ المعجِزةَ، فأعرضَ القومُ عنهم، وعن آياتِهم.

وكانوا يَنْقُبون بيوتَهم في الجبالِ آمِنين من العذاب[٥].

ويُقالُ: من الموتِ[٦]؛ لطول أعمارِهم.

ويُقالُ: من الخرابِ[٧] وسقوطِ السقفِ.

---

(١) الحِجْر: بكسرِ أَوَّلِه، ثم سكون وراء، اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، نزله رسول الله ﷺ حين سيره إلى غزوة تبوك، ويقع تحديدًا شمال غرب المملكة في محافظة العلا التابعة لمنطقة المدينة المنورة، قال صاحب المعالم: يبعد الحجر عن مدينة العلا حوالي اثنين وعشرين كيلو نحو الشمال، وأصبح يسمى وادي القرى: بوادي العلا.
ينظر: معجم البلدان: ٢٢١/٢. مراصد الاطلاع: ٣٨١/١. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: ٩٧. الموسوعة الحرة: (مدائن صالح).

(٢) في ز: (**يار**)، سقطت الدال.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٣/١٤.

(٤) لم أقف عليه مسندًا عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٩/١)، والطبري في «تفسيره» (١٠٣/١٤)، كلاهما عن قتادة بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٤٤/٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن ابي حاتم؛ عن قتادة بمعناه مختصرًا.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٤/١٤. بحر العلوم: ٢٢٤/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٢٣/٦.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٤/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٢٣/٦. تفسير الماوردي: ١٦٩/٣.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٤/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٢٣/٦. تفسير الماوردي: ١٦٩/٣.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ معناه: فأُهلكوا بالصيحة داخِلِين في وقت الصباحِ[١].

واختلفوا في هذه الصيحةِ:

قال بعضُهم -رحمهم الله-: صاحَ بهم جبريلُ -عليه السَّلامُ-[٢].

وقال بعضُهم: -رحمهم الله-: خلَق اللهُ تعالى صوتًا يُشبهُ الصيحة فأهلكَهم به.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ معناه: ما دفَع عنهم شيئًا[٣] من عذابِ الله تعالى[٤]، ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الأموالِ[٥] والبلادِ.

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي: ٤٨٩/١٥. التفسير الوسيط: ٥١/٣. تفسير البغوي: ٣٨٩/٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٥/٢.

(٣) في الأصل، ز: (عنهم **شيء**)، وهو خطأ والصواب ما أثبته؛ لأنه مفعول به مقدم.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط: ٥١/٣.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط: ٥١/٣.

[٨٥-٨٦] قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

قيلَ: معناه: فما أهلكناهم إلا بالحقِ؛ لأنَّا ما خلَقْنا السماواتِ والأرضَ وما بينهما إلا بالحقِ[١].

وإهلاكُهم بالحقِ: هو إهلاكُهم باستحقاقٍ.

وخلقُ السماواتِ: هو خلقُهما ليُعمل فيهما بالحقِ.

وقيلَ: معناه: ما خلَقْناهما عبثًا، ولكنْ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣٠][٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أي: يوم[٣] القيامة كائنةٌ[٤] لمجازاةِ الخلائقِ كلِّها.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أي: أعرِضْ عن مجازاةِ المشركين، وعن مجاوبتِهم؛ فإنَّ جوابَ السفيهِ سَفَهٌ.

قال مجاهدٌ وجماعةٌ من المفسِّرين -رحمهم الله-: «هذا منسوخٌ بآيةِ القتالِ»[٥].

وقال الحسنُ -رضيَ اللهُ عنه-: «هذا أمرٌ للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فيما بينهم وبينه، وليس بمنسوخٍ»[٦].

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٤٩.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ١٢/٢٤٩.

(٣) الظاهر أنها مما أقحمه النساخ، وهي زائدة لا يستقيم معها السياق.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٦٣. تفسير الطبري: ١٤/١٠٥. بحر العلوم: ٢/٢٢٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/١٠٦)، عن مجاهد بمعناه. وأخرجه كذلك (١٤/١٠٦)، عن قتادة مطولًا. وكذا أخرجه في «تفسيره» (١٤/١٠٦)، عن الضحاك مطولًا. وكذا (١٤/١٠٧)، عن سفيان بن عيينة مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٤٥)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر؛ عن مجاهد بمعناه. وفي رواية (٨/٦٤٥)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة بمعناه. وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٨٢)، عن قتادة بمعناه.

(٦) لم أقف عليه مسندًا عن الحسن، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/١٧٠)، وعزاه إلى الحسن بنحوه. *والآية كما ذكر المصنف فيها قولان للعلماء؛ منهم من قال بالنسخ، وذهب الطبري لذلك؛ لأنه ذكر أقوال من قالوا بالنسخ ولم يذكر القائلين بعدم النسخ -وسبقت الإشارة لمن أخرج عنهم، في الحاشية السابقة- والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٨٢)

=

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ معناه: هو الخالقُ للإنسانِ، العالمُ بتدبيرِ خلقِهم(١). وبالله التوفيقُ.

=

قال: «لم نجد فيها -أي: سورة الحجر- مما يدخل في هذا الكتاب إلا حرفين، قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ ...»، ووافقهم ابن المقري في «الناسخ والمنسوخ» (١١١)، وكذا ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (٤٣-٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣٩٠/٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣١٥/٥)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (٤٧٨/٢-٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٥٤٥/٤). وغيرهم. وممن ذهب إلى أن الآية ليست منسوخة: الرازي في «تفسيره» (٢١٠/١٩)، حيث قال: «وقيل: هو منسوخ بآية السيف، وهو بعيد؛ لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخًا؟». وكذا مصطفى زيد في كتابه «النسخ في القرآن» (٥٣٨/٢-٥٣٩)، بعد أن استعرض أقوال أهل العلم في الآية قال: «...ونحن نرى أن الآية من المحكم لا من المنسوخ؛ لأنه: أولًا- توعد المشركين فيها، بعد أمر رسوله بالصفح عنهم، وأمره بالإعراض عنهم...»، «...ثانيًا- لم يصح عن رسول الله ﷺ خبر بأنها منسوخة فيجب اتباعه. ثالثًا- لا تعارض بين أمره بالصفح عن المشركين في مكة -وهو فيهم، وهم لم ينقضوا عهدًا أبرمه معهم- وأمرِه بقتال طائفة من المشركين في المدينة، نقضوا ما بينه وبينهم من عهد، وظاهروا عليه أعداءه».

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٠٦/١٤.

[٨٧-٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾

وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا أمرَ رسولَه /٢/و٩٣/ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بالصفحِ الجميلِ، ذكر بعد ذلك ما خصَّه به من النِّعَم[١]؛ على ما عليه عادةُ الحكماءِ، أي: أن يُكلِّفوا أحدًا بشيء، ثم يؤكدوا تكليفَهم بذكرِ ما خصُّوا به من النعم، فذلك معنَى قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾؛ إذ أعطيناك يا محمدُ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فأكرمناك بسبعٍ من المثاني.

قال بعضُهم -رحِمهم الله-: «هي السبعُ الطِّوالُ؛ وهي السبعُ السُّوَرِ من أولِ القرآنِ التي سابعُها الأنفالُ والتوبةُ، وهما جميعًا سورةٌ واحدة»[٢].

وتُسمى هذه السورُ: مثانيَ؛ لأنه ثُنِّي فيها الأقاصيصُ، والأمرُ والنهيُ، والوعدُ والوعيدُ، والمحكمُ والمتشابهُ، والناسخُ والمنسوخُ.

وقال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «إنَّ السَّبعَ المَثَانِيَ هي فاتِحَةُ الكتابِ»[٣].

وهكذا رُوي عن رسولِ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- حيث قال: ((ما أَنزلَ اللهُ تعالى في التوراةِ والإنجيلِ والزَّبُورِ مثلَ: فاتحةِ الكتابِ، وإنها السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُعطِيتُ))[١].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢١١/١٩.

(٢) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٤٢/١ (عزاه إلى سفيان عن مسعرٍ عن بعض أهل العلم). تفسير غريب القرآن: ٣٥.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٨٠/٤)، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظه. والبخاري في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن/باب قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]/ح٤٧٠٤)، عن أبي هريرة بزيادة في آخره. والطبري في «تفسيره» (١١٣/١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٤/٢-٤٣٤)، كلاهما عن علي بن أبي طالب موقوفًا بلفظه. والطبري في «تفسيره» (١١٧/١٤)، عن عبد الله بن عبيد بن عمير موقوفًا بلفظه.

وإنما سُميت هذه السورةُ مثانيَ؛ لأنها تُثنَّى في كلِّ صلاةٍ[٢].

وقيلَ: لأنها من جملةِ الآياتِ التي يُثْنى بها على اللهِ تعالى[٣].

وإنما خَصَّ السورةَ من جملةِ القرآنِ، مع كونِها من القرآنِ، تعظيمًا لها؛ لأن كمالَ الصلاةِ متعلقٌ بها[١]، كما خَصَّ جبريلَ وميكائيلَ -عليهما السَّلامُ- من جملة الملائكةِ تعظيمًا لهما.

=

(١) أخرجه إسماعيل بن جعفر في ((أحاديثه)) (٣٥٠)، والقاسم بن سلام في ((فضائل القرآن)) (٢٢٠)، وأحمد في ((مسنده)) (٣١٠/١٤-٣١١-مسند المكثريين من الصحابة/مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، والدارمي في ((سننه)) (٧٦٨-كتاب فضائل القرآن/باب فضل فاتحة الكتاب)، وابن خزيمة في ((صحيحه)) (٢٨١/١)، جميعهم عن أبي هريرة بنحوه. والطبراني في ((مسند الشاميين)) (٩٧/١-٩٨)، عن زيد بن ثابت بنحوه. والطبري في ((تفسيره)) (١٢٣/١٤)، عن أبي هريرة ببعضه. وابن خزيمة في ((صحيحه)) (٢٨١/١)، عن أبي بن كعب ببعضه. والطبري في ((تفسيره)) (١٢٣/١٤)، والثعلبي في ((تفسيره)) (٤٩٩/١٥)، والمستغفري في ((فضائل القرآن)) (٤٧٩/١)، والواحدي في ((أسباب النزول)) (١١٩)، جميعهم عن أبي هريرة بزيادة في أوله. وأحمد في ((مسنده)) (٢٠/٣٥-٢١-مسند الأنصار/حديث أبي هريرة الدوسي عن أبي بن كعب)، وعبد بن حميد في ((المنتخب)) (٨٦)، وابن خزيمة في ((صحيحه)) (٢٨٠/١)، والحاكم في ((مستدركه)) (٧٤٤/١)، والمستغفري في ((فضائل القرآن)) (٤٧٨/١)، والبيهقي في ((القراءة خلف الإمام)) (٥٢)، وفي ((شعب الإيمان)) (٤٤٢/٣)، جميعهم عن أبي بن كعب مطولًا. والطبري بعدة أسانيد في ((تفسيره)) (١٢١/١٤-١٢٢،١٢٤)، والحاكم بإسنادين مختلفين في ((مستدركه)) (٧٤٥/١)، (٢٨٣/٢)، والبيهقي بإسنادين مختلفين في ((القراءة خلف الإمام)) (٥٢-٥٣)، جميعهم عن أبي هريرة مطولًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (١٢/١-١٣)، وعزاه إلى أبي عبيد، وأحمد، والدارمي، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن خزيمة، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي ذر الهروي في ((فضائل القرآن))، والبيهقي في ((سننه))، عن أبي هريرة مطولًا. وفي رواية (١٣/١)، عزاه إلى الدارمي، والترمذي وحسنه، والنسائي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في ((زوائد المسند))، وابن الضريس في ((فضائل القرآن))، وابن جرير، وابن خزيمة، والحاكم وصححه، عن أبي بن كعب مطولًا.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: (٣٤٩/١-٣٥٠) (أخرجه عن قتادة). غريب الحديث لابن قتيبة: ٢٤٣/١. تفسير غريب القرآن (بنصه): ٣٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٨. بحر العلوم: ٢٢٤/٢ (وذكر الزجاج وكذا السمرقندي أن هذا التفسير على أن معنى (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ للتبعيض). المحرر الوجيز: ٣١٦/٥ (عزاه إلى الزجاج وقال: «جوزه الزجاج، وفي هذا القول من جهة التصرف نظر». وعلَّق أبو حيان على قول ابن عطية فقال: «قال ابن عطية: وفي هذا القول من جهة التصرف نظر، انتهى». فكان تعقيبه عليه: «ولا نظر في ذلك؛ لأنها جمع مُثْنى بضم الميم مُفْعَل من أثنى رباعيًّا، أي: مقر ثناء الله على الله تعالى، أي: فيها ثناء على الله».) البحر المحيط: ٤٥٢/٥.

فأما قولُه تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ فمعناه: وآتيناك القرآنَ العظيمَ[٢].

ولو قُرئ: (وَٱلْقُرْءَانِ) بالكسر؛ على معنَى أنَّ المثانيَ والقرآنَ كلاهما عبارتانِ عن شيءٍ واحدٍ، كما قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٢]؛ لجازت هذه القراءةُ، إلا أنه لا يُقرأ بها إلا أن تثبُتَ روايةً صحيحةً[٣]؛ لأن القراءةَ سنةٌ متبَعة.

وقولُه تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ معناه: لا تنظُرَنَّ بعينِ الرغبةِ إلى ما أَعطَينا من الأموال رجالًا من بني قريظةَ[٤] والنضيرِ[٥] وغيرِهم من قريش، فإنَّ ما[٦] يُعطيك اللهُ من الثوابِ، [و][٧]ما أكرَمَك به من النبوةِ والقرآنِ، أعظمُ مما أعطيناهم من الأموال.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ بما أنعمنا عليهم مما لم يُنعَمْ به عليك[٨].

=

(١) قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما خَصَّ السورةَ من جملةِ القرآنِ، مع كونها من القرآنِ، تعظيمًا لها؛ لأن كمالَ الصلاةِ متعلقٌ بها...»، عبر بقوله: «لأن كمال الصلاة متعلق بها...»، ولم يقل لأن صحة الصلاة متعلقة بها؛ بناءًا على مذهب الأحناف الذين لا يرون أن قراءة الفاتحةِ ركن من أركان الصلاة، وأن ركنيتها لم تثبت بدليل مقطوع، والراجح أنها ركن من أركان الصلاةِ ولا تصح الصلاة بدونها، وما ذهب إليه الأحناف هو خلاف ما ذهب إليه أحمد في المشهور عنه، ومالك والشافعي وروي كذلك عن عمر بن الخطابِ وسعيد بن جبير، وغيرهم.

ينظر: المبسوط للسرخسي: ١٩/١. بحر المذهب الروياني: (٢/٢٥-٢٦). المغني لابن قدامة: (٢/١٤٦-١٤٧).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٣٦/٢. تفسير الطبري: ١٢٦/١٤ (أخرجه عن مجاهد، والضحاك). بحر العلوم: ٢٢٤/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٩.

(٤) قُرَيْظة: جماعة من اليهود، وهم بنو قُرَيْظَةَ بن الخزرج بن الصَّريح بن التَّوْمان. والنسبة إليهم: (القرظي) بضمِّ القاف وفتح الراء.

ينظر: الأنساب للسمعاني: (١٠/١٠٢) ، (١٢/١٠٧). عجالة المبتدي: ١٠٤.

(٥) النَّضير: جماعة من اليهود، وهم بنو النَّضير بن الخزرج بن الصَّريح بن التَّومَان. والنسبة إليهم: (النَّضَري) بفتح النون والضاد، و(النَّضِيري) بفتح النون وكسر الضاد.

ينظر: الأنساب للسمعاني: (١٣/١٢٨،١٣١). عجالة المبتدي: ١١٩.

(٦) في الأصل، ز: (قريش **فإنما**) موصولة، وهو خطأ، لأن (ما) اسم موصول، والسياق لا تناسبه (ما) الكافة.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

(٨) ينظر: التفسير البسيط: ٦٥٧/١٢ (عزاه إلى أهل المعاني).

ويُقالُ: لا تحزنْ على هلاكهم إنْ لم يؤمنوا(١).

وهذا القولُ أقربُ؛ لأنَّ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- كان لا يجوزُ أن يحسُدَ أحدًا بما أنعمَ اللهُ تعالى عليه من نعيمِ الدنيا؛ وإنما كان الحزنُ على إصرارِهم على الكفرِ وعلى ما يَصِلون(٢) بنعيمِهم إلى الموافقةِ على الكفر، والتظاهرِ على حربِ النبي -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-.

وقولُه تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: تواضَعْ، وألِنْ جانبَك للمؤمنين(٣)؛ لكي يتبعَك الناسُ على دينِك، ولا يتفرَّقوا من عندك.

وقولُه تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّيَ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أي: قل لهم: أنا المُعْلِمُ بموضعِ المخافةِ، المُبينُ لكم بلغةٍ تعرفونها(٤).

وهذا كلُّه تأديبٌ من اللهِ تعالى لرسولِه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- لئلَّا يكونَ له رغبةٌ في شيءٍ من أحوال الدنيا، ولا يعتدَّ بنعيمها، في مقابلةِ ما خصَّه اللهُ تعالى به من القرآنِ الجامعِ للتوحيدِ والأحكامِ، ونعيمِ الآخرة، وإلى هذا أشارَ النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فقال -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((لم أُبعَثْ لأجمعَ المالَ، وأكونَ من التاجرين، ولكن بُعثت لأسبِّحَ بحمدِ ربي، وأعبُدَه حتى يأتيَني اليقينُ))(٥).

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٥. التفسير البسيط: ١٢/٦٥٧ (عزاه إلى الكلبي).. زاد المسير: ٧٦٦.

(٢) /ز/ظ٣٦٢/.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٢٨. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٦٩. بحر العلوم: ٢/٢٢٥.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٥.

(٥) أخرجه أحمد في ((الزهد)) (٣١٧)، والسمرقندي في ((تفسيره)) (٢/٢٢٦)، كلاهما عن أبي مسلم الخولاني بنحوه. والخطيب البغدادي في ((المتفق والمفترق)) (١/٤٧٥-٤٧٦)، من طريق عبد الله بن أبان بن عثمان بن حذيفة بن أوس الطائفي بنحوه. والواحدي في ((الوسيط)) (٣/٥٤)، والبغوي في ((تفسيره)) (٤/٣٩٧)، وفي ((شرح السنة)) (١٤/٢٣٧)، ثلاثتهم عن جُبَير بن نُفَير بنحوه. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٨/٦٦٦)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، والحاكم في ((التاريخ))، وابن مَرْدَويه، والدَّيلمي، عن أبي مسلم الخولاني بنحوه. وفي رواية أخرى (٨/٦٦٦)، عزاه إلى ابن مردويه عن ابن مسعود بنحوه. وفي رواية (٨/٦٦٦)، عزاه إلى ابن مردويه والدَّيلمي عن أبي الدرداء بنحوه. وفي رواية أخرى (٨/٦٦٧)، عزاه للخطيب البغدادي في ((المتفق والمفترق))، من طريق أبي أبان بن عثمان عن جده بنحوه أيضًا.

[٩٠-٩٦] قوله عز وجل: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾

اختلف أهلُ التفسيرِ -رحِمهم الله- في معنَى أوَّلِ هذه الآياتِ:

قال الحسنُ -رضِيَ اللهُ عنه-: «معناه: أنزلنا عليك القرآنَ كما أنزلنا الكتابَ على المقتسِمين؛ وهم: اليهودُ والنصارى، سمَّاهم مقتسمين؛ لأنهم اقتَسَموا كتبَ الله تعالى؛ فآمنوا ببعضِها، وكفروا ببعضِها»[١].

وهم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: فرَّقوه وآمنوا ببعضِه؛ وهو ما وافقَ دينَهم، وكفروا بالبعضِ؛ وهو ما خالفَ دينَهم[٢].

ومعنَى التَّعْضِيةِ: هو التفريق.

يُقالُ: عضَّيْتُ الجزورَ: إذا جزَّأتَه وفرَّقته[٣].

ويُقالُ للفِرقة فيها: عِضَة، وعِضُون: جمعُ عِضَة؛ مثلُ: عِزَة وعِزِين[٤].

/٢/ظ٩٣/ وقال بعضُ أهلِ التفسير -رحمهم الله-: معنَى أولِ هذه الآياتِ: أنذرُكم بالعذابِ كالعذابِ الذي أَنزلَ اللهُ تعالى على المقتسِمين[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب مناقب الأنصار/باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة/ح٣٩٤٥)، عن ابن عباس بنحوه. والبخاري في ((صحيحه» بإسنادين مختلفين، (كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]/ح-٤٧٠٥، ح٤٧٠٦)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٤/١٣٠)، عن الحسن بمعناه مختصرًا

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/١٣٤-١٣٥) (أخرجه عن ابن عباس).

(٣) من قوله: «ومعنى التعضية...»، إلى قوله: «... إذا جزأته وفرقته»، ينظر: غريب الحديث: ٢/٢٢٣. تفسير الطبري: ١٤/١٣٩. التفسير البسيط: ١٢/٦٦٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٣٦. تفسير الثعلبي: (١٥/٥٢٢-٥٢٣). التفسير البسيط: ١٢/٦٦٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٩١. تفسير الثعلبي: ١٥/٥١٨ (عزاه إلى الفراء). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٢٨.

قال: وهم رَهْطٌ من أهلِ مكةَ، كانوا يقتسِمون عِقَابَ[١] مكةَ أيامَ المَوْسِمِ؛ ليصُدُّوا الناسَ عن دينِ الله تعالى، وكانوا يجعلون القرآنَ مفرَّقًا في القول، وكان يقولُ بعضُهم: هو سِحْرٌ، وبعضُهم: شعرٌ، وبعضُهم: هو كهانةٌ، وبعضُهم: هو من أساطيرِ الأوَّلين[٢]. وكان قصدُهم من هذه الأقوالِ صَدَّ النَّاسِ عن الإيمانِ بالنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وهذا على قول مَن يقولُ: إنَّ المقتسِمين هم المستهزئون، وقد أهلَكَهم اللهُ عزَّ وجل على ما سنذكرُه من بعدُ.

ويجوزُ أن يكونَ معنَى المقتسمين: المتحالِفِين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ﴾ [النمل:٥١][٣].

ويُقالُ: معنَى الآيةِ: مثلَ ما أنزلنا القرآنَ على المقتسِمين حجةً عليهم؛ لِيسألَهم في الآخرةِ عمَّا كانوا يعملون؛ من تفريقِهم القرآنَ وصرفِهم الناسَ عن دينِ محمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-.

وقولُه: ﴿فَاصْدَع بِمَا تُؤْمَرُ﴾ معناه: أظهِرْ أمرَك بمكةَ، واترُكْهم حتى يجيءَ أمرُ الله تعالى بقتالهم[٤].

(١) العقبة: طريق في الجبل وعر، والجمع: عَقَب، وعِقَاب. ينظر: لسان العرب: (ع ق ب).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٢/٩١-٩٢). تفسير الطبري: ١٤/١٣٣. تأويلات أهل السنة: ٣/٦٤. بحر العلوم: ٢/٢٢٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/١٣٢-١٣٣) (أخرجه عن ابن زيد). تفسير الثعلبي: (١٥/٥٢٠-٥٢١). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٣٠. (عزاه كلاهما إلى ابن زيد).

(٤) قول المصنف: «واتركهم حتى يجيء أمر الله تعالى بقتالهم»، كان ذلك قبل فرض الجهاد، ثم نسخ قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٤٥. وأخرج الطبري عن الضحاك أن الآية نسخت بقوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]. ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٤٥. وقال أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١/٤٨٢)، عن الآية: «روي عن ابن عباس: نسخته براءة والأمر بالقتال». وقال المقري في «الناسخ والمنسوخ» (١١٢)، عن الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِض عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: «وهذه الآية نصفان: نصفها محكم؛ وهو قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، ونصفها منسوخ؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، نسخ بآية السيف».

وكان رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- مستخفِيًا بمكةَ قبلَ نزولِ هذه الآيةِ، لا يُظهِر شيئًا مما أنزلَ اللهُ عليه، فلمَّا أُنزلت هذه الآيةُ وما بعدَها من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾؛ أظهَرَ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أمرَه وأعلَنَه بمكةَ[١].

والمستهزئون بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كانوا خمسةَ نفرٍ، أهلَكَهم اللهُ تعالى كلَّهم بعد نزولِ هذه الآيةِ في يوم واحدٍ.

العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمي[٢]؛ نزَل شِعْبًا من تلك الشِّعابِ، فلمَّا وضَع قدمَه على الأرضِ قال: لُدِغْتُ، فطَلَبوا فلم يجدوا شيئًا، فانتفخت رجلُه حتى صارت مثلَ عنقِ بعيرِه، فمات مكانَه.

ومنهم: الحارثُ بنُ قيسٍ السَّهْمي[٣]؛ أكلَ حُوتًا مالحًا، فأصابه عطشٌ شديدٌ، فلم يزَلْ يشربُ عليه الماءَ حتى نفِد، فمات مكانَه.

ومنهم: الأسودُ بنُ المطَّلِب[٤]؛ رماه جبريلُ -عليه السَّلامُ- في ذلك اليومِ بورقةٍ خضراءَ، فذهب بصرُه بها، ثم إنه خرج لملاقاةِ ابنه زَمْعة[٥]، وكان غائبًا عنه، وقد كان واعَدَه الرجوعَ في ذلك اليومِ، فخرج لتلك المواعدةِ، وقعَد إلى أصلِ شجرةٍ، فقتله جبريلُ -عليه السَّلامُ- جعل

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢١٨.

(٢) العاصُ بنُ وائل السَّهْمي، أبو عمرو. من المستهزئين برسول الله ﷺ، وهو الذي قال عن النبي ﷺ عندما مات ابنه عبد الله: إن محمدًا أبتر، لا يعيش له ذكر، فأنزل الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].
ينظر: أنساب الأشراف: ١/١٥٧.

(٣) الحارث بن قيس بن عدي السَّهْمي. أحد المستهزئين المؤذين لرسول الله ﷺ، وهو الذي نزلت فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وكان يقول: غرَّ محمد نفسه وأصحابَه أنْ وعدهم أن يحيوا بعد الموت.
ينظر: أنساب الأشراف: (١/١٤٩-١٥٠).

(٤) الأسود بن المطلب بن أسد، أبو زَمْعة. من المستهزئين برسول الله، كان يتغامز هو وأصحابه على النبي ﷺ وأصحابه. تكلم مع النبي بكلام شق عليه، فدعا عليه النبي بالعمى وفَقْدِ ولده، وأجابه الله. ينظر: أنساب الأشراف: ١/١٦٨.

(٥) زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد، أبو حكيمة. قتله أبو دُجانة يوم بدر، ويقال: ثابت بن الجذع. ينظر: أنساب الأشراف: ١/١٦٨.

يضربُ رأسَه على الشجرةِ حتى مات، وكان هو يستغيثُ بغلامِه، فقال غلامُه: لا أرى أحدًا يصنعُ بك شيئًا غيرَ نفسِك.

ومنهم: الأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ[١]؛ خرج من أهله، فأصابته السَّمومُ، فاسودَّ حتى [عاد][٢] [حبشيًّا][٣] وأتى أهلَه، فلم يعرفوه، فأغلقوا دونه البابَ حتى مات.

ومنهم: الوليدُ بنُ المغيرةِ المخزوميُّ[٤]؛ من يَتبختَرُ في مشيِه، حتى وقفَ على رجلٍ يصنعُ السِّهامَ، فتعلَّقَ سهمٌ بثوبه، فجعَل يعطِفُ رداءَه على كتفِه، فأصابَ السهمُ أَكْحَلَه[٥] فقطعَه، ثم لم ينقطعْ عنه الدمُ حتى مات[٦].

وهذه الآيةُ من إحدى دلائلِ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلم-؛ كان هؤلاء المستهزئون أصحَّاءَ سالِمين، فهلَكوا بعد نزولِ هذه الآيةِ بأنواعٍ من البلاءِ، وكلُّهم كانوا يقولون: قتَلني ربُّ محمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-.

وأما قولُه تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾؛ كلمةُ وعيدٍ وتهديدٍ لهم[٧].

---

(١) الأسود بن عبد يَغُوث بن وهب. خال النبي ﷺ، وقيل: ابن خاله، وكان من المستهزئين به وبالمسلمين. ينظر: أنساب الأشراف: (١/١٤٨-١٤٩،١٥١).

(٢) سقطت من الأصل، ز، والمثبت من بحر العلوم: ٢/٢٢٦.

(٣) في الأصل: (حسيما)، هكذا: ([illegible])، وفي ز: ([illegible])، والمثبت من بحر العلوم: ٢/٢٢٦.

(٤) الوليد بن المغيرة بن عبد الله، أبو عبد شمس المخزومي. أحد المستهزئين برسول الله، وهو مَن سمى النبي ﷺ ساحرًا، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، إلى قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ١٠]. ينظر: أنساب الأشراف: (١/١٥٠-١٥١).

(٥) الأكحل: عرق في اليد يفصد. ينظر: لسان العرب: (ك ح ل).

(٦) من قوله: «والمستهزئون بالنبي -صلَّى الله عليه وسلم- كانوا خمسة...»، إلى قوله: «ثم لم ينقطع عنه الدم حتى مات»، ينظر: بحر العلوم: (٢/٢٢٥-٢٢٦).

(٧) ينظر: التفسير الوسيط: ٣/٥٣. تفسير السمعاني: ٣/١٥٥.

[٩٧-٩٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾

معناه: ولقد نعلمُ؛ يا محمدُ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنك يضيقُ صدرُك بما يقولون من التكذيبِ؛ بأنك شاعرٌ، وساحرٌ، وكاهنٌ، فصَلِّ بحمدِ ربِّك، واحمَدْه بالثناء(١) عليه(٢).

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: العابدين لله تعالى، واستقِمْ على عبادةِ ربِّك، وطاعتِه (٣حتى يأتيَك الموتُ٣).

وسمَّاه يقينًا؛ لأنه مُوقَن به(٤).

ويُقالُ: أرادَ باليقينِ أن يشاهِدَ ما أعدَّ الله له من الثوابِ.

والغرضُ من الأمر بالصلاةِ: الاستعانةُ بها على الصبرِ؛ فإنه إنما يُستعانُ على الصبرِ بطاعةِ الله تعالى، كما رُوي في الحديثِ عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: أنه قرأ هذه الآيةَ، فقال: ((عزَّاني ربي بالصلاةِ))(٥). فلم يكُنْ له هِمَّةٌ(٦) إلا الصلاةُ.

---

(١) /ز/و٣٦٣/.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/١٤.

(٣ - ٣) هو تفسير لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وقول المصنف: «حتى يأتيك الموت»، ينظر: تفسير مجاهد: ٤١٩. تفسير غريب القرآن: ٢٤٠. تفسير الطبري: (١٥٤/١٤-١٥٥) (أخرجه عن سالم بن عبد الله، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وابن زيد).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/١٤. التفسير البسيط: (٦٧٥/١٢-٦٧٦). التفسير الوسيط: (٥٣/٣-٥٤).

(٥) لم أقف عليه، والخبر الذي استدلَّ به أهل التفسير عند تفسيرهم لهذه الآية هو ما روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِع إِلَى الصلاةِ. وهذا الخبر بهذا اللفظ أخرجه: الطبري في ((تفسيره)) (٦١٨/١)، عن حذيفة بلفظه. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (٣٥٨/١)، وعزاه إلى أحمد، وأبي داود، وابن جرير عن حذيفة بلفظه. واللفظ الذي أخرجه أحمد وأبو داود: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى)). وأخرجه أحمد في ((مسنده)) (٣٣٠/٣٨-أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ/حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأبو داود في ((سننه)) (٤٨٥/٢-باب تفريغ أبواب التطوع وركعات السنة-باب وقت قيام النبي ﷺ)، والطبري في ((تفسيره)) (٦١٩/١)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٥٤/٣)، جميعهم عن حذيفة بن اليمان باللفظ المذكور آنفًا.

*من كتب التفسير التي استدلت به: ينظر: تفسير الطبري: ١٥٤/١٤. تفسير الثعلبي: ٥٣٥/١٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٤١/٦.

(٦) الهمة: ما هم به من أمر ليفعله، ومنه عظيم الهمة، والملك الهمام، وبعيد الهمة. ينظر: لسان العرب: (هـ م م).

وعن أُبَيّ بنِ كعبٍ -رضيَ اللهُ عنه-، عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قال: ((مَن قرأ سورةَ الحِجْر أُعطِيَ من الأجرِ عشرَ حسناتٍ بعددِ المهاجرين والأنصارِ، وبعددِ المستهزئين برسولِ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-))[1]. وبالله التوفيق.

(١) أخرجه الثعلبي في ((تفسيره)) (١٥/٤٢٥-٤٢٦)، عن أبي بن كعب بنحوه.

/٢/و٩٤/ سورة النحل

مكيَّةٌ(١)، وهي مئةٌ وثماني وعشرون آيةً بلا خلافٍ(٢).

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ –رضِي اللهُ عنهما–: «((إنها مكيةٌ غيرَ أربعِ آياتٍ؛ قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل:١٢٦]، وقولِه تعالى: ﴿وَاصْبِرْ﴾ [النحل:١٢٧] في آخرِ السورةِ، وقولِه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ﴾ [النحل:٤١]، وقولِه تعالى: ﴿ثم إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [النحل:١١٠]، فهؤلاء الأربعُ مدنياتٌ»(٣).

وعن قتادةَ أن السُّورة كلَّها مدنيةٌ(٤).

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

[١] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ –رضِي اللهُ عنهما–: «وذلك أنه لَمَّا أَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:١]، وقولَه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، فمكثوا على ذلك ما شاء الله تعالى أن يمكثوا، ولم يتبيَّنْ لهم شيءٌ، قالوا: يا محمدُ، متى يأتينا ما تعِدُنا من

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٥٧/٢. معاني القرآن للنحاس: ٥١/٤. بحر العلوم: ٢٢٧/٢. تفسير الثعلبي: ٨/١٦.

(٢) ينظر: البيان في عدِّ الآي: ١٧٥. حسن المددِ في فنِّ العدد: ٨١. القول الوجيز: ٢٢٠.

(٣) لم أقف على من ذكر أنَّ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنها مكية غير أربع أيات»، وذكر منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ﴾ [النحل: ٤١]، غير السمرقندي في ((تفسيره)) (٢٧٧/٢)، فقد ذكره عن ابن عباس بنحوه. وأخرج النحاس في ((الناسخ والمنسوخ)) (٤٨٤/٢–٤٨٥)، عن ابن عباسٍ أنها ثلاث آياتٍ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة، مطولًا. وأخرجه كذلك الطبري في ((تفسيره)) (٤٠٣/١٤)، –موافقًا للنَّحاس أنها ثلاث آيات– عن عطاء بن يسار مطولًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور))، –وهو موافقٌ لما أخرجه الطبري والنحاس– (٥/٩)، وعزاه إلى النحاس من طريق مجاهد عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (١٣٦/٩)، عزاه إلى ابن إسحاق، وابن جرير عن عطاء بن يسار مطولًا.

(٤) أخرجه المحاسبي في ((العقل فهم القرآن)) (٣٩٥)، عن قتادة مطولًا. وذكره الجرجاني في ((تفسيره)) (١٨١/٢)، عن قتادة بنحوه.

*وقال بمكية السورة جمهورُ أهل العلم باستثناء الثلاث الآيات التي ذكرت في الأثر الوارد عن ابن عباس فهي مدنية، وقد فصَّل القولَ فيها: عبد الرزاق حسين أحمد، في المكي والمدني في القرآن الكريم، للاستزادة ينظر: المكي والمدني في القرآن: (٣٥٧/١–٣٥٣).

العذابِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: دنا عذابُ الله، وكان النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّمَ- جالسًا، فقام لا يشُكُّ أن العذابَ قد أتى، فقالَ اللهُ تعالى له: ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ يعني: العذابَ، فجلس النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-»[١].

وأما ذكرُ لفظِ الإتيانِ في هذا البابِ؛ لأن أمْرَ اللهِ تعالى -في القُربِ- بمنزلةِ ما قد أتى، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧][٢].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآنُ، الذي هو كلامُ الله، بما فيه من بيانِ الأحكامِ والفرائضِ، فلا تستعجِلوه إذا أبطأَ[٣].

إلا أنَّ القولَ الأولَ أصحُّ القولينِ؛ لأن القومَ كانوا لا يستعجلون الأحكامَ والفرائضَ، ولكنهم كانوا يستعجلون القيامةَ على جهةِ التكذيبِ بها، وكانوا يستعجلون العقابَ إذا وُعدوا به وخُوفوا على جهة التكذيبِ به، يريدون بذلك أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- لو كان صادقًا لصار العذابُ واقعًا[٤].

فقالَ تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: سيأتي عن قريبٍ[٥].

﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: فلن يفوتَكم إن كنتم مُصرّين على التكذيبِ[٦].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا عن ابن عباس، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/١٥٨-١٥٩)، عن ابن جريج بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٦-٧)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جريج بمعناه. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٢٧-٢٢٨)، والجرجاني في «تفسيره» (٢/١٨١-١٨٢)، كلاهما عن ابن عباس بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (١٦/١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٥/٧-٨)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٧٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/٢٦٧-٢٦٨)، والخازن في «تفسيره» (٣/٦٦)، جميعهم عن ابن عباس بمعناه.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٥٨ (أخرجه عن الضحاك). إعراب القرآن للنحاس: ٢/٣٩١ (ومال إلى هذا القول، حيث قال: «ومن أحسن ما قيل في معناه: قول الضحاكِ: إنه القرآن»). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٤٥.

(٤) وهذا ما اختاره الطبري كذلك ورجحه. ينظر: تفسير الطبري: (١٤/١٥٩-١٦٠).

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٩٤. تفسير الماوردي: ٣/١٧٧. تفسير السمعاني: ٣/١٥٨.

(٦) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/١٧٨.

وقولُه تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ كلمةُ تنزيهٍ لله تعالى عمَّا لا يليقُ به(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَتَعَالَى﴾ أي: وتعظَّم بإعلاء صفاتِ المدحِ، ولهذا ذكرَ بعده ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ فإنه أعلى مِن أن يَلِيقَ به الشركُ(٢)، وأعلى مِن أن يوصفَ بأنه لا يقدرُ على الإعادةِ للمجازاةِ.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٨. التفسير البسيط: ١٣/٨ (عزاه إلى ابن عباس). التفسير الوسيط: ٣/٥٥.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٨. التفسير البسيط: (١٣/٨-٩). التفسير الوسيط: ٣/٥٥.

[٢] قوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

معناه: يُنزِّلُ الملائكةَ بالوحيِ على مَن يشاءُ من عبادِه: أنْ أَعْلِموا بالتخويفِ أنه لا إلهَ إلا أنا فاتقوا معاصِيَّ[١].

ويُسمى الوحيُ رُوحًا؛ لأن الرُّوحَ ما كانت فيه حياةُ النفوسِ، وفي القرآنِ حياةُ النفوسِ[٢].

والغرضُ من الآيةِ: بيانُ أن الحالَ حالُ التكليفِ لا حالُ نزولِ العذاب؛ ولذلك ذكرَ دلائلَ التوحيدِ مِن بعدُ[٣]، فقال عزَّ وجل:

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٦٢. بحر العلوم: ٢/٢٢٨. الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/٣٩٤٧،٣٩٤٩)

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٤. تفسير الثعلبي: ١٦/١٣. تفسير السمعاني: ٣/١٥٩.

(٣) قوله: «ولذلك ذكر دلائل التوحيد من بعد فقال»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٤.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾

معناهُ: خلقَهُما ليُستَدلَّ بهما على اللهِ تعالى، وليُعمَل بالحقِّ[١].

وقولُه عزَّ وجل: ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ أي: تعظَّمَ من أن يكونَ له شريكٌ[٢].

ثم بيَّن الدلالةَ الأخرى، فقال عزَّ وجل:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٤/١٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٦٤/١٤-١٦٥). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٤. بحر العلوم: ٢٢٨/٢.

[٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝﴾

قال عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «نزلَ في أُبَيِّ بنِ خلفٍ الجُمَحي[١]، في قولِه: ﴿مَنْ يُّحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهْىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٧]»[٢].

ومعنَى الآيةِ: أن اللهَ تعالى خلقَ الإنسانَ منَ النطفةِ الـمُنتِنة، وأنعم عليه حالًا بعدَ حالٍ، إلى أن بلَّغه إلى الحالةِ التي يُخاصِمُ عن نفسِه، ويُبينُ مرادَه لغيرِه، إلى أن يُخاصِمَ في خلقِه، فيُنكرَ إعادتَه بعد موتِه.

قال الحسنُ[٣] -رضِيَ اللهُ عنه-: «هذا تقبيحٌ لكفرِه، ولمقابلتِه نعمَ اللهِ تعالى بالكُفرانِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بلَّغه إلى هذه الحالةِ -بما فيها من القدرةِ، وكمالِ الآلة، وحصولِ العقلِ، والمعرفةِ باللغةِ والمعاني- جعل يخاصمُ في نفيِ قدرةِ الله عزَّ وجل في البعثِ بعد الموتِ»[٤].

---

(١) لم أقف له على ترجمة وافية، وجُلُّ الذي وقفت عليه: أنَّ النبي ﷺ قتله بيده يوم أحد. ينظر: أنساب الأشراف: ٤٠٨.

(٢) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١٧٩/٣)، وعزاه للكلبي بمعناه مختصرًا. ومقاتل في «تفسيره» (٤٦٠/٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢٢٨/٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/١٦-١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٢)، والبغوي في «تفسيره» (٩/٥)، والزمخشري في أحد أقواله في «تفسيره» (٥٦٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٧٠/١٢)، والخازن في «تفسيره» (٦٧/٣)، جميعهم من غير نسبة مطولًا.

*والقصة بتمامها مختلفة في التفاسير من حيث الصياغة، وسأذكر ما ورد في تفسير السمرقندي والماوردي على سبيلِ البيان: ذكر أبو الليث أنَّ: «أُبَي بن خَلَفٍ الجُمَحِي أخذ عظمًا باليًا ففتَّه بيدِهِ، وقال: عجبًا لمحمد يزعم أنه يعيدنا بعد ما كنا عظامًا ورفاتًا وأنا نعاد خلقًا جديدًا، فنزل...». وقال الماوردي: «ذكر الكلبي: أن هذه الآية نزلت في أُبَيّ بن خَلَفٍ الجُمَحِي حين أخذ عظامًا نخرة فذرَّاها، وقال: أنعاد إذا صرنا هكذا؟!».

*ورجح الإمام الطبري في «تفسيره» -وإن لم يشر أنَّ الآية نزلت في أبي- أنَّ المقصود بالإنسان: جميع النَّاس؛ حيث قال: «عُني بالإنسانِ: جميع الناس، أخرج بلفظ الواحدِ، وهو في معنى الجمع». وهو ما ذهب إليه السمعاني حيث قال: «والصحيح أنها عامة في الكلّ»، وكذلك البغوي، حيث قال: «والصحيح أنَّ الآية عامَّة...»، ووافقه كذلك الخازن، ورأى أن تحمل على العموم؛ لأنه الأولى، ومال إلى ذلك القرطبي.

ينظر: تفسير الطبري: ١٦٥/١٣. تفسير السمعاني: ١٥٩/٣. تفسير البغوي: ٩/٥. القرطبي: ٢٧٠/١٢. تفسير الخازن: ٦٧/٣.

(٣) البصري.

(٤) لم أقف عليه.

ثم بيَّن اللهُ تعالى ما أنعمَ به على هذا الإنسانِ الذي خلقه؛ فقال جلَّ ذكرُه:

[٥-٧] ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾

معناهُ: وخلقَ لكمُ الأنعامَ[١].

والأنعامُ: هي ذواتُ الخِفافِ[٢]، والأظلافِ[٣] دونَ ذواتِ الحوافرِ[٤].

سُميت أنعامًا؛ لنعومةِ مَشْيِها ولِينِ سَيرِها.

وأكثرُ ما تُستعملُ الأنعامُ: في الإبلِ، وقد[٥] تُستعملُ في: الإبلِ، والبقرِ، والغنمِ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿لَكُمۡ /٢/ظ٩٤/ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ أي: ما يُدفِئُكُم من أصوافِها وأوبارِها، من الأكسيةِ ونحوِها[٧].

وقولُه: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ معناهُ: ولكُم فيها منافعُ أُخَرُ؛ من ألبانِها، وما تتخذونَ من أصوافِها من الفُرُشِ والبيوتِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: ولكم فيها منفعةُ الأكلِ أيضًا.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: منظرٌ حسنٌ[٨].

يقال: هذه مَواشي فلانٍ؛ فيكونُ في ذلك جمالٌ[٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٦٥. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٥. تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٣٩٥.

(٢) خِفافٌ: جمع خُف: وهو للبعيرِ، وقد يكون للنعامِ، وقيل: لا يكون الخف من الحيوان إلا للبعيرِ والنعامة. ينظر: لسان العرب: (خ ف ف).

(٣) الظِّلْفُ والظِّلْفُ: ظفُرُ كل ما اجترَّ، وهو ظلف البقرةِ والشاةِ والظبي وما أشبهها، والجمع أظلاف. ينظر: لسان العرب: (ظ ل ف).

(٤) الحافر من الدوابِّ يكون للخيلِ والبغالِ والحميرِ. ينظر: لسان العرب: (ح ف ر).

(٥) /ز/ظ٣٦٣/.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٧٥.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٦٥. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٥. بحر العلوم: ٢/٢٢٩.

(٨) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٢٩.

(٩) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٦٠ (عزاه إلى السدي).

وقولُه تعالى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: ترجعونها إلى المنزلِ بالرَّواحِ، فتُريحونها من التعبِ(١).

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي: تُخلُّونها ترعَى(٢).

والسَّرْح: هو إخراجُ الماشيةِ في أولِ النهارِ إلى الرَّعْي(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أراد به: الإبلَ؛ تحملُ أمتعتَكم، وزادَكم، وما يثقلُ عليكم إلى أيِّ بلدٍ قصَدْتموه؛ لحجٍّ إلى مكةَ، أو تجارةٍ إلى سائرِ البُلدانِ، لولا الإبلُ لكان لا يُمكنُكم بلوغُ ذلك البلدِ إلا بجهدٍ ومشقةٍ.

ويجوزُ أن يكونَ الشِّقُّ: عبارةً عن شَطْر الشيء، وهو أحدُ نِصْفَيْه.

وكأنه أرادَ: إلا بأنْ يذهبَ شِقُّ قوتِكم(٤).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: متفضِّلٌ مُنعِم عليكم(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٨/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٥. تفسير الثعلبي: ١٤/١٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٧٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٦٨/١٤. بحر العلوم: ٢٢٨/٢. تفسير الثعلبي: ١٤/١٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٩/٢. تفسير الطبري: (١٧١/١٤-١٧٢). تفسير الثعلبي: ١٥/١٦.

*وأشار الفراء والطبري وكذا الثعلبي أن كلا المعنين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ وهما: الأول بجهدٍ ومشقة، والآخر: بمعنى ذهاب شق قوتكم أي نصفها، هو على معنى قراءة (بِشِق)، بالكسر، وقرأ بكسر الشين: جميع القراء عدا أبي جعفر؛ قرأ بفتحِ الشين.

ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ٢٦٢. الكامل في القراءات العشر: ٥٨٣. النشر في القراءات العشر (ت محمد محفوظ): ٣٣٩.

*وفتح الشين وكسرها في (بشق)، قال معاذ الهراء: «هي لغة، تقول العرب: بشَقٍّ، وبشِقٍّ، وبرَقٍّ، وبرِقٍّ»، ذكره عنه الطبري. ينظر: تفسير الطبري: ١٧١/١٤.

(٥) ينظر: التفسير البسيط: ١٩/١٣. التفسير الوسيط: ٥٦/٣.

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

معناه: خلقَ لكم الخيلَ والبغالَ والحميرَ؛ لتركبوها[١].

وقولُه: ﴿وَزِينَةً﴾ معناه: وتتزيَّنوا بها زينةً، فتحصلُ لكم منافعُها وحسنُ منظرِها للناسِ، كما قال جلَّ ذكرُه: ﴿اَلْمَال وَالْبَنُونَ زِينَةُ اَلْحَيَوٰةِ اِلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٥][٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ويخلقُ ما لا تعلمونه مفصَّلًا، وإنما تعلمونه مُجمَلًا.

ويُقالُ: ويخلقُ أشياءَ لا تعلمونها ولا تعرفونها، ولم يُسَمِّها لكم، كما رُوي عن رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه قال: ((إنَّ الله تعالى خلقَ أرضًا بيضاءَ مثلَ الدنيا ثلاثين مرةً، محشوةً خلقًا من خلقِ الله تعالى، لا يعلمون أنَّ الله تعالى يُعصى طرفةَ عينٍ، قالوا: يا رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: أمِنْ ولدِ آدمَ -عليه السَّلامُ- هم؟ قال: ما يعلمون أنَّ الله تعالى خلقَ آدمَ -عليه السَّلامُ-، قالوا: أفإن إبليس منهم؟ قال: ما يعلمون أنَّ الله تعالى خلق إبليسَ))، ثم قرأ رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وهذه الآيةُ إنما يُستدلُّ بها على كراهةِ لحم الخيلِ على مذهبِ أبي حنيفةَ[٤] -رحِمه الله-؛ لأنَّ الله تعالى قالَ في الأنعام: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥،...]، ولم يذكُرْ في آية الخيلِ والبغالِ إلا الركوبَ والزينةَ[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٧٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٥.

(٣) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٢٩)، مرفوعًا إلى النبي ﷺ بلفظه.

(٤) النُّعْمَان بنُ ثابت بن زوطى، أبو حنيفة. مولى لبني تيم الله بن ثعلبة. كان ثقة، صدوقًا في الحديث. قال الشافعي: «ما طلب أحدٌ الفقه إلا كان عيالًا على أبي حنيفة». ولد سنة ثمانين، وقيل: إحدى وستين، وقيل: غير ذلك. وتوفي سنة خمسين ومئة. سمع من عبد الله بن أُنَيس من الصحابة، وسمع من عطاء بن أبي رباح من التابعين. وروى عنه جمٌّ غفير. ينظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه: ١٥-١٨. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (٥١،٥٣،٥٥-٥٧).

(٥) اختلف أهل العلم في هذه الآية من حيث دلالتها على تحريم أكلِ لحوم الخيل، أو عدم تحريمها: فذكر الغزنوي مذهب أبي حنيفة فيها وهو الكراهة-واختاره بناءًا على مذهبه- وهو ما ذهب إليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخالد بن الوليد

=

=

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، والحكم، والأوزاعي، فكان ابن عَبَّاس يكره لحوم الخيل، والبغال، والحمير، وكان يقول: «قال الله: ﴿وَالْأَنْعَم خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ فهذه للأكل، ﴿وَالْخَيْل وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾، فهذه للركوب»، وهذا حديث أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٥/١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧٣/١٤)، كلاهما عن ابن عباس بلفظه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/٩)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم؛ عن ابن عباس بنحوه. وسئل ابن عباسٍ عن لحوم الخيل، فكرهها، وتلا هذه الآية: ﴿وَالْخَيْل وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ الآية، وهذا الأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧٤/١٤)، عن ابن عباس بلفظه. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٥/١٣)، عن ابن عباس بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/٩)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس بلفظ الطبري. -وغيرها من الأدلة التي استدل بها هذا الفريق-. وأباحها شُرَيح، والحَسَن، وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير، وحماد بن أبي سليمان، وبه قال الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأكثر أهل العلم، وقال الشافعي: «وأما لحم الخيلِ فأكلها حلال، كُلُّ ما لزمه اسم الخيلِ من العِرَابِ والمقاديفِ والبراذينِ فأكلها حلال». ومن أدلتهم: ما أخرجه البخاري في «صحيحه» بعدة أسانيد؛ منها: ما أخرجه في (كتاب الذبائح والصيد/باب النحر والذبح/ح٥٥١٠)، عن أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: «نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ»، وكذا أخرجه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما باللفظِ نفسه في (كتاب الذبائح والصيد/باب لحوم الخيل/ح٥٥١٩). وما أخرجه كذلك في «صحيحه» (كتاب الذبائح والصيد/باب لحوم الخيل/ح٥٥٢٠)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، وَرَخَّصَ فِي لُحُومِ الخَيْلِ». وأخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الصيد والذبائح/باب في أكل لحوم الخيل/١٩٤١)، عن جابر بن عبد الله بنحوه. وغيرها من الأدلة. وقال مالك: كلها حرام؛ في أحد القولين، وعنه أنها مكروهة، وكلا القولين صححه بعض المالكية، والتحريم عندهم الأشهر كما قال الشنقيطي في «أضواء البيان». والراجح الذي عليه أكثر أهل العلم هو الإباحة، وقد فصل الشيخ الشنقيطي في «أضواءِ البيان» الرد على أدلة المحرمين والكارهين، ثم قال رَحِمَهُٱللَّهُ بعد ما ساق أدلة كلا الفريقين: «...ورد الجمهور الاستدلال بالآية الكريمة، بأن آية النحل نزلت في مكة اتفاقًا، والإذن في أكل الخيل يوم خيبر كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين، فلو فهم النبي -صلى الله عليه وسلم- المنع من الآية لما أذن في الأكل، وأيضًا آية النحل ليست صريحة في منع أكل الخيل، بل فهم من التعليل، وحديث جابر وحديث أسماء بنت أبي بكر المتفق عليهما، كلاهما صريح في جواز أكل الخيل، والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول...»، ثم ختم المسألة بعدما ناقش الأدلة المتبقية قائلًا: «...وبهذا كله تعلم أن الذي يقتضي الدليل الصريح رجحانه إباحة أكل لحم الخيل، والعلم عند الله تعالى، ولا يخفى أن الخروج من الخلاف أحوط، كما قال بعض أهل العلم». وهذا القول هو ما رجحه الطبري كذلك في تفسيره.

ينظر: تفسير الطبري: (١٧٥/١٤-١٧٦). الحاوي الكبير: (١٤٢/١٥-١٤٣). التهذيب في فقه الشافعي: (٥٣/٨-٥٢). شرح السنة للبغوي: (٢٥٤/١١-٢٥٥). أضواء البيان: (٢٩٩/٢-٣٠٠،٣٠٣).

[٩] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

معناه: وعلى الله بيانُ الهدى والضلالةِ[١]؛ ليُتبعَ الهدى ويُتجنبَ الضلالةُ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، وكما قال جلَّ ذكرُه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٨].

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي: ومن الطرقِ ما هو عادلٌ إلى الحقِّ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قيل معناه: لو شاء لأنزلَ عليكم آيةً تَضطَرُّ الخلقَ إلى الإيمان بالله تعالى[٣]، إلا أنه لم يفعلْ، لأنه لو فعل لزالَ التكليفُ عنكم.

ويُقالُ: معناه: لو شاء لهداكم أجمعين إلى جنتِه وثوابِه[٤]، بأنْ خلقَكم في الجنةِ، إلا أنه إنما خلقَكم لتستحِقُّوا الجنةَ والثوابَ بأعمالكم، فيكونَ ذلك أطيبَ لكم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٧٩/١٤-١٧٨) (أخرجه عن ابن عباس، والضحاك). تأويلات أهل السنة: ٧٣/٣. معاني القرآن للنحاس: ٥٧/٤ (عزاه إلى الضحاك).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٧. معاني القرآن للنحاس: ٥٨/٤. بحر العلوم: ٢٢٩/٢. (النحاس والسمرقندي ذكرا أن هذا المعنى -وقد ذكراه بمعناه- على قراءةِ ابن مسعود الشاذة، (ومنكم جائر)، وعزاه السمرقندي لقتادة).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٧. بحر العلوم: ٢٢٩/٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٩/٢.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾

معناه: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ[١].

﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه، وهو ما يستقِرُّ في الأرضِ؛ من الركايا[٢]، والغُدْران[٣].

ولكم ﴿مِنْهُ شَجَرٌ﴾ فيه تَرْعَون أنعامَكم، وهو ما ينبُتُ في الأرض بالمطرِ[٤]، فينتفعُ بنباتِه رُعاةُ الإبلِ.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٦١/٢. تفسير الطبري: ١٨١/١٤. بحر العلوم: ٢٢٩/٢.

(٢) الركية أي: البئر، وقيل: إناءٌ صغير من جلدٍ يشرب فيه الماء، وركا الأرض: حَفَرها. ينظر: لسان العرب: (ر ك ا).

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٩/٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٢٩/٢.

[١١] قوله عز وجل: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾

معناه: يُنبِتُ بالمطرِ هذه الأشياءَ، إنَّ في ذلك لدلالةً لقومٍ يتفكَّرون في خلقِ الله تعالى[١].

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٦١/٢. تفسير الطبري: ١٨٣/١٤. بحر العلوم: ٢٣٠/٢.

[١٢-١٣] قوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

معناه: وذلَّلَ لكُم اللَّيلَ والنَّهارَ(١).

وتسخيرُ الليلِ والنهارِ: هو أن كلَّ واحدٍ منهما عَقِيبُ الآخَر بتقديرِ اللهِ -عز وجل- ليتصرفَ الناسُ في معايشِهم بالنهارِ، ويسكنوا بالليلِ(٢).

وتسخيرُ الشمسِ والقمرِ والنجومِ: هو مجيئُه بها في أوقاتٍ معلومةٍ.

وإنما قال: ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ لأن فعلَه تعالى إذا أُضيف إليه بلفظِ الأمرِ كان أبلغَ في الاقتدارِ من أن يُقالَ: فعَل فكانَ، وقد تقدَّم أن ذكرَ التسخيرِ في هذا من مجازِ الكلامِ(٣)؛ لأنَّ النَّهارَ: هو حركاتُ الشمسِ من وقتِ طلوعِ الفجرِ إلى وقتِ غروبِ الشمسِ، والليلُ: حركاتُ الشمسِ تحتَ الأرضِ من وقتِ غروبِ الشمسِ إلى وقتِ طلوعِ الفجرِ.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ /٢/و٩٥/ فمعناه: فجعلَ ما خلقَ لكم في الأرض من مختلِفِ الألوانِ والصُّوَرِ، إنَّ في ذلك لدلالةً لقوم يتذكَّرون دلائلَ الله تعالى وحُجَجَه.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٠. تفسير السمعاني: ٣/١٦٣. تفسير البغوي: ٥/١٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٨٤.

(٣) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ينظر: (٣٥٩)، من هذه الرسالة.

[١٤-١٦] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰراً[١] وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾

معناه: وهو الذي جعلَ لكم البحرَ مُهيَّئًا لكم؛ لاصطيادِ السمكِ، والغَوصِ فيه؛ لاستخراجِ اللآلئِ منه؛ لتجعلوها حُليًّا يَلبَسُها نساؤكم، وترى السفنَ في البحرِ مقبلةً ومدبرةً تشُقُّ الماءَ يمينًا وشِمالًا[٢].

يُقالُ: مَخَرَت السفينةُ البحرَ؛ إذا جَرَتْ جريًا شقَّت الماءَ شقًّا[٣].

والمَخْر: صوتُ هبوبِ الرياحِ، والسفينةُ تجري بالريحِ، فسُميت السفنُ مواخرَ، والواحدةُ: ماخِرةٌ[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ معناه: ولتطلُبوا من فضلِ الله تعالى من أرباحِ التجارةِ، ولكي تشكروا الله تعالى على نِعَمِه[٥].

وقولُه تعالى: ﴿۞ وَأَلْقَىٰ﴾ معناه: وجعلَ فيها جبالًا عاليةً ثابتةً؛ لئلَّا تتحركَ ولا تميلَ بكم الأرضُ، وأجرى فيها أنهارًا، وجعلَ فيها طرقًا لمنافعِكم؛ لكي تهتدوا إلى المواضعِ التي تقصِدونها[٦].

وقولُه تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ معناه: وجعلَ في الأرضِ أعلامًا للمسافرين؛ من الجبالِ وغيرِ ذلك[٧].

---

(١) /ز/و٣٦٤/.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج ١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير غريب القرآن: ٢٤٢. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٧٨.

(٤) ينظر: العين: (م خ ر). معاني القرآن للفراء: ٢/٩٨. تفسير الطبري: (١٤/١٨٨-١٨٧).

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٣١.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٣١.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣١.

وقولُه: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ معناه: أنَّ مَن يسيرُ بالليل فإنما يهتدي إلى الطُّرُقِ في البرِّ والبحرِ بالنجومِ[١].

وعن أميرِ المؤمنين عليٍّ -كرَّم الله وجهَه-: «تعلَّموا من النجومِ ما تهتدون به في طرقِكم وقبلتِكم، ثم كُفُّوا، وتعلَّموا من الأنسابِ ما تَصِلون به أرحامَكم، ثم كُفُّوا»[٢].

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣١.

(٢) لم أقف عليه مسندًا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٣١)، عن عمر بن الخطاب بلفظه. وأخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/٤٨٧)، عن عمر بنحوه. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/٢٢٤-٢٢٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/٤٨٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٩١)، جميعهم عن عمر ببعضه. وأبو النَّجاد في «مسند عمر بن الخطاب» (٧٢-٧٣)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (١٣٢)، كلاهما عن عمر بن الخطاب بزيادة في آخره. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٤٩)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، والخطيب في «كتاب النجوم» عن عمر بن الخطاب مفرَّقًا.

[١٧-١٨] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ[١] أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

معناه: أفمَن يخلقُ هذه الأشياءَ -وهو اللهُ عزَّ وجل- كمَن لا يقدرُ أن يخلقَ شيئًا؛ [وهم][٢] الأصنامُ[٣]؟!

﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ أنهما لا يستويانِ في استحقاقِ العبادةِ، وأن التسويةَ في هذا مما تردُّه العقولُ؟

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾ معناه: وإن أردتم أن تعرفوا تفاصيلَ نعمِ الله عليكم -في الخلقِ، والرزقِ، والتمكينِ من الأمورِ في الحياةِ الدنيا، والتعريضِ للمنزلةِ الرفيعةِ في الآخرةِ- لم تقدِروا على إحصاءِ هذه النعمِ المفصَّلة، وإنما يمكنُكم أن تعرفوها جملةً، إنَّ اللهَ غفورٌ لذنوبِ عبادِه إذا تابوا، رحيمٌ بهم بالإمهالِ إلى وقتِ التوبةِ.

---

(١) في ز: (لا **خلق**)، سقطت الياء، وهو تحريف.

(٢) في الأصل، ز: (شيئًا **وهو**)، وهو خطأ، لعدم مناسبته للسياقِ، والمثبت من المرجع.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣١.

[١٩-٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩ وَالَّذِينَ (١ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ١) لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝٢٣﴾

معناه: واللهُ يعلمُ إسرارَكم وعلانيتَكم فيما أنتم عليه من مكائدِ الرسولِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فيجازيكم على الجميعِ.

ويجوزُ أن يكون المعنى: ليس علمُ الله تعالى كعلمِ سائرِ العالمين الذين يعلمون العلانيةَ دُونَ السِّرِّ.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الذين تعبدون من دونِ الله -من الأصنامِ- لا يمكنُها خلقُ شيء[٢]، والله تعالى -مع ذلك- هو الخالقُ لها، ثم أكَّد كونَها غيرَ خالقةٍ بقوله تعالى:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: كيف تخلقُ شيئًا[٣]، وهي أمواتٌ لا رُوحَ فيها[٤]؟!

وإنما قال: أمواتٌ، ولم يقل: مَوَاتٌ، وإنْ كان الميتُ هو الذي كان فيه حياةٌ فزالت؛ لأنهم صوَّروا تلك الأصنامَ على صورةِ حيٍّ ثم عبدوها، فأُجريَ عليها لفظُ ما كان فيه الحياةُ.

وإنما جمَع بين قوله ﴿أَمْوَاتٌ﴾ وقولِه: ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾؛ لأنه يُقالُ: فلانٌ ميتٌ، وإن كان حيًّا إذا كان لا يُنتفع به، فكأنَّ الله تعالى بيَّن أنه لم يُسَمِّ الأصنامَ أمواتًا من حيثُ لم يُنتفعْ بها، ولكنْ لأنه لا حياةَ فيها، فكيف تعبُدون ما لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يُنعم، وهو -مع ذلك- من المَواتِ؟!

(١ - ١) في الأصل: (يدعون من دونه)، وهو تحريف.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/١٩٦. بحر العلوم: ٢/٢٣٢.

(٣) في الأصل، ز: (تخلق **شيء**)، وهو خطأ؛ لأن موقعها مفعول به، حقه النصب.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٦٣. تفسير الطبري: ١٤/١٩٦. بحر العلوم: ٢٣٢ (عزاه إلى الكلبي).

وما ليس بحيٍّ لا يجوزُ أن يَعلَم أصلًا، فضلًا من أن يعلمَ ما يُسِرُّه المرءُ وما يُعلِنُه، ويجعلونه شريكًا في عبادةِ مَن يخلقُ ويُنعم ويعلمُ السرَّ وأخفى، فيجازي كلًّا على قدرِ عملِه.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ معناه: وما يشعرُ الأصنامُ أن الناسَ متى يُبعثون من القبور فيُحاسَبون، فكيف يرجو الكفارُ الجزاءَ من قِبَلِ الأصنامِ؟!

و(أيَّان) كلمةُ اختصارٍ؛ أصلُها: أيُّ أوانٍ[١].

وقولُه تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ معناه: لا إلهَ إلا اللهُ تعالى.

والذين لا يصدِّقون ﴿بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للحقِّ، وهم متعظِّمون عن قَبولِ الحقّ[٢]، آنِفةٌ من اتباعِه واتباعِك.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ سِرَّهُم وعلانيتَهم.

إنه لا /٢/ظ٩٥/ يحبُّ المتعظِّمين عن الحقّ[٣]، والرافعين أنفسَهم فوقَ مقدارِها.

---

(١) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ١/٥٨٧ (أبطل السَّكاكي ذلك حيث قال: «وأيان، بفتح الهمزة وبكسرها، وهذه اللغة، أعني كسر همزتها، تقوي إباء أن يكون أصلها أي أوان»، ينظر: مفتاح العلوم: ٣٨٠.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٢.

[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾

معناه: وإذا قيل لهؤلاء الكفارِ: ما الذي يدَّعي محمدٌ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه مُنزَّلٌ عليه من الله تعالى؟

قالوا: هو مما يقرؤه من كتبِ الأوَّلين(١).

وقولُه: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: ليحملوا آثامَهم وافرةً يومَ القيامةِ، لا يكونُ لهم شيءٌ يكفِّرُ ذنوبَهم، بخلافِ ذنوبِ المؤمنين؛ تكفِّرُها العباداتُ والشدائدُ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ معناه: ليحملوا من آثامِ الذين يَصرِفونهم عن محمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- والقرآنِ بلا علمٍ ولا حجةٍ(٣). وليس معنى هذا أن يحمِلوا ذنوبَ غيرِهم؛ لأنَّ الله تعالى قالَ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٦، ...]، وإنما معنى هذه الآيةِ: أن يكونَ عليهم إثمُ إضلالِهم غيرَهم، وهذا كما رُوي عن رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قال: ((أَيُّما دَاعٍ دَعَا إلى الهُدَى فَاتُّبِع عليه، فله أجرُه وأجرُ مَن عمِل به إلى يومِ القيامةِ، لا ينقُصُ من أجورِهم شيءٌ، وأيُّما داعٍ دعا إلى الضلالةِ، فاتُّبِع عليها، فعليه وزرُه ووزرُ مَن عمِل بها إلى يومِ القيامةِ، لا ينقُصُ من أوزارِهم شيءٌ))(٤).

ففي هذا الخبرِ إشارةٌ إلى أنه إنما جُعل الوزرُ على الداعي إلى الضلالة، لإضلاله مَن اتبعَه، إلا أنَّ فعلَ الداعي إذا اتصلَ بغيرِه -بأنْ تبِعه المدعوُّ إليه- كان أعظمَ في الإثمِ.

والوزرُ في اللغةِ: هو الثِّقْلُ، ومن ذلك سُمي الوزيرُ وزيرًا؛ لأنه يحملُ ثقلَ الأميرِ عنه(٥).

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٢.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٢.

(٣) /ز/ظ٣٦٤/. *ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٣.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب العلم/باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة/ح٢٦٧٤)، عن أبي هريرة بمعناه. *ومن قوله: «وليس معنى هذا أن يحملوا ذنوب غيرهم...»، إلى آخرِ الحديث، ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٦٦.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٧٨. جمهرة اللغة: (و ز ر). غريب القرآن للسجستاني: ٢١٠.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ظاهرُ المُرادِ.

[٢٦-٢٩] قوله عز وجل: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

معناه: قد مكرَ الذين من قبلِ هؤلاء بأنبيائهم -صلواتُ الله عليهم- كما مكرَ هؤلاء المقتسمون الذين اقتسموا عُقابَ مكةَ ليصُدُّوا الناسَ عن دينِ الله، فأتى اللهُ بنيانَ أولئك المتقدمين من القواعدِ بالعذابِ، فوقع عليهم السقفُ من فوقِهم، وأتاهم الهدمُ والاستئصالُ من موضعٍ كانوا لا يشعرون بإتيانِ العذابِ منه.

وقد اختلفوا في هؤلاء الذين خرَّ عليهم السقفُ من فوقِهم:

قال بعضُهم: هو نمرودُ بنُ كَنْعان[1] الذي بنى صَرْحًا في طولِ خمسةِ آلافٍ وخمسين ذراعًا، وعرضُه ثلاثةُ آلافٍ وخمسون ذراعًا؛ ليصعدَ إلى السماءِ، فوقعَ الصرحُ على الذين كانوا فيه، وأهلكَ اللهُ تعالى نمرودَ بالبعوضِ[2].

وقال بعضُهم: هذا على شبهِ المَثَل، كأنه جعلَ أعمالَهم التي عمِلوها بمنزلةِ الباني بناءً

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٦٥/٢. تفسير الطبري: (٢٠٢/١٤-٢٠٥) (أخرجه عن السدي، وابن عباس، وزيد بن أسلم). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٢. معاني القرآن للنحاس: ٦٣/٤. *وإلى هذا القول ذهب أكثر المفسرين، إلا أن الرازي استبعده فذكر في الآيةِ قولين: أحدهما: ما ذكره المفسرون، والآخر: هو ما اختاره فقال: «وهو الأصح، أن هذا عام في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالمحقين». ووافقه الشوكاني في ((تفسيره)) فقال: «ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمروذ بن كنعان حيث بنى بناءً عظيمًا ببابل، ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها، فأهبَّ الله الريح، فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا، والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين من المتقدمين الذين يحاولون إلحاق الضر بالمحقين».

ينظر: تفسير الرازي: ٢٠/٢٠. فتح القدير: ٧٧٨.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٣/٢ (عزاه إلى الكلبي).

أُسقِط عليه، فمضرَّةُ عملِهم عليهم كمضرةِ بناءِ الباني إذا سقَط عليه[١].

يُقالُ في المثلِ: أتى فلانٌ بناءَ فلانٍ فأفسَدَه كلَّه، يُراد بذلك إفسادُ عمَلِه الذي عمِلَه.

وقولُه عز وجل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ﴾ تُشرِكونهم معي في العبادةِ، وكنتم تخالفون أنبيائي -صلوات الله عليهم- بعبادتهم[٢]؟

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، معناه: قال المؤمنون: إنَّ الذلَّ اليومَ، وإن العذابَ؛ على الكافرين الذين تقبِضُ الملائكةُ أرواحَهم في حالِ ظلمِهم لأنفسِهم بالكفرِ، واستسلموا وانقادوا للمذلَّةِ والهوانِ[٣]، يقولون: ماذا كنا نعملُ من معصيةٍ في الدنيا؟

وقد اختلفوا في قولهم:

قال بعضُهم: ما كنَّا نعملُ من سوءٍ عند أنفسِنا، وإنما حملوه على هذا لئلَّا يكونَ في تأويلِ الآيةِ إضافةُ الكذبِ إلى أهلِ القيامةِ.

وقال بعضُهم: معناه: إنهم كانوا يقولون: ما كنا نعملُ من سوءٍ في الدنيا.

وهذا قولُ مَن يجوِّزُ الكذبَ على أهلِ القيامةِ، ويقولُ: في القيامةِ مواقفُ، فيكذبون في بعضها، ويصدُقون في البعضِ[٤].

وقولُه تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ معناه: يقولُ لهم المؤمنون: بل قد فعلتم ذلك؛ فإنَّ الله عليمٌ بما /٢/و٩٦/ كنتم تعملون، وتقولُ لهم خزنةُ جهنمَ:

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ دائمين فيها[٥]، فلَبِئسَ جهنمُ موضعًا للمتكبِّرين. وسمَّاه

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٤٨٢.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٣.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٣. تفسير البغوي: (٥/١٦-١٧).

(٤) من قوله: «وقال بعضهم معناه: إنهم كانوا يقولون ما كنا نعمل...»، إلى قوله: «فيكذبون في بعضها ويصدقون في البعض»، ينظر: تفسير الرازي: (٢٠/٢٢)، (١٢/١٩٤). وقال الرازي في ذلك: «قول جمهور المفسرين أن الكفار يكذبون...»، ثم ذكر أوجه قولهم، وفصل القول في ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. ومن قال بأن أهل القيامة لا يجوز عليهم الكذب -وهو القول الثاني-: أبو علي الجبائي المعتزلي، والقاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري. ينظر: تفسير الرازي: ١٢/١٩٣.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٦٩.

بئس؛ لشدتِهِ لا لقبحِه، فإنَّ عقابَ الله تعالى للكفارِ حكمةٌ وصوابٌ.

[٣٠-٣٢] قوله عز وجل: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾

قال ابنُ عبَّاسٍ: «وذلك أن أهلَ مكةَ لَمَّا بَعَثوا إلى عُقابٍ[١] مكةَ رجالًا؛ ليصُدُّوا الناسَ عن سبيلِ الله، بعَث النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- رجالًا من أصحابه: عبدَ الله بنَ مسعود وغيرَه -رضِيَ اللهُ عنهم- وكان وافدُ الناسِ إذا قدِم فردَّه الكفارُ عن النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وعن الإيمانِ به؛ سألَ أصحابَ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾»[٢] أي: حقًّا وصوابًا، وعلى هذا انتصبَ قولُه تعالى: ﴿خَيۡرٗاۗ﴾.

وإنما ارتفعَ قولُه في جوابِ المقتسِمين في كفارِ مكةَ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤]؛ لأنهم كانوا لا يُقرُّون بإنزاله، بل كانوا يقولون -على جهةِ تكذيبِ الإنزالِ-: هو أساطيرُ الأوَّلين[٣].

وقولُه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ أراد بالحسنةِ: الثناءَ والمدحَ على لسانِ المؤمنين.

ويُقالُ: أراد بها: النصرَ والظَّفَرَ على الكافرين[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾، معناه[٥]: وما يصِلُ إليهم في الآخرةِ من الثوابِ

---

(١) جمع عَقَبة، والعقبة: طريقٌ في الجبلِ وعرٌ. ينظر: لسان العرب: (ع ق ب).

(٢) لم أقف عليه مسندًا عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٣٤/٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٩/١٦)، والبغوي في «تفسيره» (١٧/٥)، جميعهم من غير نسبة بنحوه. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٧٦)، وعزاه إلى ابن عباس مطولًا من رواية أبي صالح، والرواية التي ذكرها ابن الجوزي هي في المعنى أتمَّ وأوضح مما ذكره المصنف.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٠/١٤. تفسير الثعلبي: (٣٩/١٦-٤٠).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: ١٦٩/٣. تفسير البغوي: ١٧/٥ (عزاه كلاهما إلى الضحاك).

(٥) /ز/و٣٦٥/.

خيرٌ مما يصِلُ إليهم في الدنيا والآخرة. نعم دارُ المتقين[١].

ثم نعتَ دارَ المتقين[٢]، فقال عزَّ مِن قائل:

﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: بساتينُ إقامةٍ يدخلونها يوم القيامةِ، تجري من تحتِ أشجارِها الأنهارُ، لهم فيها ما يشتهون[٣].

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: كذلك تكونُ مجازاةُ الله تعالى للمتقين من الشرك والمعاصي[٤].

وقولُه عز وجل[٥]: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ عند قبضِ الأرواحِ، متمسِّكين بما أُمروا به، محتبِسين عما نُهُوا عنه، آخِذِين بآدابِ الله تعالى، طيبةً أرواحُهم بما يُبَشَّرون به من الجنةِ، تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ من الله تعالى.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢١٠.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣/٨٣. بحر العلوم: ٢/٢٣٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٢١١-٢١٢). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٨٢.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٨٢.

(٥) في ز: (وقوله تعالى **كذلك**)، وهي زائدة لا يستقيم معها السياق، وقد يكون وهمًا من الناسخ تبعًا لما قبلها.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٤.

[٣٣-٣٤] قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

معناه: ما يَنظُرُ أهلُ مكةَ -في تكذيبِهم للرسلِ واستبطائهم العذابَ- إلا أن تأتيَهم الملائكةُ تقبضُ أرواحَهم(١)، أو يأتيَ أمرُ ربِّك بعذابِ الاستئصالِ.

ويُقالُ: بعذابِ الآخرةِ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، معناه: كذلك فعل الذين من قبلِ هؤلاء الكفارِ؛ من تكذيبِ الأنبياءِ -صلواتُ الله عليهم- واستبطاءِ العذاب، مثلَ ما فعلَ هؤلاء، فعذَّبهم اللهُ تعالى(٣).

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ﴾ بذلك، ولكنْ ظلموا أنفسَهم حين فعلوا ما استوجبوا به العذابَ، فأصابهم عِقابُ سيئاتِ ما عمِلوا(٤).

ويُقالُ: أرادَ بالسيئاتِ العقابَ(٥)، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٣٧].

وقولُه تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، معناه: وحلَّ بهم ما كانوا يستهزؤون من العذابِ(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/١٤. بحر العلوم: ٢٣٤/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/١٤.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٤/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/١٤. بحر العلوم: ٢٣٥/٢.

(٥) في ز: (السيئات **العذاب**). *ينظر: تفسير الطبري: ٢١٥/١٤.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٥/٢.

[٣٥] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٣٥﴾

هذه الآيةُ نظيرُ الآيةِ التي في سورةِ الأنعام: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [١٤٩][(١)]، وقد تقدَّم أنَّ في هذا قولَينِ[(٢)]:

قال بعضُهم: معناه: لو نهانا اللهُ تعالى عن عبادةِ غيرِ اللهِ تعالى، ومنَعَنا، وحالَ بينَنا وبينَ ذلك، ما فَعَلْنا ذلك[(٣)].

وهذا بمنزلةِ قولِ القائلِ: ولو شاء فلانٌ لم أفعلْ هذا الفعلَ، أي: لو منَعني عنه لم أفعلْه، فردَّ اللهُ تعالى عليهم قولَهم ذلك بقولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ أي: فعلوا -مِن تكذيبِ الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم- مثلَ ما فعل هؤلاء، فلم يكن ذلك حجةً لهم، ﴿فَهَلْ[(٤)] عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ عنِ الله بلغةٍ يعرفونها.

وقال بعضُهم: إنما قالوا هذا القولَ استهزاءً وسُخريَّةً[(٥)]، كما قال [(٦)]قومُ شعيبٍ -عليه السَّلامُ-: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود:٦١][(٦)]، قالوه مستهزئين، ولو اعتقدوه

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٥٥/١٣.

(٢) ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت محمود الشنقيطي): ١٥١-١٥٧.

(٣) هو قول الجبرية الذين قالوا: إن الإنسان لا مشيئة له ولا اختيار، وقالوا: إن الإيمان والكفر بمشيئة الله. وقد رد عليهم السلف بإنكار قولهم، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء». وقال في موضع آخر: إن قولهم أنكره أئمة الهدى؛ لأن هذا القول يستلزم طي بساطِ كل أمر ونهي، وهذا مما يعلم بالاضطرارِ من العقل والدين أنه يوجب الفساد في أمر الدنيا والمعاد.

ينظر: مجموع الفتاوى: (١٧٩/٨)، (٤٤٥/٨-٤٤٦).

(٤) في الأصل، ز: (وهل) بالواو، وهو تحريف.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٤. بحر العلوم: ٢٣٥/٢.

(٦ - ٦) لعلَّه وقع هنا سهوٌ من المؤلف أو النُّساخ؛ لأن نسبة الآية لقومِ شعيب -عليه السَّلام- خطأ، والصوابُ أنها وردت في القرآن الكريم على لسانِ قومِ صالح -عليه السَّلام- قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦١]، أما ما قاله قوم شعيب -عليه السَّلام- لشعيب فقد حكاه القرآن عنهم

=

لكانوا مؤمنين(١).

=

فقال الله -عز وجل-: ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوَٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وهذا النص ذكره الغزنوي معتمدًا فيه على قول الزجاج -وهو القول الذي مال إليه أبو إسحاق الزجاج- والزجاج عزا الآية لقوم شعيبٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو خطأ، وكذا أوردها الغزنوي بنفس الخطأ، إلا أن أبا إسحاق زاد على المصنف بأن استدلَّ بجزء من الآية التي ذكرها قوم شعيب ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾، ولعل محقق «كتاب معاني القرآن للزجاج»: الدكتور: مامودو محمد -حفظه الله-؛ لم يتنبه لهذا الخطأ، ولم يعقب عليه في تحقيقه. ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٤.

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٤. *ورد هذا القول النحاس في «معاني القرآن» (٦٥/٤)، فقال: «هذا غلطٌ في التأويل، ولا يقبل في التفسير، على أنهم قالوا هذا على جهة الهزء، كما قال قوم شعيب لنبيهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أي إنك أنت الحليم الرشيد على قولك؟».*وهذان القولان لم أجد من أئمة التفسير المعتبرين -كالطبري وابن كثير- من قال بهما في الآية. ينظر: تفسير الطبري: (٢١٦/١٤). تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٤.

[٣٦-٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ /٢/ظ٩٦/ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

معناه: ولقد بعثنا في كلِّ أمةٍ رسولًا، كما بعثناك رسولًا في هؤلاء[١].

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أطيعوه، واجتنِبوا عبادةَ كلِّ مَن يُعبد مِن دون الله؛ فمنهم مَن هداه اللهُ تعالى بالإكرامِ بالثوابِ، ومنهم مَن حقَّ عليه عقابُ الضلالة، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٦٨].

ويُقالُ: أرادَ بالضلالةِ العذابَ؛ لأنه وصَف الضلالةَ بأنها حقَّت عليهم، ولا يحِقُّ الشيءُ على الإنسانِ إلا ويكونُ حقًّا في نفسِه، والضلالةُ لا تكون حقًّا.

قال الحسنُ: «معناه: ومنهم مَن حقَّ عليه الكفرُ بفعلهم، إلا إنْ أجبرَهم الله تعالى على ذلك، فلا يؤمنون قطُّ»[٢].

وقولُه تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرضِ الذين عاقبَهم اللهُ تعالى، فانظُروا كيف صار عاقبةُ أمرِهم!

وقولُه تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ معناه: إن تحرِصْ أنت يا محمدُ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- على هدايتِهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ[٣]﴾ أي: لا يهدي إلى ثوابِه وجنتِه مَن يحكمُ عليه بضلالِه.

ويُقالُ: معناه: مَن يُضلُّه اللهُ تعالى فلا يهدي، أي: فلا يهتدي[٤].

وتُقرأ: (مَنْ يَضِلُّ) بنصبِ الياءِ وكسرِ الضَّادِ[٥]، ووجهُه ظاهرٌ.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الأصل، ز: (من **يضله**) بالهاء، وهو تحريف.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٩٩. تفسير الطبري: ١٤/٢١٨. الحجة في علل القراءات السبع: ٣/٣٦٨-٣٦٩

(٥) ذكرها الزمخشري من غيرِ نسبة، وكذلك أبو حيَّان في تفسيره، ونُقلت في معجم القراءات عنهما.

=

وتُقرأ: ﴿لاَ يُهْدَىٰ﴾ بضمِّ الياءِ ونصبِ الدَّالِ[١]، و﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ بضمِّ الياءِ[٢].

ومعناه: مَن يُضِلْلهُ اللهُ تعالى فلا هاديَ له[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ أي: ليس لهم مَن يَدفَعُ العذابَ عنهم[٤].

=

ينظر: الكشاف: ٥٧٢. البحر المحيط: ٥/٤٧٦. معجم القراءاتِ القُرآنية: ٣/٢٨٠.

(١) ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٧. التبصرة في القراءات السَّبع: ٥٦٤-٥٦٥.

(٢) لا خلاف -بين القرَّاء السَّبعةِ- في ضمِّ الياء وكسرِ الضاد.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٢. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٧. إعراب القراءاتِ السَّبع وعللها: ١/٣٥٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/ ٢١٨. إعراب القراءات السَّبع: ١/٣٥٣. الحجة في القراءات السبع: ٢١٠. معاني القراءات: ٢/٧٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢١٩. تفسير السمعاني: ٣/١٧٢. تفسير البغوي: ٥/١٩.

[٣٨-٤٠] قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

معناه: وحلَف الكفارُ بالله، مجتهِدين في أيمانِهم، بالغِين في أنفسِهم[١] كلَّ مَبلَغٍ، أنه لا يَبعَثُ اللهُ تعالى مَن يموتُ[٢].

ويُقالُ: قولُه تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ تفسيرُ الحلفِ بالله تعالى؛ لأنَّ القومَ كانوا يحلفون بالأصنامِ وبآبائهم، ويُسمُّون اليمينَ بالله تعالى: جَهْدَ اليمينِ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ معناه: قُلْ: بلى، إلا أنه حُذف منه (قُل)؛ لأن في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ دليلًا عليه.

وقيلَ: إنَّ الله تعالى تولَّى الجوابَ بنفسه، كأنه قال: ليَبعثنَّهم بعد الموت وَعْدًا عليه حقًّا.

وانتصَبَ قولُه تعالى: ﴿وَعْداً﴾ على المصدرِ، أي: وعَدَ وَعْدًا حقًّا كائنًا أوجَبَه على نفسِه[٤].

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ هذا حقٌّ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿لِيُبَيِّن لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ معناه: ويبعثُهم لكي يبينَ لهم ما يختلفون فيه مِن الدِّينِ؛ ولكي يعلمَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ﴾ في الدنيا[٦] بأنْ لا جنةَ ولا نارَ.

---

(١) /ز/ظ٣٦٥/.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٩٩١/٦.

(٣) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢٣٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٠/٢(وأجازها كذلك بالرفع). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٥. إعراب القرآن للنحاس: ٣٩٥/٢.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ١٧٢/٣.

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٢٣٥/٢-٢٣٦).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـٰهُ﴾ معناه: إنما أُمرنا -في البعثِ وغيرِه إذا أردناه- أنْ نقولَ له: كُن فيكونُ، وقد تقدَّم أنَّ في هذا قولَين:

منهم مَن قالَ: إنَّ الله تعالى إذا أراد كَوْنَ شيءٍ قال له: كُنْ، وفائدةُ هذا القولِ: أن تعلمَ الملائكةُ حدوثَ أمرٍ عند هذا القولِ.

وقال بعضُهم: هذا اللفظُ كنايةٌ عن سرعةِ الأحداثِ، كما قال الشاعرُ(١):

امْـتَلأَ الحَـوْضُ وَقَـالَ: قَطْـنِي(٢) مَهْـلاً(٣) رُوَيْـدًا قَـدْ مَـلأْتَ بَطْـنِي

والحوضُ لم يقُلْ، ولكنِ امتلاؤه بمنزلةِ القولِ منه، كذلك إرادةُ الإحداثِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ قراءتانِ:

---

(١) لم أهتد لقائلِه، وكذا هو في المصادرِ من غير نسبة.
ينظر: إصلاح المنطق: ٥٧. تفسير الطبري: ٢/٤٩٦. مجالس ثعلب: ١/١٥٨.

(٢) حسبي. ينظر: لسان العرب: (ق ط ط).

(٣) في: إصلاحِ المنطقِ: ٥٧. مجالس تعلب: ١٥٨:(سلا)، وكذا هي في لسانِ العرب، ينظر: (ق ط ط).

(٤) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦].
ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت أعياد دقنة): ١٢٨-١٣٠. *وكلام المصنف فيه نفيٌ لصفة الكلام الثابتة لله تعالى؛ حيث أول القول بأنه كناية عن سرعة الأحداث من الله تعالى، ومن ثَمَّ لا قول، وهذا نفي لصفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، ورحم الله الإمام الطبري فقد رد على المؤولة بقوله: «فإنهم لا صواب اللغة أصابوا، ولا كتاب الله وما دلت على صحته الأدلة اتبعوا. فيقال لقائلي ذلك: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه أنه إذا قضى أمرا قال له: كن، أفتنكرون أن يكون قائلا ذلك؟ فإن أنكروه كذبوا بالقرآن، وخرجوا من الملة، وإن قالوا: بل نقر به، ولكنا نزعم أن ذلك نظير قول القائل: قال الحائط فمال ولا قول هنالك، وإنما ذلك خبر عن ميل الحائط. قيل لهم: أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول: إنما قول الحائط إذا أراد أن يميل أن يقول هكذا فيميل؟ فإن أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب، وخالفوا منطقها وما يعرف في لسانها. وإن قالوا: ذلك غير جائز، قيل لهم: إن الله تعالى ذكره أخبرهم عن نفسه أن قوله للشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون، فأعلم عباده قوله الذي يكون به الشيء ووصفه ووكده. وذلك عندكم غير جائز في العبارة عما لا كلام له ولا بيان في مثل قول القائل: قال الحائط فمال. فكيف لم يعلموا بذلك فرق ما بين معنى قول الله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقول القائل: قال الحائط فمال؟». ينظر: تفسير الطبري: ٢/٤٧١.

مَن قرأ: ﴿فَيَكُونُ﴾ بالرفع[١]، فعلى معنى: فهو يكونُ[٢].

ومَن قرأ بالنصبِ[٣]: فيجوزُ أن يكونَ نصبًا على جوابِ ﴿كُن﴾، ويجوزُ أن يكونَ عطفًا على ﴿أَن نَّقُولَ﴾[٤].

(١) ابنُ كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٣. التيسير في القراءات السبع: ٣٣٧. التبصرة في القراءات السَّبع: ٤٢٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٥. إعراب القراءات السَّبع وعللها: ١/٣٥٤. حجة القراءات: ٣٩٠.

(٣) ابن عامر، والكسائي. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٣. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٧. التبصرة في القراءات السبع: ٤٢٨- ٤٢٩.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٥-٤٨٦ (ذكر كلا الوجهين). ومن قوله: «أن يكون عطفًا على ﴿أَن نَّقُولَ﴾، ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٢٢. إعراب القراءات السبع وعللها: ١/٣٥٤. الحجة في القراءات السبع: ٢١١.

[٤١-٤٢] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: «هذه الآيةُ نزَلت في عَمَّارِ بْنِ ياسرٍ[١]، وصُهَيْبٍ[٢]، وبِلالٍ[٣] وأصحابِهم، الذين هاجروا إلى المدينةِ مِن بعدِ ما عذَّبهم أهلُ مكةَ»[٤].

---

(١) عَمَّارُ بنُ ياسر، أبو اليقظان، حليف بني مَخْزُوم. شهد بدرًا والمشاهد كلها، من السابقين الأولين، والمعذبين في الله، سماه رسول الله ﷺ الطيب المُطيب. توفي سنة سبع وثلاثين. روى عنه من الصحابة: علي بن أبي طالب، ومن التابعين: ابنه محمد بن عمار.

ينظر: معرفة الصحابة: (٢٠٧٠/٤-٢٠٧١). الاستيعاب: (١١٣٥/٣-١١٣٦،١١٣٨،١١٤٠). أسد الغابة: ١٢٢/٤.

(٢) صُهَيْبُ بن سِنَان بن مالك، أبو يحيى الرومي. شهد بدرا والمشاهد كلها، هو من السابقين المهاجرين، افتدى نفسه من المشركين بماله. توفي سنة ثمانٍ وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين. روى عنه: ابنُ عمر من الصحابة، وسعيدُ بن المُسَيِّب من التابعين.

ينظر: معرفة الصحابة: ١٤٩٦/٣. الاستيعاب: (٧٢٦/٢، ٧٢٨، ٧٣٣). أسد الغابة: ٣٨/٣.

(٣) بلال بن رباح، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الكريم، وقيل غير ذلك. من السابقين الأولين، شهد بدرًا والمشاهد كلها، كان من المعذبين في الله، مؤذن رسولِ الله حضرًا وسفرًا، وخازن ماله. توفي سنة ثماني عشرة، وقيل: عشرين، وقيل غير ذلك. روى عنه: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ينظر: معرفة الصحابة: ٣٧٣/١. الاستيعاب: (١٧٨/١-١٧٩،١٨٠). أسد الغابة: ٤١٥/١.

(٤) لم أقف عليه مسندًا، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤٦٩-٤٧٠). ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٦٥/١)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٣٦/١٢)، كلاهما عن الكلبي بنحوه -وزاد فلانًا مولى ابن خلف الجمحي في تفسير يحيى بن سلام-. ومقاتل في «تفسيره» (٤٦٩/٢-٤٧٠)، -وزاد خبابًا-، والفراء في «معاني القرآن» (١٠٠/٢)، والزجاج في «معاني القرآن» (ت مامودو محمد) (٤٨٧)، والنحاس في «معاني القرآن» (٦٧/٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢٣٦/٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٤٦/١٦)، وزاد الثعلبي عابسًا وجبيرًا وأبا جندل بن سهيل، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٢-٤٦٣)، وفي «التفسير البسيط» (٦١/١٣)، والسمعاني في «تفسيره» (١٧٣/٣)، وزاد سالما مولى أبي حذيفة، والبغوي في «تفسيره» (٢٠/٥)، جميعهم من غير نسبة بمعناه. والرازي في «تفسيره» (٣٤/٢٠-٣٥)، عن ابن عباس مطولًا، وزاد خبابًا وعابسًا وجبيرًا.

ورأى النَّحاس أنَّ الذي يوجب جملة الكلام أن تكون الآية عامة، ووافقه القرطبي في عموم الآية.

ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٦٧/٤. تفسير القرطبي: (٣٢٦/١٢-٣٢٧).

ومعنى الآيةِ: والذين هجَروا أوطانَهم في طاعةِ الله تعالى، وسارُوا إلى النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- من بعدِ ما ظلَمَهم الكفارُ؛ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أرضًا كريمةً؛ وهي: المدينةُ[١]، بدلَ أوطانِهم.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ لهم ممَّا أعطيناهم في الدنيا، لو كان يعلمُ الكفارُ، ثم نعَتَهم اللهُ فقالَ جلَّ ذكرُه:

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾؛ وفيه بيانُ أنَّ الهجرةَ وحدَها لا تنفعُ، حتى ينضافَ إليها الصبرُ على الشدائدِ والعباداتِ، والصبرُ عن المحرماتِ، والتوكلُ على الله تعالى في طلبِ الدينِ والدنيا.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١٠٠. تفسير الطبري: (٢/٢٢٣-٢٢٤) (أخرجه عن قتادة، والشعبي، وابن عباس). معاني القرآن للنحاس: ٤/٦٧ (عزاه إلى الشعبي، والحسن).

[٤٣-٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ /٢/و٩٧/ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾

نزَلت الآيةُ جوابًا لأهلِ مكةَ حين قالوا: لو أرادَ اللهُ أن يَبعثَ إلينا رسولًا لَبَعثَ إلينا رسولًا من الملائكة، لا رجلًا منّا(١).

ومعنى الآيةِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمدُ، إلى الأممِ الماضين، إلا رجالًا أوحَينا إليهم، كما أوحَينا إليك(٢).

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ يا أهلَ مكةَ، كلَّ مَن يُذكَرُ بعِلْم.

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الرسلَ كانت من البشرِ.

فإنْ قيلَ: كيف أمرَهم بالسؤال عن أهل الكتابِ، وهم كانوا يُنكرون التوراةَ والإنجيلَ؟

قيلَ: كانوا يسكُنون إليهم؛ لاجتماعهم على عداوةِ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فلذلك أمرَهم بالسؤالِ عنهم.

وقيلَ: في هذا إضمارٌ، كأنه قالَ: وأرسَلْناهم بالبيناتِ والزُّبُر.

والبيناتُ هي: الدلالاتُ الواضحاتُ(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٨/١٣)، عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٥٢-٥١)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم؛ عن ابن عباس مطولًا. وفي رواية (٩/٥١)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي مطولًا. وهو قول أكثر المفسرين؛ ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/٤٧)، ومكي بن أبي طالب في «تفسيره» (٦/٣٩٩٩)، والماوردي في «تفسيره» (٣/١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٣)، وفي «البسيط» (١٣/٦٣-٦٤)، وفي «الوسيط» (٣/٦٣)، والسمعاني في «تفسيره» (٣/١٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/٢٠)، والخازن في «تفسيره» (٣/٧٨)، جميعهم من غير نسبة بنحوه.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٦. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٣٩٩٩. التفسير البسيط: ١٣/٦٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٣٠. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٨. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٠١.

والزُّبُر: جمع الزَّبُور؛ وهو الكتابُ[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآنَ[٢].

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ الحلالَ والحرامَ، والحقَّ والباطلَ؛ ولكي يتفكروا فيه فيؤمنوا[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣١/١٤ (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٠/٢. تفسير الطبري: ٢٣٢/١٤. تأويلات أهل السنة: ٨٨/٣.

(٣) قوله: «ولكي يتفكروا فيه فيؤمنوا»، ينظر: بحر العلوم: ٢٣٧/٢.

[٤٥-٤٧] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝٤٧﴾

معناه: أفأمِنَ الذين مكَروا، في تكذيبِ الرسلِ، وأذى المسلمين، أن يُفعل بهم ما فُعل بالمكذِّبين قبلَهم؛ مِن خسفٍ، أو أن يأتيَهم العذابُ من موضعٍ لا يعلمون، أو أن يأخذَهم اللهُ تعالى في تصرُّفهم؟!

فما هم بمعجِزين اللهَ تعالى عن ما يُريدُ إحلالَه بهم.

وقولُه تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ معناه: على تنقُّص في الأموال والأنفُس بالبلايا والشدائدِ، حتى يَهلِكوا عن آخرِهم[١].

رُوي عن عمرَ -رضِي الله عنه- أنه قال: «ما كنتُ أدري ما معنى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾، حتى سمعتُ قولَ الراجز[٢]

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ (٣عُودَ النَّبْعَةِ٣) السَّفَنُ[٤]

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٨٩.

(٢) هذا ليس من الرَّجز، وإنَّما مِن بحر البسيط، واختلف في نسبته: فأقدم من نسب إليه هو تميم بن أبي بن مقبل، -ولعله أرجح ما يكون أنه له؛ لأنه أقدمهم-، ووقفت عليه منسوبًا لذي الرُّمة، ونسبه قطرب لأبي مزاحم الثمالي.

ينظر: ديوانُ ابن مقبل: ٢٨٣. ديوانُ ذي الرُّمة بشرح الباهليِّ: ١٩١٧/٣. معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). *تَمِيم بن أبي بن مقبل. شاعر مخضرم، مجيد، كان في الإسلامِ يبكي أهل الجاهلية.

ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١٥٠/١. الأعلام للزركلي: ٨٧/٢.

(٣ - ٣) واحدة النبع، وهو شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. ينظر: لسان العرب: (ن ب ع).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (ت مامودو محمد) (٤٨٩)، عن عمر بلفظه. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣٦/١٤)، عن عمر بن الخطاب مطولًا -ولم تذكر الرواية بيت الشعر المذكور-. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٥/٩)، وعزاه إلى ابن جرير عن عمر مطولًا. * والتخوف لغة لأزد شنوءة، كما قال قطرب، وقاله الهيثم بن عدي؛ نقله عنه الطبري والثعلبي في تفسيريهما. ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير الطبري: ٢٣٥/١٤. تفسير الثعلبي: ٥٠/١٦.

التَّامِكُ: السَّنَامُ(١). والقَرِدُ: السَّمِينُ(٢).

والسَّفَنُ: ما يُنحَت به، والمِسفَنُ: مثلُه (٣من ص٣).

ويُروى:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا   كَمَا تَخَوَّفَ ظَهْرَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

وقال الحسنُ -رضِيَ اللهُ عنه-: «معناه: أنْ يخوِّفَهم بأنْ يُهلِك قريةً لتنزجِرَ قريةٌ أخرى»(٤).

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: فإنَّ اللهَ تعالى شديدُ الرحمةِ؛ بتأخيرِ العذابِ عن الكفارِ(٥)، أو شديدُ الرحمةِ على مَن تابَ منهم.

---

(١) ينظر: العين: (ت م ك). جمهرة اللغة: (ت م ك). الصحاح: (ت م ك).

(٢) القَرِدُ في لسان العرب: بعير كثير القردان. ينظر: (ق ر د).

(٣ - ٣) هكذا كتبت في الأصل، وهي غير مقروءة: ( )، ولم أقف عليها. *ومعنى السَّفن قد ورد في الصحاح. ينظر: الصحاح (بنصه): (س ف ن).

(٤) لم أقف عليه مسندًا عن الحسن. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣٨/١٤)، عن الضحاك بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤/٩-٥٥)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم؛ عن الضحاك مطولًا. وذكره الماوردي في «تفسيره» (١٩٠/٣)، وعزاه للحسن بنحوه.

(٥) /ز/و ٣٦٦/.

[٤٨-٥٠] قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

معناه: أوَلم يرَوا إلى ما خلقَ اللهُ من شيءٍ؛ مِن شخصٍ قائمٍ، مِن شجرٍ، أو إنسانٍ، أو نحوِ ذلك، يتميَّلُ ظلالُه عن اليمينِ والشمائلِ إذا طلَعت الشمسُ وإذا غرَبت، وذلك أن الشمسَ تكونُ على اليمينِ دَفْعةً في ابتداءِ النهارِ، ثم تصيرُ على الشِّمالِ جزءًا فجزءًا، فيكونُ الظلُّ في ابتداءِ النهارِ مائلًا عن اليمينِ، وفي آخرِ النهارِ مائلًا عن الشِّمالِ(١).

وقولُه تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ معناه: أنَّ فيه دليلًا بتوحيدِ الله تعالى، كما حُكي عن الحسنِ -رضيَ اللهُ عنه- أنه كان يقولُ في مواعظِه: «أمَّا ظلُّك فيسجدُ له، وأما أنت فلا تسجدُ له! بئسَ -والله- ما تَصنَعُ»(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صاغِرون ذَلِيلون(٣).

وأما قولُه تعالى: ﴿وَلِله يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: له ما في السماواتِ وما في الأرضِ، بما عليها من آثارِ الصنعةِ التي لا يمكنُها الانفصالُ عنها(٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ معناه: وتخضعُ له الملائكةُ، وهم لا يتعظَّمون عن الخضوعِ له.

﴿يَخَافُون رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ معناه: يخافون ربَّهم خوفَ المقهورِ من القاهرِ(٥).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٧١.

(٢) لم أقف عليه.*وقد تقدم ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِله يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٦].

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (بنصه): ٣/٩٠.

(٤) قول المصنف: «بما عليها من آثار الصنعة التي لا يمكنها الانفصال عنها»، لعلَّ الضمير في: (عليها)، (عنها)، يعود على الأرض، باعتبارها أقرب مذكور، فيكون مراده أنه أراد الأرض وما عليها من آيات دالة على عظيم قدرة الله تعالى.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٣٨. تفسير الثعلبي: ١٦/٥٦.

وذكَر لفظَ (فوق) على هذا المعنى؛ لأن القاهرَ منا يكونُ فوقَ المقهورِ أبدًا[١].

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: يخافون عقابَ ربهم مِن فوقِهم[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩﴾ معناه: أنهم لا يَتجاوَزون أمرَه.

وعن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: ((إنَّ للهِ تعالى ملائكةً في السماءِ السابعةِ، سُجُودًا منذُ خلَقَهم اللهُ تعالى إلى يومِ القيامةِ، تُرعَدُ فرائصُهم من مخافةِ اللهِ تعالى، وتَجري دموعُهم، وتضطرِبُ أجنحتُهم، لا تقطُر من دموعِهم قطرةٌ إلا صارَ ملَكًا قائمًا، فإذا كانَ يومُ القيامةِ رفَعوا رؤوسَهم، وقالوا: سبحانَك! ما عبَدْناك حقَّ عبادتِك))[٣].

---

(١) هنا أثبت معنى الفوقية دون الصفة، وهذا تأويل مبني على مذهبه في تأويل الصفات الخبرية. وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثباتِ العلو والفوقية لله تعالى، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء...»، ثم ذكر بعدها عددًا من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة، ثم قال: «إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينًا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين: أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفًا. ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة -لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرف واحد يخالف ذلك؛ لا نصًّا ولا ظاهرًا. ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا: إنه ليس على العرش، ولا: إنه بذاته في كل مكان، ولا: إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء...». ينظر: مجموع الفتاوى: (١٢/٢)، (١٥/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/١٤. تفسير الثعلبي: ٥٦/١٦. التفسير البسيط: ٨٢/١٣.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٩٨-٩٩)، وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٦٧/١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٩٩٣/٣-٩٩٤)، جميعهم عن عباد بن منصور عن عدي بن أرطاة عن رجلٍ من أصحاب النبي -نسي اسمه عبَّاد- عن النبي ﷺ بنحوه. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢٧٢/٨)، وعزاه إلى محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»، عن عباد بن منصور عن عدي بن أرطاة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ (مجهول) عن النبي ﷺ. *في إسناده رجل مبهم وهو شيخ عديّ بن أَرطاة، الذي نسي اسمه عباد. ولم أقف عليه في كتب المبهمات.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- أنه قال في هذه[(١)] الآيةِ: «مَن سجد هذه السجدةَ إيمانًا وتصديقًا، أعطاه اللهُ تعالى؛ بعددِ الملائكةِ، والشمسِ، والقمرِ،/٢/ظ٩٧/ والنجومِ، وقطرِ المطرِ، ونباتِ الأرضِ، وترابِها، ورملِها، ومَدَرِها، وعددِ ما دبَّ على وجهِ الأرضِ؛ حسنةً حسنةً»[(٢)].

(١) سقطت من ز.

(٢) لم أقف عليه.

[٥١-٥٢] قوله عز وجل: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾

وذلك أنه جلَّ ذكرُه لَمَّا دلَّ على التوحيدِ، وأَخبرَ بسجودِ أهلِ السماواتِ وأهلِ الأرضِ له، بيَّن أنَّ الذي هذه صفتُه لا يجوزُ اتخاذُ إلهٍ دونَه، فذلك قولُه تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾.

يجوزُ أن يكونَ قولُه: ﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ تأكيدًا لِمَا سبَق[١].

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: لا تتخذوا اثنَينِ إلهينِ، ما اللهُ إلا إلهٌ واحدٌ، فإيايَ فاخشَون، ولا تخشَوا غيري.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: أن مُلكَ السماواتِ والأرضِ وما فيهما: للهِ تعالى[٢].

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ أي: دائمًا[٣]، وإن كان فيه الوَصَبُ.

والوَصَبُ: شِدَّةُ التعبِ[٤]، فإن الله تعالى هو المستحِقُّ لأنْ يُعبدَ في جميعِ الأوقاتِ، والصنمُ إذا عُبد مرةً رُمي به، ثم يُنحَتُ الآخَرُ ويُعبَدُ ذلك الآخَرُ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ[٦]، كأنه قالَ: أفغيرَ اللهِ تخشَون.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٤. معاني القرآن للنحاس: ٧١/٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠١٠/٦.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٤٠١٠/٦-٤٠١١).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد: ٤٢٢. تفسير مقاتل: ٤٧٢/٢. تفسير الطبري: (٢٤٧/١٤-٢٤٩) (أخرجه عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٣.

(٥) سقطت من ز.

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: ١٧٨/٣. تفسير البغوي: ٢٤/٥.

[٥٣-٥٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

معناه: أنَّ جميعَ ما بكم من النعمِ فهو من قِبَلِ الله تعالى(١)، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ فإلى الله يتضرَّعون في كشفِه.

والجُؤارُ في اللغةِ: رفعُ الصوتِ(٢).

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾، أي: إذا رفعَ ما حلَّ بكم من الضر؛ عادَ فريقٌ منكم إلى الشركِ(٣).

وقولُه تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ معناه: أنه ليس لهم غرضٌ في الكفرِ إلا الجحودُ بما آتيناهم، فيمتعوا في الدنيا(٤).

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحلُّ بكم من العذابِ(٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠١٢/٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/ لغة سورة النحل وغريبها). معاني القرآن للفراء: ١٠٥/٢. معاني القرآن للزجاج (ت ما مودو محمد): ٤٩٤.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠١٣/٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٥. معاني القرآن للنحاس: ٧٤/٤.

(٥) التفسير البسيط: ٨٨/١٣. التفسير الوسيط: ٦٦/٣.

[٥٦] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

معناه: ويجعلون للأصنامِ التي لا تَعلمُ نصيبًا مما رزقناهم[١]، وهو ما كانوا يجعلون لها من السائبةِ[٢]، والبَحِيرة[٣]، والحامِ[٤]، وبعضِ الحَرْث[٥].

ويجوزُ أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ راجعًا إلى الكفارِ، على معنًى: أنهم لا يعلمون أنها لا تنفعُهم ولا تضرُّهم[٦].

وقولُه تعالى: ﴿تَاللَّهِ﴾ قسمٌ بأنَّ الله تعالى يسألُهم في الآخرةِ عمَّا كانوا يكذِّبون به فيما جعلوه للأصنامِ بقولِهم: أمَرَنا اللهُ بذلك[٧].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٥. معاني القرآن للنحاس: ٧٤/٤. بحر العلوم: ٢٣٨/٢.

(٢) كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد، أو برئ من علة، أو نجته دابة من مشقة أو حرب، قال: ناقتي سائبة، أي: تُسيَّب فلا يُنتفع بظهرها، ولا تُحلأ عن ماءٍ، ولا تمنع من كلأ، ولا تركب، وقيل: كان ينزع من ظهرها فقارةً، أو عظمًا، فتعرف بذلك، وقيل هي: أم البحيرة. ينظر: لسان العرب: (س ي ب).

(٣) الناقة التي تشق أذنيها، وكانت العرب تفعل ذلك إذا أنتجت عشرة أبطن فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر، وتترك ترعى وترد الماء ويحرم لحمها على النساء ويحلل للرجال، وقيل: إنها ابنةُ السائبة. ينظر: لسان العرب: (ب ح ر).

(٤) الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود، قيل عشرة أبطن، فإذا بلغ ذلك قالوا: حمى ظهره، فلا ينتفع منه بشيء، ويفسر بأنه الحامي من الإبل إذا طال مكثه عندهم. ينظر: الصحاح: (ح م ا).

(٥) أي: الخيل والإبل الهزيلة. ينظر: لسان العرب: (ح ر ث).

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٨/٢.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٨/٢.

[٥٧-٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ[١] بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

معناه: أنهم يقولون: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله[٢].

وقولُه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عمَّا لا يليقُ به[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: ما يختارون لأنفسِهم منَ البنينَ دون البناتِ[٤].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ بالجاريةِ، ظهَر أثرُ الكراهةِ والحزنِ على وجهِه من ذلك[٥].

يُقالُ لكُلِّ مَن لقِيَ مكروهًا: قد اسودَّ وجهُه غمًّا، وحزنًا، وخجلًا.

ومِن ذلك: قولُك: قد سوَّدت وجهَ فلانٍ[٦].

والكظيمُ: الممتلئُ غيظًا، وغمًّا، يترددُ حزنُه في جوفِه[٧].

والكِظَامُ: الحبلُ الذي يُشَدُّ به رأسُ القِرْبةِ عند الامتلاءِ[٨].

وقولُه تعالى: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: يختفي منَ المبشِّرين له بذلك، ومن جلسائه؛ من كراهةِ ما يُبشَّر به من الأنثى[٩]؛ أيَحْفَظُه على هُونٍ ومشقَّةٍ؟ أم يدفنُه حيًّا في الترابِ؟ كما كان في عادةِ العربِ.

---

(١) /ز/ظ٣٦٦/.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٤/٢. تفسير الطبري: ٢٥٤/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٤. تفسير الطبري: ٢٥٤/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠١٦/٦.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: (٤٠١٦/٦-٤٠١٧).

(٦) من قوله: «يقال: لكُلِّ من لقي مكروهًا قد...»، إلى قوله: «قد سودت وجه فلانٍ»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٦.

(٧) ينظر: مجاز القرآن: ٣٦١/١. تفسير غريب القرآن: ٢٢١. بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

(٨) الدر المصون: ٣٩٥/٣.

(٩) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠١٨/٦.

كان إذا وُلد لأحدِهم مولودٌ أنثى، حفَر لها حَفِيرةً ألقاها فيها، وجعل عليها الترابَ حتى تموتَ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩].

وأما لفظُ التذكيرِ في قوله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾؛ فلأنه راجعٌ إلى المبشَّر به، كما قال الشاعرُ[١]:

قَامَـــتْ تُبَكِّيـــهِ عَلَـــى قَـــبْرِهِ ... مَـــنْ لِيَ مِـــنْ بَعْـــدِكَ يَا عَـــامِرُ[٢]

تَـــرَكْتَنِي فِي الـــدَّارِ ذَا غُرْبَـــةٍ ... قَـــدْ ذَلَّ مَـــنْ لَـــيْسَ لَـــهُ نَاصِـــرُ[٣]

ولم يقُل: ذاتَ غُربةٍ؛ لأنه ذهَب إلى الشيءِ، أو إلى الشخصِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ معناه: ألا ساءَ ما يَقْضون؛ من اختيارِ البنينَ لأنفسِهم، وإضافةِ البناتِ إلى اللهِ تعالى، وقتلِ الموءودةِ[٤].

وأما قولُه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: لهم صفةُ السَّوءِ، ولله المثلُ: الصفةُ، العليا: الألوهيةُ والربوبيةُ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣-٤][٥].

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يقدرُ أحدٌ على أن يغلِبَه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ /٢/و٩٨/ في أمرِه وتدبيرِه[٦].

---

(١) نسبه النحاس في إعراب القرآن للأعشى، ولم أقف عليه في «ديوانه»، وعزاه صاحب «العقد الفريد» لأعرابية، وبعض المصادر ذكر فيها من غير نسبة.

ينظر: مجاز القرآن: ٧٦/٢. الأصول في النَّحو: ٤٣٨/٣. المذكر والمؤنث لابن الأنباري: ١٤٧/١. العقد الفريد: ٢٣٦/٦. إعراب القرآن للنحاس: ٧٧/٢.

(٢) قال محقق صاحب «العقد الفريد»: إن عامرًا ابن الأعرابية التي عزا لها الأبيات، ولم يذكر اسمها.

(٣) البيت ذكر في المصادرِ السابقة.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٩/٢. تفسير السمعاني: ١٨١/٣. تفسير البغوي: ٢٥/٥.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

معناه: ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بعقابِ المعاصي عاجلًا، ما تركَ على الأرضِ من دابةٍ[١].

وقولُه تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ دليلٌ أنَّ المرادَ بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا﴾ على الأرضِ؛ لأن الدوابَّ إنما تكونُ على الأرضِ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معناه: ولكنْ يُمهِلُهم إلى وقتٍ ضرَبَه لإمهالِهم، فإذا جاء ذلك الوقتُ؛ لا يتقدَّمون ساعةً ولا يتأخَّرون[٣].

فإن قيلَ: كيف قالَ: ما ترَك عليها من دابةٍ، مع علمِنا أن في الناس مَن هو ظالمٌ، ومنهم مَن ليس بظالمٍ؟

قيل: في هذا أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ معناه: ما ترَك عليها من دابةٍ ظالمةٍ.

والثاني: أنه لو يؤاخذُ الناسَ بظلمِهم عاجلًا؛ لانقطعَ النسلُ؛ لأنه لا أحدَ إلا وقد كان في آبائه وأجدادِه مَن هو ظالمٌ، فلو أخذَهم بالظلمِ عاجلًا؛ لانقطَعَ النسلُ.

والثالثُ: أنه لو أخَذهم بظلمِهم عاجلًا؛ لعمَّهم بالعذابِ، إلا أنَّ العذابَ يكونُ عقوبةً للظالم منهم، ومحنةً للبريءِ منهم، كما أنَّ أمراضَ الصالحين تكونُ محنةً لهم[٤]. وهذا كما قلنا في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥][٥].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/١٤. تفسير الثعلبي: ٦٣/١٦. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٢١/٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٧. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. التفسير البسيط: ٩٨/١٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٢١/٦.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي: (١٩٥/٣-١٩٦).

(٥) والذي قاله المصنف في تفسير آية الأنفال: «....والفتنة المذكورة في الآية هي البلية التي يظهر بها باطن أمر الإنسان. وقيل: هي الهرج التي يركب الناس فيه الظلم؛ لأنهما إذا وقعا دخل ضررهما على كل أحد من الناس، فكأن الله عز وجل أمر باتقاء ترك النكير على أهل المعاصي، واتقاء الاختلاط بأهل المعصية...»، ثم استدل بأثر عن ابن عباسٍ وحديثٍ لرسول الله ﷺ. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت نايف كريدم): ٢٠٦.

فإن قيلَ: في الآيةِ تعميمُ النَّاسِ والدَّوابِّ في الهلاكِ، فأيُّ شيءٍ كانَ يُوجِبُ هلاكَ الدَّوابِّ؟!

قيلَ: إنما خلَقها اللهُ تعالى لمنافعِ الناسِ، فإذا أهلكَ الناسَ بمنعِ المطرِ عنهم لم يبقَ في الأرضِ دابةٌ إلا هلَكت، وإذا أهلكَ الناسَ بوجهٍ من الوجوهِ لم يكنْ هناك وجهٌ يقتضي إبقاءَ الدوابِّ أبدًا، بل كانت الحكمةُ تقتضي إهلاكَها.

[٦٢] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

في الآيةِ إعادةُ ذكرِ جهلِ الكفارِ؛ أنهم يجعلون للهِ ما يكرهون لأنفسِهم؛ وهو البناتُ[١].

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ أنَّ لهم الجنةَ في الآخرةِ[٢]، إنْ كانت. ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقًّا[٣].

ويُقالُ: لا بُدَّ، ولا محالةَ[٤].

ويُقالُ: لا ردَّ لكلامِهم[٥].

وجَرَمَ؛ أي: كَسَبَ فعلُهم هذا لهم النارَ[٦].

وقولُه تعالى: (وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ)[٧] معناه: أنَّهم مقدَّمونَ إلى النارِ[٨].

---

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٤. تفسير الطبري: ٢٦١/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٤. تأويلات أهل السنة: ٩٥/٣. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. تفسير الثعلبي: ٦٥/١٦. التفسير البسيط: ١٠١/١٣ (في أحد أقوالهم، وعزاه الثعلبي والواحدي لـ: يمان بنِ رئاب). وكثير من المفسرين فسروا الحسنى على أنها البنون، ووردت في المصادر السابقة، وكذا في تفسير الطبري: ٢٦١/١٤. *ورجح الواحدي في «البسيط» أنها الجنة بدلالة قوله تعالى بعده: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾. ينظر: التفسير البسيط: ١٠٢/١٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. تفسير الثعلبي: ٦٥/١٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/١٤. بحر العلوم: ٢٣٩/٢. التفسير البسيط: ١٠٢/١٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٧.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٧. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٢٣/٦.

(٧) كتبها في الأصل، ز: بقراءة ابن كثيرٍ، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة والكسائي، وأثبتها كما هي.

(٨) هذا التوجيه والتفسير على معنى قراءة الفتح، وقرأ بفتح الرَّاء: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٤. التيسير في القراءاتِ السَّبعِ: ٣٣٨. التبصرة في القراءات: ٥٦٥.

أما توجيه القراءة: فينظر: تفسير الطبري: ٢٦٥/١٤. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٨. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٥٦/١.

والفارِطُ في اللُّغةِ هو: القادِمُ إلى الماءِ(١)، ومنهُ قولُ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((أنا فَرَطُكم على الحوضِ))(٢). أي: سابِقُكم إليه(٣).

ومَن قرأ: ﴿مُّفْرِطُونَ﴾ بكسرِ الرَّاءِ(٤)، فهُم الذين أفْرَطُوا في الذُّنوبِ والمعاصِي(٥).

ومَن قرأ: (مُّفْرِّطُونَ) بالتشديدِ(٦)، فهو منَ التفريطِ؛ وهو: التقصيرُ(٧).

---

(١) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير غريب القرآن: ٢٤٥. الأضداد: ٧١.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم بعدة أسانيد؛ منها: ما أخرجه البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الرقاق/باب في الحوض/ح٦٥٧٥)، عن عبد الله بن مسعود بلفظه. وفي (كتاب الرقاق/باب في الحوض/ح٦٥٨٩)، ومسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفضائل/باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ/ح٢٢٨٩)، كلاهما عن جندب بلفظه.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٦٥.

(٤) نافع. ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٤. التيسير في القراءات السَّبع: ٣٣٨. التَّبصرة في القراءات السبع: ٥٦٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١٠٨. تفسير الطبري: ١٤/٢٦٧. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت مامودو محمد): ٤٩٩. معاني القراءات: ٢/٨١.

(٦) أبو جعفر. ينظر: المبسوط في القراءاتِ العشر: ٢٦٤. الكامل في القراءات العشر: ٥٨٥. النشر في القراءاتِ العشر (ت محفوظ): ٣٤٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١٠٨. تفسير الطبري: ١٤/٢٦٧. إعراب القراءاتِ السبع وعللها: ١/٣٥٦.

[٦٣] قوله عز وجل: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

في الآيةِ تسليةٌ للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-[١].

ومعناها: كما أرسلناك إلى هؤلاء، أرسلنا رسلًا إلى أممٍ من قبلِك، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ في الكفرِ والتكذيبِ[٢].

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ في الدنيا[٣] يتبعون إغواءَه.

ويُقالُ: معناه: هو وليُّهم يوم القيامة، أي: يُقال لهم يومئذٍ: هذا وليُّكم[٤]، فيَكِلُهم الله تعالى[٥] يومئذٍ إلى مَن لا يَملِكُ دفعَ العذابِ عن نفسِه، فكيف ينصرُهم ويدفعُ العذابَ عنهم؟

وقولُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قد سبَق تفسيرُه[٦].

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٢٦. زاد المسير: ٧٨٣. البحر المحيط: ٥/٤٩١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٦٨. بحر العلوم: ٢/٢٤٠. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٢٥.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٢٥. زاد المسير: ٧٨٣.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/٤٠٢٥-٤٠٢٦). زاد المسير: ٧٨٣ (عزاه إلى مقاتل، وابن السائب).

(٥) /ز/و٣٦٧/.

(٦) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩]، وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٣]، وذكر أنه بمعنى: «المؤلم الموجع»، ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت منى الزايدي): ٢٠٣. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت أعياد دقنة): ٩٢.

[٦٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

معناه: وما أنزلنا عليك القرآنَ إلا لتبيِّنَ لهم الحقَّ من الباطلِ فيما اختلفوا فيه من الدينِ(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَهُدًى﴾ أي: وأنزلناه دلالةً ورحمةً للمؤمنين.

وتخصيصُ المؤمنين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون به(٢).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٢٦/٦. تفسير الخازن: ٨٤/٣.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٦٤/٢٠ (عزاه للكلبي). تفسير الخازن: ٨٤/٣.

[٦٥] قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

معناه: واللهُ أنزلَ المطرَ من السماءِ إلى الغَيْم، ثم من الغيمِ إلى الأرضِ، فأحيا به الأرضَ بعد يُبْسِها وجفافِها[١].

وسُمي جفافُ الأرضِ مَوْتًا؛ لأنه لا يُنتفَع بها حينئذٍ، كما لا يُنتفَعُ بالميتِ.

وسُمي إنباتُ الأرضِ إحياءَ الأرضِ؛ لأنه يُنتفَعُ بالأرضِ في هذه الحالِ، كما يُنتفَعُ بالحيِّ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: فيما ذكرتُ لك لدلالةً على اللهِ تعالى.

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أدلةَ اللهِ تعالى، ويتفكَّرون فيها[٢].

---

(١) يُفهم من كلام المصنف أنه لا يرى أن الماء يتكون نتيجة البخار المتصاعد إلى الجو، بل ينزل من السماء إلى السحاب، وهذا القول خلاف ما ذكره أكثر العلماء. ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٤/٢٦٢)، عندما سئل عن المطر والرعد والزلازل على قول أهل الشرع وعلى قول الفلاسفة. فقال: «...أما المطر: فإن الله يخلقه في السماء من السحاب، ومن السحاب ينزل؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨]، ...»، وذكر غيرها من الآيات، ثم تابع قوله فقال: «والمادة التي يخلق منها المطر هي الهواء الذي في الجو تارة، وبالبخار المتصاعد من الأرض تارة، وهذا ما ذكره علماء المسلمين، والفلاسفة يوافقون عليه». وكذا قال ابن القيمِ في «مفتاح السعادة» (٢/٦٣٩-٦٣٧)، «...اقتضت حكمته أن سقاها من فوقها؛ فينشئ سبحانه السحاب، ثم يرسل الرياح، فتحمل الماء من البحرِ وتُلقِحُها به كما يلقحُ الفحل الأنثى...»، ثم قال: «والله سبحانه ينشئ الماء في السحابِ إنشاءً، تارة يقلب الهواء ماءً، وتارة يحمله من البحر فيلقح به السحاب ثم ينزل منه على الأرض، ولو أنه ساقه من البحر إلى الأرض جاريًا على ظهرها لم يحصل عموم السقي إلا بتخريب كثير من الأرض، ولم يحصل عموم السقي لأجزائها. فصاعدة سبحانه إلى الجوّ بلطفهِ وقدرته، ثم أنزله على الأرض بغاية من اللطف...».

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٦٩.

[٦٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾

معناه: وإنَّ لكم في الإبلِ والبقرِ والغنمِ لَعِبرةً، نُسقِيكم مما في بطونِها لبنًا خالصًا، يخرجُ من بين الفَرْثِ[١] والدمِ، من دونِ أن يَظهَرَ فيه لونُ الدمِ، ولا رائحةُ الفَرْثِ.

﴿سَآئِغًا﴾ أي: متيسِّرَ الجَرْيِ في الحَلْقِ؛ لا يَغَصُّ به شاربُه[٢].

/٢/ظ٩٨/ وإنما لم يقُلْ: مما في بطونها؛ لأن الأنعامَ والبقرَ بمعنًى واحدٍ، وكأنه ردَّ الكنايةَ إلى النعمِ[٣].

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: مِن ما في بطونِ ما ذكرنا، أو ممَّا في بطونِ أحدِها[٤].

وفي قولِه: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ قراءتانِ: بفتحِ النُّونِ وضَمِّها[٥].

يُقالُ: سَقَى وأَسْقَى؛ بِمَعْنًى وَاحِدٍ[٦].

وقيلَ: (نَسْقِيكُم) بنصبِ النُّونِ، تقتضي سَقَى مرَّةً واحدةً.

---

(١) الفرث: السِّرجين، ما دام في الكرش. والمقصود بالسرجين: ما تدمل به الأرض. ينظر: لسان العرب: (ف ر ث)، (س ر ج ن).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٩/٢. غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٤٥. تفسير الطبري: ٢٧٤/١٤. بحر العلوم: ٢٤٠/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٨/٢. تفسير الطبري: ٢٧١/١٤ (عزاه إلى بعض نحوي الكوفة، وهو قول الفراء). المذكر والمؤنث: ٤٦٧/١ (عزاه إلى الفراء).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٩/٢ (عزاه إلى الكسائي). تفسير الطبري: ٢٧٢/١٤. المذكر والمؤنث: ٤٦٧/١ (عزاه إلى الكسائي).

(٥) قرأ بفتحِ النونِ: ابنُ عامِر، ونافع، وأبو بكر عن عاصم. وقرأ بالضمِّ: ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم.

ينظر: السبعة في القراءات: ٣٧٤. التيسير في القراءات السبع: ٣٣٨. التبصرة في القراءات السبع: ٥٦٥.

(٦) أشار المصنف لذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

و(نُسْقِيكُم) بضمِّ النونِ يقتضِي أنْ يجعلَها سُقيَا لهُم، فيشربونَ من ألبانِها دائمًا[١].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- أنه قالَ: «إذا أكَلت الدابةُ العلفَ، واستقرَّ في كَرِشِها، صار أسفلُه فرثًا، وأوسَطُه لبنًا، وأعلاه دمًا، والكبدُ يسلطُ على هذه الأصنافِ الثلاثِ، فيقسمُ الدمَ، فيُجريه في العروقِ، ويُجري اللبنَ في الضروعِ، ويَبقى الفرثُ كما هو في الكرشِ»[٢].

«صارَ أعلاه كلُّه دمًا بحرارةِ الكبدِ، ثم يتفرَّقُ الدمُ في العروقِ، فمقدارُ ما ينتهي إلى الضرعِ يصيرُ لبنًا ببرودةِ الضرعِ، ولهذا إذا كان في الضرعِ آفةٌ خرَج منه الدمُ مكانَ اللبنِ»[٣].

وفي الآيةِ: دلالةٌ أنَّ اللبنَ لا ينجسُ بنجاسةِ موضعِ الخِلقة، فلا يكونُ لبنُ الميتةِ إلا طاهرًا؛ لأنَّ نجاسةَ موضعِ خلقةِ اللبنِ لا توجبُ نجاسةَ اللبنِ، بحكمِ هذه الآيةِ[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/١٤. إعراب القراءات السبع وعللها: ٣٥٨/١. الحجة في القراءات السبع: ٢١٢. الحجة للقرَّاء السَّبعة: (٧٤/٥-٧٦).

(٢) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٤٠/٢)، عن ابن عباسٍ في رواية أبي صالح بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (٧٠/١٦-٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٧٠/٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢٨/٥)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٨٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٣٥٢/١٢-٣٥٣)، جميعهم عن ابن عباس بنحوه. والواحدي في «البسيط» (١١٣/١٣)، عزاه إلى الكلبي عن أبي صالح بنحوه.

(٣) لعلَّه وقع هنا وهمٌ من المؤلِّفِ أوِ النُّساخِ أو سقطٌ منهم؛ لأنَّ قوله: «صار أعلاه كله دمًا بحرارة الكبد...»، إلى قوله: «خرج منه الدم مكان اللبن»، جعلوه تابعًا لقول ابن عباس، وقول الأخير ينتهي إلى حيث أشرنا في الحاشية السابقة في جميع الموارد، والنص المشار إليه منقول من تفسير السمرقندي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٤٠/٢)، من غير نسبة بنحوه، وابتدأه بقوله: «وقال بعضهم: إذا استقرَّ العلف في الكرش...»، إلى آخر ما ذكره المصنف.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥/٥. *حكم حل لبن الميتة الذي ذكره المصنف بناءً على مذهبه الحنفي، أما عند مالك والشافعي والظاهر من المذهب الحنبلي أنَّ لبن الميتة نجس، وفي رواية في المذهب الحنبلي أنه طاهر.

ينظر: المغني لابن قدامة: ١٠٠/١.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

معناه: ونطعمُكم من ثمراتِ النخيلِ والأعنابِ[(١)].

وقولُه تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾؛ رُوي عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- أنه قالَ: «أرادَ بالسَّكَرِ: المُسكِرَ»، قال: «وهو من العنبِ: الخمرُ، ومن النخيلِ: نقيعُ التمرِ إذا غلا واشتدَّ»[(٢)]. قال[(٣)]: «ونزلت هذه الآيةُ وهُما لهم حلالٌ يومئذٍ»[(٤)].

ورُوي عنه في رواية أخرى -وهو قولُ: سعيدِ بنِ جُبير، ومجاهدٍ، والحسنِ، وجماعةٍ[(٥)] رضيَ اللهُ عنهم-: «أنَّ السَّكَرَ: ما يُتخذ منهما من الشرابِ الحلالِ، وأما الرزقُ الحسنُ: فهو ما يُنتفَعُ

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/٢٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٥١٦)، كلاهما عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/٢٥٠)، عن سعيد بن جبير بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٤/٢٨٢)، عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى بمعناه مختصرًا. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/٢٥٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٢٨٣)، كلاهما عن إبراهيم وأبي رزين، وزاد الأول الشعبي بمعناه مختصرًا. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/٢٥٠)، عن الحسن بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (١٤/٢٨٣)، عن الضحاك ببعضه. وذكر البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٥١٦)، أنَّه رُوِي عن أبي عبيد أنه قال: «السَّكَرُ: نقيع التمر». وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٧١)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير، والحسن، والشعبي، وإبراهيم، وأبي رزين ببعضه. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٤١)، من غير نسبة بنحوه.

(٣) أي: ابن عباس.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٤١)، عن ابن عباس بلفظه. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٢٨٢)، عن ابن عباس بمعناه. وأخرجه (١٤/٢٧٨)، عن أبي رزين بمعناه. وفي رواية (١٤/٢٧٩)، عن الحسن بمعناه. وبإسنادين مختلفين في (١٤/٢٧٠)، عن مجاهد بمعناه. وكذا أخرجه (١٤/٢٨٠)، عن قتادة في أثناء الحديث. وفي (١٤/٢٨٢)، عن ابن عباس بزيادة في آخره. وأخرجه الطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٤/٢٨١،٢٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٥١٦)، كلاهما عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٦٩)، وعزاه إلى أبي داود في «ناسخه»، وابن جرير عن أبي رزين بمعناه. وفي رواية (٩/٧٠)، عزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس مطولًا.

(٥) في متنِ الأصلِ: (الحسن و**حماد**)، وصححه الناسخ في هامش الأصل بوضع علامةِ (x) على (حماد)، وصححه بلفظةِ: (و**جماعة**)، وهو المثبت في المتن.

به من الزبيبِ والتمرِ والعصيرِ» [(١)].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ معناه: إنَّ في ذلك لعلامةً، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ دلائلَ اللهِ تعالى وحُجَجَه[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٢٧٦/١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥١٦/٨)، كلاهما عن ابن عباس بمعناه. والطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (٢٧٨/١٤)، عن سعيد بن جبير بمعناه. وكذا بإسنادين مختلفين في (٢٧٩/١٤)، عن الحسن بمعناه. وفي (٢٨٠/١٤)، عن الضحاك بمعناه. وكذا (٢٨١/١٤)، عن قتادة بمعناه. والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥١٦/٨)، عن مجاهد بمعناه. والطبري في «تفسيره» (٢٨٣/١٤)، عن الشعبي ببعضه. وفي (١٤/٢٨٤)، عن مجاهد ببعضه. وكذا أخرجه (٢٨٢/١٤)، عن ابن عباس بزيادة في أوله. وكذا أخرجه بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (٢٨٢،٢٨١/١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥١٥/٨)، كلاهما عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٩/٩)، وعزاه إلى الفريابي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٦٩/٨)، عزاه إلى الفريابي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٧٠/٨)، عزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٧١/٩)، عزاه إلى النسائي عن سعيد بن جبير بمعناه. وفي رواية (٧٠/٩)، عزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس مطولًا.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٣٣/٦.

[٦٨-٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

معناه: وألهمَ ربُّك النحلَ[١] وعرَّفها، ووفَّر عليها[٢] دواعِيَها إلى ما هو المذكورُ في الآيةِ.

ويُسمى الإلهامُ وحيًا؛ لأن الوحيَ هو: ظهورُ المعنى للنفسِ على وجهٍ خفيٍّ[٣].

وقد ألهمَ اللهُ تعالى كلَّ دابةٍ التماسَ منافِعِها واجتنابَ مضارِّها، إلا أنَّ أمرَ النحلِ أعجَبُ؛ لأن فيها من لطيفِ الصنعةِ وبديعِ الخلقِ ما فيه أعظمُ مُعتبَرٍ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ألهمَها اتخاذَ المنازلِ والمساكنِ، وأن تأكلَ من كلِّ الثمراتِ لمنافعِ بني آدمَ، وأن لا تقذفَ ما أكلتْه -بعدما استحالَ عسلًا- إلا على حجرٍ صافٍ أو مكانٍ نظيفٍ لا يخالطُه طينٌ ولا ترابٌ[٤].

قال ابنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «لم يأتِ النحلَ رسولٌ، ولكنَّ اللهَ تعالى ألقَى في نفسِها ففَهِمَتْه»[٥].

وأما قولُه تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾؛ فلفظُه وإن كان لفظَ الأمرِ؛ لكنَّ المرادَ الإلهامُ، وإنما أَجرَى عليه لفظَ الأمرِ على جهةِ المجازِ؛ لأنَّ النحلَ لا تكونُ مأمورةً؛ لأنها لا تعقلُ الأمرَ ولا تفهمُ، وهي أقلُّ حالًا من كثيرٍ من الصبيانِ والمجانينِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ معناه: ومما يَبْنون من سُقُوفِ البيوتِ[٦]، ويَعمَلون

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٦/٢. تفسير الطبري: ٢٨٦/١٤ (أخرجه عن مجاهد). بحر العلوم: ٢٤١/٢.

(٢) كرر في ز.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (و ح ى).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٢.

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٧/١)، عن الكلبي بمعناه مختصرًا. والطبري في «تفسيره» (٢٨٦/١٤)، عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وكذا (٢٨٦/١٤)، عن معمر بإسنادين مختلفين بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢/٩)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٧٢/٩)، عزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٧٢/٩)، عزاه إلى ابن المنذر عن الضحاك بمعناه مختصرًا.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٩/٢. تفسير الطبري: ٢٨٦/١٤. بحر العلوم: ٢٤١/٢.

لمسكنِهم.

وقولُه تعالى: ﴿ثُم كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ﴾ أي: من ألوانِ الثمرِ كلِّه[١].

﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ أي: السبلَ الموطَّأةَ المسخَّرة، التي سخَّرَ اللهُ تعالى عليكِ سلوكَها، ولم يجعلْها بحيثُ يتعذَّرُ الدخولُ فيها.

وقولُه تعالى: ﴿ذُلُلًا﴾ جمعُ ذَلُول[٢].

يُقالُ: دابَّةٌ ذَلُولٌ أي: لينة سهلة مطيعة[٣].

وقولُه تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ أرادَ به العسلَ، يُلقيه النحلُ مثلَ اللعابِ أبيضَ وأصفرَ وأحمرَ[٤].

يُقالُ: إنه يخرجُ من أفواهِ شبابِها: الأبيضُ، ومن كهولِها: الأصفرُ، ومن شيوخِها: الأحمرُ[٥].

وقولُه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ معناه: في ذلك الشرابِ شفاءٌ للناسِ؛ فإنَّ العسلَ والشَّمَعَ يدخُلان في أدويةٍ كثيرةٍ، وليس -إذا كان في الناسِ مَن يضرُّه العسلُ لمعنًى في نفسِه- ما يُوجِبُ أن يخرجَ العسلُ من كونِه شفاءً للناسِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى جعَل الماءَ حياةً لكلِّ شيءٍ، وربما يكونُ الماءُ سببًا للهلاكِ، لكنَّ الاعتبارَ بالأعمِّ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَلَآيَةً﴾ معناه: إنَّ في إلهامِ النحلِ لأوكارِها[٧] وبيوتِها لمنافعِ الناس؛ لَدلالةً ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في دلائلِ اللهِ تعالى.

---

(١) /ز/ظ٣٦٧/. *ينظر: بحر العلوم: ٢٤١/٢.* يوحي كلام الغزنوي أن معنى (من) للعموم، والذي عليه أغلب كتب التفسير أنها ليست للعموم. ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٦. تفسير الثعلبي: ٧٥/١٦. التفسير البسيط: ١٢٢/١٣. تفسير البغوي: ٢٩/٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٩/٢. معاني القرآن للأخفش: ٤١٧/٢. تفسير الطبري: (٢٨٩/١٤-٢٨٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥٥١/١٤. غريب القرآن للسجستاني: ٧٠. الصحاح: (ذ ل ل).

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٤١/٢.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٤١/٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٣. بحر العلوم: ٢٤٢/٢.

(٧) الوكر: العش أينما كان في شجر أو جبل أو غيره. ينظر: لسان العرب: (و ك ر).

وفي الآيةِ دليلٌ أن موتَ ما لا دمَ له في الشيءِ لا يوجبُ تنجيسَه؛ لأن العسلَ /٢/و٩٩/ لا يخلو من النحلِ الميتِ ومن فراخِه فيه، وقد جعَله اللهُ تعالى شفاءً للناسِ[١].

(١) يبين المصنف حكم ما لا نفس له سائلة، وهو الذي عبر عنه بقوله: «موت ما لا دم له»؛ وهذا الحكم عند عامة الفقهاء، قال ابن المنذر: «لا أعلم في ذلك خلافًا؛ إلا ما كان من أحد قَوْلي الشافعي...»، والشافعي ذهب في القديم إلى أنه لا ينجس، وهو اختيار المزني كذلك وعامة الفقهاء -كما أشرت-، وقال في الجديد إنه ينجس.
ينظر: بحر المذهب للروياني: ٢٥٥/١. المغني لابن قدامة: (٥٩/١-٦٠).

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

في الآيةِ تذكيرٌ للعبادِ بأنهم مُدبَّرون بالإحياءِ والإماتةِ، وأنهم خُلقوا لا لهذه الدنيا، وأنهم لا يستطيعون مَحِيصًا عمَّا يُرادُ بهم، فذلك قولُه تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي: في بطونِ أمهاتِكم طورًا بعد طورٍ، حتى أخرجَكم وربَّاكم، إلى أن يقبِضَ أرواحَكم عند آجالِكم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: حتى يعودَ في كِبَرِه وهَرَمِه، في نقصانِ قوتِه، ونقصانِ عقلِه، ونسيانِ ما كان حفِظ في أيامِ الشبابِ، إلى مثلِ حالِ الطفولةِ، بل يصيرُ حالُه أَرْدَى من حالةِ الطفولةِ؛ لأنه لا يرجو له حال ينمو فيها، بل يكونُ في كلِّ يومٍ إلى نقصانٍ، فيُتعهَّدُ تعهُّدَ الصبيِّ الصغيرِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكلِّ شيءٍ، قادرٌ على تحويلِ الأحوالِ، لا يمنعُه شيءٌ ممَّا يريدُ(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٩٢.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

قال ابنُ عبَّاسٍ: ((| نزلت هذه الآيةُ في وفدِ نَجْرانَ[١] حين قالوا: المسيحُ ابنُ اللهِ))[٢].

وفي هذا مثل كل إلهٍ باطلٍ؛ من الأصنامِ وغيرِها[٣].

ومعنَى الآيةِ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في المالِ، والنعمِ، والخدمِ، وجعلَ بعضَكم سادةً مالِكِين، وبعضَكم عبيدًا مملوكين.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ معناه: فما أربابُ الأخدامِ ﴿الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ على المماليكِ، فيُسوُّونهم مع أنفسِهم في المِلْك، فإذا لم ترضَوا في الحكمةِ أن يشارِكَكم مملوكُوكم في المِلكِ؛ لئلَّا يُبطلوا فضيلتَكم عليهم، مع جوازِ أن يكونَ المفضَّلُ مفضولًا والمفضولُ مفضَّلًا، فكيف يَرضى اللهُ تعالى من خلِقه أن يجعلوا له شركاءَ[٤] في المُلكِ من خلقه؟!

وقولُه تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أفتُضيفون نعمةَ اللهِ تعالى إلى غيرِه، وتشكرونه عليها، فتجحَدون نعمةَ الله تعالى؟ وإنَّ مَن أضافَ النعمةَ إلى غيرِ المُنعِم فقد جحَد النعمةَ.

---

(١) نجران: بفتحِ أوله، وإسكان ثانيه، تقع جنوب غرب المملكة على الحدودِ مع اليمن.
ينظر: معجم ما استعجم: ١٢٩٨/٤. معجم البلدان: ٢٦٦/٥. الموسوعة الحرة: (نجران).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩٤/١٤)، عن ابن عباس بمعناه -ولم يشر إلى أنها في وفد نجران-. والثعلبي في «تفسيره» (٨٠/١٦-٨١)، عن ابن عباس مطولًا -وأشار إلى أنها في نصارى نجران-.

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٦. تفسير الطبري: ٢٩٣/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٤٠/٦.

(٤) في متن الأصل: (له **شريكًا**)، وصححه الناسخ في هامش الأصل بوضع علامةِ (X) على (شريكًا)، وصححه بلفظةِ: (شركاء)، وهو المثبت في المتن.

[٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ[١] يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

معناه: واللهُ جعَل لكم من جنسِكم نساءً[٢]، كما قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٥٩]، أي: على مَن هو مِن جنسِكم.

ويُقالُ: جعَل من أنفسِكم بناتٍ جعَلهنَّ أزواجًا لأمثالِكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ﴾ أي: من نسائكم بنين[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾؛ قيلَ: إنهم: الأَخْتانُ[٤].

وقيلَ: ولدُ الولدِ[٥].

وقيلَ هم: الخَدَمُ[٦].

وحقيقةُ الحَفَدة: مَن يُعاوِنُ على ما يُحتاجُ بسرعةٍ؛ من الحَفَد؛ وهو: الإسراعُ[٧]، كما قال الشاعرُ[٨]:

---

(١) في ز: (أفباطل)، وهو تحريف.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٤٢/٢.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٤٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٢٩٥/١٤-٢٩٧) (أخرجه عن عبد الله بن مسعود، وأبي الضحى، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وابن عباس). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٥. تأويلات أهل السنة: ١٠٣/٣ (عزاه إلى ابن مسعود). *الأختان: جمع خَتَن، وختَن الرجل: المتزوج بابنتهِ أو بأخته. ينظر: لسان العرب: (خ ت ن).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١٠٣/٣. بحر العلوم: ٢٤٢/٢. تفسير الماوردي: ٢٠٢/٣ (عزاه إلى ابن عباس).

(٦) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير عبد الرزاق: ٣٧٨/١ (أخرجه عن الحسن). تفسير الطبري: (٢٩٨/١٤-٣٠١) (أخرجه عن عكرمة، والحسن، ومجاهد، وابن طاووس عن أبيه).

(٧) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج/١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير غريب القرآن: ٢٤٦. معاني القرآن للزجاج (ت: مامودو محمد): ٥٠٥.

(٨) اختُلِف في نسبته؛ فنسب في مسائلِ نافع بنِ الأزرق لأُميَّة بن أبي الصلت الثقفي، وكذا هو في المعجمِ الكبيرِ-ولم أقف عليه في ديوانهِ-، ونُسبَ في مجازِ القرآنِ لجميل، وترجم له محقق الكتاب بأنه جميل بن عبد الله الحارثي العذري -ولم =

حَفَـدَ الوَلَائِـدُ بَيْـنَهُنَّ وأُسْـلِمَتْ بِأَكُفِّهِـنَّ أَزِمَّـةُ الأَجْـمَالِ

معناه: أسرعنَ في الخدمةِ(١).

ومنه قولُهم في دعاءِ الوترِ: وإليك نَسعَى ونَحفِدُ(٢)، أي: نُسرعُ(٣).

=

أقف عليه في ديوانه- وكذا الطبري نسبه إلى جميل، ونسبه القاسم بن سلام في غريب الحديث للأخطل، -ولم أقف عليه في ديوانه-.

ينظر: مسائل نافع بن الأزرق: ٣٩. مجاز القرآن: ٣٦٤/١. غريب الحديث: ٢٦٥/٤. تفسير الطبري: ٣٠٢/١٤. المعجم الكبير: ٣٠٦/١٠.

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (بنصه) (ت مامودو محمد): ٥٠٥.

(٢) قوله: «ومنه قولهم في دعاء الوتر: وإليك نسعى ونحفد»، هو جزء من دعاء القنوت الذي أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بأسانيد عدة؛ منها ما أخرجه: في (١١٠/٣)، عن أبي رافع مطولًا. وأخرجه في (١١٢/٣)، عن أبي بن كعب مطولًا. وأخرجه (١١٦/٣)، عن الحسن مطولًا. وابن أبي شيبة في «مصنفه» بعدة أسانيد، منها: (٥١٢/٤)، عن ابن مسعود مطولًا. وأخرجه في (٥٤١/٤)، عن عبيد بن عمير مع قصة في أوله عن عمر بن الخطاب مطولًا. وفي رواية (٣١٨/١٦)، عن عبد الرحمن بن سُوَيْدٍ الكاهلي مع قصة في أوله عن علي بن أبي طالب مطولًا. وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٤٦/١-٥٤٧)، عن عروة بن الزبير مع قصة في أوله عن عمر بن الخطاب مطولًا. والبيهقي في «الدعواتِ الكبير» (٥٥٨/١-٥٥٩)، عن أبان بن أبي عياش مع قصة في أوله عن أنس بن مالك مطولًا. وابن الأعرابي في «معجمه» (٢٥٢/١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٩٩/٢)، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه مع قصة في أوله عن عمر بن الخطاب مطولًا. وأبو داود في «المراسيل» (١٩٢-١٩٣)، والبيهقي في «الدعواتِ الكبير» (٥٥٩/١)، وكذا في «السنن الكبرى» (٢٩٨/٢)، كلاهما عن خالد بن أبي عمران مرسلًا. وأورده ابن كثير في «مسند الفاروق» (٢٢٤/١)، وعزاه إلى أبي عبيد عن عمر بن الخطاب مطولًا. وفي رواية (٢٢٤/١-٢٢٥)، عزاه إلى البيهقي من حديث عُبيد بن عُمير عن عمر بن الخطاب مطولًا. وأورده السيوطي بروايات متعددة في «الدر المنثور» منها: (٨١٢/١٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في «المصنف»، ومحمد بن نصر، والبيهقي في «سننه»، عن عبيد بن عمير مع قصة في أوله عن عمر بن الخطاب مطولًا. وفي رواية (٨١٣/١٥)، عزاه إلى ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن سويد الكاهلي مع قصة في أوله عن عليٍّ مطولًا. وفي رواية (٨١٢/١٥)، عزاه إلى البيهقي عن خالد بن أبي عمران مرسلًا مطولًا. وفي رواية (٨١١/١٥)، عزاه إلى أبي الحسن القطان في «المطولات»، عن أبان بن أبي عياش مع قصة في أوله عن أنس بن مالك مطولًا. *مع اختلافٍ بينهم في أن منهم من دعا به في قنوت الوترِ، ومنهم من دعا به في قنوت الفجر.

(٣) وقوله: «ومنه قولهم في دعاء الوتر: وإليك نسعى ونحفد، أي: نسرع»، ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). تفسير غريب القرآن: ٢٤٧. تفسير الطبري: ٣٠٣/١٤. *ورجح الإمام الطبري (٣٠٣/١٤-٣٠٤)، بعد أن ذكر جميع ما قيل في معنى الحفدة، فقال: «وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين

=

وقولُه تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ معناه: ورزقَكم من المَلاذِّ والحلالِ[١].

وقولُه تعالى: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ معناه: أفبِالأصنامِ يؤمنون[٢]؟ فإنَّ اتخاذَ الأصنامِ آلهةً باطلٌ.

وقولُه تعالى: ﴿وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ أي: يجحَدونها بإضافتِها إلى غيرِ المُنعِمِ.

=

يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمنا من مماليكنا، إذا كانوا يحفدوننا؛ فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعًا من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم، وإذا كان ذلك كذلك فلكل الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة، ومخرج في التأويل، وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا من الدليل».

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٣. تفسير الثعلبي: ١٦/٨٥ (عزاه إلى ابن عباس). الهداة إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٤٥.

[٧٣-٧٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

معناه: ويعبدون الأصنامَ التي لا تَملِكُ لهم رزقًا من السماواتِ بإنزالِ الغيثِ، ولا من الأرضِ بإنباتِ النباتِ شيئًا[١] قليلًا ولا كثيرًا.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يملِكون ولا يستطيعون، فإنَّ مِن الأحياءِ مَن لا يملِكُ شيئًا ويستطيعُ أن يحتالَه.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا للهِ تعالى الأشباهَ[٢]، إنَّ اللهَ[٣] يعلمُ، ولا يحتاجُ إلى مُعينٍ ولا إلى مُشيرٍ.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فتحتاجون إلى المُعين والمُشير.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٨/٢. تفسير الطبري: ٣٠٥/١٤. بحر العلوم: ٢٤٣/٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٨/٢. تفسير الطبري: ٣٠٥/١٤. تأويلات أهل السنة: ١٠٤/٣.

(٣) /ز/و٣٦٨/.

[٧٥] قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾

معناه: ضرَب اللهُ المثلَ بعبدٍ مملوكٍ ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾، وهو الحرُّ، فهو يُنفق منه خُفْيةً وعلانيةً، هل يستويانِ في المثلِ؟

أي: كما أنَّ الحرَّ الذي يملِكُ ويُنفق سرًّا وعلانيةً، والذي لا يملِكُ شيئًا فينفقَه؛ لا يستويانِ، فكذلك لا يستوي المُنعِمُ الذي جاء من قِبَلِه النعمةُ، والأصنامُ المَواتُ التي لا تقدرُ على النعمةِ؟!

ويُقال: نزَلت /٢/ظ٩٩/ هذه الآيةُ في عثمانَ -رضِيَ اللهُ عنه- ورجلٍ من العربِ يُقالُ له: أبو العِيصِ بنُ أميةَ(١).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣١٢/١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٣-٤٦٤)، وفي الوسيط: (٧٥/٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١٨/٣٩-٢١٩)، جميعهم عن ابن عباس مطولًا. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨٨/٩-٨٧)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عباس مطولًا. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢٤٣/٢)، عن ابن عباس بنحوه.

*ذكرت كتب التفسير عثمان بن عفان، ومولاه أبا العيص بن أمية، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ...﴾ [النحل: ٧٦] -المثل الثاني-، فذكرت المصادر التفسيرية أنَّ الذي يأمر بالعدل هو عثمان بن عفان -مع اختلاف بينهم في تفسير الآية والترجيح بين الأقوال الواردة في الآية-، واختلفوا في اسم مولاه بين مصرّح وغير مصرّح مع اختلاف المصرحين في تعيينه.

ينظر: تفسير مقاتل: ٤٧٩/٢ (ذكر أنَّ اسم مولى عثمان أبو العاص بن أمية). تفسير الطبري: ٣١٢/١٤ (أخرجه عن ابن عباس، ولم يذكر اسم المولى). معاني القرآن للنحاس: ٩٣/٢ (اسم مولاه: أسيد بن أبي العاص) بحر العلوم: ٢/ ٢٤٣ (عزاه لابن عباس -لكن قال: أبو الغيض، ولعله سهو من المحقق -وذكره في الآية التي نحن بصدد تحقيقها، ويظهر أن الغزنوي اختار ما اختاره أبو الليث). تفسير الثعلبي: (٩٠/١٦-٩٢) (عزاه إلى ابن عباس، ولم يصرح باسم مولاه). أسباب النزول للواحدي: (٤٦٣-٤٦٤). التفسير البسيط: ٧٥/٣. (أخرجه عن ابن عباس، وذكر أنَّ اسم مولاه أسيد بن أبي العيص). وهناك أقوال أخرى في تفسير الأبكم والمولى، ينظر: تفسير الثعلبي: (٩٣/١٦-٨٩). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٥١/٦.

=

والمعنى: كما لا يستوي الحرُّ الغنيُّ، والعبدُ الذي لا يملِكُ شيئًا؛ كذلك لا يستوي المؤمنُ الذي يفعلُ الخيرَ، والكافرُ الذي لا خيرَ له(١).

وقولُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معناه: قُل: الحمدُ لله الذي أوضحَ لنا السبلَ والطريقَ، بل أكثرُ الكفارِ لا يعلمون ذلك.

=

*واعترض ابن عطية على تعيين أحد في الآية -المثل الثاني- فقال: «وذكر الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبد كان له، وروي تعيين غير هذا لا يصح إسناده، والمثال لا يحتاج إلى تعيين أحد». ينظر: المحرر الوجيز: (٥/٣٨٧-٣٨٩).

وذكر مقاتل في «تفسيره» (٢/٤٧٨)، أن هذه الآية -المثل الأول- نزلت في أبي الحواجرِ مولى هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي، من بني عامر بن لؤي، ومن رزقه الله رزقًا حسنًا سيده: هشام. وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٤/٩٣)، أنها نزلت في هشام بن عمرو، فهو الذي ينفق منه سرًّا وجهرًا، ومولاه أبو الجواب الذي كان ينهاه، ووافقه الواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٣-٤٦٤)، غير أنه ذكر أن اسم مولاه: أبو الجوزاء الذي كان ينهاه -وهو الصحيح والله أعلم؛ والذي في النحاس سهو من محققه؛ لأنه ذكر في مصادر أخرى بأبي الجوزاء-.(وأخرجه عن ابن عباس، وعزاه النحاس كذلك إلى ابن عباس). وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٦/٨٨)، أن العبد المملوك: أبو جهل بن هشام، ومن رزق رزقًا حسنًا هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبنحو ذلك كتب التفسير الأخرى. *ولم أقف على ترجمة لأبي العيص بن أُمية، وجل ما ذكرته المصادر أن اسم ابنه: أُسيد بن أبي العِيص. وإن كان المقصود: أُسيد بن أبي العيص -كما ذكرته بعض المصادر- فذكرت كتب التراجم أسماء ولده ولم تذكر له ترجمة، ومن ولده: عَتَّاب بن أسيد بن أبي العيص، أسلم يوم فتح مكَّة فحسن إسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة. ينظر: نسب قريش: ١٨٧. أنساب الأشراف: ٦/٧٢.

(١) ينظر: تفسير مقاتل: (٢/٤٧٨-٤٧٩). تفسير الطبري: (١٤/٣٠٧-٣٠٨) (أخرج عن قتادة أن المراد بالعبد المملوكِ الكافر، ومن رزق الرزق الحسن المؤمن). معاني القرآن للنحاس: ٤/٩٢. تفسير البغوي: ٥/٣٣. *واختار الطبري قول قتادة، ورجح أن المثل المضروب في الآية للمؤمن والكافر، فقال: «إن الله تعالى مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته، ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا». ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣١٣.*ورأى ابن عطية أنَّ قول مجاهد والضحاك: أن هذا المثال، والمثال الآخر الذي بعده، إنما هو لله تعالى والأصنام، فقال: «وهذا التأويل أصوب؛ لأن الآية تكون من معنى ما قبلها وما بعدها في تبيين أمر الله تبارك وتعالى والرد على الأصنام». ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٣٨٨.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

معناه: وضرَب اللهُ تعالى المثلَ: رجلَينِ أحدُهما أخرَسُ لا يقدرُ على شيءٍ من الكلامِ[١].

ويُقالُ: الأبكمُ: هو الذي وُلد أصمَّ لا يسمعُ، ولا يَفهمُ، ولا يمكنُه أن يُفهِمَ غيرَه.

﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ أي: ثِقْلٌ على وليّه[٢].

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ لا يهتدي إلى منفعةٍ ولا إلى خيرٍ[٣].

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ أي: كما لا يستوي هذا الأبكمُ الذي صفتُه هذه الصفةُ[٤]، والذي يمكنُه أن يَفهَم ويُفهِم، ويأمرُ بالعدل، ويدلُّ على الصراطِ المستقيمِ[٥]؛ فكذلك[٦] لا يستوي الكافرُ الذي لا يأتي بالخيرِ، والمؤمنُ الذي يأتي بالخيرِ، وكذلك لا يستوي المُنعِمُ الذي يُرجى النعمةُ والمنفعةُ من جهتِه، والذي لا يُرجى من قِبَلِه النعمةُ والمنفعةُ، فكيف يجوزُ أن يُسوَّى بينهما في الشكرِ؟!

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٩٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٦. بحر العلوم: ٢/٢٤٣. تفسير السمعاني: ٣/١٩٠.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٤. تفسير السمعاني: ٣/١٩٠.

(٤) في ز: (الصفة **ولا منفعة ولا إلى خير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل**).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣١٠.

(٦) في ز: (المستقيم **فلذلك**).

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

قيلَ: هذه الآيةُ نزَلت جوابًا عن سؤالِ قريشٍ: متى الساعةُ[١]؟

ومعناها: ولله مُلكُ ما غيَّبه عن أهلِ السماواتِ والأرضِ، وما أمرُ إقامةِ القيامةِ -في سرعةِ قدرةِ اللهِ تعالى على الإتيانِ بها- إلا كطَرْفِ البصرِ ورَجْعِه، بل هو أسرعُ من ذلك[٢].

ويُقالُ: إنما ذكَر كلمةَ (أو)[٣] في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ للإبهامِ على المخاطَبِ؛ حتى يشتبِهَ عليه الأمرُ في أنَّه أيُّهما أقربُ[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ من إقامةِ الساعةِ، وغيرِ ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾[٥].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤٧٩/٢)، من غير نسبة بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (٩٣/١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٣٤/٥)، كلاهما من غير نسبة بمعناه.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٤/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٦.

(٣) سقطت من ز.

(٤) ينظر: التفسير البسيط: ١٥١/١٣. المحرر الوجيز: ٣٩٠/٥. تفسير القرطبي: ٣٨٩/١٢ (في أحد أقواله وكذا ابن عطية).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٤/١٤. بحر العلوم: ٢٤٤/٢.

[٧٨] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

ظاهرُ المُرادِ.

وأصلُ الأُمَّهاتِ: أُمَّاتٌ، ولكنَّ الهاءَ زِيدت كما زيدت في: أَرَقْتُ الماءَ، وأَهْرَقْتُه[1].

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد) (بنصه): ٥٠٧. *والهاء في كونها أصلية أو زائدة موضع خلاف بين أهل اللغة. ينظر: العين: (أ م هـ). تصحيح الفصيح وشرحه: (٢٠٢-٢٠٣). تهذيب اللغة: (أ م هـ). سر صناعة الإعراب (٢/٢١٥-٢١٦).

[٧٩] قوله عز وجل: ﴿۞ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ۝٧٩﴾

معناه: ألم يعلموا في دلائلِ قدرةِ الله تعالى أنَّ الطيرَ كيف خُلقت خِلقةً يمكنُها التصرفُ في الجوِّ صاعدةً ومنحدِرةً، وذاهبةً وممسكةً، وجعلَ ذلك تسخيرًا لوقوعِ خلقتِها على هذه الصفةِ، وإن كانت تتصرفُ باختيارِها، وبخلافِها تسخيرُ الشمسِ والقمرِ؛ فإن سيرَهما ليس باختيارِهما.

وقولُه تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: ما يُمسكُهنَّ -عند قبضِ الأجنحةِ وبسطِها- إلا اللهُ تعالى[١]، ولولا أنَّ الله تعالى خلقَ الهواءَ على هذه الصفةِ؛ لم يَتمكَّنِ الطيرُ من التصرُّفِ فيه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ معناه: إنَّ فيما ذكرتُ لك لَدلالاتٍ على وَحدانيةِ اللهِ تعالى ﴿لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٤.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٥٧. تفسير القرطبي: ١٢/٣٩١.

[٨٠] قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾﴾

معناه: واللهُ جعَل لكم من بيوتِ المَدَرِ[١] مواضعَ تسكُنون فيها، وجعَل لكم من جلودِ الأنعامِ بيوتًا؛ وهي الخيامُ، يَخِفُّ عليكم نقلُها وحملُها من مكانٍ إلى مكانٍ يومَ سفرِكم، ويومَ إقامتِكم، وجعَل لكم أصوافَ الغنمِ وأوبارَ الإبلِ وأشعارَ المَعْزِ[٢] ﴿أَثَٰثٗا﴾ أي: متاعًا للبيتِ من الفُرُشِ والأكسيةِ[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ أي: ومنفعةً تنتفعون بها إلى منتهى آجالِكم[٤].

ويُقالُ: تنتفعون بها مدةً، ثم تَبلَى وتَهلِكُ[٥]. وباللهِ التوفيقُ.

---

(١) قطع الطين اليابس، وقيل: الطين العلك الذي لا رمل فيه. ينظر: لسان العرب: (م د ر).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٠/٢. تفسير الطبري: ٣١٧/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٨. بحر العلوم: (٢٤٤/٢-٢٤٥).

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٤٧. بحر العلوم: ٢٤٥/٢. التفسير البسيط: ١٥٧/١٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣١٩/١٤. بحر العلوم: ٢٤٥/٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٥٩/٦.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢٤٥/٢. تفسير الثعلبي: ٩٧/١٦.

[٨١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

معناه: واللهُ جعَل لكم ممَّا خلقَ أشياءَ تستظِلُّون بها؛ مثلَ الأشجارِ ونحوِها، وجعَل لكم في الجبالِ أكنانًا؛ وهي: الكُهوفُ، والغِيرانُ(١)، والأسرابُ(٢) يدخلُها الناسُ؛ ليسكنوا فيها من الحرِّ والبردِ(٣).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ يعني: القُمُصَ؛ من القطنِ، والكَتَّانِ، والصوفِ(٤)، يدفعُ عنكم الحرَّ في الصيفِ، والبردَ في الشتاءِ، ولم يذكرِ البردَ في الآيةِ؛ لأنه لَمَّا ذكرَ الحرَّ /٢/و١٠٠/ فقد دلَّ به على (٥ما في مقابلتِه٥) من البردِ(٦).

ويُقالُ: إنما لم يقُل: وسرابيلَ تقيكم البردَ؛ لأنَّ الخطابَ في الآيةِ للعربِ؛ وهم كانوا يتأذَّون بالحرِّ دون البردِ(٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ أرادَ به: الدروعَ من الحديدِ يتَّقون بها في الحربِ من سلاحِ العدوِّ(٨).

---

(١) /ز/ظ٣٦٨/. *مغارة في الجبلِ كالسربِ، وقيل: الغار كالكهف في الجبل. ينظر: لسان العرب: (غ و ر).

(٢) حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. ينظر: لسان العرب: (س ر ب).

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٢١ (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢/٢٤٥. تفسير ابن أبي زمنين: (٤/٤١٣-٤١٢).

(٥ - ٥) في ز: (ما يقابله).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١١٢. تفسير الطبري: ١٤/٣٢٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٩.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٢٤ (أخرجه عن عطاء). تفسير الثعلبي: ١٦/٩٩ (عزاه إلى عطاء). تفسير الماوردي: ٣/٢٠٦.

*وهو ما رجحه الطبري، ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٢٤.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨١. تفسير الطبري: (١٤/٣٢١-٣٢٢) (أخرجه عن قتادة). بحر العلوم: ٢/٢٤٥.

والسرابيلُ والسِّربالُ: اسمٌ لكلِّ ما يُلبَسُ في الحربِ وغيرِه[١].

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾ معناه: أنه سبحانه يُتِمُّ نعمتَه عليكم في سائرِ الأشياءِ، كما أتمَّها عليكم في هذه الأشياءِ؛ لكي تُسلِموا؛ فتفوزوا بالنعمِ في الآخرةِ.

وفي قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ: (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَّ) بنصبِ التاءِ[٢]، أي: لِتَسْلَمُوا مِنَ الجراحاتِ إذا لبِستُم الدُّروعَ، ومن الحرِّ والبردِ إذا لبِستُم القُمُصَ[٣].

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٠٨. جمهرة اللغة: (س ر ب ل). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٦١/٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ١١٢/٢. تفسير الطبري: ٣٢٢/١٤. معاني القرآن للنحاس: ٩٩/٤. إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٥/٢. مختصر في شواذ القرآن: ٧٧.

(٣) ينظر: بحر العلوم: ٢٤٥/٢.

[٨٢] قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾

معناه: فإنْ أعرضوا فليس عليك شيءٌ من إعراضِهم.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهرُ، فلمَّا ذكَر لهم النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- هذه النِّعَمَ، قالوا: نَعَمْ يا محمدُ، هذه كلُّها من اللهِ تعالى، ثم قالوا: بشفاعةِ آلهتِنا[١]، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه:

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١١٢. بحر العلوم: ٢/٢٤٥. تفسير الثعلبي: ١٦/١٠١. التفسير البسيط: ١٣/١٦٣ (عزاه أبو الليث والثعلبي والواحدي للكلبي).

*ذكرت كتب التفسير قول الكلبي في تفسير الآية التي تليها، ولم أقف على من وافق الغزنوي في وضعها في هذا الموضع، وكذا لم أجد من قال إنَّ قول الكلبي المذكور -بناء على ما نسبته له بعض المصادر- كان سبب في نزول الآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُون نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]. ومن التفاسير التي ذكرت قول الكلبي مع أقوال أخرى في تفسير معنى: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾، ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٢٥-٣٢٧). بحر العلوم: ٢/٢٤٥. تفسير الثعلبي: (١٦/١٠٠-١٠١). تفسير الماوردي: ٣/٢٠٧. التفسير البسيط: ١٣/١٦٣. وغيرها.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

معناه: يعرفون أنَّ هذه النعمَ كلَّها من اللهِ تعالى[١] ثم يُنكرونها بإضافتِها إلى الأوثانِ[٢]، ويشكرون الأوثانَ عليها.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أنهم لم يستدلُّوا بها على توحيدِ اللهِ تعالى، ونبوةِ رسلِه -صلواتُ الله عليهم-.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: كلُّهم كافرون بالله وبنعمِه، فذكر الخصوصَ وأرادَ به العمومَ[٣].

ويُقالُ: أرادَ بقولِه تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أن أكثرَهم معانِدون، وإنْ كان فيهم مَن ليس هذه حالَه[٤].

ويُقالُ: إنما ذكَر الأكثرَ؛ لأنه كان فيهم الصِّبيانُ والمجانينُ الذين لا تكليفَ عليهم[٥].

---

(١) يقصد النعم التي ذكرها في الآيات السابقة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٤٠٥.

(٣) ينظر: تفسير الحسن البصري: ٢/٧٤.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٢٠/٩٧.

(٥) ينظر: تفسير الماوردي: ٣/٢٠٧. التفسير البسيط: ١٣/١٦٤ (عزاه إلى أهل التأويل). تفسير الرازي: ٢٠/٩٧.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

معناه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ عليهم، أرادَ به: يومَ القيامةِ[١]؛ تشهدُ الأنبياءُ -صلواتُ الله عليهم- على أُمَمِهم فيه بأعمالِهم[٢]، ويشهدُ العدولُ من كلِّ عصرٍ على أهلِ عصرِهم.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا يُؤذنُ لهم بعدَ شهادةِ الرسلِ عليهم -عليهم السَّلامُ- في الاعتذارِ، ولا ينفعُهم الاعتذارُ حينئذٍ[٣]، ولا يُطلبُ رضاهم فيما فعلوا، ولا يُجابون إلى الردِّ إلى الدنيا لتُقبلَ توبتُهم[٤].

يُقالُ: عتَبَ الرجلُ يعتِبُ على فلان: إذا وجَدَ عليه، واستَعْتَبْتُه فأَعْتَبَني، أي: استرضَيْتُه واستَقَلْتُه ذنبي، فأرضاني وأقالَني[٥].

ويُقالُ في المثل: لكَ العُتْبى بأنْ لا رضِيتَ، أي: لك الرضا إذا لم ترضَ[٦].

والعُتْبى: اسمٌ من الإعتابِ؛ كالرُّقْبَى من الإرْقابِ[٧].

وفائدةُ البعثِ بالشهداءِ يومَ القيامةِ -مع أنَّ اللهَ تعالى عالمٌ بأفعالِهم-: هو أنَّ الإنسانَ إذا علِم أن العدولَ يشهَدون عليه عندَ اللهِ تعالى في الآخرةِ بين يدَيِ الخلائقِ، كان ذلك أهوَلَ في نفسِه، وأزجَرَ له عنِ الإقدامِ على المعاصي، فيكونَ أشدَّ اجتنابًا من المعصيةِ.

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ١٦٥/١٣ (عزاه إلى ابن عباس). التفسير الوسيط: ٧٧/٣. زاد المسير: ٧٨٩.

(٢) ينظر: النفسير البسيط: ١٦٥/١٣. التفسير الوسيط: ٧٧/٣. زاد المسير: ٧٨٩.

(٣) في متن الأصل: (الاعتذار **يومئذ**)، وضع علامة عليها (X)، وصححها في هامش الأصل: (**حينئذ**)، وأثبتها. وفي ز: (الاعتذار **يومئذ**).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١١٠/٣. تفسير الثعلبي: ١٠١/١٦. تفسير السمعاني: ١٩٤/٣.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: (ع ت ب). الصحاح: (ع ت ب). مجمل اللغة: (ع ت ب).

(٦) قال أبو عبيد في هذا المثل: «معاتبة الأخِ خير من فقده، وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء، فإن استعتب الأخ ولم يعتب فإن مثلهم في هذا قولهم: لك العتبى بأن لا رضيت». ينظر: الأمثال لابن سلام: ١٨٢.

(٧) ينظر: معجم ديوان الأدب: ٥/٢.

[٨٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

معناه: وإذا رأَوُا العذابَ -بالدخولِ فيه- فلا يُرفَّهُ عنهم في وقتٍ ويُشدَّدُ في وقت، ولا يؤجَّلون بتأخيرِ العذابِ عنهم إلى وقتٍ آخرَ فيستريحون(١).

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٦.

[٨٦-٨٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

معناه: وإذا رأى الذين أشركوا الأصنامَ مع الله تعالى في العبادةِ شركاءَهم؛ يعني: الأصنامَ التي أشركوها مع اللهِ تعالى، قالوا: يا ربَّنا، هؤلاء الأصنامُ شركاؤنا التي أشرَكْناها معك في العبادةِ. فألَقى الأصنامُ إليهم القولَ: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في أنَّا آلهةٌ، وفي أنَّا أمرناكم بالعبادةِ[١]، واستسلموا كلُّهم لأمرِ اللهِ تعالى[٢].

﴿يَوْمَئِذٍ [ٱلسَّلَمَ][٣] وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أنها آلهةٌ.

والفائدةُ في إعادةِ الأصنامِ يومئذٍ: أنْ يعيِّرَهم اللهُ تعالى بها، وأن يَقْرُنَهم بها في العذابِ ليعذِّبَهم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٢٨. بحر العلوم: ٢/٢٤٦. التفسير البسيط: ٢/١٦٧.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٦. التفسير البسيط: ٢/١٦٨. التفسير الوسيط: ٣/٧٨.

(٣) سقطت من الأصل، ز.

[٨٨] قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ۝﴾

معناه: الذين كفروا باللهِ ورسولِه[١]، وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ بامتناعِهم عنه وبمنعِ الناسِ عنه ﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[٢].

قال ابنُ مسعودٍ -رضِيَ اللهُ عنه-: «زِيدُوا عَقَارِبَ /٢/ظ١٠٠/ لَهَا أَنْيابٌ كَالنَّخْلِ الطِّوالِ»[٣].

ويُقالُ: يخرجون من حرِّ النارِ إلى الزَّمْهريرِ، فيُبادِرون من شدةِ بردِه إلى حرِّ النارِ[٤].

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما- أنه قال: «يُجري اللهُ تعالى فوقَ رؤوسِهم خمسةَ أنهارٍ من نُحاسٍ ذائبٍ؛ نهرانِ مقدارَ النهارِ وثلاثةُ أنهارٍ مقدارَ الليلِ، يقعُ القِطْرُ[٥] منه على كتفِ الرجلِ والمرأة، فيشتعلُ الجسدُ منه نارًا، فليس فيها عذابٌ أشدَّ منه»[٦].

---

(١) في هامش الأصل: (بالله **ورسله**).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٣٠. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٦٨.

(٣) أخرجه الطبري بعدة أسانيد في «تفسيره» (١٤/٣٣١)، عن ابن مسعود بلفظه. ومجاهد في «تفسيره» (٤٢٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٦٢)، وأسد بن موسى في «الزهد» (٢٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩/١٨٨)، وهناد بن السري في «الزهد» (١٧٨)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٥/٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٣٣٠)، والطبراني بإسنادين مختلفين في «المعجم الكبير» (٩/٢٥٨)، والحاكم بإسنادين مختلفين في «مستدركه» (٢/٣٨٧)، (٤/٦٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/١٠٣-١٠٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣١٠)، والواحدي في «البسيط» (٣/٧٨)، جميعهم عن ابن مسعود بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/٩٦)، وعزاه إلى عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد بن السري، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث والنشور»، عن ابن مسعود بلفظه.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٠. تفسير الثعلبي: ١٦/١٠٥. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٦٨.

(٥) في هامش المخطوط: القطر: بكسر القاف؛ ولعلَّه قصد التفريق بين القطر بفتح القاف وكسرها. ومعنى القِطر بالكسرِ: النحاس المذاب، وقيل: ضربٌ منه. ينظر: لسان العرب: (ق ط ر).

(٦) لم أقف عليه باللفظ الذي أورده المؤلِّف، وما ورد في المصادر هو من قوله: «يجري الله تعالى فوق رؤوسهم خمسة أنهار من نحاس ذائب، نهران مقدار النهار وثلاثة أنهار مقدار الليل» فقط، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥/٦٦)، عن ابن عباس بمعناه. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٩٤)، وعزاه إلى أبي يعلى عن ابن عباس بمعناه. والسيوطي في «الدر

=

وفي قولِه تعالى: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ بيانُ أنهم يُعذَّبون مع[1] الكفرِ على كل واحدةٍ من المعاصي.

=

المنثور» (٩/٩٨)، وعزاه إلى أبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بمعناه. وفي رواية (٩/٩٨)، عزاه إلى ابن مردويه عن جابر مرفوعًا بنحوه. وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/٤٨٢-٤٨٣)، من غير نسبة بنحوه. والسمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٤٦)، وعزاه لمقاتل بنحوه، وذكر أنَّ للكلبي قولًا بنحوه ولكنه لم يشر إليه. والثعلبي في «تفسيره» (١٦/١٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/٣٧)، والخازن في «تفسيره» (٣/٩٤)، جميعهم عزاه إلى ابن عباس ومقاتل بنحوه. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٩٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٠/١٠٠)، كلاهما عزاه إلى ابن عباس بنحوه.

(١) /ز/و٣٦٩/.

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

في الآيةِ بيانُ أنَّ عصرًا من الأعصارِ لا يخلو من شهيدٍ على الناسِ.

والشهيدُ: لا يكونُ إلا عدلًا، كما قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٢].

والمرادُ بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآنُ؛ فيه بيانُ كلِّ شيءٍ، فإنه ما من شيءٍ يَحتاجُ إليه الناسُ في دينِهم إلا وهو مبيَّنٌ في الكتاب؛ إمَّا بالتنصيصِ عليه، أو ببيانِ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- بما في القرآنِ من الأمرِ باتِّباعِه، أو بالتفويضِ إلى إجماعِ الأمةِ، أو بالاجتهادِ فيما عدا هذه الثلاثةِ(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾ أي: دلالةً ونعمةً وبِشارةً للمسلمين.

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٥/١٠-١١). التفسير البسيط: (١٣/١٧٠-١٧١) (عزاه إلى أهل المعاني). التفسير الوسيط: ٣/٧٩.

[٩٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾

وذلك أن اللهَ تعالى لَمَّا ذكَر فيما تقدَّم دلائلَ التوحيدِ وأوعدَ على تركِ أوامرِه، بيَّن في هذه الآيةِ كلَّ ما[١] أمرَ به ونَهَى عنه، فقال عزَّ مِن قائلٍ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾؛ هو الإنصافُ[٢]، يدخلُ في ذلك إنصافُ المرءِ من نفسِه لغيرِه في الحقوقِ، والأماناتِ من نفسِه لنفسِه؛ في ما يكون حقًّا عليه؛ من شكرِ نِعَمِ اللهِ، وأن لا يعبُدَ غيرَه، وأن لا يصِفَ اللهَ سبحانه بما لا يليقُ به من الصفاتِ.

وأما الإحسانُ: فهو فعلُ الحسنِ[٣]، يدخلُ في ذلك التفضُّلُ على الغيرِ؛ إما بالمالِ، أو بالمعاشرةِ الجميلةِ؛ من قولٍ، وفعلٍ، وإكرامٍ، وتحبُّب.

وأمَّا ﴿إِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فهو إعطاءُ الأقاربِ صلةَ الأرحامِ[٤].

وأما قولُه تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ فالفحشاءُ: ما عظُم قبحُه من قولٍ وفعلٍ[٥]، سرًّا كان أو علانيةً.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما يظهرُ للناسِ فيجبُ إنكارُه[٦].

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ هو: الاستطالةُ والظلمُ على العبادِ، وظلمُ الإنسانِ على نفسِه أفظعُ من ظلمِه على غيرِه[٧].

---

(١) في الأصل، ز: (الآية **كلما**)، وهو خطأ؛ لأن (كلما) المتصلة اسم شرط، (وكل ما) المنفصلة يكون معنى (ما) فيها بمعنى (الذي)، وهو المناسب للسياق.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣٣٤/١٣. إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٦/٢. تفسير الثعلبي: ١٠٦/١٦.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٦/٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٦/٢. بحر العلوم: ٢٤٧/٢. تفسير الثعلبي: ١٠٧/١٦.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٦/٢. تفسير الثعلبي: ١٠٧/١٦. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٧٢/٦.

(٦) ينظر: التفسير البسيط (بنصه): ١٧٥/١٣.

(٧) ينظر: التفسير البسيط: ١٧٥/١٣.

وقولُه تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ معناه: يأمرُكم بثلاثٍ أنْ تفعلوهنَّ، وينهاكم عن ثلاثٍ لِتَنتهوا عنهنَّ؛ لعلكم تتعِظون[1] بما تُؤمرون وتُنهَون، فتتحرَّزون من التقصيرِ والخللِ في كلِّ ما يوجبُ التكليفَ.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٧.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ الْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

معناه: وأتمُّوا العهودَ التي بينكم وبين اللهِ تعالى، والعهودَ التي بينكم وبين الناسِ، إذا حلَفْتم باللهِ تعالى على الوفاءِ بها، ولا تنقُضوا العهودَ بعدَ توثيقِها باسمِ الله تعالى، وقد قلتم الله شهيدًا علينا بالوفاءِ إنْ فعلناه أو لم نفعلْه[١].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من النقضِ والوفاءِ[٢]، فيَجْزِيكم عليه.

وسُمي الحفيظُ ﴿كَفِيلًا﴾؛ لأنَّ الكفيلَ بالشيءِ يكونُ حافظًا له، والإنسانُ إنما يؤَكِّدُ الأمرَ على نفسِه بذكرِ اسمِ اللهِ تعالى على جهةِ اليمينِ؛ ليَحفظَ ذلك الأمرَ ويُحفظَ عليه.

وفي الآيةِ دلالةٌ على أنَّ قولَ الرجلِ إذا قالَ: "عليَّ عهدُ اللهِ إنْ فعلتُ كذا" يمينٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى ذكَر العهدَ في أولِ الآيةِ ثم عقَّبه بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ الْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨٤. بحر العلوم: ٢/٢٤٨.

[٩٢] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

في الآيةِ تشبيهُ مَن لا يحفظُ اليمينَ بالمرأةِ التي كانت تنقُض غزلَها بعدَ شدةِ الفَتْلِ[١].

المعنى: لا تكونوا -في نقضِ العهود- كالتي نقَضت غزلَها من بعدِ إبرامٍ وإحكامٍ، وهي: امرأةٌ من قريشٍ، أمُّ الأَخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ[٢]، تُعرف: برَيْطةَ الحمقاءِ[٣]؛ كانت تغزِلُ من الصوفِ، والشعرِ، والوبرِ؛ بمِغزَلٍ عظيمٍ مثلِ طولِ الذراعِ، وصِنَارةٍ في رأسِ المِغزلِ مثلِ طولِ الإصبَعِ، وفَلْكةٍ عظيمةٍ، فإذا غزَلَتْه وأبرَمَتْه؛ أمَرَتْ جاريتَها فنَقَضَتْه[٤].

والأَنْكاثُ: جمعُ النِّكْثِ /٢/و١٠١/ والنَّكْثُ: ما نُقض من غزلِ الشعرِ ونحوِه[٥].

وقولُه تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: عهودَكم، ﴿دَخَلًا﴾: دَغَلًا وخيانةً بينكم[٦]، أي: تفعلون ذلك الغل والغِشَّ.

والدَّغَلُ هو: الأمرُ الذي يكونُ باطنُه خلافَ ظاهرِه[٧].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٤٢-٣٤٣) (أخرجه عن قتادة، وابن زيد). تفسير ابن أبي زمنين: ٢/٤١٦.

(٢) الأعم الأغلب من كتب التفسيرِ اتفق على أنَّ اسمها: رَيْطَة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مُرَّة. مع اختلافٍ بينهم في نسبتها؛ منهم من يقول: هي بنت عمرو بن سعد، ومنهم من يقول: هي بنت عمرو بن كعب، ومنهم من يقول: هي من بني تيم، ومنهم من يقول: من بني تميم. ومنهم من ذكر أنها أم الأخنس بن شريق السمرقندي. وفي أنساب قريش وافق نسبها من قال إنها: رَيْطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨٤. معاني القرآن للفراء: ٢/١١٣. نسب قريش: ١٧. بحر العلوم: ٢/٢٤٨. تفسير الثعلبي: ١٦/١١٢. تفسير الماوردي: ٣/٢١١. تفسير البغوي: ٥/٤٠-٣٩.

(٣) في الأصل، ز: (برابطة الحمقى)، وهو تحريف.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٢/١١٢-١١٣). تأويل مشكل القرآن: ٣٨٧. تفسير الثعلبي: ١٦/١١٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن لقطرب: (ج١٥/لغة سورة النحل وغريبها). مجاز القرآن: ١/٣٦٧. تفسير غريب القرآن: ٢٤٨.

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٨٦. بحر العلوم: ٢/٢٤٨. تفسير الثعلبي: ١٦/١١٣.

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: ٣/١٩٨ (وإن كان السمعاني جعله على معنى إظهار الوفاء وإبطان النقض -أي: بيَّن المعنى المراد بما في الآية-، والمصنف جعله عامًّا، فمقصود الكلام في تعريف الدغل واحد).

والدَّخَلُ: ما أُدخِلَ في الشيءِ على جهةِ الفسادِ(١).

وقولُه تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ معناه: لِأَنْ تكونَ جماعةٌ هي أكثرَ وأعزَّ من جماعةٍ، ومن ذلك: الرِّبَا؛ الذي هو بمعنى الزيادةِ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: يختبرُكم بأنْ فضَّل بعضَكم على بعضٍ(٣).

ويُقالُ: بالأمرِ الذي أمَرَكم به(٤)؛ فسَمَّى الأمرَ بالطاعةِ ابتلاءً؛ لأنه تعالى يعاملُ معاملةَ المختبِرِ مظاهرةً في العدلِ؛ لأنه يجازيهم على ما يقعُ منهم، لا على ما يعلمُ فيهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الحقَّ من الباطلِ فيما كنتم فيه تختلفون(٥)

---

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١/٣٦٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٤٤-٣٤٥). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١١. تفسير الرازي: ٢٠/١١١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/٤٠٤. تفسير القرطبي: ١٢/٤٢٠.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٦/١١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/٤٠٧٩-٤٠٨٠). تفسير السمعاني: ٣/١٩٨.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢٠/١١١.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

معناه: ولو شاءَ اللهُ لجعَلكم أهلَ ملةٍ واحدةٍ[١]؛ بأنْ كان يُلجِئُكم إلى معرفتِه، وإلى الإيمانِ به كما يفعلُ ذلك في الآخرةِ، ولكنه لم يفعلْ؛ لأنه لو فعَل ذلك لزالَ التكليفُ ولم [يستحِقُّوا ثوابًا][٢] ولا كرامةً، فكلَّفهم طاعتَه بالأمرِ والنهيِ، ليستحِقُّوا[٣] الثوابَ بأعمالِهم، فمَن قبِلَ هَدَاه اللهُ تعالى إلى الجنة، ومَن عصَى أضلَّه اللهُ تعالى عنها.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لتُسألُنَّ يومَ القيامةِ عمَّا كنتم تعملون من الخيرِ والشرِّ، فتُجازَوْن على ذلك.

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٨. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤٠٨٠. التفسير البسيط: ١٣/١٨٤ (عزاه إلى ابن عباس).

(٢) في الأصل، ز: (ولم **يستحق ثواب**)، وهو خطأ، وما أثبته هو الصواب؛ لما يقتضيه السياق.

(٣) /ز/ظ٣٦٩/.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

معناه: ولا تتخِذوا أيمانَكم مَكْرًا وخديعةً بينكم(١)، فتزِلُّوا عن طاعةِ اللهِ كما تزلُّ قدمُ الرجلِ بعد ثبوتِها(٢).

جعلَ زلةَ القدمِ عبارةً عن سخطِ اللهِ تعالى، وثباتَ القدمِ عبارةً عن رضى اللهِ تعالى؛ لأنَّ ثباتَ القدمِ إنما يكونُ برضى اللهِ تعالى، وزلةَ القدمِ إنما تكونُ بسخطِه(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني: العذابَ؛ بما منَعْتم به الناسَ عن دينِ اللهِ تعالى(٤).

﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أرادَ به عذابَ الآخرةِ(٥).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٥/٢. تفسير الطبري: ٣٤٨/١٤.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢٤٩/٢.

(٣) جعل زلة القدم هي عين السخط، وثبات القدم هي عين الرضا، وهذا تأويلٌ للصفة. فصفة الغضب والرضى من الصفات الفعلية التي وردت في الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة إثباتها لله عز وجل على وجه يليق بجلاله وعظمته، دون تكييف أو تشبيه أو تعطيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، كما قال الطحاوي في ((عقيدته)): «والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى». قال الشارح ابن أبي العز الحنفي: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة». شرح العقيدة الطحاوية: ٦٨٥/٢. وكذا رد شيخ الإسلام في ((شرح العقيدة الأصفهانية)) (٣٨)، على شبهة القائلين بنفي صفة الرحمة والمحبة والرضا والغضب ونحوها من الصفات الفعلية؛ بأن إثباتها يقتضي تشبيه الله تعالى بخلقه، فقال: «وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبإجماع سلف الأمة قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم؛ أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان، وأنه يرضى هذا ولا يرضى هذا، والجميع بمشيئته وقدرته».

(٤) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٥/٢. تفسير الطبري: ٣٤٨/١٤. بحر العلوم: ٢٤٩/٢.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٥/٢. تفسير الطبري: ٣٤٨/١٤. بحر العلوم: ٢٤٩/٢.

[٩٥-٩٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾

معناه: ولا تختاروا -بالحلفِ بالله كاذبًا- عَرَضًا يسيرًا من الدنيا[١]، إنما عندَ اللهِ -من الثوابِ والأجرِ- هو خيرٌ لكم من ما عندَكم، إنْ كنتم تعلمون ثوابَ اللهِ تعالى.

ثم بيَّن العلةَ التي لأجلِها كان الثوابُ خيرًا من متاعِ الدنيا، فقال جلَّ ذكرُه:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: يَفنَى ولا يَبقَى، وما عندَ اللهِ من الثوابِ يَبقَى ويدومُ، والقليلُ الذي يَبقى خيرٌ من الكثيرِ الذي لا يَبقى، فكيف الكثيرُ الذي يَبقى؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ معناه: وليجزينَّ الذين صبَروا على الطاعةِ أجرَهم بالطاعاتِ؛ فإن أفعالَ المكلَّفِ قد تكونُ طاعةً، وقد تكونُ مباحًا، والجزاءُ لا يقعُ على المباحِ، وإنما يقعُ على الطاعاتِ، والطاعاتُ أحسنُ من المباحِ[٢]؛ فلذلك قال: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: «وذلك أنَّ وَفْدًا من كِنْدةَ[٣] وحَضْرَموتَ[٤] قدِموا على رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فأسلَموا، ثم إنَّ رجلًا من حضرموتَ يُقالُ له: عَيْدانُ بنُ الأَشوَعِ[٥] قال: يا رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: إن الأشعثَ بنَ قيسٍ

---

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٤٩.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: (١٣/١٨٧-١٨٨). تفسير القرطبي: ١٢/٤٢٣.

(٣) كندة: بلد من أرض حضرموت، وهي مرتفع كأنه سراة، وتصب أوديته في حضرموت. ينظر: صفة جزيرة العرب: ١٦٨.

(٤) بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم، ناحية واسعة جنوب الجزيرة، وهي إقليمٌ عظيم مشهور من أقاليم جزيرة العرب تقع شرق الجمهورية اليمنية، يحدها شمالًا الربع الخالي، وجنوبًا بحر العرب، وشرقًا عمان والبحر العربي، وغربًا مقاطعة عدن أبين وقضاء مأرب.

ينظر: معجم البلدان: ٢/٢٧٠. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ١٠١. الموسوعة الحرة: (حضرموت محافظة).

(٥) عَيْدان بن الأشوع الحضرمي. ذكر مقاتل في «تفسيره» أنه الذي حاصر امرأ القيس. ينظر: الإصابة: ٤/٦٣٣. *واختلف في ضبط اسمِهِ: ولأشهر: (عَيْدَان). ينظر: توضيح المشتبه (٦/٩٥-٩٦). *واختلفت الروايات هل الخصومة =

الكنديَّ[١] جاوَرَني في أرضي، فاقتطعَ أرضي، فقالَ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: أيشهَدُ لك أحدٌ؟ فقال: إنَّ القومَ كلَّهم يعلمون أني صادقٌ فيما أقولُ، ولكنه أكرمُ عليهم مني، فقال -صلَّى الله عليه وسلَّم- للأشعث، وكان يُعرَفُ [٢]بإمرئ القيس[٢]: ما يقولُ صاحبُك؟ قال: الباطلَ والكذبَ يا رسولَ الله، ما أعرفُ ما يقولُ، فأمره -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أن يحلفَ، فهَمَّ بالحلف، فأخَّره رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وقال: أبصِرْ! فأبصَرَ، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم﴾، فقرأهما رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- على امرئ القيسِ، فقال امرؤُ القيس: أما ما عندي فينفَدُ، وأما صاحبي فيُجزى بأحسنِ ما كان يعمَلُ: اللهمَّ إنه صادقٌ فيما قال، لقد اقتطعتُ

=

وقعت بين (الأب عيدان)، أو (ابنه رَبِيعة)، مع امرئ القيس. وترجمة ابنه: رَبِيْعَة بنُ عَيدَان الكِندي، ويقال: الحضرمي. شهد فتح مصر، وله صحبة، وليس له رواية. وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض إلى النبي ﷺ.

ينظر: أسد الغابة: ٢/٢٦٦. الإصابة: (٣/٥١٠-٥١١).

(١) الأشعث بن قيس الكندي، أبو محمد. قدم على النبي ﷺ في وفد كندة، له رواية عن النبي ﷺ، شهد قتال الفرس مع سعد بن أبي وقاص، وكان على راية كندة يوم صفين مع علي بن أبي طالب، وحضر قتال الخوارج بالنهروان. توفي سنة أربعين، وقيل: اثنتين وأربعين.

ينظر: معجم الصحابة: ١/١٩٢. تاريخ بغداد: (١/٥٥٦-٥٥٧). أسد الغابة: ١/٢٤٩.

(٢ - ٢) كرر في الأصل، ز. وكذا في الأصل، ز: (يعرف **بامرؤ**)، والصواب ما أثبت * قول المصنف: «وكان يعرف بإمرئ القيس» خطأ؛ لأن الأشعث شخص آخر غير امرئ القيس، ولم تذكر كتب التراجم أنهما واحد، كما أن في ترجمة الأشعث أنه ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، ثم عاد وتزوج أخت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومما يدلل على خطأ قول المصنف أيضًا ما ورد في ترجمة امرئ القيس أنه أنكر على الأشعث ارتداده، وكذا الكتب التي ذكرت قصة المخاصمة للنبي ﷺ التي وقعت بين (عيدان)، أو ابنه: (ربيعة) وامرئ القيس؛ لم يكن للأشعثِ فيها ذكر. وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (١/٢٣٢)، عن الأشعث بن قيس أن «معدان»،... إلخ، ولعل في الاسم تصحيفًا؛ لأنه في «المعجم الأوسط» (٢/١٨٢)، أخرج الرواية نفسها، وذكر أن الخصومة بين معاذ ورجل آخر اختصما على أرض وارتفعا إلى النبي ﷺ.

ينظر: أسد الغابة: (١/٢٤٩-٢٥١). الإصابة: ١/٢٢٥. *وهو: امرؤ القيس بن عابس الكندي. له صحبة، ثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، شاعر، شهد فتح النجير باليمن.

ينظر: الاستيعاب: ١/١٠٤. أسد الغابة: ١/٢٧٦. الإصابة: (١/٢٢٥-٢٢٦).

أرضَه، واللهِ ما أدري كم هي؟ ولكنه يأخذُ ما يشاءُ من أرضي ومثلَها معها بما أكلتُ من ثمرِها، فأنزلَ الله تعالى بعد ذلك في امرئ القيسِ قولَه عزَّ وجل[1]:

(١) الآية التي تليها: ﴿مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ...﴾، ولم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٤٩)، عن الكلبي بنحوه. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٩٢)، عزاه إلى أبي صالح عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. والواحدي في «البسيط» (١٣/١٨٨)، عن الكلبي بمعناه مختصرًا. ومقاتل في «تفسيره» (٢/٤٨٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/٤٢٣)، كلاهما من غير نسبة بمعناه مختصرًا.

[٩٧] ﴿مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ /٢/ظ١٠١/ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾

معناه: مَن عمِل صالحًا فيما بينه وبينَ ربِّه، وأقرَّ بالحقِّ، وهو مع ذلك مؤمنٌ؛ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

قيلَ: إنَّ المرادَ بالحياةِ الطيبةِ: القناعةُ بما أُوتي من الرزقِ الحلالِ، كما رُوي عن وَهْبِ بنِ منبِّهٍ -رضِيَ اللهُ عنه- أنه قال: «الحياةُ الطيبةُ هي القناعةُ بما رُزق»(١).

قال: «والحرصُ والجبنُ والبخلُ: غريزةٌ واحدةٌ؛ يجمعُها سوءُ الظنِّ بالله عزَّ وجل»(٢).

ويجوزُ أن يكونَ معنَى الحياةِ الطيبةِ: أن يكونَ صدرُه منشرِحًا؛ بما يعتقدُه من دلائلِ توحيدِ اللهِ عزَّ وجل، وبما يعرفُه من وجوبِ مفارقةِ المعاصي، فيصيرُ قليلَ الهمِّ في أمورِ دنياه، ويجعلُ

---

(١) لم أقف عليه مسندًا عن وهب بن منبه. وأخرجه أحمد في «الزهد» (٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣٥٢/١٤)، كلاهما عن الحسن البصري بنحوه. وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله وقضائه» (٧٢)، عن أبي معاوية الأسود بنحوه. والطبري في «تفسيره» (٣٥٢/١٤)، والأصبهاني في «أمثال الحديث» (٥٣/١)، وابن شاهين في «فضائل الأعمال» (٩٧)، والشجري في «أماليه الخميسية» (٢٧٤/٣)، جميعهم عن علي بن أبي طالب بنحوه. والبيهقي في «الآداب» (٣١٢)، عن ابن عباس بنحوه. والحاكم في «مستدركه» (٣٨٨/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١/٧)، كلاهما عن ابن عباس بزيادة في آخره. والواحدي في «الوسيط» (٨١/٣)، عن عكرمة بزيادة في آخره، وذكر أنها رواية مجاهد ووهبٍ والقرظي. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١١١/٩)، وعزاه إلى العسكري في «الأمثال» عن علي بنحوه. وفي رواية (١١٠/٩)، عزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، من طرق عن ابن عباس بزيادة في آخره. وفي رواية (١١٠/٩)، عزاه إلى وكيع في «الغرر»، وابن النجار، عن محمد بن كعب القرظي بنحوه. وذكره (عن وهب بن منبه) ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤١٨/٢)، عن وهب بن منبه بمعناه مختصرًا. والثعلبي في «تفسيره» (١١٥/١٦)، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن وزيد بن وهب بن منبه بمعناه مختصرًا. وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٩٣)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عباس في روية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه بمعناه مختصرًا. والقرطبي في «تفسيره» (٤٢٣/١٢)، عزاه إلى الحسن البصري، وزيد بن وهب، ووهب بن منبه بمعناه مختصرًا. وابن كثير في «تفسيره» (٦٠١/٤)، عزاه إلى علي بن أبي طالب، وابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه.

(٢) لم أقف عليه مسندًا. ذكره شمس الدين المقدسي في «الآداب الشرعية» (٧٧/١)، عن ابن عباس بنحوه. وذكره الثعالبي في «الشكوى والعتاب» (٢١٥)، والزمخشري في «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (٤٥٥/٣)، كلاهما عن علي بن أبي طالب بزيادة في أوله. والفزاري في «صبح الأعشى» (١٤/١٠)، عن علي أمير المؤمنين مطولًا.

دنياه بُلْغةً ومزرعةً لآخرتِه، ويوطِّنُ نفسَه على احتمالِ المكارِهِ قبلَ وقوعِها، ويعُدُّها يسيرةً بالإضافةِ إلى ما أعدَّ اللهُ له من الثوابِ في الآخرةِ، فيتسلَّى بذلك عن غُمومِ الدنيا.

ويُقالُ: إنَّ اللهَ تعالى ملَّك المؤمنَ من الكافر نفسَه ومالَه، وذلك أحدُ ما يَطِيبُ به عيشُه.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الحياةَ الطيبةَ هي الجنةُ(١)، وقال(٢): «لم تطِبِ الحياةُ لأحدٍ إلا في الجنةِ»(٣).

غيرَ أن القولَ الأولَ هو الأقربُ إلى ظاهرِ الآيةِ؛ لأنه تعالى عطَف على ذكرِ الحياةِ الطيبةِ جزاءَ الآخرةِ، فقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ﴾؛ فاقتضتِ الآيةُ الجمعَ بين محاسنِ الدنيا ومحاسنِ الآخرةِ(٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٥٤-٣٥٣) (أخرجه عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٢. معاني القرآن للنحاس: ١٠٤/٤ (عزاه إلى الحسن).

(٢) الحسن البصري.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٢٩)، والطبري بإسنادين في «تفسيره» (١٤/٣٥٣)، كلاهما عن الحسن بنحوه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/١١١)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن بنحوه.

(٤) يقصد الحياة الطيبة بالقناعة، وإليه ذهب الطبري كذلك. ينظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/١٤.

[٩٨] قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾

معناه: إذا أردتَ قراءةَ القرآنِ فاستعِذْ بالله من الشيطانِ المطرودِ من رحمةِ الله تعالى، ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:٧]، وقوله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ويُقالُ: إذا أكلتَ فقُلْ: بسمِ الله، وإذا صليتَ فكبِّرْ، وإذا قُلْتَ فاصدُقْ، يُرادُ به: إذا أردتَ أن تفعلَ ذلك[(١)].

وفائدةُ الأمرِ بالاستعاذةِ قبلَ القراءةِ: نفيُ وساوسِ الشيطانِ عند القراءةِ[(٢)]؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ[(٣)] أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِي أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٠]، والاستعاذةُ ليست بواجبةٍ؛ لأنَّ النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لم يعلِّمْها الأعرابيَّ[(٤)] حين علَّمه الصلاةَ، فلو كانت واجبةً لَمَا أَخْلَاه من

---

(١) من قوله: «معناه: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله...»، إلى قوله: «إذا أردت أن تفعل ذلك»، ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٢-٥١٣. بحر العلوم: ٢/٢٥٠.

(٢) وهذا الذي عليه الجمهور؛ أن الاستعاذة قبل القراءة، وذهب أبو هريرة وداود بن علي وأهل الظاهر إلى أن التعوذ بعد القراءة.

ينظر: تفسير الثعلبي: (١٦/١١٩-١٢٠). المبسوط للسرخسي: ١/١٣. أحكام القرآن للكيا الهراسي: (٤/٢٤٦-٢٤٥).

(٣) /ز/و٣٧٠/.

(٤) يقصد بـ(الأعرابي)، المذكور في الحديث المشهور: حديث المسيء في صلاته، الذي لم يستوف أركان الصلاة، وأمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أن يعيد الصلاة مستوفيًا لأركانها، ولم تكن الاستعاذة من أركانها. والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» في عدة مواضع -سأكتفي بموضع- (كتاب الأذان/ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت/ح٧٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة/باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها/ح٣٩٧)، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -واللفظ للبخاري- قال: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ المسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ:
=

تعليمِها[١].

=

«إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا)). ولفظ مسلم بنحو لفظ البخاري.

(١) ومن قوله: «وفائدة الأمر بالاستعاذة قبل القراءة...»، إلى قوله: «فلو كانت واجبة لما أخلاه من تعليمها»، ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١٣/٥. *وإلى أن الاستعاذة ليست بواجبة ذهب الطبري في ((تفسيره)) (٣٥٧/١٤) وقال: «وليس قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضًا واجبًا».

[٩٩-١٠٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝﴾

معناه: إنَّ الشيطانَ ليس له تسليطٌ على المؤمنِ إلا في الوسوسةِ(١)، كما أخبرَ اللهُ تعالى أنه يقولُ في القيامةِ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم:٢٤].

ويجوزُ أن يكونَ معنى السلطانِ في الآيةِ: الحُجَّةَ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ معناه: إن سلطانَه على الذين يقبَلون دعاءَه، والذين هم بالله مشركون؛ فإنهم جعلوا له سلطانًا على أنفسِهم(٣).

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٨/٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٣٥٧/١٤-٣٥٨) (أخرجه عن مجاهد). بحر العلوم: ٢٥٠/٢. تفسير الثعلبي: ١٢٥/١٦. التفسير البسيط: ١٩٤/١٣ (عزاه إلى ابن عباس ومجاهد وعكرمة والمفسرين)، ورجح الواحدي هذا المعنى فقال: «والمختار أن يقال: ليس له سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين: ليس له حجة، أي: لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم إلى الضلالة».

(٣) قول الغزنوي: «والذين هم بالله مشركون»، هو قول مجاهد أخرجه عنه الطبري، ورجحه على ما قيل في الآية من معانٍ أخرى ذكرها الطبري وغيره من المفسرين، واكتفى الغزنوي بقول مجاهد.

ينظر: تفسير الطبري: (٣٦٠/١٤-٣٦١) (أخرجه عن مجاهد). تفسير الثعلبي: ١٢٥/١٦. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٨٥/٦ (عزاه إلى مجاهد).

[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾

معناه: وإذا نسَخْنا آيةً وأثبَتْنا مكانَها آيةً أخرى -والله أعلمُ بمصالحِ العبادِ؛ ينزلُ في كلِّ وقتٍ ما هو الأصلحُ لهم- قالوا: إنما أنت كاذبٌ في الناسخِ والمنسوخِ، مختلِقٌ من تلقاءِ نفسِك[١].

وذلك أنهم ظنوا أن هذا النسخَ بَدَاءٌ ومناقضةٌ[٢]، وأكثرُهم كانوا لا يعلمون صدقَ الرسولِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وأنَّ الله تعالى لا يأمرُ عبادَه إلا بما يصلحُهم، وإن كان فيهم مَن يعلمُ ذلك.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/١٤. بحر العلوم: ٢٥٠/٢. تفسير الثعلبي: (١٦/١٢٥-١٢٦).

(٢) أكثر المفسرين ذكروا أن الآية في المشركين، ولم يحكوا عنهم القول بالبداء والمناقضة، وإنما ذكروا عنهم أنها قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية. ينظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٦٥. والقول بالبداء مشهور عن اليهود، فقد كانوا ينكرون النسخ، وهم على فريقين: فمنهم من أنكر النسخ من طريق العقل، وهؤلاء ذهبوا إلى أن (النسخ) (بداء)، أي هو رجوع عن إرادة الشيء إلى كراهته، ويقولون: إن هذا لا يكون إلا ممن كان جاهلًا بالعواقبِ، والله تعالى عالم الأشياء قبل كونها، فإن كان المأمورُ به صحيحًا فالرجوع عن الصحيح لا يفعله حكيم، وإن كان فاسدًا لم يجز أن يشرعه الله تعالى في وقت من الأوقات. وهذا الذي قالوه جهل منهم بمعنى النسخ؛ لأن المأمور به غير المنهي عنه فيما يقع فيه النسخ. والفريق الثاني: جوز النسخ في العقل، إلا أنه زعم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعلمهم أن شريعة التوراة وتحريم السبت مما لا ينسخ أبدًا. ينظر: الفصول في الأصول: ٢١٥/٢.

وسأذكر الفرق بين البداء والنسخ من كتاب قتادة لـ «الناسخ والمنسوخ» (٦-٧)، وكذا من كتب أهل الأصول، فهذا الباب من الأبواب المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه، وإن كان المعنى المراد واحدًا، والغاية أن يتضح للقارئ الكريم المراد-: فالمقصودُ بالنسخِ رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، والبداء: هو استصواب المرء رأيًا، ثم يبدو له رأي جديد لم يكن معلومًا له. وقال صاحب «الواضح في أصول الفقه» (٢٣٧/١): «النسخ: هو رفع ما ثبت حكمه بعد استقراره، دون رفع مثل ما ثبت، ودون بيان مدة انقطاع العبادة، وذلك جائز على الله سبحانه، وصواب في حكمته»، فأما البداء فمعناه وحقيقته: «أنه استدراك علم ما كان خافيًا مستورًا عمَّن بدا له العلم به بعد خفاء، ولذلك يقال: بدا الفجر: إذا ظهر، وبدا الركب: إذا طلع أوائله، ...، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨]،...وإذا كان كذلك، وكانت دلائل العقول والسمع قد قامت ودلت على أن الله سبحانه عالم بما كان، وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبعواقب الأمور، ومن كان كذا؛ ثبت أن البداء غير جائز عليه سبحانه».

[١٠٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ[١] لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

فيه بيانُ أنَّ البدلَ كالمُبدَلِ في نزوله من عندِ الله تعالى على لسانِ جبريلَ -عليه السَّلامُ- ولو لم يقعِ الإبدالُ فيه لكانَ حقًّا، فكذلك إذا وقعَ؛ لأنَّ كلَيْهما بحسَبِ المصالحِ.

وقولُه تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ليكونَ لطفًا لهم الثبات على الإيمانِ، (٢أو ليصيروا أقربَ إلى الثباتِ٢)، كما في قولِه تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال:٦٧].

(١) سقطت من ز.

(٢ - ٢) سقطت من ز.

[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «وذلك أن كفارَ مكةَ كانوا يقولون: إن القرآنَ ليس من عندِ الله تعالى، وإنما يُعلِّمُ النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- بشرٌ، أرادوا بذلك: جَبْرًا[١] ويَسارًا[٢]؛ كانا غلامَين نصرانيَّين، وكان رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- يحدثُهما، ويعلمُهما، وكانا يقرآنِ كتابَهما بالعِبْرانيةِ، وكانا قد أسلما»[٣].

ويُقالُ: كانوا يعنُون بقولهم: ﴿بَشَرٌ﴾ سلمانَ الفارسيَّ[٤].

---

(١) جَبر مولى بني عبد الدار. أسلم بعد أن سمع النبي ﷺ يقرأ سورة يوسف، فأسلم وكتم إسلامه، وكان قبلها يهوديًّا، عذبه مواليه. ينظر: مغازي الواقدي: ٢/٨٦٥. الإصابة: (٢/١٥٣-١٥٤).

(٢) اسمه أفلح، وقيل: يسار، أبو فكيهة. كان عند صفوان بن أمية الجمحي، وقيل: مولى بني عبد الدار، أسلم حين أسلم بلال، عذبه أمية بن خلف وأخوه أبي، فأعتقه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.وكان النبي ﷺ إذا جلس مع المستضعفين، ومن بينهم يسار مولى صفوان؛ هزئت منهم قريش.

ينظر: أنساب الأشراف: (١/١٩٤-١٩٥). أسد الغابة: (٥/٤٨١)، (٦/٢٤١). الإصابة: (٦/٥٣٦)، (٧/٢٦٨).

*ترجمت له بناءً على ما ذكره مقاتل والثعلبي أنه يسار ويكنى بأبي فكيهة. ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨٨. تفسير الثعلبي: ١٦/١٢٩.

(٣) لم أقف عليه مسندًا عن عبد الله بن عباس. أخرجه مجاهد في «تفسيره» (٤٢٥-٤٢٦)، عن عبيد بن مسلم بن الحضرمي بمعناه. والطبري في «تفسيره» (١٤/٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/١٥٩-١٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٥-٤٦٦)، جميعهم عن عبد الله بن مسلم الحضرمي بمعناه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/١١٦)، وعزاه إلى آدم بن أبي إياس، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي بمعناه.

واختلف في اسمه في «تفسير مجاهد» (عبيد)، وعند «الطبري»، و«البيهقي»، و«الواحدي» (عبد الله). ينظر: الاستيعاب: ٣/١٠١٣. تهذيب التهذيب: (٧/٤٧-٤٨).

وذكر البيهقي في «شعب الإيمان» (١/١٦٠)، أنَّ ما ذكر عن ابن عباس -وهو ما ذكره المصنف- هو من زعم الكلبي فيما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس بتقديم وتأخير.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٦٨ (أخرجه عن الضحاك). ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤/١٠٦. تفسير الثعلبي: ١٦/١٣٠ (عزاه كلاهما للضحاك، إلا أنَّ الأخير لم يرتضِه، وعلل ذلك بأنَّ الآية مكية، وسلمان الفارسي أتى النبي ﷺ بالمدينة)، ووافقه ابن الجوزي وابن كثير في استبعاد أن يكون المقصود سلمان الفارسي لنفس العلة.

=

وقولُه تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ معناه: لسانُ الذي يُميلون القولَ إليه، ويزعمون أنه يعلِّمُك: أعجميٌّ /٢/و١٠٢/ وهذا القرآنُ الذي نقرؤه على مجرى لغة العربيةِ، فكيف يقدرُ الأعجميُّ على تعليمِ مثلِه[(١)]؟!

وسَمَّى اللغةَ لسانًا، كما يُقالُ: هذا لسانُ العربِ، وهذا لسانُ العجمِ؛ أي: لغتُهم[(٢)].

وفي الآيةِ بيانُ أنَّ مَن يبلُغْ جهلُه؛ وقد سمِع القرآنَ من الرسولِ -صلَّى اللهُ عليه وسلم- أن يقولَ: يعلمُه بشرٌ ليس من أهلِ العربيةِ؛ يخرجْ قولُه من أن يكونَ مؤثِّرًا، ويدخلُ في بابِ ما يُتعجَّبُ منه. فإذا بلَغوا هذا الحدَّ من الطعنِ عليك فما هم إلا يفضَحون أنفسَهم بهذا القولِ.

=

ينظر: زاد المسير: ٧٩٤. تفسير ابن كثير: ٦٠٤/٤.

(١) ينظر: التفسير البسيط: (٢٠٤/١٣-٢٠٥). تفسير السمعاني: (٢٠٢/٣-٢٠٣).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٩/٢. تفسير الماوردي: ٢١٥/٣. تفسير البغوي: ٤٥/٥.

[١٠٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

معناه: إنّ الذين لا يصدِّقون بدلائلِ الله، لا يَهديهم اللهُ إلى حجتِه[١].

وقيلَ: إلى ثوابِه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ وجيعٌ في الآخرةِ[٢].

ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ [الذي][٣] نسَبوه إلى الرسولِ -صلَّى اللهُ عليه وسلم- من الافتراءِ، هم به أحقُّ[٤].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٨٨. تفسير الطبري: ١٤/٣٧١.

(٣) في الأصل، ز: (أن **الذين**)، وهو خطأ ولا يستقيم به السياق.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٧١. تفسير الثعلبي: ١٦/١٣٢.

[١٠٥] قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾

معناه: إنما يَكذِبُ على الله مَن لا يؤمنُ بدلائلِ الله، لا مَن يؤمنُ بها(١)؛ (٢لأنَّ بناءَ أمرِ مَن لا يؤمنُ في الدينِ على الكذبِ، فهم بالكذبِ أحقُّ٢)؛ لأنه ليس معهم ما يَحجُزُهم عن الكذبِ.

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣٧١/١٤. تأويلات أهل السنة: ١٢٢/٣. التفسير البسيط: ٢٠٥/١٣.
(٢ - ٢) هكذا في الأصل، ز.

[١٠٦] قوله عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا[(١)] فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾

يجوزُ أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ يتناولُ المرتدَّ، فيبعُد أن يكونَ تفسيرًا لِمَا قبلَه[(٢)]، وإذا جُعل كلامًا مبتدأً كان قولُه تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِم[(٣)] غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ خبرًا لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾، أو لقولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[(٤)]، وكان قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ كالاستثناءِ من الاستثناءِ.

والمرادُ بقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ عمَّارُ بنُ ياسرٍ، على ما رُوي أن المشركين أخذوه في طريقِ مكةَ، فعذَّبوه حتى سبَّ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وذكرَ آلهتَهم بخيرٍ، ثم تركوه، فأتى النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وهو يمسحُ الدموعَ عن عينيه، وأخبره بالقصةِ، فأنزلَ اللهُ تعالى فيه هذه الآيةَ، فقالَ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- له: ((كيف وجدتَ قلبَك؟ قال: مطمئنًّا بالإيمانِ، فقالَ[(٥)] -صلَّى الله عليه وسلَّم-: إنْ عادوا فعُدْ))[(٦)].

---

(١) في ز: كتبها بخط أسود صغير، ولكن ليس بالخط الأحمر المعتاد في كتابة الآيات فيه، فيحتمل أن تكون كتبت بزمن متأخر عن النسخ، لتصويب السقط، وقد يكون كتبها الناسخ.

(٢) وكذا استبعده الطبري. ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/١٣ (عزاه إلى أهل البصرة).

(٣) في ز: (فعلهم)، سقطت الياء.

(٤) من قوله: «قوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، إلى قوله: «﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾». ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤١٨/٢. تفسير الطبري: (٣٧١/١٤-٣٧٢) (عزاه إلى بعض نحويي البصرة).

(٥) /ز/ظ٣٧٠/.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في ((تفسيره)) (٣٦٠/١)، وابن سعد في ((طبقاته)) (١٨٩/٣)، والطبري في ((تفسيره)) (٣٧٥/١٣-٣٧٤)، جميعهم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر بنحوه. والحاكم في ((مستدركه)) (٣٨٩/٢)، وابن عساكر بإسنادين مختلفين في ((تاريخه)) (٣٧٣/٤٣)، جميعهم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر عن أبيه بنحوه. والطبري في ((تفسيره)) (٣٧٣/١٣-٣٧٤)، عن ابن عباس بمعناه مختصرًا. والطبري في ((تفسيره)) (٣٧٤/١٣)، وابن عساكر في ((تاريخه)) (٣٧٥/٤٣)، كلاهما عن قتادة بمعناه مختصرًا. وأورده السيوطي في ((الدر المنثور)) (١٢٠/٩)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في ((الدلائل))، وابن عساكر، من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه بنحوه. وفي رواية (١٢٢/٩)، عزاه إلى ابن جرير، وابن عساكر،
=

وقولُه -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((فعُدْ))، على وجهِ الإباحةِ والرخصةِ في التلفُّظِ، دون الإيجابِ، وإنَّ المُكْرَهَ على الكفرِ إذا صبرَ حتى قُتل: كان أعظمَ لأجرِه.

والإكراهُ المبيحُ لإجراءِ كلمةِ الكفر على اللسانِ: هو أن يخافَ التَّلَفَ على نفسِه، أو على عضوٍ من أعضائه؛ إنْ لم يفعلْ ما أُمر به.

وإذا خطَر ببالِ المُكرَهِ عليه أن يعوِّضَ بالكلمةِ التي يُكرهونه عليها شيئًا آخَرَ، فلم يفعلْ ذلك مع خُطورِهِ ببالِه، كان كافرًا، كما قال محمدُ بنُ الحسنِ[١] -رضيَ اللهُ عنه-: «فيمن أكرَهَه الكفارُ، على أن يشتمَ محمدًا -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فخطَر ببالِه أن يشتمَ محمدًا آخرَ فلمْ يفعلْ، وقصَد شتمَ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- كان كافرًا؛ وكذلك لو قيلَ له: اسجُدْ لهذا الصليبِ، فخطَر ببالِه أن يجعلَ السجودَ للهِ تعالى، فلم يفعلْ، وسجَد للصليبِ؛ كان كافرًا»؛ لأنَّ الإكراهَ لا يقعُ على ما في الضميرِ، فكان يمكنُه أن يفعلَ على حسَبِ ما في ضميرِه، «وإن أعْجَلوه عن الرويَّة، ولم يخطرْ بباله شيءٌ، فقالَ ما أُكرِهَ عليه، أو فعَل؛ لم يَصِرْ كافرًا إذا كان قلبُه مطمئنًّا بالإيمانِ»[٢]، بل يكونُ مرخَّصًا له إظهارُ ما يُكرهونه عليه بخلافِ ما في قلبه[٣]، على معنَى أنه لا يُؤاخذُ به في الآخرةِ، لا على معنى أنه يباحُ له الكفرُ الذي هو كذبٌ، ولو جاز من الله تعالى أن يبيحَ الكذبَ -[٤]يعني الكذبَ بالكفرِ الذي ذكره، لا الكذبَ مطلقًا[٤]-، لِمَا فيه من مصلحةِ العبدِ لدفعِ الضررِ عن نفسه؛ لم يأمنْ أن يُنجيه أيضًا لمنفعةٍ ينالُها، ولم يأمنْ

=

عن قتادة بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٩/١١٩-١٢٠)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس مطولًا.

(١) الشيباني.

(٢) من قوله: «وإن أعجلوه عن الروية...»، إلى قوله: «مطمئنًّا بالإيمان»، عند الجصاص: هو تابعٌ لقولِ محمد بن الحسن.

(٣) من قوله: «وقوله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((فعد))...»، إلى قوله: «بل يكون مرخصًا له إظهار ما يكرهونه عليه بخلاف ما في قلبه». ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١٣/٥. *وما عزاه لمحمد بن الحسن اعتمد في نقله على ما ذكره الجصاص، ولم أقف عليه في مظانِّه، أو في مصادر أخرى منسوبًا للحسن، ووجدت بعضًا منه في ((البناية شرح الهداية))، وكذا في ((مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر)). ينظر: البناية: (١١/٧١-٧٣). مجمع الأنهر: ٢/٥٠٦.

(٤ - ٤) سقطت من ز.

أن يبيحَ الكذبَ لأنبيائه -صلواتُ الله عليهم أجمعين- لمصلحةِ العباد، وذلك يزيلُ الثقةَ بالكتابِ والأخبارِ(١).

وأما قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾؛ قيلَ في سبب نزولِه: إنه إنما أُنزل في عبد الله بن أبي سَرْح القرشي(٢)؛ رجَع إلى الشركِ، وباحَ بالكفرِ، ولحِق بمكةَ(٣).

---

(١) اتفقت المالكية والحنابلة والشافعية مع المذهب الحنفي في أن من أكره على الكفر، فأتى بكلمة الكفر لم يصر كافرًا. واستدلوا بالآية التي نحن بصدد تحقيقها، وكذا بحديث عمار بن ياسر وقول النبي ﷺ له: ((إن عادوا فعد)). ينظر: المغني لابن قدامة: (٢٩٢/١٢-٢٩٣). *والأحكام التي تتعلق بالإكراه كثيرة، وبسطها في كتب الفقه.

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي السرح، أبو يحيى القرشي العامري. أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ، ثم ارتدَّ عن الإسلام، أسلم أيام فتح مكة، فحسن إسلامه، فتح الله على يديه إفريقية. توفي سنة ست وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين، وقيل: تسع وخمسين، والأول أصح. روى عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا.

ينظر: الاستيعاب: (٩١٨/٣، ٩٢٠). أسد الغابة: (٣٦٠/٣-٢٦١). الإصابة: (١٧٨/٦، ١٧٥-١٧٦).

(٣) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٢٤٩/٣)، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر بزيادة في أوله. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٢١/٩)، وعزاه إلى ابن سعد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر بزيادة في أوله. وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤٨٩/٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢٥٢/٢)، كلاهما من غير نسبة بنحوه. والماوردي في «تفسيره» (٢١٥/٢-٢١٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠٩/١٣)، وعزاه كلاهما للكلبي، إلا أنَّ الماوردي زاد آخرين مع عبد الله بن أبي السرح. ولعلَّ في هذا القول نظرًا -والله أعلم- حيث إنَّ عبد الله بن أبي السرح، أسلم بعد ردته وحسن إسلامه -كما في ترجمته-، والآيات التي تليها لا تتأتى مع من أسلم وحسن إسلامه -والله أعلم-.

كما أنَّ الطبري أخرج في «تفسيره» (٣٨٠/١٤-٣٨١)، عن عكرمة والحسن البصري أنَّهما قالا: في سورة النحل «إنَّ قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، نسخ واستثنى من ذلك، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي كان يكتب لرسول الله، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي ﷺ أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو، فأجاره النبي ﷺ»، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٣/٩-١٢٤)، وعزاه إلى ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري باللفظ الذي أخرجه الطبري. واعترض ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤١١/٥)، على أن تكون الآية في عبد الله بن سعد فقال: «وفي هذا من الاعتراض أن أمر ابن أبي سَرْح وأولئك إنما كان ورسول الله ﷺ بالمدينة، والظاهر من هذه الآيات أنها مكية».

[١٠٧] قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

معناه: ذلك العذابُ لهم بأنهم اختاروا الحياةَ الدنيا على ثوابِ الآخرةِ[1].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى جنتِه وثوابِه، ولا يحكمُ له بالهدى.

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٩/٢. تفسير الطبري: ٣٧٦/١٤. بحر العلوم: ٢٥٢/٢.

[١٠٨-١٠٩] قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

قد تقدَّم تفسيرُ الطَّبْع من قبلُ[(١)].

والمرادُ بالغافلين: /٢/ظ١٠٢/ غفلتُهم عن أمورِ الآخرةِ، وعن ما يحلُّ بهم في الآخرةِ[(٢)].

ومعنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا[(٣)].

و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: هم الذين خسِروا أنفسَهم.

---

(١) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٥٤]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت نجاح مرشد): ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٨٩/٢. تفسير الطبري: ٣٧٧/١٤. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٠٩٦/٦.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١٢٤/٣. بحر العلوم: ٢٥٢/٢. تفسير السمعاني: ٢٠٤/٣.

[١١٠] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

نزلَ في قومٍ من المسلمين تخلَّفوا بمكةَ بعد هجرةِ النبيّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- منها إلى المدينةِ، ثم إنهم هاجَروا إلى المدينةِ من بعدِ ما عذَّبهم أهلُ مكةَ، ثم جاهَدوا مع رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فصبَروا على الجهادِ، فوعَدهم اللهُ تعالى المغفرةَ لِمَا كان منهم؛ من الكفرِ والتخلُّفِ عن الهجرةِ(١).

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٣٧٨)، عن مجاهد بنحوه.

[١١١] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

يجوزُ أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا بنزعِ الخافضِ، أي: في يومِ تأتي كلُّ نفسٍ(١).

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: واذكُرْ يومَ تأتي كلُّ نفسٍ -وهو يومُ القيامةِ- تجادلُ فيه كلُّ نفسٍ عن [نفسِها](٢)، ويوفَّرُ على كلِّ نفسٍ برَّةٍ أو فاجرةٍ جزاءُ ما عمِلت من خيرٍ أو شرٍّ(٣)، لا يُنقصُ من ثواب محسنٍ، ولا يُزادُ على عقاب مسيءٍ(٤).

واختلفوا في المجادلة المذكورةِ في الآية:

قال بعضُهم: هي قولُ الكافر: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٤]، وقولُهم: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٦](٥).

وقال بعضُهم: إنَّهم يجادلون الملائكةَ بما يقدِّرون به إزالةَ العذابِ عن أنفسِهم.

وفي الجملةِ: كلُّ واحدٍ منهم يومئذٍ يقولُ: نفسي نفسي(٦).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٥. إعراب القرآن للنحاس: ٤١٠/٢. بحر العلوم: ٢٥٣/٢.

(٢) في الأصل، ز: (عن **نفسه**)، والصواب ما أثبت؛ لأنَّ الضمير يعود على مؤنث وهو (النفس الأولى)، وكذا هو عند الزجاج في «معانيه». ومراد المصنف من قوله: «ويجوز أن يكون المعنى: واذكر يوم تأتي...»، أي: يجوز أن يكون (يوم) منصوبًا بفعلٍ محذوف تقديره: (اذكر). وذكر هذا الوجه الزجّاج. ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٥. إعراب القرآن للنحاس: ٤١٠/٢. بحر العلوم: ٢٥٣/٢.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٩٠/٢. بحر العلوم: ٢٥٣/٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٨١/١٤. بحر العلوم: ٢٥٣/٢.

(٥) ينظر: تفسير الرازي: ١٢٨/٢٠.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٤١٧/٥. *حتى الأنبياء في ذلك اليوم يقولون: نفسي نفسي، إلا محمد ﷺ يقول: ((يارب، أمتي أمتي))، والحديث أخرجه البخاري مطولًا في عدة مواضع -أكتفي بموضع- في «صحيحه» (كتاب تفسير القرآن/باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]/ح٤٧١٢)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان/باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها/ح١٩٤)، كلاهما عن أبي هريرة مطولًا.

[١١٢] قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قيلَ: إن المرادَ بهذه القريةِ: قريةٌ كانت قبلَ نبيِّنا -صلَّى الله عليه وسلَّم- بُعث إليهم نبيٌّ، فكفروا بذلك النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وقتَلوه، فعذَّبهم اللهُ تعالى بعذابِ الاستئصالِ.

وأجمعَ المفسِّرون على أنَّ هذه القريةَ هي مكةُ، فإنَّ أهلَها كانوا آمِنِين، بخلافِ قُرَى سائرِ العربِ[١].

كان العربُ لا يَصِلُون مكةَ بالمكروهِ؛ احترامًا لحرمِ اللهِ تعالى، وكان الرزقُ واسعًا على أهلِ مكةَ، كان يُحمَلُ إليهم من البرِّ والبحرِ، كما وصَفها اللهُ تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص:٥٧]، فكانوا لا يحتاجون إلى الانتجاعِ[٢] لطلبِ الرزقِ، كما احتاجَ أهلُ سائرِ قُرَى العربِ[٣]، فكفَرَ[٤] أهلُ مكةَ بأنعُمِ الله تعالى؛ حين كفروا بمحمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-[٥]، والقرآنِ بعد قيامِ الحجةِ عليهم، فعاقبَهم اللهُ تعالى سبعَ سنينَ بالقَحْطِ، وخوَّفهم من النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ومن عساكرِه وسراياه، بما كانوا يصنعون في تكذيبِه[٦].

رُوي أنه بلغ بهم من الجوعِ ما لا غايةَ بعده، حتى أكلوا العظامَ المُحْرَقةَ، والجِيَفَ، والكلابَ[٧]، وكانوا يجعلون الدمَ في المَباعِرِ[١]، فيشوونها ويأكلونها، فكان كلُّ ذلك بدعاءِ

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٦٢. تفسير الطبري: ١٣/٣٨٣ (أخرجه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد). بحر العلوم: ٢/٢٥٣. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤١٠٠ (عزاه إلى ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد).

(٢) الانتجاع: المذهب في طلب الكلأ ومساقط الغيث. ينظر: لسان العرب: (ن ج ع).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٩٠. تفسير الطبري: ١٤/٣٨٢. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤١٠١.

(٤) في ز: (العرب **فكفروا**).

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٥٣.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٨٦. بحر العلوم: ٢/٢٥٣. تفسير الثعلبي: ١٦/١٤٨.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١١٤. بحر العلوم: ٢/٢٥٣. تفسير الثعلبي: ١٦/١٤٧.

النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- حين كان يدعو فيقولُ: ((اللهمَّ اشدُدْ وطأتَك على مُضَرَ[٢]، اللهمَّ سِنِين كسِنِي يوسفَ -عليه السَّلامُ-))[٣]، فاستجابَ اللهُ تعالى له، حتى صار أمرُهم إلى هذه الحالةِ.

وسَمَّى ذلك: إذاقةً، وإن لم يكن ذلك بالفمِ؛ لأنَّ أصلَ الذَّوقِ بالفمِ، ثم يُستعارُ فيوضعُ موضعَ الابتلاءِ[٤]؛ لأنه صارَ حالُهم في كل وقتٍ بمنزلة حالِ الذائقِ للشيء، كما يُقالُ: فلانٌ ذاقَ وبالَ أمرِه.

وكان ظهَرَ عليهم سوءُ الحالِ، واصفرارُ الوجهِ، والفزعُ، والهزالُ، فجعل ذلك كنايةً عن اللباسِ[٥]، كما يُقال: اللهمَّ ألبِسْنا العافيةَ.

=

(١) /ز/و٣٧١/. ٧١/٤. *البَعْرُ والبَعَرُ: رجيع الخفِّ والظِّلف من الإبل والشاءِ وبقر الوحش والظباء، إلا البقر الأهلية فإنها تخثي وهو خثيها، والأرنب تبعر أيضًا. والمِبْعَرُ والمَبْعَرُ: مكان البعر من كل ذي أربع، والجمع مباعر. ينظر: لسان العرب: (ب ع ر).

(٢) هي القبيلة المعروفة التي تنسب إليها قريش وقيس وغيرهم، وهم بنو مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والنسبة إليهم (المضري). بضم الميم وفتح االضاد المعجمة وآخرها الراء.

ينظر: الأنساب للسمعاني: ٣٠٣/١٢. قلائد الجمان: ١١٠.

(٣) قول النبي ﷺ: ((اللهمَّ اشدد وطأتك على مضر...))، أخرجه البخاري في ((صحيحه)) بعدة أسانيد منها: ما جاء في (كتاب الجهاد والسير/باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة/ح٢٩٣٢)، عن أبي هريرة بزيادة في أوله. وفي (أبواب الإستسقاء/بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ))/ح١٠٠٦)، عن أبي هريرة في أثناء الحديث. وفي (كتاب الأذان/باب يهوي بالتكبير حين يسجد/ح٨٠٤)، ومسلم في ((صحيحه)) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة/ح٦٧٥)، كلاهما عن أبي هريرة مطولًا.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٦٤. معاني القرآن للنحاس: ١٠٩/٤. تفسير القرطبي: ٤٥٣/١٢.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٦٥. تفسير الماوردي: ٢١٨/٣. تفسير القرطبي: ٤٥٢/١٢.

[١١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

أرادَ به -على هذا القولِ الثاني(١)- نبيَّنا -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- بعَثَه اللهُ إليهم، وهو من نسبِهم، فكذَّبوه بما جاءَهم به، فأخذهم العذابُ الذي تقدَّم ذكرُه(٢)، فكانوا ظالمين لأنفسِهم.

(١) مقصوده ما أجمع عليه المفسرون في الآية السابقة بأن القرية هي مكة.

(٢) مراده: ما ذكره الله في الآية السابقة جزاء كفرهم: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]. *ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٨٦-٣٨٧). الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤١٠٤. التفسير البسيط: ١٣/٢١٩.

[١١٤] قوله عز وجل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

رُوي عنِ النبيّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: نَهَى أهلَ المدينةِ عن حملِ الطعامِ إلى مكةَ، ثم إنَّ أهلَ مكةَ بعَثوا رسولًا إلى رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فقالوا: عادَيتَ الرجالَ، فما بالُ النساءِ والصبيانِ؟! فأذِن رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- للناسِ في حملِ الطعامِ إليهم، وهم مشركون، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾(١) يعني: من الحرثِ والأنعامِ وغيرِ ذلك، حلالًا أحلَّه اللهُ تعالى لكم، واشكُروا نعمةَ اللهِ تعالى إنْ كنتم تُريدون عبادةَ اللهِ تعالى في تحريمِ الحرثِ والأنعامِ فاستحِلُّوا؛ فإنَّ عبادةَ اللهِ تعالى ورضاه في تحليلِ ما أحلَّ اللهُ تعالى، وتحريمِ ما حرَّم الله تعالى(٢)، ثم /٢/و١٠٣/ بيَّن المحرماتِ فقال عزَّ وجل(٣):

(١) لم أقف على من ذكر أنَّ سبب نزول الآية ما ذكره المصنف، وذكر هذه الرواية السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٥٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/١٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/٤٩)، وابن الجوزي -في أحد أقواله- في «تفسيره» (٧٩٧)، جميعهم من غير نسبة بنحوه. والواحدي في «البسيط» (١٣/٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٠/١٣٢)، والخازن -في أحد أقواله- في «تفسيره» (٣/١٠٣-١٠٤)، وجميعهم عزاه للكلبي بنحوه. *وأشار الطبري بمعنى مختصر لما ذكره المؤلف، مفاده: أن النبي ﷺ بعث طعامًا للمشركين في سني الجدب والقحط، فقال الله للمشركين: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ...﴾ الآية. فعلق الطبري مستبعدًا هذا المعنى بقوله: «ذلك تأويلٌ بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره قد أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [النحل: ١١٥]، والتي بعدها، فبيِّنٌ أنَّ قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ إعلامٌ من الله عبادَه أن ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك لا معنى له...». واختار الواحدي والرازي قول ابن عباس أن المراد بالخطاب فيها لمعشر المؤمنين: كلوا مما رزقكم الله؛ يريد الغنائم، فبعد أن ذكرا قول ابن عباس والكلبي قالا: «والقول ما قاله ابن عباس، يدل عليه قوله بعد هذه الآية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾، ووافقهما ابن الجوزي بأن المخاطبين في الآية المسلمين، وقال: هو قول الجمهور، وكذا الخازن.

ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٨٧-٣٨٨). التفسير البسيط: ١٣/٢٢٠. زاد المسير: ٧٩٧. تفسير الرازي: ٢٠/١٣٢. تفسير الخازن: ٣/١٠٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٥٤.

(٣) ينظر: بحر العلوم (بنصه): ٢٥٤.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

وقد تقدَّم تفسيرُه[1].

---

(١) تقدم عند تفسيره للآياتِ المتشابهات للآية المذكورة، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٤]. ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت: أعياد دقنة): ٢٤٥-٢٥٨. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت: نجاح مرشد): ٢٨٤-٢٩٠.

[١١٦-١١٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

معناه: ولا تقولوا الكذبَ لِمَا تصِفُه ألسنتُكم بالحلِّ والحرمةِ، فتُحِلُّوا الميتةَ، وتُحِلُّوا بعضَ الزروعِ والأنعامِ(١)، كما تقدَّم ذكرُه في آخرِ سورةِ الأنعامِ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: لتَكذِبوا على الله تعالى؛ بقولِكم: إنَّ هذا من عندِ الله تعالى(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يختلِقون على اللهِ الكذبَ؛ لا يَظفَرون بالمُرادِ، ولا ينجُون يومَ القيامةِ، إنما لهم في الدنيا متاعٌ قليلٌ، ثم يتعقبُهم العذابُ الأليمُ(٤).

وفي الآيةِ تنبيهٌ لكلِّ مَن يقولُ قولًا في التحليلِ والتحريمِ بغيرِ حجةٍ شرعيةٍ(٥).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/٤٩١. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤١٠٧.

(٢) الذي ذكره القرآن عنهم في سورة الأنعام مما حللوه وحرموه افتراءً على الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٣٩]، ثم عقب الله عز وجل على صنيعهم بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، ثم خاطبهم في تحريم الأنعام فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤-١٤٣].

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٩٠. تفسير الثعلبي: (١٦/١٥٠-١٥١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٣٩٠. بحر العلوم: ٢/٢٥٤. تفسير الثعلبي: ١٦/١٥١.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٥٤.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

في الآيةِ بيانُ أنَّ التحريمَ الذي كانَ في اليهودِ؛ كانَ من قِبَلِ اللهِ -عزَّ وجل- وأنه مخالفٌ للتحريمِ الذي كان في كفارِ مكةَ.

وقولُه تعالى: ﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أراد به ما بيَّنه اللهُ تعالى (٢في سورةِ الأنعامِ؛ وهو قولُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [١٤٧](١).

وقولُه تعالى٢): ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: لم نظلمْهم بتحريمِ ذلك عليهم(٣)، فإنَّ تحريمَ تلك الأشياءِ كان عقوبةً لبعضِهم(٤)، وتشديدًا في التكليفِ على بعضِهم، ولا تكونُ العقوبةُ والتشديدُ في التكليفِ ظلمًا.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمخالفتِهم أمرَ اللهِ تعالى ونهيَه.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٩١/٢. تفسير عبد الرزاق: ٣٦٠/١. تفسير الطبري: (٣٩١/١٤-٣٩٢) (أخرجه عن الحسن، وعكرمة، وقتادة).

(٢ - ٢) سقطت من ز.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩١/١٣. بحر العلوم: ٢٥٤/٢. تفسير الثعلبي: ١٥١/١٦.

(٤) ينظر: بحر العلوم: ٢٥٤/٢.

[١١٩] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

فيه بيانُ أنَّ مَنِ ارتكبَ شيئًا من المعاصي، وخالفَ أمرَ اللهِ تعالى فيه، واستعملَ الجهالةَ في ارتكابِه، لم يمنعْه ذلك من التوبةِ، فإنه إذا تابَ وأصلحَ في المستقبلِ، محا اللهُ تعالى عنه كلَّ السيئاتِ.

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي الله عنهما-: «كلُّ سوءٍ يعملُه العبدُ فهو جاهلٌ فيه، وإنْ كان يعلمُ أن ركوبَه سيئةٌ»[١].

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/٢٥٤)، عن ابن عباس بلفظه.

[١٢٠-١٢٢] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

فيه بيانُ أنَّ إبراهيمَ هو القدوةُ للناسِ بالخيرِ(١).

ويُسمى الإمامُ أمةً؛ لأنه يَجمَعُ خصالَ الخيرِ(٢).

ويُقالُ للرجلِ المنفردِ بدينٍ لا يَشرَكُه فيه غيرُه: أُمَّةً(٣)، كما رُوي عنِ النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه قال: ((يُبعَثُ زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ(٤) أمةً))(٥).

وكان زيدٌ أسلمَ قبلَ خروجِ النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ولم يكنْ بمكةَ مؤمنٌ يومئذٍ غيرَه، ثم تابعَه ورقةُ بنُ نوفلٍ(٦)، وعاشَ ورقةُ إلى وقتِ خروجِ النبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٣٩٣-٣٩٥) (أخرجه عن ابن مسعود). معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٨. بحر العلوم: ٢/٢٥٤.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٤٥. تفسير الطبري: ١٤/٣٩٤. تفسير الثعلبي: ١٦/١٥٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (أ م ة).

(٤) زيد بن عمرو بن نفيل، أبو سعيد. أدرك النبي ﷺ. كان يتألَّه في الجاهلية، ويوحد الله تعالى، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم. روى عنه: زيد بن حارثة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب. توفي قبل مبعث النبي ﷺ.

ينظر: معجم الصحابة: (٢/٤٤١،٤٤٤). معرفة الصحابة: ٣/١١٣٣. أسد الغابة: ٢/٣٦٨.

(٥) أخرجه أحمد في ((مسنده)) (٣/١٨٧-مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده مطولًا. وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (٢/٧٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧/٣٢٤-كتاب المناقب/زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، كلاهما عن أسماء بنت أبي بكر مطولًا. والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧/٣٢٥-٣٢٦-كتاب المناقب/زيد بن حارثة)، وأبو يعلى الموصلي في ((مسنده)) (١٣/١٧٣-١٧٠)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٥/٨٦-٨٧)، وابن منده في ((التوحيد)) (١/٣٠٧-٣٠٦)، والحاكم في ((مستدركه)) (٣/٢٣٨-٢٣٩)، جميعهم عن زيد بن حارثة مطولًا. وأبو يعلى الموصلي في ((مسنده)) (٤/٤١)، عن جابر بن عبد الله مطولًا.

(٦) ورقة بن نوفل القرشي. وقيل: الدُّؤَلي، وقيل: الأنصاري. والصحيح القرشي، اختلف في إسلامه. ابن عمِّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وهو الذي أخبر خديجة أن رسول الله ﷺ نبي هذه الأمة.

ينظر: معرفة الصحابة: ٥/٢٧٣٢. أسد الغابة: ٥/٤١٦. الإصابة: (١١/٣٢٩-٣٢٨).

وأمَّا القانتُ: فهو الدائمُ على الطاعةِ[١].

والقنوتُ هو: الدوامُ على الطاعةِ[٢].

وأما الحَنِيفُ: فقد تقدَّم تفسيرُه[٣].

قولُه تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معناه: أنه لم يكُ منهم كما ادَّعاه كفارُ قريشٍ[٤]؛ فإنهم يَنتحِلون دينَ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ-.

وقولُه تعالى: ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: كان شاكرًا لنعمِ اللهِ تعالى عليه[٥]، اصطفاه اللهُ تعالى بالنبوةِ، وهداه إلى دينٍ مستقيمٍ[٦].

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أرادَ به الكرامةَ والإعظامَ، وعلوَّ الذكرِ، ورزقَ الأولادِ[٧]، والوعدَ ببعثةِ الأنبياءِ من ذريتِه.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: إنه مع آبائِه المرسلين في الجنةِ[٨].

فإنْ قيلَ: كيف قالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، ولم يقُلْ: من أعلى الصالحين؟!

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٥٢. معاني القرآن للزجاج (ت نعيمة حجازي): ٨٩٦. تهذيب اللغة: (ق ن ت).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١٥٦/٢. التفسير البسيط: ٤٨٧/٦. أحكام القرآن للكيا الهراسي: ٢١٦/١.

(٣) تقدم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

ينظر: تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت أعياد دقنة): ١٦٨-١٦٩. تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء (ت نبيل نصار): ١٨٣.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٣٩٣/١٤. تفسير الماوردي: ٢١٩/٣. تفسير السمعاني: ٢٠٩/٣.

(٥) /ز/ظ٣٧١/.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٩٢/٢. بحر العلوم: ٢٥٥/٢.

(٧) ينظر: بحر العلوم: ٢٥٥/٢. تفسير الثعلبي: (١٥٤/١٦-١٥٥).

(٨) ينظر: تفسير الثعلبي: ١٥٥/١٤. تفسير البغوي: ٥١/٥.

قيلَ: إنما قالَ ذلك ترغيبًا في الصلاحِ[١]، فإنه تعالى بيَّن أن منزلتَه عندَ اللهِ تعالى لصلاحِه وطاعتِه لله تعالى، فمَن كانَ أصلحَ وأطوعَ لأمرِ الله تعالى فهو إليه أقربُ.

في هذا كلِّه تسليةٌ للنبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- في قلةِ عددِه؛ ليفعلَ في الدعاءِ إلى توحيدِ الله تعالى كما فعَل إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- حتى ارتفعَ شأنُه، وكثُر عددُ مَنِ استجابَ له.

(١) من قوله: «فإن قيل: كيف قال:...»، إلى قوله: «ترغيبًا في الصلاح». ينظر: التفسير البسيط: ٢٢٨/١٣ (عزاه إلى أهل المعاني).

[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

معناه: ثم أَمَرْناك يا محمدُ، أنِ: اتبعْ ملةَ إبراهيمَ /٢/ظ١٠٣/ في مجانبةِ الكفارِ، كما كان إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- يتجنبُ منهم.

فإنْ قيلَ: كيف يجوزُ أن يؤمرَ الفاضلُ بمتابعةِ المفضولِ؟ ونبيُّنا -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- كان أفضلَ الأنبياءِ -صلواتُ الله عليهم- وكيف أمرَه اللهُ تعالى بمتابعةِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ-؟!

قيل: إنَّ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- كان قد سبَق إلى اتباعِ الحقِّ، ولا يكونُ في سبقِ المفضولِ إلى اتباعِ الحقِّ عيبٌ على الفاضلِ في اتباعِه(١).

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي: ٢١٩/٣. تفسير السمعاني: ٢٠٩/٣ (ذكروه اختصارًا). المحرر الوجيز: ٤٢٧/٥. تفسير القرطبي: ٤٥٩/١٢ (عزاه الأخيران إلى ابن فورك).

*قال الزمخشري في ((تفسيره)) (٥٨٧-٥٨٨) معلقًا: «ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة: اتباع رسول الله ﷺ ملته...».

وهذه الآية من الآيات التي بنى عليها أهل الأصول قولهم في مسألة: هل شرع من هو قبلنا شرع لنا، وخلاصة القول عند صاحب ((الفصول في الأصول)): «الصحيح أن تلك الشرائع التي لم تنسخ قبل نبينا صارت شريعة لنبينا -عليه السلام-، فلزم الناس حينئذ حكمها، من حيث صارت شريعة للنبي -عليه السلام-، لا من حيث كانت شريعة لمن كان قبله». وقال الجويني: «الذي نرتضيه أنه ما أوجب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اتباع الأولين، وإنما أوجب عليه ما أوجب بأوامر متجددة، ثم مما أوجب عليه ما وقع مماثلًا لأحكام الشرائع السابقة، ومنها ما وقع مخالفًا لها». وقال صاحب ((إرشاد الفحول)) بعد أن ذكر الأقوال في المسألة -وسأكتفي بالراجح-: «القول الثاني: أنه كان متعبدًا بشرع من قبله، إلا ما نسخ منه، نقله ابن السمعاني عن أكثر الشافعية، وأكثر الحنفية، وطائفة من المتكلمين. قال ابن القشيري: هو الذي صار إليه الفقهاء، واختاره ابن برهان، وقال: إنه قول أصحابهم، وحكاه الأستاذ أبو منصور عن محمد بن الحسن، واختاره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، واختاره ابن الحاجب. وقال ابن السمعاني: وقد أومأ إليه الشافعي في بعض كتبه. وقال القرطبي: وذهب إليه معظم أصحابنا، يعني المالكية، قال القاضي عبد الوهاب: إنه الذي تقتضيه أصول مالك...» إلى أن قال: «ولا أوضح ولا أصرح في الدلالة على هذا المذهب من قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]، قوله: ﴿ثم أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾».

ينظر: الفصول في الأصول: ٢٢/٣. التلخيص في أصول الفقه: ٢٦٥/٢. إرشاد الفحول: (٩٨٣/٢-٩٨٤).

[١٢٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-: «وذلك أنَّ موسى -عليه السَّلامُ- قال لبني إسرائيلَ: تفرَّغوا إلى اللهِ في كلِّ سبعةِ أيامٍ يومًا واحدًا، فاعبُدوه في يومِ الجمعةِ، ولا تعمَلوا فيه شيئًا من أمرِ الدنيا، وستةُ أيامٍ لضِياعِكم ومعايشِكم، فأَبَوا أنْ يقبَلوا ذلك منه، وقالوا: لا نبغي إلا اليومَ الذي فرَغ فيه من الخلقِ -يعنون السبتَ- فجعَل ذلك عليهم، وشَدَّدَ عليهم فيه، ثم جاءَهم عيسى -عليه السَّلام- بالجمعةِ بعدَه، فاختاروا يومَ الأحدِ، وقالوا: نريدُ اليومَ الذي ابتَدأَ فيه الخلقَ»[1].

وذهَب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ الله تعالى أرادَ أن يفرِضَ على بني إسرائيلَ التفرُّغَ للعبادةِ في يومٍ من الأسبوعِ؛ اختلفوا:

فقال قومٌ منهم: الجمعة.

وقال قومٌ: السبت[2].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الواحدي في «تفسيره» (٢٢٩/١٣)، والجرجاني في «تفسيره» (١٩٦/٢)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٧٩٩)، والرازي في «تفسيره» (١٣٩/١٩)، جميعهم عن ابن عباس بنحوه. والثعلبي في «تفسيره» (١٥٨/١٦-١٥٧)، والبغوي في «تفسيره» (٥٢/٥)، كلاهما عن الكلبي بنحوه. والفراء في «معاني القرآن» (١١٤/٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢٥٥/٢)، كلاهما من غير نسبة بنحوه. *وقال الواحدي (٢٢٩/١٣)، بعد أن ذكر الخبر: «هو قول أكثر المفسرين في هذه الآية، وهو معنى ما روى أبو هريرة أن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا، فاختلفوا فيه، وهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع؛ اليهود غدًا والنصارى بعد غد"». والأثر الذي ذكره الواحدي عن أبي هريرة سيأتي تخريجه، ينظر: (٥٧٦)، من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٩٣/٢. إعراب القرآن للنحاس: ٤١١/٢. التفسير البسيط: ٢٣٠/١٣. *علق الواحدي بعد أن ذكر هذا القول فقال: «هذا قول فاسد...ولم يرو أحدٌ أن اليهود اختلفوا في اختيار السبت حتى مال بعضهم إلى الجمعة...»، وفي سبب التخبط والاضطراب في هذا القول قال الواحدي: «لما أشكل على هؤلاء وجه اختلافهم في السبت تخبطوا واضطربوا حتى أتوا بما لا وجه له». وبيَّن قبل هذا فساد القول بالاختلاف في السبت فقال معقبًا بعد أن ذكر القول الراجح -الذي تمت الإشارة إليه في الحاشية السابقة-: «وعلى هذا القول-القول الراجح- معنى قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾، أي: اختلفوا فيه على نبيهم موسى؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافًا على نبيهم في ذلك اليوم، أي لأجله؛ لأنهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره، وهذا مما أشكل على كثير من

=

فلمَّا اختلفوا جعَله الله تعالى السبتَ، وكانت مصلحتُهم عند اختلافِهم تحريمَ المكاسبِ عليهم يومَ السبتِ.

وعن أبي هريرةَ -رضِيَ اللهُ عنه- عنِ النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه قال: ((نحن الآخِرون السابِقون يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنَّا أُوتِيناه من بعدِهم -يعني يومَ الجمعةِ- قال: فهذا يومُهم الذي فرَض اللهُ عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا اللهُ تعالى له، فهُم[١] لنا فيه تبعٌ، فلليهودِ غد، وللنصارى بعد غد))[٢].

ومعنى الآيةِ -واللهُ تعالى أعلمُ-: هو أنَّ السبتَ -في رفضِ العملِ فيه- لم يكنْ في شريعةِ إبراهيمَ -عليه السَّلامُ- المبنيةِ على السهولةِ، وإنما غُلِّظ على اليهودِ وأُمروا بالجلوسِ في السبتِ؛ لاختلافِهم ولَجاجَتِهم في قبولِ الجمعةِ، كما فعل بني إسرائيل في شأنِ البقرةِ، شدَّدوا فشدَّد اللهُ عليهم.

وعن الحسنِ -رضِيَ اللهُ عنه- أنه قال: «إنَّ معنى هذه الآيةِ: جُعل السبتُ لعنةً ومسخًا على الذين اختلفوا فيه، فأحلُّوه مرةً وحرَّموه أخرى»[٣].

=

المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة؛ لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: لا بل الأحد؛ لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه، وهذا غلط؛ لأن اليهود لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل»، ثم بعدها ذكر فساد القول بأن منهم من اختار السبت ومنم من اختار الجمعة -وقد أشير إليه في موضعه-. ينظر: التفسير البسيط: (١٣/٢٣٠-٢٣١).

(١) سقطت من ز.

(٢) أخرجه البخاري بأسانيد مختلفة في «صحيحه» (كتاب الجمعة/باب فرض الجمعة/ح٨٧٦)، (كتاب أحاديث الأنبياء/باب حديث الغار/ح٣٤٨٦)، ومسلم بأسانيد مختلفة في «صحيحه» (كتاب الجمعة/باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة/ح٨٥٥)، كلاهما عن أبي هريرة بنحوه. والبخاري في «صحيحه» (كتاب الجمعة/باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟/ح٨٩٦)، عن أبي هريرة بزيادة في آخره. *وقال ابن العربي -بعد أن ذكر أقوال أهل التفسير في الاختلاف، ثم ذكر حديث أبي هريرة الوارد عند المصنف واستدل به-: «فقوله ﷺ: «فَهَذَا الْيَوْمُ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ» يدل على أنه عرض عليهم، فاختار كل أحد ما ظهر إليه، وألزمناه من غير عرض، فالتزمناه. وقد روي في بعض طرق الحديث الصحيح: «فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه». ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٣/١٦٩-١٧٠).

(٣) لم أقف عليه.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ معناه: أنه يحكمُ بينهم يومَ القيامةِ؛ ببيانِ الحقِّ فيه من الباطلِ[١].

(١) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٥٥.

[١٢٥] قوله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾

بيَّن اللهُ تعالى بهذه الآيةِ ما يدعو إليه الرسولُ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وما يدعو به، وكيف يدعو فيه.

ومعنى السبيلِ: هو الدِّينُ الذي يدعو إلى اللهِ تعالى(١).

والحكمةُ: هي معرفةُ مراتبِ الحقِّ والباطلِ، والصلاحِ والفسادِ؛ لأن المعرفةَ هي السببُ في منعِ المعصيةِ.

وأصلُ الحكمةِ: المنعُ، ومن ذلك: حكمة الدابة(٢).

وأما الموعظةُ الحسنةُ: فهي التخويفُ بالعقابِ على جهةِ إظهارِ الشفقةِ عليهم؛ ليكونَ ذلك أقربَ إلى إجابتِهم(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ بيانُ الدينِ الذي يدعوهم إليه، إذا أورَدوا شبهةً؛ لا يجادلهم النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- (٣إلا على حدِّ الرفقِ واللطفِ وذكرِ أحسنِ ما

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٤٩٤/٢. تفسير الماوردي: ٢٢٠/٣.

(٢) ينظر: مجمل اللغة: (ح ك م). المفردات في غريب القرآن: ٢٤٨.

(٣) فسرت كتب التفسير (الحكمة) و(الموعظة الحسنة) بمعانٍ أخرى، قال الطبري: «(بالحكمة) يقول: بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليكِ، و(الموعظة الحسنة) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله...»، وقال الزجاج: «جاء في التفسير: (الحكمة) النبوة، (والموعظة الحسنة) القرآن». وقال السمرقندي: «(بالحكمة) يعني: بالنبوة والقرآن، و(الموعظة الحسنة) يعني: عظهم بالقرآن». وقال الثعلبي: «(بالحكمة) يعني: القرآن، (والموعظة الحسنة) يعني: موعظة القرآن». ونحو ذلك كتب التفسير الأخرى.

ينظر: تفسير الطبري: ٤٠٠/١٤. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥١٩. بحر العلوم: ٢٥٥/٢. تفسير الثعلبي: ١٦١/١٦

[عندَه][١] من الحُجَجِ[٢]، فإنه لم يكنْ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-[٣] يَتوصَّل إلى فعلٍ يَهتدي به مَن كان في علمِ الله تعالى مِن حالِه أنْ يضِلَّ، فذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: هو أعلمُ بمَنْ لا يَقبَلُ الهدى، ومَن يقبلُ الهدى، فيَجزي كلًّا على ما عمِل.

---

(١) في الأصل: (ما **عند**)، هكذا: (اعند) لا يستقيم بها السياق، ولعل المثبت في الأصل (ما عنده)، ولم تتضح لتناثرِ الحبر، والمثبت هو الأليق.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ٢/٢٥٥. *وفي الآية دلالة على جوازِ المناظرةِ والمجادلةِ إذا كان المقصد إظهار الحقِ.

(٣ - ٣) سقطت من ز.

[١٢٦-١٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

معناه: -واللهُ تعالى أعلمُ- أن الكفارَ إذا عدَلوا عن طريقِ المجادلةِ، وأخَذوا[١] في الأذيةِ والمكرِ والحِيَلِ، فالأَولى لكم الصبرُ والعفوُ، وإن جازيتموهم بمثلِ ما فعلوا فحسنٌ.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ -رضِيَ اللهُ عنهما- أنه قال: «وذلك أنَّ حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ[٢] -رضِيَ الله عنه- عمَّ رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وأصحابَه الذين قُتلوا يومَ أحدٍ[٣]، مَثَّل[٤] بهم المشركون /٢/و١٠٤/ عمَدوا إلى حمزةَ فشقُّوا بطنَه، وأخَذت منه هندُ بنتُ عُتبةَ[٥] كبِدَه، فجعَلت تلوكُها، ثم تطرحُها، وقطعوا مذاكيرَه، وجدَعوا أنفَه وأذنَيْه، ومثَّلوا به أشدَّ المُثلةِ، فقال المسلمون: لئِنْ أمكَنَنا اللهُ تعالى منهم لنُمثِّلَنَّ بالأحياءِ فضلًا عنِ الأمواتِ، فأنزلَ اللهُ سبحانَه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، فلما نزلَت هذه الآيةُ قال -عليه السَّلامُ-: ((بل أصبِرُ، ولا أمثِّلُ))، فنزَل قولُه

---

(١) في ز: (المجادلة **أخذوا**).

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، وقيل: أبو يعلى. عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرَّضاعة. أسد الله وأسد رسوله، أسلم بمكة حَمِيةً، وكان إسلامه في السنة الثانية، وقيل السادسة. شهد بدرًا، واستشهد بأحد، سيد الشهداء عند الله جَلَّجَلَالُهُ. توفي سنة ثلاثة من الهجرة. أسند عن النبي ﷺ حديثين.

ينظر: معرفة الصحابة: (٢/٦٧٢-٦٧٣). الاستيعاب: (١/٣٦٩-٣٧٠، ٣٧٢). أسد الغابة: ٢/٦٧.

(٣) أُحُد: بضم الهمزة والحاء المهملةِ، وآخره دال مهملة: جبل تلقاء المدينة المنورة داخل حرمها، ويشرف عليها من الشمال، يرى بالعين، وهو من أشهر جبال العرب.

ينظر: معجم ما استعجم: ١/١١٧. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ١٩.

(٤) /ز/و٣٧٢/.

(٥) هند بنت عُتبة بن ربيعة، أمُّ معاوية القرشية الهاشمية. أسلمت عام الفتح وحسن إسلامها، وكان إسلامها بعد إسلام زوجها أبي سفيان، وأقر النبي ﷺ زواجهما. روت عنها عائشة رضي الله عنها. توفيت في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

ينظر: معرفة الصحابة: ٦/٣٤٦٠. الاستيعاب: (٤/١٩٢٢-١٩٢٣). أسد الغابة: ٧/٢٨١.

تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾(١) أي: ما صبرُك إلا بمعونةِ الله تعالى وتوفيقِه، ولا تقدرُ على الصبرِ في الحزنِ الذي لحِقَك بسببِ الشهداءِ، إلا أنْ يسهِّلَ اللهُ تعالى عليك الصبرَ، ولا تحزنْ على الكفارِ إذا امتنعوا عن الاستجابةِ لك(٢).

ويُقالُ: ولا تحزنْ على الشهداءِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى أنزَلهم منازلَهم في الجنةِ، لو رأيتَهم في الكرامةِ التي أكرمَهم اللهُ تعالى بها لغَبْطتَهم عليها(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضيق صدرُك من مكرِهم، فيكونَ ذلك شاغلًا لك(٤) عن ما كُلِّفتَه من الدعاءِ إلى سبيلِ ربِّك.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠/٤٦٤-٤٦٥)، عن الشعبي بمعناه مختصرًا. ويحيى بن سلام في «تفسيره» (١/٩٩)، والمحاملي في «أماليه» (١٢٧-١٣٠)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/٤٨٤-٤٨٥)، والدارقطني في «سننه» (٥/٢٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٨٨)، والواحدي بإسنادين مختلفين في «أسباب النزول» (٤٧٠-٤٦٨)، جميعهم عن ابن عباس ببعضه. وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/٤٠٣)، كلاهما عن قتادة ببعضه. والطبري بإسنادين مختلفين في «تفسيره» (١٤/٤٠٢-٤٠٣)، عن عامر ببعضه. وكذا أخرجه في «تفسيره» (١٤/٤٠٣-٤٠٤)، عن ابن جريج ببعضه. والبزار في «مسنده» (١٧/٢١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/١٥٦-١٥٧)، والحاكم في «مستدركه» (٣/٢١٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/٦٩٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٨٨)، وفي «شعب الإيمان» (٧/١٢٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٤٦٩)، جميعهم عن أبي هريرة ببعضه. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٩/١٣٥-١٣٦)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن جرير؛ عن الشعبي بمعناه مختصرًا. وفي رواية (٩/١٣٥)، عزاه إلى ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، عن ابن عباس ببعضه. وفي رواية (٩/١٣٤-١٣٥)، وعزاه لابن سعد، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «المعرفة»، والبيهقي في «الدلائل»، عن أبي هريرة بمعناه مختصرًا. وذكر الواحدي في «أسباب النزول» (٤٧٠-٤٧١)، رواية (مطولة) مقاربة لما ذكرها المصنف؛ وعزاها للمفسرين.

(٢) (الاستجابةِ **لك**)، كررت في الأصل. *ينظر: تفسير الطبري: ١٤/٤٠٧. تفسير الثعلبي: ١٦/١٦٦. الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦/٤١١٩.

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ١٣/٢٣٧. التفسير الوسيط: ٣/٩١. المحرر الوجيز: ٥/٤٣١. ورجح القول الأول فقال: «والضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، قيل: يعود على الكفار، أي لا تتأسف على أن لم يُسلموا، وقالت فرقة: بل يعود على القتلى: حمزة وأصحابه رضوان الله عليهم؛ الذين حزن عليهم رسول الله ﷺ، والأول أصوب؛ إذ يكون عود الضمير على جهة واحدة»، وهو القول الذي عبر عنه المصنف: « ولا تحزن على الكفار إذا امتنعوا عن الاستجابة لك».

(٤) سقطت من ز.

والضَيْق: تخفيفُ ضَيِّق، مثلُ مَيِّت ومَيْت. ويجوزُ أن يكونَ مصدرَ ضاقَ الشيءُ: يَضِيقُ ضَيْقًا وضِيقًا(١).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ أي: مُعين المتقين المُحسِنين، وهم المسلمون، بنصرٍ من عندِه، فإنَّ اللهَ يُظهِرُهم(٢) على الكفارِ، ويجعلُ العاقبةَ للمسلمين(٣).

وعن أُبيّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنه قالَ: «مَن قرأَ سورةَ النحلِ لا يُحاسِبُه اللهُ تعالى بالنعيمِ الذي أنعم عليه في دارِ الدنيا، فإنْ ماتَ في يوم تلاها؛ كان له من الأجرِ كالذي مات وأحسنَ الوصيةَ»(٤). وباللهِ التوفيقُ(٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٥/٢. مجاز القرآن: ٣٦٩/١. معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٢٠.

(٢) كتب في نسخة الأصل فوق قول المصنف: «يظهرهم»: (يغلبهم).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (ت مامودو محمد): ٥٢٠. تفسير الثعلبي: ١٦٨/١٦. تفسير السمعاني: ٢١١/٣.

(٤) أخرجه الثعلبي بإسنادين في «تفسيره» (١٦/٨-٩)، والواحدي في «الوسيط» (٥٥/٣)، كلاهما عن أبي بن كعب بنحوه.

(٥) إلى هنا؛ أُنهيت دراسة الجزء المحقق في «تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء»، لأبي عبد الصَّمدِ الغزْنَوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أول الآية الثامنة والخمسين في سورة يوسف، إلى آخر آية في سورة النحل، والحمد لله على التمام.

الكشّافات

- كشاف الآيات القرآنية.
- كشاف الأحاديث النبوية.
- كشاف الآثار.
- كشاف الأعلام.
- كشاف الأماكن والبلدان.
- كشاف القبائل والأعراق.
- كشاف الطوائف والفرق.
- كشاف الأبيات الشعرية.
- كشاف الكلمات الغريبة.
- كشاف القراءات الواردة في الكتاب.
- ثبت المصادر والمراجع.
- كشاف الموضوعات.

كشاف الأعلام

م	العلم	الصفحة
١.	إبراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْل، أبو إسحاق الزَّجَّاج	٦٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٢، ٢٥٢، ٣٦٦، ٣٩٥
٢.	ابن الأثير	٤٣
٣.	ابن تيمية	٦٧
٤.	ابن حجر الهيتمي	٦٢
٥.	ابن كثير	٣٥
٦.	أبو الفتح البُستي	٤٣
٧.	أبو ظفر بن عبد الله الهروي	٤١
٨.	أُبَيُّ بنُ كعبٍ ، أبو المنذر الأنصاري	٦٩، ٢١٢، ٣١٨، ٣٤٢، ٣٨٢، ٤٤٨، ٥٨٢
٩.	أحمد بن محمد بن طلحة الناشباني	٤٩
١٠.	الأدنه وي	٥٤، ٥٧، ٥٨
١١.	أربدُ بن قيس بن جَزْء	٧٢، ٢٦٣
١٢.	إسماعيلُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي كريمةَ، أبو محمد السُّدِّي	١٨٤، ٢٠٩، ٣٤٧، ٣٧٢
١٣.	الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبِ	٧٨، ٨٠، ٨٢، ١٤٢، ٢١٠، ٢٥٨، ٢٦٩، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٧٠، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٧٩،

م	العلم	الصفحة
		٤٨٩، ٤٩٠، ٥٠٧، ٥٧٦
١٤.	الحسنُ بنُ يَسار، أبو سعيد البصري	١٠١، ١٤١، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٤٨، ٢٦٥، ٣٥٢، ٤٥٤
١٥.	الحُسينُ بنُ عليّ بنِ أبي طالبِ	٦٨، ٧٩، ١٤٢
١٦.	حمد بن محمد الخطابي البستي	٤١
١٧.	حمزةُ بنُ حبيب بنِ عُمارةَ، أبو عمارة الزَّيَّات	٧٣، ٩٤، ٣٤٩
١٨.	الخليلُ بنُ أحمدَ ، الفَراهِيدي	١٠٢، ١٩٠، ٣٧١
١٩.	داود بن يونس بن محمد ، أبو سليمان	٤٩
٢٠.	سفيانُ بنُ عُيينة ، أبو محمد الكوفي	٧٠، ٧١، ١٨٢، ١٩١
٢١.	سلمانُ ابنُ الإسلام، أبو عبد الله، فارسي	٢٠٠، ٥٥٢
٢٢.	سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي	٤١
٢٣.	الضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم، أبو القاسم الهِلَالي	٥١، ١٠١، ٢٤٨، ٣٠٧، ٤١٧
٢٤.	عامر بن الطُّفَيل بن مالك	٧٢، ٢٦٣، ٢٦٤
٢٥.	عائشةُ بنتُ أبي بَكرٍ الصِّديق.	١٣٨، ٣٠٨، ٣٧٩
٢٦.	عبدُ الرحمن بنُ صخر، أبو هريرة الدَّوْسي	٢٨٨، ٥٧٦
٢٧.	عبد الرؤوف المناوي	٦٣

م	العلم	الصفحة
٢٨.	عبدُ الله بنُ أبي أُميَّة	٧٢، ٢٩٢، ٣٨٨
٢٩.	عبد الله بن سعد بن أبي السرح	٥٥٨
٣٠.	عبد الله بن سلام	٣٠٤، ٣١٦، ٣١٧
٣١.	عبدُ الله بنُ عَبَّاسٍ	٧٢، ٨١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٧، ٤٣٩، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٧٤، ٤٨٤، ٤٩٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٤٢، ٥٥٢، ٥٧٠،

م	العلم	الصفحة
		٥٧٥، ٥٨٠
٣٢.	عبدُ الله بنُ مسعودٍ	١٩٧، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٧٧، ٤٠٠، ٤٧٤، ٥٣٢
٣٣.	عبدُ الله بنُ مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري	١٠٢، ١٠٣، ٢٦٣
٣٤.	عِكْرِمة، مولى ابن عَبَّاس	٢٤٩، ٢٦٠، ٣١٤
٣٥.	علي بن الحسين الداوودي	٤١
٣٦.	عَمَّارُ بنُ ياسر، أبو اليقظان	٤٨٤، ٥٥٦
٣٧.	عمرُو بنُ بَحْر، أبو عثمان الجاحظ	١٠٢، ١٤٣
٣٨.	عمرُو بن كُلثوم التغلبي	٣٢٥، ٣٧٩
٣٩.	عمير بن عبد الرحمن البرابجي	٥٠
٤٠.	عيسى بنُ مِينَا بنِ وَرْدانَ، أبو موسى المدني = قالُون	١٨، ٢٢، ٧٣
٤١.	غَيْلانُ بنُ عُقْبة بنِ بُهَيْش =ذو الرُّمة	٣٩٦
٤٢.	قَتادةُ بنُ دِعامةَ	٥٠، ٧١، ٨٢، ١٠١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٧٤، ٣٩١، ٤٤٩
٤٣.	مجاهد بن جَبْر	٥١، ٨٢، ١٠٣، ١٨٣، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٦٩،

م	العلم	الصفحة
		٢٨٨، ٣٣٠، ٣٦٦، ٣٧١، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٣٧، ٥٠٧
٤٤.	محمد بن أحمد البيروني ، أبو الريحان	٤٣
٤٥.	محمد بن أحمد بن محمد بن شبيب	٤٩
٤٦.	محمد بن الحسن بن دريد	٧٣
٤٧.	محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فَرْقَد، أبو عبد الله الشَّيْباني	٩٥، ١٠٣، ٢١٢، ٥٥٧
٤٨.	محمد بن السَّائب الكلبي، أبو النضر الكوفي	٥٠، ٥١، ١٠٠، ١٠٦، ٤٠٧
٤٩.	محمد بن الفضل البلخي	٥٠
٥٠.	محمدُ بنُ المستنير= قطرب	١٠٢، ٢٥٣
٥١.	محمد بن المكي بن الحسين الحيوني	٥٠
٥٢.	محمد بن حسين البيهقي، أبو الفضل	٤٤
٥٣.	محمد بن عبد الجبار العُتبي	٤٤
٥٤.	محمد بن عبد الله بن منصور الأهوازي	٥٠
٥٥.	محمود بن أبي الحسن ، أبو القاسم الغزنوي	٥٢، ٥٤
٥٦.	محمود بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الفضل	٥٣
٥٧.	محمود بن سبكتكين، أبو القاسم	٣٦
٥٨.	محمود بن يونس ، أبو القاسم	٥٠
٥٩.	مسعود بن محمود	٣٦
٦٠.	مُقاتِلُ بنُ سليمان	٥٢، ٦٠، ٧١، ١٠١، ١٠٦،

م	العلم	الصفحة
		٢٢٢، ٢٥٧، ٤١٧
٦١.	النُّعْمَان بنُ ثابت بن زوطى، أبو حنيفة.	٩٤، ٤٥٨
٦٢.	وهب بن منبِّه	١٤٨، ٥٤٥
٦٣.	ياقوت الحموي	٤٠
٦٤.	يحيى بنُ زيادِ بنِ عبد الله = الفرَّاء	٨٩، ٩٤، ١٠٢، ٣٤٩
٦٥.	يحيى بن عبد الصمد الغزنوي	٥٣
٦٦.	يسار، أبو فكيهة، مولى بني عبد الدار	٥٥٢

كشاف الأماكن والبلدان

م	المكان	الصفحة
١.	الأَبْطَحُ	٣٦٤
٢.	بُخارى	٤١
٣.	الحِجْر	٤٣٥
٤.	حَرَّان	١٦٣
٥.	حَضْرَمَوتَ	٥٤٢
٦.	خُرَاسَانَ	٣٤
٧.	الرَّيِّ	٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٥٤
٨.	سمرقند	٤١
٩.	صُغَر	٤٢٧
١٠.	غَزْنِين	٣٤
١١.	كِنْدَةَ	٥٤٢
١٢.	كَنْعان	١٣٥، ١٦٢، ١٧٣، ١٨٩، ٤٧١
١٣.	ما وراءَ النهرِ	٣٥، ٣٩، ٥٤
١٤.	مَدْيَن	٤٣٣
١٥.	نجران	٥١٣
١٦.	نَيْسابورَ	٣٥، ٤٠، ٤١
١٧.	اليمامة	٢٩٠

كشاف القبائل والأعراق

م	القبائل والأعراق	الصفحة
١.	بني قريظةَ	٤٤١
٢.	بني النضيرِ	٤٤١
٣.	قُريشٍ	١٠٨، ٢٢٤، ٢٩٦، ٣٥٦، ٤٣٣، ٥٢١، ٥٣٨، ٥٧٢
٤.	مُضَرَ	٥٦٤

كشاف الطوائف والفرق

م	الفرقة	الصفحة
١.	الرافضة	٣٩
٢.	الكرَّامية	٤٠
٣.	الماتُريدية	٤٠، ٥٤
٤.	المشبِّهة	٣٩، ٢١٠
٥.	المعتزِلةَ	٣٩، ٤٢

كشاف الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
المقدمة	٧
القسم الأول: قسمُ الدِّراسة	٣١
الفصل الأول: عصر المؤلِّف	٣٣
المبحث الأول: الحالة السياسية.	٣٤
المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.	٣٧
المبحث الثالث: الحالة الدينية.	٣٩
المبحث الرابع: الحالة العلمية.	٤١
الفصل الثاني: التعريفُ بالمؤلِّف: القاضي عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي	٤٦
المبحث الأول: اسمُه، وكنيته، ونسبُه ومولده.	٤٧
المبحث الثاني: أسرتُه، ونشأته.	٤٨
المبحث الثالث: شيوخه، وتلاميذه.	٤٩
المبحث الرابع: مكانته العلميَّة، وثناء العلماء عليه.	٥٣
المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه.	٥٤
المبحث السادس: مصنَّفاتُه.	٥٥
المبحث السابع: وفاته.	٥٦
الفصل الثالث: التعريفُ بالكتاب	٥٨
المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتابِ.	٥٩
المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.	٦٣
المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.	٦٥
المبحث الرابع: المصادر التي اعتمد عليها المؤلفُ في كتابه.	١٠٠

الموضوعات	الصفحة
المبحث الخامس: القيمة العلمية للكتاب وأهم ما تميَّز به.	١٠٥
المبحث السادس: المآخذ على الكتابِ.	١٠٦
المبحث السابع: وصفُ النُّسخِ الخطيةِ للكتاب، مع وضعِ نماذج منها.	١٠٧
القسم الثاني: قسم التحقيق:	١٢٨
[٥٨] قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ...﴾	١٢٩
[٥٩-٦١] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم...﴾	١٣١
[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ اجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ ...﴾	١٣٤
[٦٣-٦٤] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ...﴾	١٣٥
[٦٥-٦٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ ...﴾	١٣٧
[٦٧] ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ...﴾	١٤١
[٦٨] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم ...﴾	١٤٦
[٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ...﴾	١٤٧
[٧٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ...﴾	١٥٠
[٧١-٧٢] قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ ...﴾	١٥٣
[٧٣-٧٥] قوله عز وجل: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ ...﴾	١٥٦
[٧٦] قوله عز وجل: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن	١٥٨

الموضوعات	الصفحة
وِعَآءِ...﴾	
[٧٧] قوله عزَّ وجل: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ...﴾	١٦٣
[٧٨-٧٩] قوله عزَّ وجل: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا...﴾	١٦٥
[٨٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ...﴾	١٦٩
[٨١-٨٢] ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَا ...﴾	١٧٢
[٨٣-٨٤] ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ...﴾	١٧٤
[٨٥-٨٦] قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ...﴾	١٧٦
[٨٧] ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ...﴾	١٧٩
[٨٨-٩٠] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا...﴾	١٨١
[٩١-٩٣] قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ...﴾	١٨٧
[٩٤-٩٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ...﴾	١٨٩
[٩٦-٩٨] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ ...﴾	١٩٢
[٩٩-١٠١] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ...﴾	١٩٥
[١٠٢] قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ ...﴾	٢٠٧
[١٠٣-١٠٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ ...﴾	٢٠٨

الموضوعات	الصفحة
[١٠٥-١٠٦] قوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾	٢٠٩
[١٠٧] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ...﴾	٢١٣
[١٠٨] قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ...﴾	٢١٤
[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰٓ إِلَيْهِم...﴾	٢١٥
[١١٠] قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ ...﴾	٢١٧
[١١١] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ...﴾	٢٢٠
سُورَة الرَّعْدِ	٢٢٢
[١] ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ...﴾	٢٢٣
[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ...﴾	٢٢٦
[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًاۖ...﴾	٢٣٥
[٤] ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ...﴾	٢٣٧
[٥-٦] قوله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا...﴾	٢٤١
[٧] قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ...﴾	٢٤٤
[٨] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ...﴾	٢٤٦
[٩-١٠] قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ...﴾	٢٤٨
[١١-١٢] قوله عز وجل: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ	٢٥٢

الموضوعات	الصفحة
بِهِۦ...﴾	
[١٣-١٤] قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِے يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ...﴾	٢٥٩
[١٥] قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن ...﴾	٢٦٥
[١٦] قوله عز وجل: ﴿وَلِله يَسْجُدُ مَن فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ...﴾	٢٦٧
[١٧-١٨] قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٢٧٠
[١٩-٢٠] ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ...﴾	٢٧٢
[٢١-٢٣] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَّعْلَمُ أَنَّمَا اُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ...﴾	٢٧٧
[٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ اُبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾	٢٧٩
[٢٥] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ...﴾	٢٨١
[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَا...﴾	٢٨٣
[٢٧] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ ...﴾	٢٨٥
[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ اُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ ...﴾	٢٨٦
[٢٩-٣٠] قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اِللَّهِ...﴾	٢٨٧
[٣١] قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِے اُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا اُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ...﴾	٢٩٠
[٣٢] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ...﴾	٢٩٠
[٣٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدُ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ	٢٩٨

الموضوعات	الصفحة
لِلَّذِينَ...﴾	
[٣٤-٣٥] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلهِ شُرَكَآءَ ...﴾	٢٩٩
[٣٦] قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ...﴾	٣٠٢
[٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ ...﴾	٣٠٤
[٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْماً عَرَبِيّاًۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ...﴾	٣٠٥
[٣٩-٤٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ...﴾	٣٠٦
[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾	٣١١
[٤٢] قوله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ...﴾	٣١٢
[٤٣] قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاًۖ...﴾	٣١٥
[٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاًۚ قُلْ كَفَىٰ ...﴾	٣١٦
سُورةُ إبراهيمَ	٣١٩
[١-٢] ﴿أَلَرۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ...﴾	٣١٩
[٣-٤] قوله عز وجل: ﴿اللهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ ...﴾	٣٢١
[٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ	٣٢٣

الموضوعات	الصفحة
فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ...﴾	
[٦-٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ...﴾	٣٢٤
[٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	٣٢٦
[٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِن ...﴾	٣٢٧
[١٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ...﴾	٣٢٨
[١١-١٢] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ...﴾	٣٢٩
[١٣] قوله عز وجل: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾	٣٣٢
[١٤-١٥] قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾	٣٣٤
[١٦-٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم...﴾	٣٣٦
[٢١] قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ...﴾	٣٤٢
[٢٢-٢٣] قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾	٣٤٤
[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ...﴾	٣٤٥
[٢٦] قوله عز وجل: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾	٣٥٠
[٢٧-٢٨] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً	٣٥١

الموضوعات	الصفحة
طَيِّبَةً...﴾	
[٢٩] قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾	٣٥٤
[٣٠-٣٢] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً...﴾	٣٥٦
[٣٣] قوله عز وجل: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ...﴾	٣٥٧
[٣٤-٣٦] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ...﴾	٣٥٨
[٣٧-٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِناً...﴾	٣٦٢
[٣٩-٤٣] قوله عز وجل: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ...﴾	٣٦٤
[٤٤-٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾	٣٧٠
[٤٨-٤٩] قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ...﴾	٣٧٤
[٥٠-٥٣] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَٰوَٰتُ...﴾	٣٧٨
[٥٤] قوله عز وجل: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ...﴾	٣٨٢
سورة الحِجْر	٣٨٣
[١-٣] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ...﴾	٣٨٣
[٤-٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ...﴾	٣٨٧
[٦-٩] قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ	٣٨٨

الموضوعات	الصفحة
لَمَجْنُونٌ...﴾	
[١٠-١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ...﴾	٣٩٠
[١٤-١٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ ...﴾	٣٩٢
[١٦-١٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ...﴾	٣٩٤
[١٩-٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا...﴾	٣٩٧
[٢١-٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ ...﴾	٣٩٩
[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ...﴾	٤٠٢
[٢٦-٢٧] قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ...﴾	٤٠٦
[٢٨-٣٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ...﴾	٤١٠
[٣٦-٤٢] قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ...﴾	٤١٣
[٤٣-٥٠] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ...﴾	٤١٧
[٥١-٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ ...﴾	٤٢١
[٦١-٦٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَا ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ...﴾	٤٢٦

الموضوعات	الصفحة
[٦٦-٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ ...﴾	٤٢٨
[٧٣-٧٧] قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا ...﴾	٤٣١
[٧٨-٧٩] قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ...﴾	٤٣٣
[٨٠-٨٤] قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ...﴾	٤٣٥
[٨٥-٨٦] قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾	٤٣٧
[٨٧-٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ...﴾	٤٣٩
[٩٠-٩٦] قوله عز وجل: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ ...﴾	٤٤٣
[٩٧-٩٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَد نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ...﴾	٤٤٧
سورة النحل	٤٤٩
[١] ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٤٤٩
[٢] قوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ...﴾	٤٥٢
[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ...﴾	٤٥٣
[٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ...﴾	٤٥٤
[٥-٧] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ...﴾	٤٥٦
[٨] قوله عز وجل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ...﴾	٤٥٨

الموضوعات	الصفحة
[٩] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٦٠
[١٠] قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ ...﴾	٤٦١
[١١] قوله عز وجل: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ...﴾	٤٦٢
[١٢-١٣] قوله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ...﴾	٤٦٣
[١٤-١٦] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا...﴾	٤٦٤
[١٧-١٨] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ...﴾	٤٦٦
[١٩-٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩ وَٱلَّذِينَ...﴾	٤٦٧
[٢٤-٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ...﴾	٤٦٩
[٢٦-٢٩] قوله عز وجل: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ...﴾	٤٧١
[٣٠-٣٢] قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا...﴾	٤٧٤
[٣٣-٣٤] قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾	٤٧٦
[٣٥] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن...﴾	٤٧٧
[٣٦-٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ...﴾	٤٧٩

الموضوعات	الصفحة
[٣٨-٤٠] قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَنْ ...﴾	٤٨١
[٤١-٤٢] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ...﴾	٤٨٢
[٤٣-٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُواْ أَهْلَ ...﴾	٤٨٦
[٤٥-٤٧] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَّخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ...﴾	٤٨٨
[٤٨-٥٠] قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ...﴾	٤٩٠
[٥١-٥٢] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّٰيَ ...﴾	٤٩٣
[٥٣-٥٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ ...﴾	٤٩٤
[٥٦] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ...﴾	٤٩٥
[٥٧-٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا ...﴾	٤٩٦
[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُّؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾	٤٩٨
[٦٢] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لاَ جَرَمَ...﴾	٥٠٠

الموضوعات	الصفحة
[٦٣] قوله عز وجل: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ...﴾	٥٠٢
[٦٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي...﴾	٥٠٣
[٦٥] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ...﴾	٥٠٤
[٦٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً...﴾	٥٠٥
[٦٧] قوله عز وجل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ...﴾	٥٠٧
[٦٨-٦٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾	٥٠٩
[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ...﴾	٥١٢
[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾	٥١٣
[٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ...﴾	٥١٤
[٧٣-٧٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٥١٧
[٧٥] قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾	٥١٨
[٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ...﴾	٥٢٠
[٧٧] قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ...﴾	٥٢١
[٧٨] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ...﴾	٥٢٢

الموضوعات	الصفحة
[٧٩] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ...﴾	٥٢٣
[٨٠] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً...﴾	٥٢٤
[٨١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ...﴾	٥٢٥
[٨٢] قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ...﴾	٥٢٧
[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...﴾	٥٢٨
[٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنَ ...﴾	٥٢٩
[٨٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ...﴾	٥٣٠
[٨٦-٨٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ...﴾	٥٣١
[٨٨] قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَاباً ...﴾	٥٣٢
[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم ...﴾	٥٣٤
[٩٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ...﴾	٥٣٥
[٩١] قوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ...﴾	٥٣٧
[٩٢] قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ...﴾	٥٣٨
[٩٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ...﴾	٥٤٠
[٩٤] قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ...﴾	٥٤١

الموضوعات	الصفحة
[٩٥-٩٦] قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾	٥٤٢
[٩٧] ﴿مَن عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ...﴾	٥٤٥
[٩٨] قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾	٥٤٧
[٩٩-١٠٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ ...﴾	٥٤٩
[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ...﴾	٥٥٠
[١٠٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ...﴾	٥٥١
[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ...﴾	٥٥٢
[١٠٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ ...﴾	٥٥٤
[١٠٥] قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ..﴾	٥٥٥
[١٠٦] قوله عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ ...﴾	٥٥٦
[١٠٧] قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى ...﴾	٥٥٩
[١٠٨-١٠٩] قوله عز وجل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ...﴾	٥٦٠
[١١٠] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ...﴾	٥٦١
[١١١] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ...﴾	٥٦٢
[١١٢] قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً...﴾	٥٦٣
[١١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ...﴾	٥٦٥
[١١٤] قوله عز وجل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ	٥٦٤

الموضوعات	الصفحة
نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ...﴾	
[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ...﴾	٥٦٧
[١١٦-١١٧] قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ...﴾	٥٦٨
[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ...﴾	٥٦٩
[١١٩] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ...﴾	٥٧٠
[١٢٠-١٢٢] قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ...﴾	٥٧١
[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً...﴾	٥٧٤
[١٢٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ...﴾	٥٧٥
[١٢٥] قوله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ...﴾	٥٧٨
[١٢٦-١٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ ...﴾	٥٨٠
الخاتمة	٥٨٣
الكشّافات	٥٨٥
كشاف الآيات القرآنية.	٥٨٦
كشاف الأحاديث النبوية.	٦٠٠
كشاف الآثار.	٦٠٣
كشاف الأعلام.	٦٠٩
كشاف الأماكن والبلدان.	٦١٥
كشاف القبائل والأعراق.	٦١٦

الموضوعات	الصفحة
كشاف الطوائف والفرق.	٦١٧
كشاف الأبيات الشعرية.	٦١٨
كشاف الكلمات الغريبة.	٦٢٠
كشاف القراءات الواردة في الكتاب.	٦٢٣
ثبت المصادر والمراجع.	٦٢٦
المخطوطات	٦٢٦
الرسائل العلمية	٦٢٧
المواقع الإلكترونية	٦٣١
الكتب المطبوعة	٦٣٢
-كتب التفسير وعلوم القرآن	٦٣٢
-كتب القراءات وعلومها	٦٤٣
-كتب علوم العربية	٦٤٧
-الكتب الحديثية وشروحها	٦٥٣
-كتب علم العقيدة	٦٦٦
-كتب الفقه وأصوله	٦٦٩
-كتب التاريخ والسير والتراجم	٦٧٢
-كتب الأماكن والبلدان	٦٨١
كشاف الموضوعات.	٦٨٢